

الموسوعة الإسلامية

في تربية الأولاد

إعداد
حامد أحمد الطاهر

المجلد الثاني

ضياء سكرية



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

الموسوعة الإسلامية

في تربية الأولاد

تأليف

حامد أحمد الطاهر

الجزء الثاني

دار الفجر للنشر

خلف الجامع الأزهر / القاهرة

تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨

محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨



﴿وقل رب زدني علما﴾

حقوق الطبع محفوظة

لدار الفجر للتراث

* الكتاب : الموسوعة الإسلامية في تربية الأولاد ج (٢)

* المؤلف : تأليف / حامد أحمد الطاهر

* سنة الطبع : الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

* الناشر : دار الفجر للتراث - القاهرة

* عدد الصفحات : ٤٩٦ صفحة

* رقم الإيداع : ٢٠٠٧ / ٩١٥٦

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة

تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨



محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨

تربية الصغار ما بعد ثلاث سنوات [من سن ٤ سنوات إلى سن ١٠ سنوات] من هنا نبدأ

اتضح لنا بعد استعراض منهج لقمان عليه السلام في تربية ولده ملامح وأساسيات المنهج الإسلامي في التربية، والذي يقوم على تربية ثلاثة أساسيات داخل الصغار:

(١) العقيدة السليمة.

(٢) الحفاظ على أصول التشريع.

(٣) ثم الوصية بالأخلاق بمفهومها الواسع: الأخلاق مع الله، ثم مع البشر جميعاً.

لتكون النتيجة في النهاية: شخصية إسلامية سوية تعرف لماذا خلقت؟ وما هو دورها في الحياة؟ بعيداً عن دُنا الكفر، والفسق، والمعاصي، والرذائل التي استطار أمرها، وظهر فسادها حتى خسرنا أجيالاً متتالية من أمة الإسلام كان الأحرى بها تحرير الإسلام وبلاده من الاستعمار العسكري، أو الاقتصادي، أو الأخلاقي.

ويبقى أن يقرَّ في النفوس مسألة هامة للغاية قبل أن نبدأ في تربية الصغار في السن الحرجة (من ٤ سنوات إلى ١٠ سنوات) وهي: أن هذه الفترة إن ضاعت ضاع معها جيلٌ كامل من الأمة، وفساد أغليبتها يعني فساد أغلبية الأمة، وفساد جزء منها يعني فساد قطاع عريض من الأمة، وفساد أفراد معدودين منها يعني إمكانية وجود مفسدٍ أو داعية إلى الفساد قد تكون له القدرة على إفساد مجتمع بالكامل.

فابذل جهدك دون توانٍ أو كسل، وابدأ الحبَّ وارعهِ، والله تعالى عليه النتائج، وإذا فسد الولد بعد أن استوفيت الجهد، وقمت بما عليك فلست أفضل حالاً من نبي الله نوح عليه السلام يوم أن كفر ولده ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ

قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴿ (هود: ٤٢، ٤٣) إلى أن قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٤) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴿ (هود: ٤٥، ٤٦)

وبعض الروايات المعتمدة على كتب السير والتواريخ تقول: إن هذا الكافر اسمه «كنعان» (١).

وقد علق القرطبي رحمه الله على هذه القصة فقال: «في هذه الآية- قصة ابن نوح- تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين، وروي أن ابن مالك بن أنس- إمام دار الهجرة- نزل من فوق ومعه حمام قد غطاه، فعلم مالك أن قد فهمه الناس، فقال مالك: الأدب أدبُ الله؛ لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله؛ لا خير الآباء والأمهات» (٢).

لقد استفزع نبي الله نوح جهده مع هذا العاق الكافر فدعاه قبل الطوفان، وأثناءه، ودعا له بالمغفرة بعد ذلك، مما يعني أنه قتل هذا العاق تربية ونصحاً، لكن مشيئة الله في النهاية غالبية، وهنا تكمن العبرة، وهنا يختبئ الدرس الذي يجب أن يعيه الخلق جميعاً: ابذل جهدك والنتيجة على الله، ولا تكاسل لأن صياغة القلوب وصناعتها تستوجب تيقظاً وهمة؛ لا نوماً ولا غفلة، ولا تكاسلاً ولا تواكلاً.

ولن نزرع شعيراً لنجني قمحاً، إنما لا بد من الزراعة والعناية، ثم النتائج على الله، واعلم أن من أراد الراحة فعليه ترك الراحة.

ولن نحاول الإلحاح على فكرة شمولية الإسلام لكل كبيرة وصغيرة، فالفكرة أوضح من أن نلح عليها، وسترى تفاصيلها داخل طيات هذا الباب الكبير، فلا عذر لأحد في فساد ولده وإهماله.

إن أول مهمة يجب أن يتيقظ لها المربون أنه يجب ربط الفرع بالأصل، واكتشاف

(١) فتح القدير (٢/ ٤٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٥٠).

الدر في أصدافها، والسن المواتية لهذه المهمة هي هذه السن التي يقبل الصغير فيها التشكل كما نريد لا كما يريد هو، ونحن نريده مسلماً، نريده نفساً مؤمنة تعي أن وظيفة المرء في هذا الوجود: العبودية. وصغارنا هم الفرع، وسلفنا هم الأصل، والدر هي الإيمان والتوحيد الذي يختبئ داخل الصغار فما علينا إلا اكتشافه.

إن عرق الإيمان كذهب في منجم لا يبلى ولا يتغير، ولا يؤثر فيه ماء ولا تراب، إنه عرق مخبوء في مضغة القلب يتحرك فيأتي بالعجائب، فاكشفه، ونمّه، واعمل على جعله كالجبال الراسيات، واربط الصغار بسلفهم، فميراث سلفهم هو أنفع ميراث يرثه خلف عن سلف، وخير زاد يقدمه سلف لخلف، وساعتها ستتطلق الهمم كالسيل المتدافع تقذف تياراً بتيار في زمن يجهد فيه الأعداء لطمس معالم الأمة وهويتها، وإعادة النائم بعد قليل من يقظته وقد كان قريب عهد به.

لقد وضحت في الفصل السابق المخاطر والقواعد والمحاذير، وسيتحول البحث الآن إلى الجانب العملي لنبدأ في تربية الصغار بعد مرحلة الولادة والرضاع والفظام، وهي المرحلة الأخطر في حياة الإنسان، ففيها التعلم والتعليم، وفيها تتكون المعالم الرئيسية لصورة الإنسان؛ لا صورته البدنية، بل شخصيته الكاملة.

ويبقى التحذير من البيئة التي تُربى فيها الصغار، لثلاث تكون ممن يحرقون على الماء، فيأتي أضعف موج إيزيل أقوى أصل وأساس بنيته، فارحل عن بيئة السوء لثلاث تنبت غرسك في أرض سوء، ولا نفع معها في عناية أو حرث، والبداية دائماً بالتوحيد.



الإيمان قبل القرآن

تنقل الأخبار الواردة عن غير المسلمين أن قطاعاً عريضاً من أتباع الديانات السابقة على الإسلام أو اللاحقة له - كالبهاية وغيرها - لا يؤمن أصحابها إلا إيماناً قلبياً، بعيداً تماماً عن أداء شعائر هذه الديانات، أو الذهاب إلى دور العبادة فيها، وممارسة طقوسها، أو حتى القراءة عنها من قريب أو بعيد، حتى إنه من الطبيعي للغاية في الغرب أن تسمع سؤالاً واحداً يتكرر كثيراً: هل تؤمن بالله؟ مع اتهامات بالجملة للذات الإلهية، والنبوة، والكتب، والقدر، ومع ذلك فإنهم يقولون: نحن نصارى أو يهود أو أي ديانة أخرى.

ويقفز إلى الذهن سؤال طبيعي: لماذا يتمسك هؤلاء إذن بدينهم؟ والإجابة: أن هؤلاء وهم صغار يواظب آباؤهم وأجدادهم على اصطحابهم إلى دور عبادتهم، ويبدؤون في تشكيلهم عقدياً حتى يهودوهم أو ينصروهم أو يضيفوهم إلى أي ديانة أخرى، وهذا كله تحدث عنه النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة فقال عليه السلام: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» (الروم: ٣٠) (١).

لقد وضَّح النبي ﷺ أن المولود يخلق على الفطرة، ثم يشوه أهله فطرته تشبيهاً بالبهيمة التي جدعت - يعني قُطعت - بعد أن خلقت سليمة (٢).

هذا ما يعتمد إليه أعداء الله في فعلونه: يشوهون فطرة الصغير، فلا يقبل التزحزح عن دينه مقدار أمثلة ولو تحدها العالم كله، إذ إنه وهو صغير قد صُبَّ في قلبه حب دينه على تكاسله وتوانيه في أداء شعائره حتى أُشربَ حبه في قلبه، كما أُشرب اليهود حب العجل.

(١) صحيح: البخاري (١٣٥٩) في الجنائز، مسلم (٢٢/٢٦٥٨) في القدر، والجدعاء مقطوعة الأذن.

(٢) فتح الباري (٢٥٠/٣) لابن حجر.

ومن هنا نرى كئاش الغرب؁ ومدارس يهود تمتلئ إما بالصغار أو بالعجائز بعد أن قرأ في نفوسهم وهم صغار أن ما هم عليه هو الحق.

والمعارف عليه في عالم المهنة والحرف أن أكثر الناس مهارة في حرفته هو من تعلمها صغيراً وذنه فارغ خاو حتى (شرب الصنعة) كما يقولون؁ فسلمت يمينه؁ ومهر في صنعته؁ فإذا ما أردنا جيلاً مؤمناً فالوقت المناسب لتعليمه الإيمان هو هذه المرحلة السنية من (٤ إلى ١٠) سنوات لنظفر بكائنات إيمانية؁ ومخلوقات توحيدية؁ لا تعرف إلا الله تعالى رباً؁ ومحمداً ﷺ رسولاً؁ والإسلام ديناً.

إننا نملك أمرين لا شك في أنهما معينان على تعلم الإيمان:

أولاً: الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها؁ فتحتاج إلى إيقاظها.

ثانياً: نملك عقيدة واضحة لا غموض فيها ليس علينا إلا نقلها كما هي بصفاتها إلى الصغار.

وقد يتعجل بعض المربين فيعمل على تحفيظ الصغير القرآن قبل أن يعلمه أصول دينه وعقيدته؁ وهذا خطأ لا محالة؁ ويجب استدراكه؁ والعمل على ترتيب الأولويات العقدية ترتيباً صحيحاً.

لماذا الإيمان قبل القرآن؟

أولاً: لأن هذا هو منهج النبي ﷺ في تربية الصحابة من حوله؁ يوضح ذلك قول جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إذ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حذاورة؁ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن؁ ثم تعلمنا القرآن؛ فإزدنا به إيماناً»^(١). «فالمقدم في التعليم هو الإيمان؁ ثم دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحجر ينقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ صعب جبره»^(٢).

إن الطفل كالوعاء - كما سبق تشبيهه - كلما ملأته بشيء امتلأ؁ فإن ملأته بالإيمان فاض وامتلاً؁ وكان مؤمناً حقاً؁ وإذا امتلأ بالشر كان واحداً من شياطين الإنس إلا

(١) صحيح: ابن ماجه (٦١) في المقدمة؁ الحذورة: الغلام إذا اشتد وقوي وخدم؁ وهو الذي قارب البلوغ.

(٢) المقدمة (ص ٥٠٥) لابن خلدون.

أن تدركه رحمة الله تعالى، وهو كالشجرة كُلِّما غذيتها كلما قويت على مواجهة العواصف والريح إلا أن يشاء الله أمراً آخر.

فإذا ما كبر وكان بعيداً عن الإيمان صعب اجتراه إلى ساحة الإيمان تارة أخرى، وقد كنت رأيت أحد (المخلطين) المولود لأب مسلم وأم ألمانية نصرانية، كان الاتفاق بينها وبين زوجها على أن يخرج ولدهما باسم إسلامي، لكن لا يجبر على اعتناق أحد الدينين - وإن كُتب في بطاقته: مسلم - فكنت كلما حاولت الحديث معه عن الإسلام صدني وتركني، أو اتهمني بالتهمة المعروفة في أوروبا بـ«الأصولية»، ومثل هذا يصعب جبر هذا النقص الواضح فيه؛ لأنه فارق مرحلة الطفولة والبناء إلى مرحلة المراهقة والبلوغ التي يرفض فيها الحدث الغر أن يستمع إلى نصيح أو إرشاد، ويعرض عن سماع كل صوت إلا صوت نفسه ولو أمرته كل لحظة بألف سوء.

إن تعلم القرآن قبل الإيمان فيه مخالفة صريحة لمنهج النبوة القائم على تعميق أصول الإيمان داخل نفوس الصغار، ثم ازدياد الإيمان بالقرآن لا العكس، وما سيحدث عند تعلم القرآن قبل الإيمان: انصباب اهتمام الصغير على تحصيل أكبر قدر ممكن من الحفظ دون وعي، أو فهم، أو تهئية، ثم سيصبح وريثاً مجرد وريث للكتاب كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾ (الاعراف: ١٦٩). فالخلف هنا مجرد ورثة للكتاب لا يعون منه شيئاً ولا ينفذون مما جاء فيه شيئاً، إنما يفرطون فيه رغم حفظهم له، لكنهم مجرد ورثة لم يؤمنوا بالكتاب وبأحكامه وشرائعه.

قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: «هم اليهود ورثوا كتاب الله فقرءوه وعلموه، وخالفوا حكمه، وأتوا محارمه مع دراستهم له، وأخبر الله تعالى عنهم أنهم يأخذون ما يعرض لهم من متاع الحياة الدنيا لشدة حرصهم ونهمهم، وهم لا يتوبون». وهذا الوصف الذي ذم الله تعالى به هؤلاء موجود فينا، أسند الدارمي وأحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سيلى القرآن في صدور أقوام كما يلى الثوب فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن

على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصرُوا قالوا: سنبليغ، وإن أساءوا قالوا: سيُغفر لنا؛ إنا لا نشرك بالله شيئاً^(١).

إنهم ورثوا، والميراث مال تالد قديم لم يتعب في جمعه الوارث، فكان من السهل عليهم تضييعه والتفريط فيه، ولذا كان حفظ القرآن غير كافٍ وحده لتحقيق الإيمان.

وفي الحديث عن أبي الدرداء أنه رضي الله عنه شخص يبصره إلى السماء ثم قال: «هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء». فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يُختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال رضي الله عنه: «ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعُذك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فما تُغني عنهم...» الحديث^(٢). إنه رضي الله عنه في هذا الحديث قد أشار إلى نقطة في غاية الأهمية: وهي أن الكتاب وحده بلا عالم يحمله كسيف لا يعمل بغير بطل، وعين لا ترى بغير إنسان، وهكذا فعلت يهود، وهكذا فعلت النصارى، فقلوبهم خواء مما يقرءونه، يعظون الناس بقلوب جامدة، لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً. ولأننا في جحر الضبِّ فكثير من قرائنا على هذه الشاكلة: تعلموا القرآن دون الإيمان! فيقرأ الحكم وهو آخر الناس عملاً به إن لم يكن قد هجره، فسبب ذلك احتقاراً من الناس لكثير من القراء الذين لولا قداسة القرآن لُسُحِقُوا بالأقدام^(٣).

إن تعليم القرآن يسير سهل استدراكه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: ١٧). ولقوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن: ١، ٢). أي: سهله ويسره كما قال القرطبي في تفسيره، لكن تعلم الإيمان أمرٌ صعب إذا كبر الإنسان وتكونت ملامح شخصيته، وفارق الطفولة إلى سن أكبر، فينبغي التركيز على تعلم الإيمان أولاً ثم القرآن اتباعاً لمنهج النبي ﷺ في التربية.

(١) تفسير القرطبي (٧/٢٩٦، ٢٩٧) ط - دار الحديث، والاثر عند الدارمي (٢/٤٣٩) في سنته.

(٢) صحيح بمجموع طرقه: الترمذي (٢٦٥٣) وقال: حسن غريب.

(٣) وبدع القراء كثيرة منها ما يتعلق بالقراءة: كالتحزين، والطرب، ومنها شرعية كالقراءة في المآثم والسرادات، وتخصيص ما بين أذاني العصر بقراءة، ويوم الجمعة وصلاة الصبح وغيرها، لأنهم مجرد قراء لا يعون شيئاً من أحكام القرآن.

ثانياً: ويدرك الجميع أن أمة الإسلام تواجه حرباً ضروساً غايتها: تشكيك المسلم في عقيدته، فالله عندهم ثالث ثلاثة، والقرآن: هلوسة وخرافات، والزكاة: أموال لتمويل الحركات الإرهابية، والحجاب: تخلف ورجعية، والطواف حول الكعبة: وثنية وعبادة للحجارة. والطعن في شخص النبي ﷺ لا يزال كل يوم يتهمون فيه بتهم الزوج من عدد يفوق الأربعة، والزواج من عائشة رضي الله عنها، وغير ذلك من التُّهم التي تُعلن الآن على الملأ في وقت استعرت فيه نار التبشير للعمل على ردة المسلمين.

وهذه القضايا يصعب مناقشتها في الكبير، فإذا ما رُبي الصغار عليها وهم مستسلمون لما يقوله الكبار صارت أساساً لا يمكن تحريكه أو زحزحته عن مكانه، فالفرصة قائمة إذن في الصغر، متضائلة بعد مغادرة مرحلة الطفولة.

ثالثاً: إن العقيدة نفسها تُعاني الآن محنة حقيقية بعد استيلاء الأيدي العابثة على مقاليد التعليم والإعلام، الذين نشرُوا الفكر العلماني وغيره في أجيال متعاقبة، فوجب تقديم وجبة إيمانية للصغار لكي لا يتلوث أحدهم بما يسمعه من ثرثرة هؤلاء العلمانيين المتبجحين.

ويذكر التاريخ أنه في إحدى البلاد الشيوعية قام أحد المدرسين الملحدين بعملية تشكيك للصغار عن طريق استخدام المحسوسات والمرئيات، فقال: هل ترون السبورة؟ قال الصغار: نعم. قال الملحد: السبورة إذن موجودة. ثم قال: هل ترون الطباشير؟ قالوا: نعم. قال: الطباشير إذن موجود. فقال: هل ترون الله؟ قالوا: لا. قال: فهو غير موجود. وأوشك الصغار على الاقتناع بالإلحاد، فقام طفل صغير فقال: هل ترون الأستاذ؟ قالوا: نعم. فقال: الأستاذ موجود. فقال: هل ترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا. قال: فعقل الأستاذ غير موجود. فُبُهِت الذي كفر وألحد، وانتبه الصغار إلى هذه المؤامرة التي كادت تطيح بالإيمان خارج هذه القلوب الصغيرة.

ويذكر القصص النبوي أن المؤمنين في قصة أصحاب الأخدود - كما سيأتي - اهتموا على يد صبي صغير، فنحن بتعليم الإيمان للصغار نقدم لأنفسنا خيراً، ثم نقدم للإسلام نفوساً تقية نقية، وثواباً يمتد حتى بعد الممات والفناء.

إننا نحتاج العقيدة ولا تحتاجنا العقيدة ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ

حميد» (إبراهيم: ٨). والعقيدة هي طريق السعادة والاطمئنان، وهي أول طرق الجنة.

وهناك أسباب أخرى تدعو إلى دراسة العقيدة أولاً وهي مجملة كالآتي:

(١) لأن التوحيد هو دعوة الأنبياء جميعاً، فقد دعوا إلى التوحيد قبل أي شيء، بقصد بناء أنفس سليمة على أساس صحيح وعقيدة صلبة ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

(٢) وأن العقيدة السليمة سبب في دخول الجنة، وفي الحديث: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»^(١).

(٣) والتوحيد هو المقصود من كل الأعمال.

(٤) والانحراف عن العقيدة السليمة هو السبب الأول في فساد الأمم عموماً، والإنسان خصوصاً.

(٥) أن التوحيد هو السبيل إلى تحقيق العبودية لله عز وجل.

(٦) والعقيدة السليمة تبعث في قلوب أصحابها الاطمئنان.

(٧) والتوحيد سبب لمغفرة الذنوب^(٢).

فهذه إذن هي الأسباب التي تدعونا إلى تعليم أبنائنا العقيدة الصحيحة، والتوحيد السليم أولاً، وقبل أي خطوة أخرى، ولو كانت الخطوة هي: حفظ القرآن الكريم.

ومعلوم بالضرورة أن عناصر الإيمان، أو أصوله هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. قال الله تعالى: ﴿عَٰمِنَ الرَّسُولَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٣). فهذه أصول الإيمان التي ينبغي أن تُربى في الصغار، لكن كيف؟ هذا السؤال الذي سنجيب عنه خلال الصفحات القادمة.

(١) صحيح: مسلم (١٥١/٩٣) في الإيمان عن جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر كتابي: (الوصايا النبوية) ففيه هذه الأمور بالتفصيل من (س ١٤ إلى ٢٣).

(٣) صحيح: مسلم (١/٨) في الإيمان.

تعليم الصغير الإيمان بالله تعالى

استغلال الفطرة لتعليم الصغار الإيمان بالله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وسبق أن ذكرنا حديث: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء؟»^(١).

والفطرة ذكر العلماء فيها أقوالاً مختلفة لكنها تتفق على أمر واحد وهو: أن الإنسان يولد مفطوراً على الحق وقبوله، سليماً من كل عيب في عقيدته، كما أن البهيمة تلد البهيمة دون عيب فيها.

أما أقوال العلماء في الفطرة فهي كالتالي:

(١) أشهرها أن الفطرة هي: الإسلام، وقال ابن عبد البر: «وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بالآية: الإسلام، واستدلوا بحديث عياض بن حمار- وهو حديث قدسي- أنه ﷺ قال فيما يرويه عن ربه قال: «إني خلقت عبادي حنفاء»، وفي رواية: «حنفاء مسلمين»^(٢).

وقد قال بهذا الرأي من المفسرين: مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، والنخعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) وذهب ابن حزم إلى أن الفطرة هي الإيمان^(٣).

(٣) وذهب ابن كثير في تفسيره إلى أن الفطرة هي: معرفة الله تعالى وتوحيده^(٤).

(١) سبق تخريجه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن حجر (٢٤٩/٣) في الفتح، وحديث عياض عند مسلم (٢٨٦٥) في الجنة، والطبري (٥٣، ٥٢/٢١) في تفسيره.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٤/٤).

(٤) تفسير ابن كثير (١٧٤/٦)، والقرطبي (٢٨/١٤) في تفسيره.

والصغار تتضح فيهم هذه الفطرة أكثر من وضوحها في الآخرين، فإذا ما ضربته على رأسه مثلاً بكى، ثم سأل عن ضاربه، ولا يصدق إذا أخبر بأن أحداً لم يضربه، فقد قرّ في نفسه كما يقول ابن الجوزي رحمه الله: «أن كل مصنوع لابد له من صانع»، وعادة ما يستجيب الصغار إلى سماع الأذان، ويصمتون عند تلاوة القرآن، وينظرون إلى السماء داعين: يا رب! حتى ولو لم يخبرهم أحد.

وفي سن الثالثة يبدأ السؤال التقليدي الذي يشترك فيه أطفال الأرض جميعاً: ما هذا؟ مَنْ أحضر هذا؟ مَنْ فعل هذا؟ وهذه الفطرة هدية من الله تعالى كماء السماء الذي تُسقى به الأرض، إن ترك بلا تخزين كان بلا فائدة، وإن خُزن وحسن استغلاله كان خيراً للجميع، فالمفترض استغلال الفطرة إذ هي قنص ثمين يجب المبادرة إليه قبل الزوال والضياع، لإحياء عرق الإيمان المركوز في القلب، فيتوجه الأب إلى صغيره مصطحباً إياه إلى مكان تظهر فيه قدرة الله تعالى: كحقل زراعي، أو صحراء واسعة، أو نادٍ من الأندية، ويبدأ في السؤال: مَنْ خلق هذه السماوات؟ وأجرى فيها الشمس والكواكب؟ وأطلع فيها النجوم وأضاء القمر؟ وهي - أي: السماوات - بغير عمد؟ مَنْ بَسَطَ هذه الأرض التي نمشي عليها؟ مَنْ أجرى الماء الحلو في النهر؟ مَنْ بقدرته ينبت هذا الزرع الأخضر في هذه الأرض السوداء؟ سيجيب بفطرته، وكما سبق وفتحت عليه بـ (لا إله إلا الله) فيقول: الله. وعندئذ حدثه عن الله تعالى وعن الإيمان به، وعن وجوده سبحانه وتعالى، ومظاهر قدرته في كونه، ودلائل وجوده سبحانه وتعالى، وخطأ الكافرين في إنكار وجود الله تعالى.

وربما سألك: لماذا لا نرى الله؟ فقل له: ليس من الضروري أن نرى كل موجود، فنحن نؤمن بوجود الكهرباء ولا نراها، ونؤمن بوجود ذبذبات الإرسال التليفوني ولا نراها، ونؤمن بوجود إشارات اللاسلكي ولا نراها، ونؤمن بأن الله تعالى جعلنا نشاق إليه وإلى رؤياه، فلا نراه بعيوننا المجردة في الدنيا، وإنما نراه في الآخرة إذا دخلنا الجنة.

وأخبره أن الله تعالى نور السماوات والأرض، ولا أحد يقوى على رؤية نور الله تعالى، فإذا كنا نعجز عن النظر إلى ضوء الشمس؛ فكيف نقوى على النظر إلى من

الشمسُ بنورها خلقٌ من خلقه سبحانه وتعالى؟! وننتهز الفرصة لنعرف الصغير بأن خالق هذا الكون الفسيح هو سبحانه الذي يُسأل ويتوجه إليه بالدعاء لا غيره سبحانه وتعالى، مع ذكر قصص وحكايات تدل على وجوده تعالى، وعلى استجابته سبحانه للدعاء، وعلى ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى من قضايا كثيرة.

وينبغي على المربي انتهاز فرصة الخلوة بالصغير لبذر بذور الإيمان بالله فيه، وتقوية صلته بالله تعالى، كما فعل ﷺ مع ابن عباس رضي الله عنهما، طبقاً لما روي في الحديث الشريف: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (١).

أما الطريق الثاني لجعل الصغير يؤمن بالله تعالى فعن طريق: تعريفه بنعم الله تعالى عليه:

فقد جُبلت النفوس وفُطرت على حب من أحسن إليها، ونعم الله تعالى كثيرة، ذكرها سبحانه في القرآن فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣). وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤). وقوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ النَّهَارِ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص: ٧٣).

والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤). وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

وتوجه إليه بالسؤال: ماذا سيحدث لو فقدت نعمة البصر؟ وماذا سيحدث لو لم ينزل المطر؟ ماذا سيحدث لو لم يجد الناس الطعام؟

مع المقارنة دائماً: هذا مبصر وهذا أعمى، هذا بلد لا مجاعة فيه، وآخر يعاني من الجفاف.

إن الطفل هنا لن يؤمن بالله تعالى وحسب؛ بل سيحب الله تبارك وتعالى.

على أن يراعي الأب أو المربي على وجه العموم سن الصغير، مع سهولة العبارة وجزالتها، والإيضاح للمعنى الذي يريد إيصاله دون تقعر في اللفظ، أو تفريع للمسائل، ودون إكثار في الكلام، بل نسلك دائماً أقرب الطرق وأسهلها.

يقول الخبير التربوي الدكتور/عدنان صالح باحارث في كتابه مسؤولية الأب المسلم^(١): «وعندما يقدم الأب لولده الصغير قبل سن التمييز برتقالة مثلاً، فإنه وقبل أن يعطيه إياها يقول له: يا بني هذه من عند الله، ويشير إلى السماء، فإذا لم يسترسل الولد معه في أسئلة حول الموضوع، كأن يقول: كيف جاء من عند الله؟ أو: هل هو أعطاك إياها؟ فإن الأب يكتفي بما أشار به من أن هذه البرتقالة من عند الله، ولا ريب أن حافظة الولد تسجل هذه المعلومة وتخترنها، ومع التكرار والتعويد تتركز المعاني وترسخ في نفسه وقلبه.

أما الولد الأكبر سناً، أو الأكثر ذكاءً وفهماً، والذي يحاول أن يعرف كيف وصلت هذه البرتقالة إليه، وعن أي طريق؟ فإن الأب يبين له بعبارة سهلة ميسرة التسلسل المنطقي في مسيرة البرتقالة من كونها بذرة صغيرة لا قيمة لها، حتى وصولها إلى الولد ثمرة حلوة لذينة، ويحاول الأب من خلال شرحه وبيانه أن يبرز ويشير إلى قدرة الله عز وجل ولطفه ورحمته من وراء هذه النعمة.

فيبين الأب لولده أن الفلاح وضع البذرة في الأرض الخصبة، ثم سقاها بالماء الذي أنزله الله من السماء، وأشرقت عليها الشمس بأمر الله عز وجل تدفع فيها الحياة والنشاط، حتى كبرت وأصبحت شجرة بعد أن كانت بذرة صغيرة، ثم بدأت

بعد ذلك تثمر برتقالاً حلو المذاق، ثم جاء الفلاح واقتطف هذه البرتقالات من الشجرة وغسلها، ثم وضعها في صندوق، وخرج بها إلى السوق لبيعها للناس، فاشتريت البرتقالات منه بالمال الذي آتاه الله، وقدمت بها إلى البيت، وها هي البرتقالة الجميلة بين يديك. ثم يعقب على هذا السرد الطويل بقوله: أرأيت يا بني كيف أن الله يحبك؟ سخر لك الفلاح، والماء، والشمس، والأرض، وسخرني لك لأجلب هذه الثمرة إليك لتأكلها.

وبهذا الأسلوب يكون الوالد قد بذر فعلاً في نفس ولده بذرة التأمل والتفكير في نعم الله من حوله، فإن كان هذا حاصلًا في البرتقالة، فإنه حاصل أيضاً مع باقي الفواكه والخضار، فيعمم الولد هذه القضية على باقي الأطعمة خاصة التي تنبت من الأرض لتشابهها بقصة البرتقالة.

ويختلف أسلوب الأب مع الولد المميز، الذي قد حصل عن طريق المدرسة على شرح لعملية الإنبات والتمثيل الضوئي، وهنا يبدأ معه بصورة مباشرة فيسأله مثلاً عن عملية التمثيل الضوئي وكيف تتم؟ فيسترسل الولد ذاكراً ما تعلمه في المدرسة - وغالباً ما يكون تعليماً جافاً - من التفاعلات الكيميائية المختلفة التي تصاحب عملية الإنبات، من اشتراك الأرض، والماء، والشمس وغيرها في هذه العملية.

احذر، واحرص:

واحذر الحديث عن التشابهات التي لا تأويل فيها، والتي يؤمن بها أهل السنة والجماعة بلا تأويل ولا تعطيل أو تجسيد أو تشبيه، كآيات الصفات، فلا حديث عن اليد أو العين أو غيرها مثل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك: ١). أو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨). فهذه أمور ثابتة، لكن يتأخر تعليمها حتى لا يقع الصغير في التشبيه ويوسوس له الشيطان بشيء، ولكن احرص على تعليمه أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). وكيف نصفه ونحن لا نراه سبحانه.

والطريق الثالث: تعليم الصغير مراقبة الله تعالى:

وهذا أمر هام، فعلم الصغار أن الله تعالى يراقبنا لا يطاردنا، وهو ما حرص لقمان على تعليمه لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي

السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (لقمان: ١٦).

وعلمه النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما كما في الحديث الذي عرضناه وأوله: «يا غلام إني أعلمك»، وفيه: «احفظ الله يحفظك».

ولعل هذه الكلمات موجهة إلى كل أب يخشى الله ويتقه، لا أولئك الذين يطعمون أبناءهم من حرام، فيبيت أحدهم وهو غاش لرعيته، فمنقلبه سوء المنقلب، إذ هو خائن، والخيانة ينس البطانة.

ومراقبة الصغير لله تعالى ستعفيانا من الوقوع في أخطاء عدة، وستجعل المجتمع يتعافى مبكراً من أمراض الرشوة، والسرقة، والكذب، وشهادة الزور التي تفتت لقلّة الإيمان بالله، وانعدام المراقبة له سبحانه وخشيته.

ومن الأخطاء التربوية الفظيعة التي تفسد ولا تُصلح أن الصغار يخوفون بالقوي من ذويهم، فيخوفون بالأب إن كان حياً، وبيطش الأم إن كانت الكلمة العليا لها أو بالمدرس أو بغيرهم، فيظل الصغير مجافياً للخطأ طيلة وقوعه تحت سيطرة هؤلاء وسطوتهم، فإذا ما غاب عنهم وغابوا عنه، راح يتقلب في حمأة الأخطاء التي نُهي عنها، ولعله يترك الصلاة في غياب مَنْ يُخوف به!!

وهذا خطأ لا محالة، وعلاجه أن نغرس في الصغار معنى مراقبة الله تعالى لهم، ومراقبته لهم «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١)، لأننا إن ضمنا أنه لن يخطئ أماننا- يعني الصغير- فما يدرينا أنه لن يخطئ بعيداً عنا؟ فإذا ما علم أن ربه يراقبه وسيحبه عند فعل الخير، ويعاقبه أو يغضب عليه عند فعل السوء، قُضي على انحرافه تماماً، ورُبِّي فيه الاستقامة منذ نعومة أظافره، فلا يشب الصغير إلا مؤمناً بربه، محباً لربه، خائفاً منه، مراقباً له.

ويمكنك مثلاً أن تستعين ببعض الأشياء، فقل له مثلاً: أخف هذه الكرة في مكان لا يراه أحد. فإذا عاد وأخبرك أن أحداً لا يعلم مكانها، فأخبره أن هذا يخفى على الناس، لكن لا يخفى على الله تعالى، والله سبحانه يعلم كل شيء.

(١) صحيح: مسلم (٨) في الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وليكن إشعاره بمراقبة الله تعالى حتى بما يدور في نفسه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦). فإذا كذب فيغضب عليه الله، وإذا صدق أحبه الله. والأفضل أن نقول له: إن الصدق يجعلنا جميعاً نحبه كما يحبه الله، لأننا نحب ما يحب الله، وإن الكذب يجعلنا جميعاً نكرهه كما سيغضه الله، لأننا نبغض ما يبغضه الله.

وليكن الترغيب هي السمة الغالبة قبل التهيب حتى لا يقر في نفسه: أنه لم تُخلق إلا النار، فالصغار يخطئون كثيراً، ولا معنى أن نقول في كل مرة: ستدخل النار!! حتى لا نفاجأ بسؤال: أين النار؟ أو: أنا موافق على دخولها، أو: كل مرة تقولون هكذا ولا أرى النار.

ويجدر بالمربي الاستعانة بتفسير جزئي (تبارك وعم) لأن فيهما ما يعرف بالله تعالى في بساطة من الآيات وسهولة وسُر، ويعلم الصغير ألفاظ: الله معنا، الله يرانا.

والطريق الرابع: تعليم الصغير التوكل على الله، والدعاء.

والطريق الخامس: تعليم الصغير عن طريق الدراسات المبسطة في العقيدة عن طريق السؤال والجواب.

وهذا مختصر مفيد في هذه المسألة يحوي مسائل الإيمان بالله تعالى وبعض القصص التي تتعلق به:

ما هو التوحيد؟

التوحيد هو: إفراد الرب تعالى بالعبادة.

فما معنى ذلك؟

* هذا معناه: أن نعبد الله وحده، ولا نشرك في عبادته أحداً سواه.

* فإذا دعوناه دعوانه وحده.

* وإذا ذكرناه ذكرناه وحده.

* وإذا ذبحنا لم نذبح إلا له تعالى، فلا نذبح لأحد غيره.

* وكذلك فنحن نذبح على اسم الله، فنقول: باسم الله، ولا نذكر اسم أحد غيره.

* وإذا حلفنا أو أقسمنا على شيء أقسمنا به وحده، ولم نقسم بأي شيء سواه تعالى .
 فلا نقول: والكعبة، ولا نقول: والنبى، ولا نقول: ورأس أبى .
 وكذلك فهذا معناه: أن نصدق ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء
 في أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) .
 فالله سبحانه وتعالى كامل في أسمائه، وهو سبحانه كامل في صفاته، وهو
 سبحانه لا يشبهه شيء من مخلوقاته .

أقسام التوحيد

إلى كم قسم ينقسم التوحيد؟
 ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهى:
 * القسم الأول: توحيد الربوبية .
 * القسم الثانى: توحيد الألوهية .
 * القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات .
 والآن .. وقبل أن نتابع .. دعنا نراجع ما تعلمناه حتى الآن!
 استخدم ذكاءك وقلمك

(١) ما هو التوحيد؟

التوحيد هو:

(٢) ينقسم التوحيد إلى أقسام .

القسم الأول: توحيد

القسم الثانى: توحيد

القسم الثالث: توحيد



القسم الأول

توحيد الربوبية

ما هو توحيد الربوبية؟

توحيد الربوبية هو: أن يصدق المسلم ويعتقد اعتقاداً ليس فيه شك أن الله سبحانه وتعالى هو وحده: الخالق، الرازق، المدبر، المحيي، المميت.
والرب هو: المالك، والسيد، والمربي، والمنعم.
ولذلك يقال عن الوالد: رب الأسرة؛ لأنه القائم عليها، والذي يجري على نفقتها وتدير أمورها كلها.

وكذلك الله تعالى: هو رب العالمين، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢).
وهو سبحانه الذي يحيي ويميت، لا يشاركه في ذلك أحد. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦).

وهو وحده الذي يرزق المخلوقات جميعاً من إنسان وحيوان ونبات وغيرها. قال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٦٠).
وهو وحده تعالى الذي يدبر أمر العالم كله والخلق أجمعين وينظمه، ليس له معين، وليس له شريك، ولا مخالف لأمره.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).
وهو سبحانه الذي خلق الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢).

التفكير في خلق الله

وقد دعانا الله سبحانه وتعالى أن نتأمل ونتفكر في خلقه، فإن المصنوع يدل على صانعه، والمخلوق يدل على خالقه. قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران: ١٩١).



فالمسلم يتفكر في خلق السماء والسحاب والأرض والجبال والشمس والقمر، من خلقها؟ الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦١).

والمسلم يتفكر في الشجر والبحر والطير يطير في السماء، من خلقها؟ الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النحل: ٧٩).

والمسلم يتفكر في النبات والحيوان، من خلقهم؟ الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧).

فالمسلم يتفكر في مخلوقات الله تعالى، ويتأملها، ويتدبر فيها، كيف خلقها الله تعالى؟ وكيف أبدعها؟ وكيف هيأها وسخرها؟ فذلك كله دليل على وجود الله تعالى، وذلك دليل على أنه: لا إله إلا الله.

استخدم ذكاءك وقلمك

(١) توحيد الربوبية هو:

(٢) الرب هو:

(٣) لماذا يتفكر المسلم في خلق الله؟

.....

.....



القسم الثاني توحيد الألوهية

ما هو توحيد الألوهية؟

توحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بكافة أنواع العبادة، كالدعاء، أو النذر، أو الذبح، أو الاستعانة، أو الصلاة...

والإله هو: الذي تأله القلوب، أي: تحبه وتطيعه فيما أمر ونهى، وتتبع طريقه، ولا تعصي له أمراً. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

فالمسلم لا يتخذ إلهاً إلا الله عز وجل، فينبذ كل الآلهة من دونه، سواء أكانت حجراً أم شجراً أم بشراً ممن رضوا بذلك. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمْ إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (المتحنة: ٤).

وقد جاء في الحديث أن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عندما أراد أن يسلم بعد أن كان نصرانياً، أنه دخل المسجد، فسمع النبي ﷺ يقرأ قول الله عز وجل عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١). فقال عدي: إِنَّا لَمْ نَتَّخِذْهُمْ أَرْبَابًا! فقال النبي ﷺ موضحاً له حقيقة العبودية: «أوليسوا يُحِلُّوْا لَكُمْ الْحَرَامَ فَتَسْتَحِلُّوْهُ، وَيُحَرِّمُوْا عَلَيْكُمْ الْحَلَالَ فَتَحَرِّمُوْهُ، وَتَطِيعُوْهُمْ بِمَا يَأْمُرُونَ؟». قال: بلى. فقال النبي ﷺ: «فتلك عبادتكم».

فالمسلم الذي نور الله قلبه بدين الإسلام لا يعبد غير الله:

١- فلا طاعة إلا لله عز وجل، ولا يقبل منهجاً يحكمه إلا كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٢- وهو كذلك إن ذبح ذبح لله تعالى، وعلى اسم الله تعالى.

٣- وإذا دعا في الرخاء أو الشدة دعا الله وحده، ولم يدع أحداً غير الله.

٤- وإذا نذر أن يفعل شيئاً كان نذره لله تعالى، ولم ينذر لولي أو رجل صالح.



استخدم ذكاءك وقلمك

(١) ما هو توحيد الألوهية؟

توحيد الألوهية هو:

(٢) الإله هو:

(٣) المسلم يصلي لـ

(٤) المسلم يذبح لـ

(٥) المسلم ينذر لـ

(٦) المسلم يدعو



القسم الثالث

توحيد الأسماء والصفات

ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

علمنا من قبل أن لله تعالى أسماء حسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠). وكذلك علمنا أنه سبحانه موصوف بصفات الكمال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

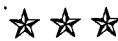
فتوحيد الأسماء والصفات هو:

* أن نثبت للرب تعالى أن له أسماء حسنى، وهي الأسماء التي سمى بها نفسه في القرآن الكريم، أو أخبرنا بها نبيه محمد ﷺ.

* وكذلك نثبت له صفاته التي أثبتها لنفسه في القرآن الكريم، أو أثبتها له نبيه ﷺ.

* ونصدق تصديقاً جازماً أن هذه الصفات غاية في الكمال، فهو سبحانه وتعالى لا يشبه أحداً من مخلوقاته أبداً.

* وكذلك ننفي عنه صفات النقص والسوء التي لا تليق به سبحانه وتعالى.



أسماء الله الحسنى

المسلم يثبت ما أثبتته الله تعالى لنفسه من الأسماء، ومثال هذه الأسماء:

الرحمن: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء: ١١٠).

الرحيم: ﴿وَالِهُمُّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣).

السميع: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

العليم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧).

الغفور: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الزمل: ٢٠).

الملك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ (الحشر: ٢٣).



الرقيب: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ (الأحزاب: ٥٢).

الأول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣).

الآخر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣).

الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الإنفطار: ٦).

البصير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

الغني: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ (الأنعام: ١٣٣).

والمسلم يشبث لله تعالى أسماء التي ذكرت في سنة النبي ﷺ مما لم تذكر في

القرآن. فمن هذه الأسماء على سبيل المثال:

ستير - حيي: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيَّ سَتِيرٌ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ

فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ».

استخدم ذكاءك وقلمك

(١) ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

توحيد الأسماء والصفات هو:



فضل أسماء الله تعالى

وقد يسأل أحدكم: هل وزد في حفظ أسماء الله تعالى أو معرفتها ما يدل على الفضل والثواب؟ فالجواب: نعم قد ورد عن الله تعالى، وورد عن رسوله ﷺ ما يدل على فضل أسماء الله تعالى، وفضل معرفتها.

فأما ما ورد عن الله تعالى في فضل ذلك، فقولته تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

فبين لنا الله سبحانه وتعالى أن له أسماء حسنى، وأنه سبحانه يحب من عباده إذا دعوه أن يدعوه بها؛ لأننا إذا دعوناه بها فقد أثبتناها له، بخلاف من ينفيها وينحرف بها عما أراد الله تعالى، فهؤلاء سوف يجازيهم الله تعالى عذاباً يوم القيامة لأنهم لم يقوموا بحق هذه الأسماء، وخالفوا مراد الله تعالى. وأما الذين يشبهونها لله تعالى، ويدعونه بها فهم الفرقة الناجية، لأنهم اتبعوا ما أمرهم الله به، وما أمرهم به رسول الله ﷺ.

وأما ما ورد عن رسول الله ﷺ في فضل ذلك، فقولته ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةُ». فمن استطاع أن يحصي هذه الأسماء ويعرفها، ويثبتها لله تعالى، ويعمل بمقتضاها فجزاؤه الجنة إن شاء الله تعالى.

صفات الله العلا

والمسلم كما أثبت أسماء الله الحسنى فهو يثبت صفاته الحسنى أيضاً التي وردت في القرآن، والتي وردت في السنة، ليس هذا فحسب، بل وينفي عن الله تعالى الصفات التي لا تليق به سبحانه مما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه النبي ﷺ عن الله.

فمثلاً ينفي عن الله تعالى صفة الظلم لأنها صفة نقص. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

وينفي كذلك صفة النسيان لأنها صفة نقص. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

فهو ينفي كل صفات النقص عن الله تعالى، وكذلك فهو يثبت لله تعالى صفات أسمائه التي أثبت لها من قبل.

هو يثبت أن اسم: الكريم من أسماء الله تعالى، والكريم صفة الكريم، فثبت لله صفة الكرم.

وهو يثبت أن اسم: الرحمن، واسم: الرحيم من أسماء الله تعالى، والرحمة صفة الرحيم، فهو يثبت أن الرحمة من صفاته تعالى.

هكذا يثبت كل الصفات المتعلقة بأسماء الله تعالى الحسنی.

ليس هذا فحسب بل يثبت باقي الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهو مع ذلك: لا يُشَبَّه الله سبحانه وتعالى بأحد من مخلوقاته؛ فكرم الإنسان المخلوق ليس ككرم الإله الخالق المالك لكل ما في الكون.

فنحن نقول: الرجل سريع، والسيارة سريعة، والقطار سريع، والطائرة سريعة، فكلهم اشتركوا في صفة السرعة، لكن لكل سرعة التي تناسبه. وهكذا باقي الصفات.

ثمررة التوحيد

ما هي ثمررة التوحيد؟

ثمررة التوحيد هي:

* أن يعلم المسلم أن الله تعالى هو خالقنا وخالق كل شيء، وهو رازقنا ورازق كل شيء، وأنه سبحانه المدبر والمسير لأمر الكون كله، لا شريك له ولا معين.

* فإن أصابه خير حمد الله وحده.

* وإذا أصابه شر صبر على هذا الشر، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لأنه اختبار من الله تعالى له. ولم يقل: لو كنت فعلت كذا، أو فعلت كذا، لأنه اعتراض على أمر الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلْيَبْلُوكُمْ بَشْيَءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥، ١٥٦).

ومن ثمرة التوحيد:

* أن يعلم المسلم لماذا خلقنا الله؟ فلقد خلقنا الله تعالى لعبادته. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

* فإذا علم ذلك توجه إلى الله وحده بكل أنواع العبادة.

* فالمسلم يتوجه في صلاته ودعائه إلى الله وحده.

* وهو يتوجه بذبح الذبائح ونذر النذور إلى الله وحده.

* وهو كذلك لا يدعو أحداً من الخلق، ولا يتخذ أحداً من الخلق واسطة إلى الله في الدعاء، وإنما يدعو الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ومن ثمرة التوحيد أيضاً:

* معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى التي وردت في القرآن والسنة.

* معرفة صفاته العلى التي وردت في القرآن والسنة.

* معرفة صفات النقص عن الله.

وهذا ينفع المسلم، لأنه إذا أثبت ذلك استشعر عظمة الرب تبارك وتعالى، فيزيد الإيمان في قلبه، لأنه سوف يتبع ما أمر الله تعالى وما أمر رسوله ﷺ، وسوف يتعد عن كل ما نهى الله عنه، وعن كل ما نهى عنه رسوله ﷺ.

* فالمسلم مثلاً إذا أصابه شر أو أصابته مصيبة دعا الله تعالى؛ لإيمانه أن الله سميع، فسوف يسمع دعاءه، وهو بصير بحاله، وهو رحيم فسوف يرحم ضعفه، وهو الذي يستجيب الدعاء، فسوف يستجيب لدعائه إن شاء الله.

* وكذلك فالمسلم يؤمن بأن الله تعالى شديد العذاب، فهذا يجعله يتعد عن السيئات والوقوع في المعاصي.

* وهو كذلك يؤمن بأن الله تعالى رقيب عليه، فهذا يجعله لا يقترب من المعاصي لأنه بعيد عن الناس، أو لأنه لا يوجد أحد يراه وهو يفعل المعصية، فإن الله تعالى يراه ويراقبه.

* وهو كذلك إذا اقترف ذنباً استغفر الله تعالى، لأنه يؤمن بأن الله تعالى غفور.



ومن ثمار التوحيد أيضاً:

* أن يعلم المسلم أن كل ما يجري في هذا الكون غير خارج عن سيطرة الله عز وجل، وأن تسلط الكافرين على المسلمين اليوم هو سبب بعد المسلمين عن دينهم، وأن الله قادر - لو شاء - أن يحق الكافرين، فالله ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (البروج: ١٦).

* وكذلك يعلم المسلم أن الله وحده هو «المحيي» وهو «المميت» فالأجل إذن بيد الله عز وجل.

جزاء التوحيد

ما هو جزاء التوحيد؟

جزاء من وحد الله تعالى في: ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، هو محبة الله عز وجل له، وإدخاله الجنة إن شاء الله تعالى.

☆☆☆

الصغار وتعلم فضائل الأخلاق

تعريف الخلق وعلاقته بالإيمان.

١- الحياء.

٢- الصدق والنهي عن الكذب.

٣- التواضع والنهي عن الكبر.

٤- الكرم والنهي عن البخل.

٥- أداء الأمانة والنهي عن السرقة.

٦- الغضب.

٧- الخوف.

٨- الأمانة.

٩- الرفق، والرحمة، واللين.



الأخلاق التي يجب أن يتعلمها الصغار

تعريف الخلق، والعلاقة بينه وبين الإيمان:

يُعرَّف علماؤنا الخلق بأنه: هيئة ثابتة في النفس تصدر عنها الأفعال بدون تفكير، أو على حد قول الأصفهاني: «حال الإنسان الداعية إلى الفعل من غير فكرٍ ولا رَوِيَّة»^(١). وقد ربط الإسلام ربطاً كاملاً بين الإيمان والخلق، فالإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وما من موضوع في القرآن إلا ويربط القرآن فيه بين الإيمان والعمل الصالح حتى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (الكهف: ١٠٧).

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٤٤) للراغب الأصفهاني.

والعمل الصالح يتضمن كل خير وكل فضيلة، ومن هنا يزداد الإيمان بالعمل الصالح وهو: مكارم الأخلاق، ولذا قرن النبي ﷺ بين الأخلاق والإيمان، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١).

ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال ﷺ: «ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»^(٢).

إلى غير هذه الأحاديث التي تربط بين حسن الخلق وزيادة الإيمان، وعلى الجانب الآخر نبه ﷺ إلى أن أي خلل في الأخلاق يتبعه بالضرورة خلل في العقيدة والإيمان يُعاقب عليه صاحبه. فمن حديث أبي شريح رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «والله لا يؤمن - ثلاثاً - من لا يأمن جاره بوائقه»^(٣).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(٤).

إنها مجموعة رذائل جاء الشرع لجعلها كبائر تحرم العبد من درجات الصالحين وتهوي به في قاع النار، وهذا مما يؤكد ربط الإسلام بين الإيمان والأخلاق، ومن ثم أهمية الإيمان قبل الأخلاق فـ«الإيمان بالله تعالى واتباع منهجه سبحانه الذي ألزم به الإنسان في القرآن، وبيئته السنة، هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق، والطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق أمن الإنسان وسعادته، وأن فقدان الإيمان بالله وعدم اتباع منهجه في الحياة يؤدي إلى الهم والقلق والشقاء»^(٥).

إن الإيمان يهذب النفس ويوجهها إلى الخير، ويقودها إلى طريق السلامة، ومن

(١) صحيح: صحيح الجامع (١٢٣٠) للألباني رحمه الله.

(٢) صحيح: أبو داود (٤٧٩٩) في الأدب وصححه الألباني.

(٣) صحيح: مسلم (٤٦) في الإيمان.

(٤) صحيح: البخاري (٢٤٧٥) في المظالم والغصب، مسلم (٥٧) في الإيمان.

(٥) الدكتور/ محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس (ص ٢٤٩) ط دار الشروق ١٩٨٢ م.

هنا كان الإيمان هو الطريق الأوحـد لـطهارة النفس التي لا تدرك عيوبها إلا بالبصيرة (القلب) لأن من طابت نفسه طاب خلقه وعمله، ومن خبثت نفسه خبث خلقه وعمله، وقد قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨).

وقد لاحظ ابن قيم الجوزية رحمه الله هذا الترابط بين الخلق والدين، فعرف حسن الخلق قائلاً: «الدين هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين»^(١). وهذا ربط رائع من ابن قيم الجوزية رحمه الله بين العقيدة والشرعية والخلق، لأن الأخلاق من غير دين عبث، إذ الدين هو الهادي إلى المثل العليا، والعقيدة الدينية هي أقوى رادع يـزجر وينهى عن اتباع الهوى والشهوات، ودائماً ما يكون صوت الضمير المتدين قوي^(٢).

إن ما ذكرته هنا كان ضرورياً من وجهة نظري لكي يعلم الجميع أنه لا خلق بغير عقيدة، ولا عقيدة تستقيم بغير تطبيق عملي على أرض الواقع: عبادة وعملًا وسلوكًا.

واللبنة الأولى هي الفرد دائماً في كل المجتمعات، فعلى المربين وأولي الأمر أن يتفهموا جيداً أن غرس معاني الأخلاق وفضائلها في النفس لابد أن تأتي مبكراً للغاية، لأن النفس «مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسله، لا يستغني محمودها عن تأديب، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب»^(٣). قصد: أن النفس لابد لها من تربية، وتدريب، وتوجيه، وتهذيب، وإكساب لفضائل الأخلاق بلا إهمال.

العوامل المساعدة على تعليم الصغار الفضائل:

(١) العامل الوراثي: كالجود، والشجاعة، والتواضع فهي أخلاق تأصلت في نفس الرجل حتى انتقلت إلى صغاره، على أن هذه ليست بقاعدة يمكن الاعتماد عليها، لأن آباء صالحين كثر رزقوا أبناءً غير صالحين، والمثل الأكثر وضوحاً في هذه المسألة:

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٧).

(٢) الدين (٦٩) للدكتور/ محمد عبد الله دراز.

(٣) أدب الدنيا والدين (ص ٢٢٦) للماوردي.

ابن نوح عليه السلام، وهو المسمى بـ«كنعان» فقد كفر رغم كون والده (الرسول نوح عليه السلام) أول رسول إلى أهل الأرض، فنفهم أن العامل الوراثي مما لا يُنكر، لكن لا ينبغي التعويل عليه تماماً.

(٢) التعليم وإكساب الصغير هذه الأخلاق: وهذا من خلال المزاولة الفعلية لهذه الأخلاق، كالجود مثلاً، فيُعطى الصغير فرصة للترحاب بضيوفه وتقديم القرى لهم، وسؤالهم وتفقد أحوالهم، مما سيؤصل هذا الاتجاه فيه.

(٣) القدوة والتجربة: وكالأب، والأم، والمعلمة أو المعلم، والكبار من حوله الذين يمارسون سلوكاً قوياً صحيحاً، وهو ما عبّر عنه الماوردي رحمه الله إذ قال: «الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة، وكل ذلك لا ينال بتوفيق العقل، ولا بالانقياد للطبع؛ حتى يكتسب بالتجربة والمعاينة، ويستفاد بالدربة والمعاينة» (١).

إننا نمارس نوعاً من أنواع صناعة الحياة، فنصنع مسلماً سوي الخلق نافعاً لنفسه ولدينه ولأمته، سنعمق جذوره في أرض الإسلام ليرتوي من ماء الإيمان الذي لا ينبت إلا في تربة صالحة، وصدق من قال: كل بداية صعبة، وجذور التربية صعبة، لكنها حسنة النتائج.



(١) خلق الحياء

تعريف الحياء:

يعرف العلماء الحياء بأنه «انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنسان؛ ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة، وهو مركب من جبن وعفة؛ فلذلك لا يكون المستحي فاسقاً، وقلما يكون الشجاع مستحيّاً، وقد يكون لمطلق الانقباض كما في بعض الصبيان»^(١).

الخلق الطيب في الإنسان الذي يمنعه من ارتكاب الخطأ، أو التقصر في حق الناس، والعودة عن المعصية والفاحشة، أو ارتكاب القبائح. وفي الحكم والأمثال السائرة قالوا: «مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرِ النَّاسُ عَيْبَهُ». لماذا نَعْلَم الصغار الحياء؟

(١) لأن الحياء من الإيمان: ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال ﷺ: «دعه، فإن الحياء من الإيمان»^(٢).

(٢) والحياء شعبة من شعب الإيمان: ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «الحياء بضْعٌ وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان»^(٣).

(٣) والحياء خلق الإسلام: ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»^(٤).

(٤) والحياء والإيمان قرينان لا يفترقان: ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه

(١) فتح الباري (١/٧٤، ٧٥) لابن حجر رحمه الله.

(٢) صحيح: البخاري (٢٤) في الإيمان، مسلم (٥٩/٣٦) في الإيمان.

(٣) صحيح: البخاري (٩) في الإيمان، مسلم (٣٥/٥٨) في الإيمان.

(٤) حسن: صحيح الجامع (٢١٤٩) للألباني.

قال: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر»^(١).

(٥) والحياء يدخل صاحبه الجنة: ففي حديث أبي هريرة، وأبي بكرة، وعمران بن الحصين رضي الله عنهم جميعاً أنه ﷺ قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»^(٢). والبذاء: هو الفحش، ومنه: البذاءة، ويقال للفاحش: بذيء.

(٦) والحياء من صفات الله تعالى: ففي حديث سلمان رضي الله عنه أن ﷺ قال: «إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين»^(٣). وحياء الله تعالى: حياء كرم وإجلال، وله عز وجل منه الحظ الأكمل، فيظهر بالحياء كرمه على عباده، ويدبر به النعم، يكره أن يرد العبد إذا دعا، من دون خوف منه سبحانه، لأن الخوف غير جائز في حقه.

(٧) والحياء خير كله - كما في الحديث المتفق عليه-

(٨) والحياء من الحياة: فكلما كان الإنسان حياً كلما كان حي القلب، كلما كان حسن الخلق.

خطورة ترك الحياء:

وقد جاء في حديث أبي مسعود البصري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٤). ومعنى الكلام هنا: كقوله تعالى: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (فصلت: ٤). أو: من لم يستح صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو: الحياء، فإذا نزع الإنسان عنه ثوب الحياء وقع في الفواحش ما ظهر منها وما بطن.



(١) صحيح: صحيح الجامع (٣٢٠٠) للآلبي.

(٢) صحيح: صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٥٥٦) في الدعوات.

(٤) صحيح: البخاري (٦١٢٠) في الأدب.

كيف نتعلم الحياء؟

ونستطيع أن نتعلم الحياء عن طريق اتباع هذه الخطوات:

(١) أن نذكر أن الله عز وجل يرانا فلا نرتكب المعصية أو الخطأ. وقد حكوا أن طفلاً كان له أبٌ لص يسرق البيوت، فقال له أبوه: سوف آخذك معي لسرقه بيت من البيوت، فقف على الباب، وإذا رأيت أحداً فناد عليّ قبل أن يكشف أمري. فذهب الصغير مع أبيه، ثم دخل أبوه اللص إلى البيت ليسرقه، فنادى الصغير: يا أبتاه... أحد يرانا. فجاء الأب مسرعاً فقال: مَنْ الذي يرانا؟ قال الولد: الله يرانا يا أبي!! فعندئذ تاب الأب ولم يسرق، حينما تذكر أن الله معه ويراه.

(٢) أن تذكر نعمة الله عليك، وأنت غير قادر على شكر هذه النعم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤).

فالله أعطاك السمع والبصر، وخلقك في أحسن تقويم، وهذاك ورزقك، وشفاك من مرضك، فكيف تعصيه سبحانه؟!

فلو أن أباك وهو الذي يطعمك وينفق عليك أمرك بأمرٍ فلا بد أن تطيعه، فكيف بالله سبحانه الذي يرزقك ويرزق أباك؟!

(٣) أن تذكر أن الله سبحانه سيسألك عن كل ما فعلت من الكبير والصغير، والقليل والكثير.

الحياء في الصغير دليل على عقله:

وقديماً قالوا: «الحياء في الصبي يدل على العقل». وقالوا: «نجابة الصبي تعرف بكثرة الحياء والأدب مع الكبار». وهنا نعلم أن الحياء بالنسبة للصغار سيساعدنا على الآتي:

أولاً: الاستماع إلينا بأدب وحرص شديدين، وعدم إساءة الأدب بترك توجيهات الكبار أو الاستخفاف بها.

ثانياً: احترام الكبار على وجه العموم.

ثالثاً: ترك القبائح والمذموم من الأفعال والأقوال.

ولا يفعل هذا إلا صبي عاقل بالضرورة.

متى يتعلم الصغير الحياء؟

يجزم النفسانيون من الأطباء أن علامات الحياء تبدو منذ الشهر الرابع، وتكتمل عند اكتمال السنة^(١)، وهو ما يعني أن تعليم الحياء سيبدأ مبكراً من خلال تعرفنا على هذه المظاهر:

- كثرة كلام الصغير أمام الكبار.
 - التعدي عليهم (بالبصق - بالسب - بالضرب).
 - الإحجام عن الجلوس مع الكبار، أو اقتحام مجالسهم.
- فهذا كله يعين على فهم نفسية الصغير وتعليمه الحياء، أو علاجه من البذاء، أو تخليصه من الخجل المذموم.

فالحياء نوعان: حياء مذموم، وحياء مدح:

والمذموم هو: العجز عما يعرف بالخجل، ففيه تقصير في شيء من الحقوق، وليس هذا بحياء بل هو عجز وضعف وخور^(٢). فمثلاً: يحجم الصبي عن مقاتلة الضيفان، أو يخجل من مجالسة أقرانه، وييدي انعزالاً وانزواءً عن الناس، أو خوفاً لا ندري له سبباً. أما المحمود فهو: التأدب بعدم رفع الصوت، أو اقتحام المجالس إلا بالإذن، والرد على السؤال بأدب وشجاعة، وهذا هو حياء القوة والإيمان.

ماذا نفعل لو أن الصغير كان صاحب خجل مذموم؟

هنا نعمل على تخليصه منه باتباع الآتي:

- (١) الإكثار من جلوسه وسط الغرباء (الضيفان أو الأقارب).
- (٢) التحدث معه وملاطفته، وتشجيعه على ذلك بالتحفيز المادي والمعنوي.
- (٣) إدخاله ضمن دائرة الحديث فيكون طرفاً مهماً إن لم يكن هو محور الحديث، فمثلاً نتحدث عن أمر يفهمه الصغير ثم نقول له: ما رأيك في هذا؟ ونستمع لرده باهتمام وإصغاء ليشعر هو بالأمان وتزول رهبته.

(١) نبيه الغبرة (ص ١٥٢) المشكلات السلوكية عند الأطفال.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٣١) شرح الحديث (٢٠).

تنبيه:

إن معظم الأطفال الذين يخلجون يرجع ذلك إلى تدليل آبائهم وأمهاتهم لهم حتى سن متأخرة، وهذا ما ينبغي الابتعاد عنه، فأمام الناس نعاملهم معاملة الرجال (صغار الرجال) أمّا إذا اختلينا بهم فلنفعل ما نشاء.

فالأولى: مناداة الصغير أمام الكبار باسمه لا باسم التدليل، فإذا كان اسمه (محمد) فلا نقول: «تعال يا حمادة»؛ بل نناديه باسمه هو، وهكذا.

نماذج من الحياء:

* وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يستحي من ربه عز وجل، فإذا دخل لقضاء حاجته^(١) غطى رأسه وقال: إني لأستحي من ربي عز وجل.

* وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا أراد أن يستحم أغلق عليه داره، ولم يخلع ثوبه حتى قال عنه رسول الله ﷺ: «إن الملائكة لتستحي منك يا عثمان»^(٢).

* وكانت امرأة مسلمة تلبس الحجاب، فتاهت منها طفلتها، فذهبت تبحث عنها، فقال أحدهم: تبحث عن طفلتها وهي تلبس الحجاب؟! فقالت: يا هذا لأن أفجع في طفلي خير لي من أن أفجع في حياتي.

* وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها^(٣)، فإذا رأى شيئاً لا يعجبه احمر وجهه وعرفه الصحابة^(٤).

فهذا هو رسول الله ﷺ حياؤه أشد من حياء البنت أو الفتاة الصغيرة تستحي أن يدخل عليها أحد من الناس، ولنا فيه ﷺ الأسوة والقدوة.



(١) أي للخلاء.

(٢) صحيح: رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها (١/٢٤٠/٢٦) في فضائل الصحابة.

(٣) العذراء: الفتاة البكر. وخدرها: حجرتها.

(٤) صحيح: البخاري (٢/٦١٠)، مسلم (٣٢٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



(٢) الصدق والنهي عن الكذب

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها»^(١).

والكذب خلق مذموم يتنافى مع طبيعة المسلم المؤمن الصادق، إذ أصل الإيمان تصديق القلب، مع إقرار اللسان، والعمل بالأركان، ومن هنا كان الكذب منافياً لطبع المؤمن المجبول على التصديق والصدق منذ البداية، ومن هنا جاء التحذير النبوي من الكذب، والحث على الصدق، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢).

فالإنسان قد فطره الله تعالى على الصدق من أول خلقه، والكذب تغيير في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فمما تعارف الناس عليه أن المؤمن قد يتسرب إليه كل خلق سيء إلا الكذب والخيانة.

ومعنى هذا أن الكذب: عادة مكتسبة تأتي بأحد الطريقتين:

- كذب الناس من حول الصغير في بيئته، إذ إن الصغير لا يولد كذاباً أبداً.

- أو وجود مؤثرات خارجية تضغط على الصغير فتجعله يكذب.

وهذا كله يوصل الصغير إلى حافة النفاق والخيانة، مما يعني فقدان مؤمن، وقتله معنوياً وأخلاقياً، وزيادة سوء في المجتمع الذي لم يعد يتحمل جديداً من الأعباء والأمراض التي استشرت حتى صارت كالطاعون يحصد القلوب والأرواح حصداً.

الأسباب التي تؤدي بالصغار إلى الكذب وعلاجها:

تتعدد أسباب لجوء الصغير إلى الكذب بالنسبة إلى بيئته وأسرته، وإلى طبيعة

(١) مجموع الفتاوى (٢/٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٩٤) في الأدب، مسلم (٢٦٠٧) في البر والصلة.

التربية التي يتلقاها، والأشخاص الذين يلاقونه ويتحدثون معه.

(أ) أسباب ترجع إلى الوالدين أو الإخوة:

فأول أسباب كذبه: أن يكون أحد الوالدين كذاباً أو كليهما، فيتفشى الكذب بين صغارهم بأيديهم هم، فصاروا بمثابة من يغرز الخنجر في قلب صغيره، إذ الكذب قتلٌ لكل شعور طيب جميل داخل النفوس خاصة إن كانت بريئة لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً.

وتزداد حدة هذا السبب بازدياد الخلافات الزوجية التي تسفر عن كذب الزوجة على زوجها، وطلبها من الصغار تأييدها في ذلك لتتلافى مشكلة مع الوالد، وكذا يفعل الوالد.

ومثال ذلك: أن يمنع الوالد الأم من محادثة جارة لها، ثم يحصل له العلم بأن زوجته قد ألفت بأمره ظهرياً، واجترحت حرمة أمره ونهيه فتحدثت مع المنهي عن حديثها، فإذا بالزوجة عند مواجهتها تدفع هذه التهمة كذباً وزوراً- فقد تحدثت مع الجارة فعلاً- على أن يكون الصغير قد رأى أمه تفعل ذلك، وإذا بالأم لا تستحي من الكذب أمامه؛ بل تطلب منه إذا سأله الأب أن يشهد معها زوراً وبهتاناً!! هذا بالطبع مع إعطاء الصغير جرعة حقد وغيظ على أبيه، وروايات مختلفة عن ظلمه البين وطغيانه، ووداعة الجارة وحجها لمصلحة الجميع.

ويشفع الكذب باليمين الغموس (الكذب)، ويضطر الصغير للكذب لأنه بين مخافتين:

- أن تضرب أمه أو تُعاقب.

- أو يضرب هو إن صدق من أمه، ومن أبيه إن كذب.

والنتيجة معلومة سلفاً: شخص كاذب، كذاب جديد يحترف الكذب بمرور الوقت، فمثل هذه البيئة لا تقوم إلا بهدم النفس وتوسيعها بالردائل التي تعلق بالنفس والقلب والتي يصعب التخلص منها فيما بعد؛ خاصة أن الصغير يكتسب كل شيء سريعاً.

وعلاج هذا السبب: قائم على الوالدين، فلا يُقحم الصغار في الخلافات الزوجية



التي قد تكون في بعض الأوقات طاحنة، كما ينبه الوالدان على ضرورة احترام بعضهما البعض، والعمل على عدم جرح الآخر أو فعل ما يؤذيه معنوياً، وببصران بالأخطار التي يمكن أن تحدث في حالة استمرارية تعليم الصغار الكذب، فمن يكذب لي اليوم، سيكذب عليّ غداً، ولا فارق بين الكذب لي والكذب عليّ، إذ الكذب كله رذيلة لا محالة في ذلك، فكيف نعلمها لأبنائنا ونورثها لهم؟!

إن المسئولية تقع على الوالدين كراعيين لأولادهما و«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» فيخوف بالله تعالى، فإذا كان الكذب كبيرة من الكبائر، فكيف بتعليمه وتوريثه؟! إن هذا غش للرعية، وخيانة للأمانة، وفي الحديث: «أَيُّمَا رَاعٍ غَشَّ رَعِيَّتَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ»^(١). ثم هذا تعليم لشهادة الزور، وفي كتاب الله: «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» (الفرقان: ٧٢).

وفي حديث أبي بكرة: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَائِرِ...»، وفيه: «أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، وكان متكئاً فجلس فلا زال يرددّها حتى قلنا: ليته سكت^(٢).

السبب الثاني: الإحساس بالكذب: أقصد بذلك إحساس الصغير بكذب والديه عليه، فيعدّنه بما لا يستطيعان الإتيان به، ثم يخلفان العهد ولا يفيان به، أو ينجزانه الوعد، مما يترتب عليه ضرر بالغ في نفس الصغير.

وتعالوا نتفق: لا تقل: سينسى ما وعده!! أبداً لن ينسى، فذاكرته- أي: الصغير- لم تمتلئ بعد بما يجعلها تنسى، وهو يتمنى ما يأتي به الوالد حتماً، فاعلم أن الصغير يتذكر دائماً ولا ينسى، يتذكر وعدك، وإخلافك لهذا الوعد، وبعد ذلك يقتدي بك، ومن هنا حذر الإسلام من هذا النوع من الكذب، ففي حديث عبد الله ابن عامر قال: دعّنتني أُمِّي يَوْمًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالِ أَعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتُ أَنْ تُعْطِيَهُ؟». قَالَتْ: أُعْطِيَهُ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ»^(٣).

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (٢٧١٣) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن الإسناد: أبو داود (٤٩٩١) في الادب، وحسنه الألباني هناك.

فترى الإسلام يقوم بإجراء وقائي ضد الكذب منذ الصغر لأن ذلك مما يبقى محفوظاً في قلب الصغير وعقله أو على الأقل: يتعود عليه.

وعلاج هذا الأمر: بالاعتصام في المعيشة وعدم توسع الآباء والأمهات في الوعود الكاذبة التي يتيقنون حتماً أنهم لم ولن يفوا بها، فعليهم مراعاة ظروفهم المعيشية، ثم إذا حدث النسيان أو عدم القدرة- يعني على الإتيان بما وُعد الصغير- توضح له الأمور بمنطقه وفهمه.

السبب الثالث: تكذيب الآباء والأمهات للصغار: وذلك بافتراض سوء النية، فيروي الصغير مثلاً قصة أو رواية حدثت، وربما ينكر فعله لأمر ما، فنجد الأب الجاهل أو الأم الحمقاء يقول أحدهما: أنت كذاب!!

والأمر يزداد سوءاً بهذا، فالانتباه كله يتوجه الآن نحو (الكذب) و(الكذاب) من جانب الصغير، فيكذب ويتعلم الكذب ولو على سبيل الملاطفة والمداعبة.

ولكن علي الأب أو المربي أن يسأل في غير ريبة أو اتهام، فمثلاً يقول: هل أنت متأكد من ذلك؟ الله يرانا ويسمعنا. وهنا يصحو صوت الفطرة فيوقظ الصغير فإن كان كاذباً اعترف بكذبه، ولا ينبغي هنا معاقبته على الكذب السابق؛ بل مدحه على صدقه ورجوعه إلى الحق، والاكتفاء بلومه وتحذيره من الكذب مرة أخرى.

السبب الرابع: الكذب التموهبي: ومن الكذب التموهبي الذي يعمل به بعض الآباء وله أثر سيء علي الولد يظهر أحياناً عندما يتظاهر الوالد بمعاقبة أحد الأولاد لأنه ضرب أخاه الصغير، فيمثل الأب أنه يضربه وهو في الحقيقة لا يضربه، فهذا السلوك الخاطيء من الأب يعلم الولد المشتكي الكذب والغش، إذ إنه يعلم أن والده يكذب عليه، إلى جانب أن الولد المعاقب هو أيضاً يتعلم مشروعية الكذب بهذه الطريقة، وبهذا الأسلوب الخادع^(١).

هذه إذن الأسباب الدافعة إلى الكذب والمتسبب بها الوالدان أو الإخوة، وهو ما ينبغي تلافيه والابتعاد عنه تماماً، لأن في ذلك تدميراً لقلب الصغير، فالكذب ولو

لمرة واحدة قد يصيبه بهذا المرض العضال طيلة الحياة، فإن مرة واحدة يجد أمه تكذب على أبيه أو أباه يكذب على أمه أو أحدهما يكذب على الجيران، مرة واحدة كفيلاً بأن تدمر قيمة الصدق في نفسه، ولو أخذنا كل يوم وكل ساعة يرددان على سمعه النصائح والمواظب والتوصيات بالصدق مرة واحدة يجد أمه أو أباه يغش أحدهما الآخر أو يغشان في قول أو فعل مرة واحدة كفيلاً بأن تدمر قيمة الاستقامة في نفسه ولو انهالت على سمعه التعليمات، مرة واحدة يجد في أحد من هؤلاء المقربين إليه نموذجاً من السرقة كفيلاً بأن تدمر في نفسه قيمة الأمانة، وهكذا في كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية^(١).

وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة في الأب المسلم والأم ذات الدين فإن كثيراً من الجهد الذي يبذل في تنشئة الطفل على الإسلام يكون جهداً ميسراً وقريب الثمرة في ذات الوقت، لأن الطفل سيتشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشرباً تلقائياً وستكون تصرفات الأم والأب أمامه في مختلف المواقف مع بعضهما البعض ومع الآخرين نماذج يحتذيها ويتصرف على منوالها^(٢).

(ب) أسباب شخصية:

السبب الخامس: الإحساس بالنقص، ومحاولة اتباع الميول والرغبات: فالولد الذي لم يشبع غريزته من امتلاك الألعاب والأدوات، ولم تتمكن أسرته من تحقيق الإشباع لهذا الجانب في نفسه، فإنه يلجأ إلى الكذب، وادعاء ما ليس له؛ ليشبع رغبته وميله هذا.

ولا شك أن هذه القضية مهمة، خاصة في العائلة الفقيرة التي لا تستطيع أن تحقق لأولادها جميع متطلباتهم، وربما يكون أمثل حل لهذه المشكلة حفاظاً على الولد من اللجوء إلى الكذب هو قيام الأب حسب استطاعته بتأمين بعض احتياجات الأولاد خاصة من الألعاب البسيطة والقليلة التكلفة، مع الجودة في الصناعة والمتانة، بحيث يمكن أن يحتفظ بها الولد أطول مدة ممكنة، فيوزع هذه الألعاب والاحتياجات على

(١) محمد قطب (١١٨/٢) التربية الإسلامية.

(٢) السابق (١١٩/٢).

الأولاد مخصصًا لكل ولد منهم لعبة أو حاجة تخصه دون غيره، فيكون بذلك قد أشبع شيئًا من هذه الرغبة في نفوس أولاده دون أن تضر بميزانية الأسرة أو ترهقها، ويراعي قبل هذا الإجراء وبعده أن يركز في أولاده مفاهيم القضاء والقدر، وأن ما خصهم الله به من الفقر وقلة ذات اليد هو خير لهم، ورافع لمنزلتهم في الآخرة، مستعينًا في ذلك بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من الأقوال المباركة المطمئنة للنفس في هذا الجانب^(١).

السبب السادس: حب الظهور: بادعاءات غير صحيحة، كادعاء الغنى، أو رفعة مقام الوالد، أو تغيير مهنته، أو ادعاء الذهاب إلى أماكن ذهب إليها أقرانه ومنعها هو.

ومثل هذه الأمور تحتاج إلى هدوء في التعامل معها، والقرب فيها من الصغير يعطي نتيجة طيبة.

* فتحاول الاقتراب منه تمامًا ليبوح لك بسر كذبه.

* وتبصره أنت بما عنده من نعم الله تعالى التي حرّمها الآخرون.

* وأنه لا داعي للكذب، مع تخويله بآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ.

السبب السابع: الإفلات من العقاب: وهذا النوع من الكذب يستخدمه الولد ليحمي نفسه من العقاب فإن أخبر والده بالحقيقة ربما عاقبه وعنفه، فإن حدث أن كسر الولد زجاج النافذة حاول أن يخفي آثار فعلته، ويبتعد عن المكان، فلما سئل عن الفاعل نفى التهمة عن نفسه خشية أن يعاقب.

هذا النوع من الكذب والغش لا يفعله الولد إلا إذا علم أن العقاب الذي ينتظره أليم وعنيف، وأنه إذا قال الحقيقة لن ينجو، بل ربما كان الكذب أقرب إلى النجاة، لهذا فإن الولد يكذب، ولو أن الأب الفطن حاول أن يعلم أولاده أن الصدق نجاة لهم من العقاب، فإن الأولاد يسارعون إلى الصدق ويتعودونه إذا أيقنوا أنه سوف ينجيهم من العقاب.

(١) التربية والعقل (ص ٦٠، ٦١) يوسف سعد الهلال، ومسئولية الأب المسلم (ص ١٨٧).

وعلى الأب أن يوطن نفسه على أن يلتزم بما وعد به الأولاد، فلا يعاقبهم إن صدقوا القول واعترفوا بالخطأ مهما كان الجرم كبيراً، بل يبين لهم أن ذلك خطأ لا يحبه الله ولا الوالدان، وأنهم بصدقهم قد نجوا من العقاب، ويحذّرهم من العودة لمثل هذا الخطأ مرة أخرى.

وإن رأى الأب أنه لا بد من العقاب مراعيًا في ذلك التوسط والحكمة، فإنه يشعر الأولاد بأن العقوبة هي - مثلاً - خصم نصف المصروف اليومي لمدة أسبوع لمن كسر زجاج النافذة، والتعهد بعدم العودة، فإن اعترف أحدهم بذلك طبق العقوبة عليه دون زيادة ولو سامحه لسرعة اعترافيه وتأسفه وندمه كان ذلك حسناً، وبذلك يؤصل الوالد في نفس أولاده حب الصدق وذم الكذب، وأن الصدق منجاة، وأن الكذب مهلكة ولا فائدة من ورائه.

ولا ينبغي للأب أن يُسهّل لولده الإفلات بكذبه دون أن يشعر بذلك، ويفهمه أنه قد كذب، وأن والده علم بذلك، وهذا لأن نجاح الولد بالكذب يشجعه على المزيد منه، ويحمسه على تعاويه.

ويحاول الأب أن يتجنب قدر الإمكان أسلوب الاتهام بمجرد الشك، فلا ينسب إلى الولد عملاً يشك في أنه قد اقترفه، حتى يتيقن بأنه هو الفاعل؛ لأن اتهام الولد مع إمكانية براءته، ولو بنسبة بسيطة يؤدي إلى إحساس الولد بالظلم والجور وعدم الثقة في والده؛ بل ربما دفعه ذلك إلى الكذب ليتخلص من العقوبة الظالمة، فلو حدث أن عاد الأب إلى البيت فوجد صنبور الماء مفتوحاً، أو علبه دهان الجدار ملقاة، وقد سال منها الدهان في فناء الحديقة، ولم يكن في البيت سوى الولد، فإنه لا ينبغي اتهام الولد باقتراف هذه الأعمال، خاصة إذا سئل عنها الولد فأفاد بأنه لم يعملها، فربما أن الخادمة قبل خروجها نسيت إغلاق الصنبور، وربما أن قطعة مرت على علبه الدهان فعبثت بها وأسقطتها فسال الدهان، والاحتمالات في هذا كثيرة، والمقصود هو أن لا يتهم الولد بمجرد الشك دون دليل قطعي لا يحتمل التأويل (١).

هذا ليس كذباً:

يتفق العلماء على أن الطفل لا يعرف معنى الكذب إلا بعد الخامسة^(١)، وهذا يعني أن الطفل خلال السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من عمره لا يعرف الكذب أو الصدق، لكنه يتخيل بعض المواقف من خلال خياله الخصب الواسع كما تقول الدكتورة/ زينب الشيعي: «وهذا النوع من الكذب يسمى «الكذب التخيلي»، ولا خطر فيه، بل يمكن استغلال خصوبة خيال الطفل في هذه الفترة بتوجيهه نحو الروايات الخيالية المفيدة لإشباع هذه الرغبة عنده، كما أن الطفل الصغير في بعض الأحيان لا يفرق بين الخيال والواقع، فربما رأى مناماً، أو سمع قصة خيالية فظنها حقيقة واقعية حدثت فعلاً، وهذا النوع من الكذب يسمى «الكذب الالتباسي»، ويزول مع نمو الطفل وكبر سنه».

والقاعدة: إذا انتفت التهمة؛ بطل العقاب، وإنما على الكبار توجيه الصغار بهدوء إلى أن هذه الأقصوصات والحكايات من نسج الخيال، وتسطير الوهم، ولا قلق فإن هذا الكذب (كذب صحي) إن صحَّ التعبير سرعان ما يزول مع كبر الصغير. والمفترض أن تراعى هذه الأساسيات خلال التربية لئلا نعاقب الصغار بلا داع فيكون الحصاد بعد ذلك مُراً.

عندي ولد كذاب، فماذا أفعل؟

حين يصير الكذب عادة فلا بد من التصدي لها عن طريق الآتي:

- (١) تعليم الصغير عقوبة الكذاب، وجزاء الصادق.
- (٢) تخويفه بالله تعالى، وترهيبه من العقوبة الأخروية.
- (٣) إخباره بموقف الناس من الكذاب، وحبهم للصادق.
- (٤) فإذا استفحل الأمر وجب مقاطعة الصغير والإعراض عنه.
- (٥) ويحذر من الضرب مباشرة؛ لأن الضرب سيزيد الصغير كذباً ونفاقاً.

(١) الدكتورة/ زينب الشيعي مجلة التربية والتعليم، الكذب عند الأطفال العدد (٤) (ص ٤١).

(٢) منظر السابق (٤٢، ٤٣).

- (٦) عزله بعيداً عن إخوته، أو معاقبته بعدم اللعب.
- (٧) وإذا ما كان قد بلغ العاشرة فاضربه جزاءً وفاقاً إن فشلت هذه الخطوات السابقة.

وهذا نموذج لتعليم الصغار الصدق، ونهيهم عن الكذب:

فقد كان الرسول ﷺ يُسمى في الجاهلية - أي: قبل البعثة - (الصادق) لكثرة صدقه، وهو الذي لم يكذب في حياته أبداً.

كما مدح الله تعالى نبيه إسماعيل عليه السلام، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤).

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالصدق، وحينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب وكان كافراً في ذلك الوقت فقال له: بِمَ يَأْمُرُكُمْ نَبِيِّكُمْ؟ فقال: يَأْمُرُنَا بِالصِّدْقِ.

وقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي^(١) ملك الحبشة: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

والمسلم الصادق شجاع لا يخشى أحداً إلا الله، بينما الكاذب جبان يخاف الناس، ولا يكون المؤمن كذاباً أبداً.

والكذب: هو أن يقول الإنسان شيئاً لم يحدث، أو يتكلم بشيء ليس في نفسه.

فمثلاً يقول: فعلت كذا، أو رأيت فلاناً وهو لم يفعل ولم ير. أو يقول لأخيه: أنا أحبك، وهو يكرهه في نفسه. وهذه هي إحدى صفات المنافقين الذين يكرههم الله ورسوله والمؤمنون.

من صور الكذب ونماذج:

- ١- خرج النبي ﷺ ذات مرة فوجد صبياً يلعب، فقالت أمه له: تعال أعطيك. فقال لها: «ما أردت أن تعطيه؟». قالت: تمرأ. فقال لها: «إن لم تفعلني كتبت عليك كذبة». فمنعها النبي ﷺ الكذب حتى على الطفل الصغير؛ لأن بعض الأمهات تُنادي على طفلها فتقول: تعال وأعطيك شيئاً، فإذا جاء لم تعطه شيئاً، فتكون

(١) انظر القصة في حياة محمد ﷺ للأطفال - دار الفجر للتراث.

كاذبة. وكذلك إذا قال أحد الناس لصديقه: سأعطيك غداً شيئاً، ثم لا يعطيه فقد كذب عليه.

٢- أن يدَّعي الإنسان كذباً أن شيئاً ما له، وهو ليس له، مثل أن يجد مع صديقه قلماً ثم يقول: هذا لي، ويكذب على صديقه وعلى ربه عز وجل.

٣- أن يقول قصصاً لم تحدث، فيدعي مثلاً أن عنده كرة وليست عنده، أو أن لديه أموالاً وهو ليس عنده مال، أو يقول: عندنا فاكهة أو طعام، وليس عنده شيء.

٤- الكذب على الوالدين، فبعض الأبناء إذا تأخر خارج منزله، وسأله أبوه أو أمه: أين كنت؟ يكذب فيقول: كنت مع صديقي فلان، أو: كنت في الدرس، أو: تأخرت في المدرسة، أو تعطلت في الطريق، والله عز وجل يعلم أنه كان يلعب أو يلهو، فيُحاسبه ربه على هذا الكذب.

٥- الكذب على المعلم أو المعلمة إذا كان الطالب أو التلميذ كسولاً لا يقوم بأداء واجبه، فيقول: كنت مريضاً، أو: كان أبي مريضاً، أو أي كذبة أخرى.

٦- أن يقول: رأيت حُلماً في نومي كذباً وليس صدقاً، ومن فعل هذا جاء يوم القيامة والله عز وجل غاضب عليه، ثم يدخل النار: «وَمَنْ تَحَلَّمَ كَاذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ»^(١) مقعده من النار» كما في الحديث عن رسول الله ﷺ.

٧- شهادة الزور وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَجْتَبِئُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠). أي: ابتعدوا عن الكذب وشهادة الزور. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢). أي: المؤمنون البعيدين عن هذه الصفة الخبيثة.

وشهادة الزور معناها: أن يشهد الإنسان بغير الحق، فيسأله الناس: هل رأيت فلاناً يسرق أو يقتل؟ فيقول: نعم، وهو لم يره أو يسمعه، فيُقتل بريء بشهادته، وقلة شدد النبي ﷺ على هذا الأمر فقال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ: الإِشْرَاقَ بِاللَّهِ، وَعَقْوَقَ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ»، وكان متكئاً^(٢)، فجلس فقال: «أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، فما زال يكررها ﷺ.

(١) فليتبوأ: أي ينال ويفوز.

(٢) متكئاً: نائماً على جنبه، وجلسه بعد اتكائه دليل على خطورة الأمر.

٨- أن يحلف المسلم بالله كذباً وهذه من الكبائر- أي: الذنوب العظيمة- والحالف بالله كذباً يدخل النار، ويُسمى هذا اليمين- القسم- (يمين الغموس) لأن صاحبه يُغمس في النار- يعني يُغَطَّس فيها، ويدخلها حتى قعرها- وقعر النار مثلما يسير الرجل سبعين عاماً دون أن يستريح، فمن يتحمل مثل هذا العذاب؟!

ولقد تعود كثير من الناس أن يقول: «والله» ونحن نعلم أن المسلم لا يحلف بالله إلا لأمر عظيم، وكثرة الحلف دليل على الكذب، وليست دليلاً على الصدق أبداً، فظهر لسانك من أن تحلف بالله كذباً، أو تتسرع في ذلك، والمسلم لا يحلف صدقاً ولا كذباً.

٩- ومن صور الكذب أيضاً: الكذب على الله عز وجل في التوبة، فإذا فعل المسلم ذنباً ثم تاب منه فلا بد أن تكون توبته صادقة، ولو كانت توبته كاذبة، فسرعان ما سيعود لهذا العمل السيء، ثم يدخل النار.

١٠- ومن صور الكذب أيضاً أن يتحدث الإنسان بكل ما سمع، وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». أي: أن من يتحدث بكل ما سمع من الكلام، وينقله للناس فهو كاذب؛ بل ومن أشد الناس كذباً.

١١- أن يقول المسلم كلاماً كذباً ليضحك الناس، مثل النكت والطرائف التي لا أصل لها، وقد يكذب بعض الصغار لمجرد رغبتهم في إضحاك آبائهم أو أصدقائهم، وهو من صور الكذب وأنواعه.

عاقبة الكذب:

وقد أخبرنا ﷺ أن للكاذب عند الله عز وجل عذاباً شديداً في النار، فقد رأى ليلة الإسراء والمعراج في النار رجلاً معه عود من حديد يضعه في خده الأيسر، فيقطع به شدة^(١)، ثم يُخرجه من قفاه، حتى يخرج عود الحديد من خده الأيمن، فإذا أخرجه عاد ففعل هذا مرة ثانية وثالثة وهكذا، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟». فقال جبريل عليه السلام: هذا هو الكذاب، يُعَذَّب هكذا إلى يوم القيامة.

(١) شدقه: جانب الفم من تحت الحنك.

وذهب الإمام البخاري يوماً لسمع حديثاً من أحد الناس، فوجده قد ثنى ثوبه، وراح يجري وراء فرسه - حصانه - ويقول: تعال هنا تبين أو شعير. فلما جاء الحصان، إذا بالرجل يبسط ثوبه وليس فيه شيء لا تبين ولا شعير، فقال الإمام البخاري: إن من يكذب على الحيوان يكذب على الإنسان.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح صادقاً:

وفي بعض الأوقات يظن المسلم أن غيره لا يضحك إلا إذا كذب وقال نكتة لم تحدث، ولكن يعلمنا النبي ﷺ أن المزاح واللهو والمرح يكون بالصدق أيضاً.

- فقد قال رسول الله ﷺ لامرأة عجوز: «إن في عينيك بياضاً». فقالت: لا يا رسول الله. وهي تظن أنه يقول لها: بياض من مرض، فقال: «أليس في عين كل منا بياض وسواد؟». فضحكت المرأة.

- وقال النبي ﷺ لامرأة عجوز يمزح معها: «لا يدخل الجنة عجوز». وبكت المرأة، وظنت أنها لن تدخل الجنة، وضحك النبي ﷺ فقال لها: «لا يدخل الجنة عجوز؛ لأن الله عز وجل يُعيد لأهل الجنة شبابهم مرة أخرى».

- وكان رسول الله ﷺ يأكل تمرًا، ومعه عمر بن الخطاب^(١) رضي الله عنه، فكان عمر ينقل نوى التمر الذي يأكله هو أمام النبي ﷺ، ثم قال عمر: أكلت كل هذا التمر يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «أكلته كله بدون نواه، وأكلت أنت يا عمر التمر بنواه». وصدق رسول الله ﷺ الذي قال عن نفسه: «أنا لا أقول إلا صدقاً».

عاقبة الصدق:

وقد خرج أحد الصغار يوماً في رحلة لطلب العلم، فقالت أمه له: لا تكذب يا ولدي، فإن الصدق نجاة ولو كان فيه الهلاك، وأعطته أمه مائة دينار، وخرج الصغير إلى الصحراء، وفي الطريق قابله بعض اللصوص، فقالوا له: هل معك من مال؟ قال: نعم، معي مائة دينار. وتعجب اللصوص من أمر الغلام، فالتفتوا إذا رأوا اللصوص أخفوا المال وقالوا: ليس معنا مال. وضحك اللصوص وقالوا له: تسخر

(١) انظر حياة الصحابة - وفيها قصة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ط دار الفجر للتراث.

منا. فقال: لا، ولكنني معي هذا المال. فأخذته اللصوص إلى زعيمهم، فقال له زعيم اللصوص: لماذا تكذب وتقول: معك مائة دينار؟ قال الغلام: ما كذبت عليكم، وهذه هي أموالي، وأخرج المائة دينار، فقال زعيم اللصوص: يا بني لماذا لم تكذب؟ فقال: إن أمي أمرتني بالصدق، فلا أكذب أبداً، حتى لا أعصي لها أمراً. فبكى الرجل وقال: تخاف إن كذبت أن تُغضب أمك، وأنا لا أخاف أن أغضب الله لقد علمتني يا ولدي درساً قاسياً، ثم تاب وتاب معه اللصوص، وتركوا الغلام وماله. وهكذا فإن في الصدق النجاة دائماً.

- وكان بعض الظالمين يطاردون رجلاً مظلوماً، فذهب المظلوم واختبأ عند رجل من الصالحين، وجاء وراءه الظالمون، فسألوا الرجل الصالح: هل جاء عندك فلان؟ قال: نعم هو في الداخل، فتركوه وانصرفوا، فقال له المظلوم: لماذا فعلت هذا وأخبرتهم عن وجودي؟ فقال: يا ولدي إن الصدق نجاة، وقد نجاك الله بصدقي.

عقاب الكاذب وجزاء الصادق:

عقاب الكاذب:

- * غضب الله عز وجل عليه، وإدخاله النار، كما يكتب عند الله كذاباً.
- * يشتهر بالكذب، فيبتعد عنه الناس.
- * يكون من المنافقين ومن الفاجرين.
- وجزاء الصادق:

- * يحبه الله عز وجل، يكتبه صديقاً، ويدخله الجنة.
- * يُعرف بالصدق ويحبه الناس كما كانوا يحبون رسول الله ﷺ.
- * يكون من المؤمنين الصادقين.
- * ينجيهِ الله تعالى بصدقه من كل سوء.



(٣) التواضع والنهي عن الكبر

الكبر داءٌ مهلكٌ، والمُبْتَلَى به مريضٌ سقيم، وهو عند الله ممقوتٌ بغیض، وعند الناس منبوذ، ذلك أن الكبر صفة ذميمة لا يتصف بها إلا صاحب نفس مريضة تأبى أن تفهم أنها مثل بقية عباد الله لا فضل لها على أحد.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تذم هذا الخلق وتحمل عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). وقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦). وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣).

وكان أول المستكبرين: إبليس اللعين، فقد تكبر على ربه، وعلى خلقه فرفض السجود لآدم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٣). فكانت الذلة والهوان والصغار مقابل التكبر في ملكوت الله تعالى بغير الحق، وهذه عاقبة كل متكبر يرى نفسه خيراً من الناس أجمعين.

وكذا جاءت السنة المطهرة تنهى عن هذا الخلق الذميم، فعند مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفه في النار»^(١).

وروعة الحديث هنا تشبيه الكبرياء والعظمة باللباس، فإن لباس الإنسان لا يشاركه فيه أحد، وكذا ربك لا يشاركه في كبريائه وعظمته من خلقه أحد.

ماهية الكبر:

يقول الغزالي رحمه الله: «وحقيقة الكبر على العابد: استعظام النفس، واستحقار

(١) صحيح: أبو داود (٤٠٩٠) في اللباس وصححه الألباني هناك.

الآخرين، والترفع عليهم وعدم الانقياد لهم، واستصغارهم، وعدم الرضا بالمساواة بهم^(١).

وهذه سفاهة من الإنسان ولا شك، فقد حكى أن مطرف بن عبد الله التابعي الجليل نظر إلى المهلب بن أبي صفرة أحد ولاة العراق وعليه حُلَّة يسحبها ويمشي فيها الخيلاء- الكبير- فقال مطرف: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يُغضُّها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بل أعرفك، أولك نطفة مَذْرَة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بولٌ وعذرة^(٢).

فالإنسان يتناسى عمداً حين تعمى بصيرته بالكبر أن أصله التراب، ومخرجه من مجرى البول من نطفة، وأنه يحمل في عينيه عمصاً، وفي أذنه سهكاً، وفي أنفه مخاطاً، وفي معدته خُرءاً، وفي كُلاه بولاً، وفي وجهه عرقاً، وأن نهايته التراب والعظم الرميم طعاماً للذود ولا شك في ذلك.

أسباب الكبر:

وللكبر أسباب معروفة، منها:

(١) علو اليد: كأن يكون الإنسان صاحب مال وثروة وجاه، أو صاحب مركز مرموق، أو عالماً تُطأُ له الرؤوس، وقد مشوا خلف ابن مسعود ذات مرة فقال: «ارجعوا فإنها ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع».

(٢) نفوذ الأمر: عن طريق السلطان والمكانة الاجتماعية.

(٣) قلة مخالطة الأكفاء: فيخالط الإنسان من هم دون منه فيشعر بنوع من أنواع التمييز مما يثير شهوة الكبر في نفسه، وكما سبق فإن المتكبر صاحب نفسية مريضة، يزكي هذا ما حكى عن لقمان الحكيم إذ وقف يوماً أمام حقل من حقول القمح، فاسترعى نظره سنابل تطاولت في خيلاء، وسنابل أخرى أحتت رأسها في تواضع وحياء، فراح يتلمسها فتعجب!! فقد رأى السنابل المتطاوله فارغة، والأخرى المحنية ممتلئة بحبات القمح، فقال: كم في حقول الحياة من سنابل رفيعة الرأس فارغة القلب.

(١) الإحياء (٣/٣٢٢).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٢٨٩) للماوردي.

مظاهر الكبر:

ومظاهر الكبر كثيرة أهمها:

(١، ٣) بطر الحق وغمط الناس: ومعناه احتقار الناس، ودفع الحق وإنكاره ترفعاً وتجبراً^(١). فمن ردَّ الحق على أهله، ولم يسمع منهم فهو متكبر، وغمط الناس استحقارهم وعدم الاعتداد بهم^(٢).

(٣) التبختروالاختيال في المشية: وهي مشية يبغضها الله ورسوله يحاول فيها المتكبر إظهار إعجابه بنفسه، وإظهار تميزه عن غيره وفضله عليه، كما قال القرطبي رحمه الله: «إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم»^(٣).

وقد ذمَّ الله تعالى هذا في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧).

قال ابن كثير رحمه الله: «فنهى الله تعالى عباده عن التجبر والتبختر في المشية مَرَحًا» يعني: متبخترًا متميلاً مشي الجبارين ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطع بمشيك الأرض ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: بتميالك وإعجابك بنفسك؛ بل ربما تجازي بالشر لا بالخير»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨). أي: لا تكلم الناس بتكبر فتحقر عباد الله، فتكلمهم وأنت معرض عنهم بوجهك، ولا تمش في الأرض خيلاء متكبراً جباراً عنيداً حتى لا ييغضك الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: معجب في نفسه، فخور على غيره^(٥).

(١) شرح النووي على مسلم (٣٣٤/١) ط - دار الفجر.

(٢) جامع الأصول (٦١٥/١٠) لابن الأثير رحمه الله.

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٠١٩/٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٥٨/٥).

(٥) السابق (١٩٤/٦).

وقد حكى ﷺ عن مصير أولئك النفس فقال كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «بينما رجل يتبختر يمشي في بُرديه، وقد أعجبت نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(١).

وهنا ندرك خطر هذا الخلق الذميم الذي ابتعد عنه الأنبياء والمرسلون ونهوا عنه تماماً، ولذا وجب محاربته منذ الصغر، والكبر مرض من الخطورة بمكان لأنه مرض قلبي يصعب علاجه، وكلما تقادم الزمان عليه كلما زاد عتو الصغير وضلاله حتى يصبح عموداً جليماً لا طائل له من نصحه فقد اعتاد احتقار الناس، ورد الحق، فالحرب على الكبر حرب وقائية منذ البداية تعتمد على محق هذا الخلق المذموم شرعاً وعقلاً وعرفاً، ذلك أن مصير صاحبه تحريم دخول الجنة كما سبق في الحديث. فالأصل هو استئصال هذا الخبث من قلب الصغار الذين نرجو فيهم خيراً كثيراً.

أسباب الكبر عند الصغار:

وقد سبق عرض بعضها ونضيف إليها الآتي:

(١) رؤية الوالد أو الوالدة في منتهى الكبر يعاملون الناس بازدراء واحتقار.

(٢) شعور الصغير بتميز على الآخرين في عدة نواح كالآتي:

- بياض الوجه في بيئة تتسم بالسُمر.

- قوة الحسد بين الأقران.

- المهارة في عمل ما يفشل فيه البعض.

- التفوق الدراسي أو الرياضي.

- الغنى المادي أو المكانة الاجتماعية.

أمّا مظاهر الكبر عند الصغار فتكمن في الآتي:

- الاستخفاف بالكبار، وعدم الإصغاء إلى نصائحهم.

- الغرور بالقوة والمال والفتوة.

- عدم الاعتذار عند الخطأ.

- رفض اعتذار الآخرين.
 - الاعتماد الدائم على الغير في الأمور الشخصية.
 - حب القيادة والرياسة والزعامة.
 - الحديث الدائم عن النفس.
 - ترك خدمة الوالدين.
 - الجلوس الدائم مع مَنْ هم أقل منه.
 - المباهاة والافتخار على الآخرين، والإعجاب بالنفس.
- هذا بالإضافة إلى التبخر في المشية، وإسبال الإزار، والمحاولات المستمرة للفت الانتباه إلى الذات.

علاج هذه الآفة الخطيرة:

يحتاج العلاج والدواء هنا تربيًا وعقلًا، وتؤدة وحكمة، فإن العلاج قد يتقلب إلى مرض آخر يحتاج إلى علاج آخر وهكذا، ولذا سنذكر العلاج مع التحذير من الإفراط أو التفريط فيه فنقول:

(١) التخويف بالجزاء الأخروي للمتكبرين: كعدم دخول الجنة، ودخول النار، وبغض الله تعالى له.

(٢) إذا كان الولد مغرورًا بعلمه (تفوقه الدراسي على الآخرين): نضع له مسألة معينة نعلم أنه لن يستطيع حلها، على شرط أن يعرف بغضها، فيعلم ساعتها أن علمه ناقص، وأن أحدًا من أهل الأرض لا ولن يكتمل علمه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥). ويتعد تمامًا عن اتهام الصغير بالكبر والغرور حتى لا يصيبه ذلك بالتعنت والعناء، فلا نجد سبيلًا إلى تصحيح أخطائه مرة ثانية.

(٣) إذا كان مغرورًا محبًا للرياسة: يقول الدكتور عدنان باصالح حفظه الله: «والولد الذي يحب أن يتصدر زملاءه، ويكون قائدًا لهم دائمًا ولا يرضى بغير القيادة، ولا يقبل إلا الصف الأول، والسير أمام الأولاد والأقران، فإنه يدرب على ترك هذا السلوك بضده، فيؤمر بالتزام التوسط في المجلس والسير بين الزملاء أو

خلفهم، وأن يقدمهم على نفسه، فإن دعاهم إلى البيت أمر بالقيام على خدمتهم، وقدم لهم بنفسه الطعام والشراب، في تواضع دون كبر أو إحساس بالفضل، وأجلسهم في صدر المكان، وإن ظن الولد أنه أفضل من أصحابه وزملائه وإخوته وأنه متميز عنهم، فإن الأب يحاول استئصال هذا الاعتقاد بأن يبين للولد مميزات زملائه وإخوته، وأنهم متفوقون عليه في كذا وكذا، ويعدد بعض هذه المميزات التي اتصف بها زملاؤه وإخوته مدلاً على ذلك بالوقائع المختلفة، كأن يقول له: أتذكر يوم كذا وكذا كيف أن أخاك سبقك في العدو، وكيف أن ابن الجيران كان أحفظ منك لسورة كذا وكذا؟ فيحاول أن يبين له أنه كغيره من إخوته لديه مميزات ولديه نواقص، وأن غيره ربما تفوق عليه في بعض صفاته ومميزاته.

ويحذر الأب عند استخدام هذا الأسلوب أن يتعدى حدود الاعتدال في بيان قدرات وطاقات الولد، إذ إن التماذي في استنفاص الولد والتطرف في هذا الأسلوب ربما ساق الولد إلى الشعور بالنقص، وهذه آفة أخرى تحتاج إلى علاج جديد؛ بل يعطيه من البيان ما يحتاج إليه لتستقيم نفسه وتعتدل تصرفاته.

(٤) إذا كان مغروراً بقوته: نحضر له من يغلبه، على أن نكون في حالة يقين أن الطفل الآخر سيغلبه، وإلا فالطفل إذا غلب من تحده ازداد غروره وكبره.

(٥) إذا كان متعاليًا لا يحب خدمة نفسه ولا غيره: وهذه آفة يعمد الأثرياء - إلا من رحم ربي - إلى تربيتها في نفوس صغارهم عمداً أو خطأ، فوجود الخادم في البيت يجعل الصغير في حالة أنفة مستمرة تجاه القيام بأعمال البيت أو المشاركة فيها، فيرفض حمل القمامة، أو شراء احتياجات البيت أو حملها، أو مساعدة الوالدة في عمل منزلي. وهنا يجب التدخل الفوري قبل استفحال الأمر واستطارته، وذلك عن طريق العلاج السريع.

وكثيراً ما يخجل الأولاد وترفعون عن الخدمة، خاصة أطفال الأغنياء، فلا يرى أحدهم حاملاً مشتريات لأهله، أو خارجاً بالنفايات من البيت ليضعها في المكان المخصص في الشارع، بل يوجد في حالة من الترفيه وعدم تحمل المسؤوليات مما يسوقه إلى التعالي والكبر على غيره. وعلاج ذلك يكون أيضاً بالضد، فإن كان

يتعالى عن نزول السوق والشراء وحمل الحاجيات أمرٌ بذلك ودرب عليه، ولا بأس في أن يشارك الناس بالبيع والشراء، فقد أمر الرسول ﷺ عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أن يبيع في السوق بيع الصبيان ولم ينكر عليه ذلك، بل دعا له، علماً بأن عبد الله بن جعفر شريف من الأشراف وأبوه ابن عم الرسول ﷺ فلم يمنعهم ذلك من الاشتغال بالبيع والشراء كعادة الناس، ولم يستح الرسول ﷺ من فعله^(١).

(٦) إذا كان كثير التباه بنفسي: وإذا كان عند الولد كثرة مباهاة بنفسه، وإعجاب بها بدون مبرر، أي أنه لم يأت بأعمال تدفعه إلى هذا العجب، فإن الوالد يحاول أن يكلفه ببعض الأعمال والمهام البسيطة لينجزها، ومن ثم يشكر ويمدح على ذلك، وهذه الطريقة ربما خففت من إعجاب الولد بنفسه كذباً وزوراً^(٢).

(٧) إذا كان مفتخراً على غيره بمال أو ذكاء أو جمال: التدخل هنا يكون عن طريق غرس قاعدة في الصغير وهي: أنه ليس لك يدٌ فيما عندك، إنما هي هبة من الله تعالى، ينبغي شكرها، والعمل على استغلالها استغلالاً أمثل في طاعة الله، مع تذكيره بأن هناك من حُرِم من النعمة التي يفتخر بها هو، وتخويفه بأن غروره بها ربما يكون سبباً في سلب هذه النعمة مع عرض قصة كـ(قصة قارون)، وفيها عاقبة الفخر والكبر.

وينبغي العمل بهذه الأمور:

- (١) مصاحبة الفقراء والمساكين والتواضع لهم.
- (٢) غرس قاعدة أخرى داخل النفس وهي: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).
- (٣) أن الإنسان بإيمانه وعمله الصالح لا ينسب أو ماله أو وسامته.
- (٤) الخشونة في اللبس والمأكل ومكان النوم.
- (٥) المشاركة القوية من جانب الصغير في أعمال البيت.
- (٦) ردُّ الفضل دائماً إلى الله تعالى.

(١). دكتور/ محمد نور سويد (ص ١٣٧) منهج التربية النبوية للطفل.

(٢) الحسن الأخلاقي عند الأطفال مجلة التربية العدد (٨٠) (ص ٦٤) د/ محمد عبد الرحيم عدس.

(٧) تعليمه- أي: الصغير- سير الأنبياء والصالحين وكيف كانوا متواضعين لله تعالى .
وهذا نموذج آخر لتعليم الصغير التواضع والنهي عن الكبر:



التواضع والنهي عن الكبر

قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة^(١) من كبر». . فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه^(٢) حسناً، ونعله^(٣) حسناً. فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بَطْرُ الحق^(٤) وَغَمْطُ الناس^(٥)»^(٦) .

الكبر هو: أن يعتقد الإنسان أنه خير من الناس، وأنه فوقهم جميعاً، وأنه أفضل منهم، وأن يعتقد أن عمله خير من عمل الناس. والتواضع هو: أن يرى الإنسان نفسه بسيطاً، لا يرتفع على غيره بعلم ولا بمال أو بعمل، بل يخفض جناحه لهم أي: يكون ليناً رقيقاً بهم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من تواضع:

لقد كان النبي ﷺ هو أكثر الناس تواضعاً وهو خير خلق الله، وخير الناس، فقد قال الله تعالى له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨) . وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) .

فالناس كلهم من آدم، وآدم خلق من تراب، فالكُلُّ متساوٍ أمام الله عز وجل، لا فضل لأحد على أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح.

وقد كان سيدنا بلال بن رباح أسود الوجه لكن النبي ﷺ كان يُحبه ويُقدِّره،

(١) مثقال ذرة: قَدْرٌ صغير جداً.

(٢) الثوب: الملابس.

(٣) النعل: الحذاء.

(٤) بطر الحق: كرهه ورده.

(٥) غمط الناس: احتقارهم، واستصغارهم.

(٦) رواه مسلم.

وكان يقول عنه: «سيدنا»، لأنه كان من أوائل المسلمين، ولما قال له أحد المسلمين: يا ابن السوداء، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، حتى نام الرجل وقال لبلال: ضع قدمك على رقبتي يا بلال حتى لا يغضب رسول الله ﷺ. فعفا عنه^(١) سيدنا بلال. لقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد».

فالله عز وجل علّم نبينا ﷺ أن يتواضع، ولا يفخر - أي: يتكبر - رجل على الآخر، أو امرأة على أخرى، فقد كان العرب يتفاخرون قديماً فيقول أحدهم: أنا ابن فلان، أبي فلان وجدّي فلان. ويقول الآخر: نحن أغنياء، وعندنا كذا وكذا من المال.

لقد سأل رجل رجلاً آخر فقال له: كيف تنظر إلى الناس؟ وكان الرجل متكبراً، فقال: أراهم مثل الذباب. فقال: وهم ينظرون أيضاً إليك أنك ذبابة.

وقال رسول الله ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه». فالتواضع يرفع الإنسان ولا يخفضه، فقد تواضع رسول الله ﷺ فرفعه الله، حتى إنه ﷺ لما فتح مكة^(٢) دخل وهو مُطأطي الرأس حتى كادت ذقنه تلتصق بسرج بغلته^(٣) التي كان يركبها.

وقد تواضع النبي ﷺ أشد التواضع، فكان إذا مرَّ على الصبيان وهم يلعبون سلّم عليهم. وبعض الناس يقول: هؤلاء صغار وأنا كبير لا أسلم عليهم. ولكن رسول الله ﷺ أمرنا بالتواضع وترك الكبير، كان ﷺ يُسلم على الغني والفقير ويدوهم هو بالسلام ﷺ.

كما أنه ﷺ كان يساعد أهله في بيته، ولا يخجل من هذا أو يتكبر، وبعض الصغار يتخرجون من مساعدة أمهاتهم أو آبائهم وهذا من الكبر. وكان ﷺ يحمل التراب مع أصحابه يوم الخندق^(٤)، حتى غطى التراب بطنه

(١) فعفا عنه: سامحه.

(٢) انظر حياة محمد ﷺ للأطفال (ص ٢٢٣، ٢٤٣) ط - دار الفجر للتراث.

(٣) سرج البغلة: أي ما يُقرش على ظهر البغل.

(٤) السابق: (ص ٢١٢ - ٢١٦).

وشعره. وكان يجلس على الأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويعلف^(١) دابته - أي: حماره أو بغلته أو جمَلَه، وكان ﷺ يقول: «لا تطروني»^(٢)... ولكن قولوا: عبد الله ورسوله».

وكان ﷺ إذا ناداه أحد كبير أو صغير، غني أو فقير، سيد أو عبد، سيد أو خادم قال: «لبيك». ولم يقل لأحد يوماً ما: أف.

معنى قوله تعالى: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» (الحجر: ٨٨):

لقد أنزل الله عز وجل هذه الآية يأمر النبي ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، ولكن لماذا قال: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ»؟ لأن المتكبر يظن نفسه أنه يطير في السماء مثل الطائر يطير بجناحيه، ولكن حينما يقف على الأرض ويضم جناحيه إلى صدره وبقيّة جسده يكون متواضعاً ساكناً، وهكذا أراد الله عز وجل من نبيه ﷺ. وأراد منا رسول الله ﷺ أن نكون مثله ولنا فيه ﷺ القدوة الحسنة والأسوة.

من صور التواضع ومظاهره:

- ويوماً خرج النبي ﷺ مع أصحابه، فأرادوا أن يذبحوا شاة، ويضعونها على النار، فقال صحابي من الصحابة: أنا سأذبحها، وقال الآخر: وأنا أسلخها، فقال النبي ﷺ: «وأنا عليّ جمع الخطب»، فتواضع رسول الله ﷺ، وشارك في جمع الخطب لتُشعل به النار.

- وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجلس مع أحد عُمّاله في يوم، وانطفأ المصباح، فقال الرجل: أنا أشعله يا أمير المؤمنين. فقال عمر: بل أفعل أنا، ثم ذهب وأوقد المصباح، ولما عاد قال للرجل: ذهبت وأنا عمر، وعدت وأنا عمر، وما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعاً.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلبس ثوباً مُرَقَّعاً يمشي به في المدينة وهو حاكم للمسلمين.

(١) يعلف: يقدم العلف لها.

(٢) لا تطروني: لا تعظموني وتمدحوني.

ونحن إذا أردنا التواضع فهذه صورته ومظاهره:

- ١- السلام على الكبير والصغير، والغني والفقير.
- ٢- التواضع للناس بمساعدتهم وتقديم العون لهم.
- ٣- ألا يتكبر واحد منا فيقول: أنا من عائلة كذا الشهيرة، أو: نحن أغنياء وأنتم فقراء.
- ٤- إذا جاء إلينا الكبير يسلم علينا قمنا له توقيراً واحتراماً وتواضعاً له.
- ٥- التواضع للوالدين؛ بتسوية ملابسهم، وتنظيف نعالهم، وتقبيل أيديهم.
- ٦- إجابة الدعوة من الغني والفقير.
- ٧- زيارة اليتيم والفقير والمسكين والمريض، والتواضع لهم.

قصة طريفة:

وقفت بعوضة على شجرة، فقالت البعوضة: وقفت على الشجرة العظيمة.
فقالت الشجرة: وقفت وأنت ذبابة، وظللت أنا شجرة.

من مظاهر الكبر:

- وعلى الناحية الأخرى يقف المتكبرون، يذمهم الله تعالى، ومن مظاهر الكبر:
- ١- بطر الحق: واطر الحق معناه عدم الاعتراف به، والتصميم على الكذب؛ تكبراً على الناس.
 - ٢- غمط الناس: وهو احتقارهم، فتجد الشخص يحتقر أصدقاءه بحجة أنه أغنى منهم، أو أنه من عائلة شهيرة، أو أن أباه صاحب منصب كبير، فيحتقر الناس جميعاً وهو من الكبر.
 - ٣- إعجاب الإنسان بنفسه: فيقول: أنا أفضل الناس وخيرهم وأشجعهم، وهذا هو الغرور بعينه، والإنسان المتكبر مغرور دائماً لا يحبه الله عز وجل ولا يحبه الناس.

من قصص المتكبرين:

- وأكثر الناس تكبراً هو قارون صاحب المال الكثير^(١) على عهد موسى عليه

(١) انظر قصص الأنبياء - ط دار الفجر للتراث.

السلام، فكان جزاؤه حين قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨). أي: المال، وأنكر فضل الله عز وجل أن زلزل الله الأرض به، فهلك، وهلك معه أمواله.

- وحكى لنا النبي ﷺ أن رجلاً لبس ثوباً جديداً، وكان الرجل مغروراً متكبراً، فمشى متكبراً، فخسف الله به الأرض - أي: زلزلها - فهو في بطن الأرض يُعَذَّب فيها إلى يوم القيامة.

لبس من التكبر!!

ولكن إذا لبس المسلم ثوباً نظيفاً، وحذاءً نظيفاً، واهتم بمظهره الخارجي، هل يكون متكبراً؟ يجيبنا النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»، فليس هذا من التكبر، ولكن من الجمال والنظافة، والله تعالى يحب المسلم الطاهر النظيف الجميل، لأنه سبحانه جميل يحب الجمال.

جزاء المتكبرين:

١- لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة، فالله عز وجل لا يكلم المستكبرين يوم القيامة.

٢- يدخلون النار مع قارون وفرعون وكل المتكبرين.

٣- يجعلهم الله تعالى يوم القيامة على هيئة وصورة الذر - وهو صغار النمل - فيدوسهم الناس بالأقدام، ثم يدخلون النار يعذبون فيها.

٤- يعذبهم الله عز وجل في النار عذاباً شديداً.

٥- يكرهه النبي ﷺ، ولا يشفع فيه يوم القيامة، ويبعد عن مجلسه في الجنة.

٦- يكرهه الناس ويتفرون منه.

أما المتواضع فهو من أهل الجنة، وقريب من رسول الله ﷺ، يُحبه الناس جميعاً، ويقدرونه.



(٤) الكرم والنهي عن البخل

تعارف البشر منذ بدء الخليقة على ذم البخل الذي يرون فيه شخصاً كريهاً يرى أحقية نفسه بكل شيء في هذا الوجود، ولا يشاطر الناس مشاعرهم أو ماله الذي جعل الله تعالى فيه حقاً للسائل والمحروم، ولذا فالبخل يوصف بعدة أوصاف، منها: (الأثانية- النذالة- الحسّة- الدونية- اللامبالاة بمن حوله)، خاصة إن كانوا أصحاب حقوق، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). أي: من سلم من الشح وهو البخل فقد أفلح ونجح، ذلك أن البخل يورث العداوات، وانتهاك الحرمات واجتراعها، بل لا يجتمع البخل والإيمان في قلب عبد، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»^(١). ومن حديث جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «... واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(٢).

وفي رواية: «... وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»^(٣).

ومن هنا جاء الجزاء والعقاب حاسماً حازماً، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

ولذا كان ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه يستعيز من البخل فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل»^(٤). ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه

(١) صحيح الإسناد: أحمد وأبو داود، وانظر صحيح الجامع (٧٦١٦) للآلباني رحمه الله.

(٢) صحيح: مسلم (٢٥٧٨) في البر والصلة.

(٣) صحيح: ابن حبان (٦٢٤٨).

(٤) صحيح: مسلم (٢٧٠٦) في البر والصلة.

قال: «شرُّ ما في الرجل شُحُّ هالِعٍ، وجُبْنُ خالِعٍ» (١). قال المنذري: «شُحُّ هالِعٍ: أي: محزن، والهلع: أشدُّ الفزع» (٢).

وعليه فخطورة البخل على المجتمع المسلم شديدة، فإن ترك هذه الصفة تنمو وتختمر في النفوس دون قمع لها تعمل على أكل الحقوق، وانتهاك المحارم، واستحلال المظالم، ثم التطويق بطوق من نار يوم القيامة، وهو أشدُّ الفساد وأكبره، فوجب على أولي الأمر التصدي لهذه الرذيلة المهلكة المبيِّرة، وكلما كان الحلُّ مبكراً كلما كانت النتيجة أنجح وأنجع، وكلما كان الدواء أفلح وأكثر تأثيراً.

ما هو البخل؟

البخل ضد البذل (٣)، والبخل هو: إمساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه، وضده الجود، والبخيل هو من يكثر منه البخل، والبخل شرعاً: منع الواجبة (٤).

أسباب وجود البخل في الصغير:

(١) بخل الآباء أو الأمهات أو أحد الإخوة: فيبدو حرصهم الشديد على الأموال، ومساومتهم البائع أمام الصغار، وضرب الصغار بسبب المال بدون وجه حق، فيعتاد الصغير هذا الخلق لأنه رآه شيمة أصيلة داخل أسرته، وبين أركان بيته وبيئته.

(٢) حب الطفل للادخار: عادة ما يكون تعود الطفل على ادخار كل شيء مما يملك بسبب أثر عكسي للتربية، وتفسير هذا: أن الأم أو الأب يحاول تعويد صغيره على الادخار لكن دون تفرقة بينه وبين البخل والشُّح، فتحمله هذه التربية الخاطئة على الطمع فيما في أيدي الناس، وادخار ما معه دون أن يجرحه، فيظهر هذا أثناء الأكل، فيعمد مثلاً إلى ادخار طعامه الخاص من (اللحم مثلاً) ومشاركة الآخرين طعامهم العام كـ(الأرز) مثلاً وبعد أن ينتهي الجميع من الطعام يبدأ في التهام طعامه وبشراهة، أو أنه يعمد إلى مشاركة الآخرين من الصغار حلواهم وطعامهم ويدخر ماله هو دون إنفاقه.

(١) صحيح: أبو داود (٢١٩٢).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/٣٣٨) ط - دار الفجر للتراث.

(٣) الإحياء (٥٩/٣) للغزالي رحمه الله.

(٤) التعريفات (١١٧/١) للمرجاني.

(٣) حب جمع المال دون إنفاقه، والتفنن في إخفائه: فترى الصغير يحاول ابتزاز من حوله ليحصل على المال، ويدخره بعيداً عن الأيدي والأعين لئلا يظفر به غيره، وهذه نتيجة طبيعية في كثير من الأوقات لما يدور حول الصغير من حديث حول (حب المال وأهميته)، والمال ضروري للحياة، لكن الناس لا يحبون بالمال وحده، فيجب أن يقر هذا المفهوم في قلوب الكبار وعقولهم لينقلوه بسهولة إلى الصغار، فيفهم منذ البداية صغيرنا أن المال أداة من أدوات الحياة، وضرورة من الضرورات، وأنه نعم المال الصالح للرجل الصالح يكتسب به رضا ربه تعالى، ويدخل به الجنة، ولا يكون سبباً في دخوله النار.

علاج البخل:

ونحتاج هنا إلى عدة خطوات وهي:

أولاً: إبراز الوجه الحقيقي للبخل: وأنه ممقوت من الناس، كرهه المنظر، ييغضه ربه، ويتوعده بالعذاب الاليم في الدنيا والآخرة، وأن صفة البخل تجافي صفة الإيمان ولا تجتمع معها في قلب عبد مؤمن.

ويستخدم الآباء هنا قصص ذم البخلاء، وهي موجودة في عدة كتب كـ (البخلاء) للخطيب البغدادي، ونوادر البخلاء للجاحظ، وأيضاً بعضها في كتاب «المستطرف من كل فن مستظرف» للأبشيبي، وفيها سخرية من البخل والبخلاء.

وننبه على أن هذه الكتب تحمل بعض المخالفات، فينبغي اختيار قصص دون نصوص شرعية إلا ما صح منها فقط.

ومع ذم البخلاء والبخل، يجب امتداح صفة الجود والكرم، وسياقة القصص الدالة على ذلك.

ثانياً: التخويف بالعقاب الأخروي الذي يستحقه البخل: وهذا من خلال عرض النصوص التي ذكرناها في أول هذا البحث.

ثالثاً: الإنفاق أمام الصغير، والكشف عن رسالة المال في هذه الدنيا: فيعود الأب أو الأم الإنفاق أمام الصغير لكن بلا تبذير، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (لقمان: ٦٧) .

فبتصدق الوالد أو الوالدة أمام الصغير، فينفقان على أنفسهما وأولادهما بما شرع الله تعالى في اعتدال وتوسط، ويكرمان الضيف أمام الصغير الذي لا بد من مشاركته في إكرام ضيافته ليتعود الكرم والسخاء، مع امتداحه على ذلك ليقر في نفسه هذا الخلق، ويكشف أمامه عن رسالة المال في هذه الحياة، فالمال: للصدقات، وللزكاة، وللقوت، وللتوسيع على النفس والعيال، غملكه إذا أنفقناه واستفدنا به مستقبلاً عند الله، ولا يستعبدنا المال حين نمسكه ولا ننفقه، فما فائدة المال إذا لم يحقق لنا ثواباً عند الله؟ وما لم نرَوْظْهُنَا بما أحله الله تعالى لنا بهذه الوسيلة وهي المال.

وعندئذ يعلم الصغير أن الدنيا كلها زائلة، وأن المال مع العائدين من الجنّاة التي يذهب فيها المال، والعمل، والولد، والميت، فيعود الولد والمال ويبقى العمل.

رابعاً: تعويد الصغير على الإنفاق والبذل مقابل البخل: فنطلب منه المشاركة ببعض ماله في شراء احتياجات بسيطة للمنزل، أو التصديق على الفقراء والمعوزين والمحتاجين، أو على نفسه أيضاً كقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧) . ويمكن للوالد أو الوالدة إعطاء الصغير مالاً مخصصاً للزكاة أو الصدقات، مع تذكيره بنعمة الله علينا، وحق الفقير في الزكاة، ومدحه إذا فعل ذلك.

خامساً: التحفيز بالسؤال: والرسول ﷺ قد ثبت عنه انتهاز هذا الأسلوب مع أصحابه الكرام فقد سأله يوماً فقال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (١).

فيسأل المربي صغاره: من منكم أنفق اليوم وتصدق؟ وبذلك يعلمهم المسارعة إلى

الخيرات، وننبه على أن صدقة السر أوفى أجراً من صدقة العلن كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١).

وفي حديث السبعة الذين يظلمهم الله: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(١).

سادساً: تذكيره بعقيدة القضاء والقدر: وأن الله تعالى قسّم الأرزاق، وجعل الناس فقراء وأغنياء، فالمال مال الله، والخلق خلق الله، فإذا لم يتصدق بالمال سلب المال، والله أعلم.



(٥) أداء الأمانة والنهي عن السرقة والغش

لا تعتبر السرقة مجرد عمل قبيح يتنافى مع الشرع والعقل وأعراف الناس فحسب، بل هي كبيرة من الكبائر التي جعل الشرع لها حداً رادعاً عن طريق قطع اليد، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨).

وهي - أي: السرقة - نوع من أنواع التعدي على حقوق العباد بأخذ ما لا يجل، وما يملكه الغير سلباً وقهراً وبدون وجه حق، وهو نوع من أنواع الظلم وأكل الحقوق.

فالسرقة لغة هي: أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية.

وفي الشريعة هي: حق القطع بأخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ بلا شبهة^(١).

وتعبر السرقة عن نفس طماعة في حق الغير، ونفس غير معمورة بخشية الله، كما تعبر عن نفس لا تعترف بحقوق الآخرين.

ومن هنا تتضح خطورة السرقة التي تُعد من أول أمراض الطفولة، ومظاهر الانحراف وضوحاً وحدوثاً، ويبدأ ظهورها منذ سن السادسة^(٢)، بينما يتأكد الصغير من أن ما يفعله سرقة واعتداء على حقوق الآخرين عند العاشرة أو بعدها.

والحق أن أسوأ ما في السرقة هو تعودها واستمرارها، لأنها مكسب سهل، وريح سريع على قلة بركته وحرمة، فإذا ما تعود الصغير السرقة وهو لا يدري قبحها كان ذلك أدعى إلى تربية لص داخل نفسه ليصبح بعد من أكابر اللصوص والمجرمين.

وكما تعارفنا من أول هذه الدراسة، فإن الداء يجب مواجهته مبكراً حتى يقضى عليه تماماً، وتجتث جذوره منذ البداية.

(١) التعريفات (١/١٥٦) للجرجاني.

(٢) عدنان صالح (ص ١٩٢) مسئولية الأب المسلم.

الأسباب التي تؤدي إلى السرقة وكيفية معالجتها:

(١) أن يرى الصغير أحد الكبار يسرق: ولو كان هذا على سبيل المزاح، أو ملاحظته هو، فمثلاً لا نسرق منديل الصغير خاصة إذا لاحظ الصغير أيدينا تمتد لتسرق هذا المنديل، أو نسرق نقوده في غفلة منه، وأسوأ من هذا وذاك أن تسرق الأم من جيب الوالد مالا تقتطعه أمام الصغير، أو يحاول الأب سرقة بعض المال من الأم، أو يرى الصغير أحد إخوته الكبار وهو يسرق، فيعتمد إلى تقليده في كل شيء، لأنه لا يدري الأفعال الصحيحة من الأخرى الخاطئة. وينبغي على الجميع الابتعاد عن هذه السلوكيات الخاطئة التي تدمر الصغار، وقد نرى أن أحد الصغار تعلم السرقة بسبب مشهد تليفزيوني يحذرون فيه من السرقة!! تحت شعار: الجريمة لا تفيد!!

هذا أسوأ ما يمكن ارتكابه في حق براءة الصغير الذي يقلد كل شيء وأي شيء، حتى ولو كانت السرقة.

ولعله لا يفوتنا هنا أن بعض الحمقى - قبحهم الله - يأمرون صغارهم بالسرقة!! وهذه شريحة ليست بالقليلة داخل المجتمعات الإسلامية والعربية!!

إن مسئولية العلماء والمشايخ هنا كبيرة ثقيلة، ولا بد من تحملها وأدائها، فينبغي تبصير الكبار والصغار بعقوبة السرقة خاصة أن كثيراً من البلاد الإسلامية الآن تعطلت فيها الحدود فلا رادع فيها للشارق أو السارقة، مع عرض جزاء السارق في الدنيا والآخرة.

(٢) قلة ذات اليد: كأن تكون الأسرة فقيرة لا تستطيع تلبية حاجات الصغير ومطالبه مهما كانت ضعيفة قليلة، فيلجأ الطفل إلى السرقة (سرقة المال - أو الحلوى - أو الملابس) ليكمل جزءاً من النقص الذي يحياه، ولا نستطيع أن نعمم هذا السبب، فكثير من الفقراء بعيدون تماماً عن السرقة، فهم أعزاء النفس، يشعرون بالعفة كأبائهم أو أمهاتهم، وإنما يسرق الطفل حين يرى أبويه أحدهما أو كليهما كثير السخط على قضاء الله وقدره، كثير الشكاية من الفقر وقلة الدخل، مع النظر بعين حاقدة حاسدة إلى الآخرين، وعدم الرضا بما قسم الله تعالى، فتتهار حصون العفة عند الصغير ليمد يده فيسرق.



ومعالجة هذا السبب: بالحديث أولاً عن القضاء والقدر كما سبق، والحديث عن الصبر والرضا وفضائلهما عند الله تعالى، ثم الحديث عن وجود الفقر كعنصر أساسي داخل حياة الأنبياء والرسل مع عرض زهد النبي ﷺ وكيف كان عليه السلام يعيش متواضعاً في طعامه، وملبسه، ومأكله، ومشربه، ونومه، وكيف أن «الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم»^(١).

لكن لا يعني هذا التواكل وعدم تحسين المعيشة؛ بل العمل الدءوب من أجل تحسين الوضع المعيشي والمادي عن طريق العمل أو المذاكرة، وإطعامهم في رحمة الله وكرمه، والتوكل عليه، ودعائه سبحانه وتعالى، والحديث معهم عن أن الفقر ليس قادحاً في عدالة الإنسان وخلقه؛ بل ربما كان سبباً في ابتعاده عن الشهوات والملذات، وعصمة له من الوقوع في الزلل والمعاصي، وتنمية روح القناعة فيهم، وتوجيههم إلى النظر لمن هو أسفل منهم في أمر الدنيا.

فهذا فلان محروم من قطعة من جسده: أعمى، أعرج أو غير ذلك، وأن ما أعطاهم الله تعالى من النعم لا يُعدُّ ولا يحصى: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨).

أما بالنسبة للأسرة القادرة على إشباع بعض الرغبات، فعلى المربي هناك أن يعطي أولاده ما يعرف باسم (المصروف اليومي) الذي يكون مشجعاً للرغبات المعتدلة بلا إسراف ولا تقتير، مع توصيته بالإيثار ومواساة الفقراء.

(٣) بخل الوالد: وهو ما يغري الصغير بالسرقة نتيجة حرمانه من أبسط حقوقه وهي أمامه، فيلجأ إلى الحلول المحرمة، والأبواب الخلفية ليسطو على حقه الذي حرمه الوالد إياه أو الوالدة، وينبغي أن يفهم المربي أن البخل أول طرق إغراء الصغار بالسرقة، فيعالج البخل في نفسه أولاً.

(٤) قلة حب الوالدين للصغير: أو عدم إبدائهما عطفاً نحو الطفل الذي يلجأ إلى تعويض النقص العاطفي من خلال الحصول على ممتلكات الأب والام والإخوة، إما

(١) هذا معنى حديث عند مسلم عن ابن عمرو، وعند الترمذي (٢٣٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني هناك.

إشباعاً للرغبة في داخله، أو استجابة للشهوة، أو نكاية في الأبوين، وبالطبع يعتدي الصغير على حقوق إخوته من المال أو اللعب، أو الأدوات المكينة، وعند ظهور هذه الآفة يسرع الأب باحتضان ولده، وتقريبه منه، ومصاحبته ومصادقته، حتى لا يستطير شر السرقة، وعليه إبداء العاطفة الحيّاشة للجميع، والمساواة بينهم في العطايا والهدايا، ولا يلجأ إلى الضرب إلا في حالات اليأس من إصلاح السارق.

(٥) تكليف الصغير بالكسب والعمل في سن يحتاج فيها للعب: ومن أسباب تعاطي الولد السرقة أيضاً: تكليفه الكسب والتجارة، وإلزامه بدخل معين رغم صغر سنه وقلة عقله وخبرته، فقد نهى عن ذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال: «لا تكلفوا الصغير الكسب، فإنه إذا لم يجد سرق»^(١).

فالوالد الفقير المحتاج إلى الاستفادة من طاقة ولده في طلب الكسب عليه أن يراعي عدم إلزام الولد بمدخول معين، ولا يشترط عليه تحصيل مبلغ معين يومياً، بل يلتزم بحسن التوكل على الله، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فإن لم يفعل ذلك ربما ساق ولده إلى الانحراف ليرضيه إما بالسرقة، أو الغش، أو غير ذلك من السلوكيات المنحرفة^(٢).

(٦) إشباع شهوة البطن أو الرغبة في اللعب: والصغار يسرقون من أجل الحلوى، أو من أجل شراء اللعب، وعن رافع بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أرمي نخل الأنصار، فأخذوني فذهبوا بي إلى النبي ﷺ، فقال: «يا رافع لم ترمي نخلهم؟». قلت: يا رسول الله الجوع!! فقال: «لا ترم، وكل ما وقع، أشبعك الله ورواك»^(٣).

فالظاهرة إذن موجودة منذ زمن بعيد، لكن يبحث عن أصلها وسببها، ففي الحديث السابق كانت العلة هي الجوع، وفي زماننا قد تتكرر نفس العلة، ويزيد عليها: بخل الأب، أو فقره، أو تعويد الصغير على الإسراف في الطعام والشراب

(١) صحيح الإسناد: مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب (١٦) حديث (٤٢) بتحقيقي وتخريجي ط- دار الفجر للتراث.

(٢) عدنان باحارث (ص ١٩٤) مسئولية الأب المسلم.

(٣) الترمذي (١٢٨٨) وقال: حسن صحيح غريب وضعفه الألباني هناك.



خاصة في الحلوى التي تصيب بالبدانة أو السمنة، أو مشاهدة الصغير والده يعتدي على حق غيره، فربما اعتدى المربي على أموال صغيره التي يدخرها فيأخذها قسراً لنفسه، فيربي في الصغير حاسة السرقة.

وقد عالج النبي ﷺ الأمر بحكمة بالغة، فعلم الصغير ما يحل وما لا يحل، ثم دعا له بالخير، ولم يزره بالضرب أو السب، وعلمنا السؤال قبل العقاب، ولو كان غير ذلك لكان ذلك منا إتلاف للنفس البشرية، والمساعدة على زرع الغل والحقد في نفس الصغير الذي سيسرق بعدها بدافع النكاية في الغير.

وعلى الأب والأم أن يعودا الصغير على مقدار معين من الطعام خاصة الحلوى حتى لا يطغى ولا نستطيع صد طوفان شهوته ووجهه إلى الحلوى أو اللعب.

(٧) الجهل بالسرقة: وعادة ما يكون هذا خلال السنوات الخمس أو الست الأولى لجهل الصغير بما له وما ليس له، وأخذ حاجة غيره بلا استئذان مسبق، وعلاج هذا أن يُجعل لكل طفل خزانة خاصة به، وألعاب خاصة به، فإذا أراد أخذ حاجة غيره فليكن عن طريق الاستئذان من أصحابها.

(٨) النكاية في الغير وتعمد إيلامه: وهذا انتقام من الطفل ولذا يجب مصالحته فور حدوث خلاف بينه وبين الآخرين.

السرقة من الجيران:

وسرقة الأطفال من الجيران كثيراً ما تحدث، وربما سببت قطيعة أو خصاماً وشجاراً بين أولياء الأمور، فإن ثبت لدى الأب أن ولده أخذ شيئاً من ممتلكات الجيران، أو من أطفالهم، فإن أفضل حل لهذه القضية لتستأصل من أصلها هو إلزام الولد بإرجاع ما أخذ بنفسه، والإلحاح عليه في ذلك، لأنه سوف يستفيد ويتعلم من هذا الدرس الصعب فلا يعود لمثله، فإن خشي الأب بطش جاره، أو توقع سوء مقابله لولده عند إرجاع ما أخذه منهم، فيستحسن أن يتفاهم مع الجار أولاً، معترفاً عما بدر من ولده، ومخبراً أنه سوف يأتيه معترفاً، فلا يزره ولا يشتد عليه؛ بل يحسن مقابله ويثني عليه حسن اعتذاره، وإصلاحه لسوء فعلته، وهذا يعد درساً عملياً

جيداً للولد وتهذيباً لنفسه، فلا يعود إلى السرقة بعد ذلك^(١).
وهذا نموذج لتعليم الصغار أداء الأمانة والانتهاز عن الغش:



أداء الأمانة، والنهي عن الغش

مرَّ النبي ﷺ على صَبْرَةَ^(٢) طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً^(٣) فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟». فقال: أصابته السماء^(٤) يا رسول الله. فقال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا»^(٥).

يروى لنا هذا الحديث قصة حدثت مع رسول الله ﷺ، فقد وضع يده في وعاء عرض فيه صاحبه طعاماً للبيع: قمع أو شعير، فلما وجد النبي ﷺ التاجر قد وضع الطعام المبلل أسفل الوعاء، ووضع الجاف أعلاه عرف أنه يغش الناس، فقال: «من غشنا فليس منا»، فهذا هو الغش بعينه لمن أراد أن يشتري منه الطعام، يظنه جيداً، فإذا عاد إلى بيته وجده مُبَلَّلاً لا يصلح للطعام أو الطهي.

والغش صفة للمنافقين، وليس من صفة المسلم؛ لأن الغش قريب من الكذب، والمسلم صادق لا يكذب. أما الكافر والمنافق فهو كاذب غشاش، والغش قريب من الشر، والشر في النار. والصدق والأمانة قريبان من الخير، والخير في الجنة.

فلا بد على المسلم أن يكون صاحب صفة الأمانة بعيداً عن صفة الغش، وهي صفة قبيحة لا تليق بالمسلم.

ومن صور الغش:

١- غش التاجر لمن يشتري منه، فيعرض بضاعة رديئة ويقول: هي جيدة، فيضع

(١) عدنان باحارث (ص ١٩٤).

(٢) صبرة: وعاء من خوص يوضع فيه الطعام.

(٣) البلل: الندى، أو الماء.

(٤) أصابته السماء: نزل عليه مطرها.

(٥) رواه مسلم.

بضاعة جيدة وتحتها بضاعة سيئة.

٢- إفشاء السر، فيستودعك أحد الناس سرًا وتقول له: سأحفظ السر، ثم تنشر السر بين أصدقائه، وتفضحه، فتكون غششته.

٣- الحلف الكذب (اليمين الغموس) على الأمر الكذب وهو من الغش.

٤- أن يعطيك أحد شيئًا فتضيعه، فيعطيك مالا فتأخذه وتنفقه ثم تُنكر أنك أخذته منه.

أما الأمانة:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

فأمرنا الله تعالى بأداء الأمانة إلى أهلها، وعدم الغش والتزوير، وكان رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله تعالى إلى الناس رسولاً كان يُسمى (الأمين) لكثرة أداؤه الأمانة، حتى إنه لما هاجر إلى المدينة، أبقى سيدنا علي بن أبي طالب ليرد الأمانات إلى أهلها، حتى لا يُقال: ضيع محمد أماناتنا، ولكنه ﷺ الأمين. وقد مدح الله عز وجل موسى عليه السلام فقال عنه: ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

من قصص الأمانة:

وقد حكى لنا رسول الله ﷺ عن قصة حدثت قديماً وهي: أن رجلاً اشترى داراً، فلما اشتراها وجد فيها جرةً من ذهب، فذهب هذا المشتري لصاحب الدار فقال له: خذ هذه الجرة التي وجدتها في دارك، فقد اشتريت الدار، ولم أشتري الذهب. فقال له صاحب الدار: لقد بعت لك الأرض، فالذهب لك والجرة. فذهب إلى رجل حكيم فقال: هل لكم أولاد؟ قالوا: نعم، فقال أحدهما: عندي بنت. وقال الآخر: عندي ولد، فقال: زوجوا الولد للبنت، وأنفقوا عليهما من هذه الجرة، وأعطوا الصدقات للفقراء. وهذا هو جزاء الأمانة.

وحكى لنا قصة أخرى وهي أن رجلاً اقترض مالا من أحد أصحابه، فقال له: من يشهد على دينك هذا؟ قال: الله عز وجل. وسافر الرجل بعيداً، وأراد أن يُعيد المال إلى صاحبه، فجاء بجذع شجرة ووضع فيه المال ثم قال: يا رب ادفعه إلى

صاحبه، فقد كنت أنت شاهدي على ديني هذا، ثم ألقى هذه الخشبة في البحر، وخرج صاحب المال وهو في بلده إلى البحر يوماً ما، حتى وجد هذه الخشبة، ففتحها فوجد فيها المال فأخذه، وعاد صاحبه من سفره فقال له: هل أخذت المال من الخشبة؟ قال: وكيف عرفت؟ قال: إني جعلت الله شاهدي، لن يضيعني الله. وهذا أيضاً جزاء الأمانة والوفاء بالوعد.

جزاء الغشاش:

* وجزاء الغشاش أنه ليس من المسلمين، فقد قال لنا النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا».

- * ويوم القيامة ترفع له راية- علم- ويقال: هذا فلان الغشاش.
- * وينفر منه الناس، ويتعدون عنه، فيكون مكروهاً منبوذاً.



(٦) النهي عن الغضب

تعريف الغضب، ونوعاه:

الغضب ضد الرضا. وقال الراغب: «الغضب هو: ثوران دم القلب إرادة الانتقام»^(١). وقيل: هو غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام من حصل له منه أذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب والفحش وربما ارتقى إلى درجة الكفر^(٢).

إن ما يحدث في الغضب تحديداً هو الآتي:

(١) هيجان الدم في القلب.

(٢) ذهاب العقل، فيصير الغضبان كالسكران، واستتاره. يكون بستار الغضب.

(٣) فورة وثورة من الإنسان.

(٤) غلبة الشيطان وسيطرته على ابن آدم^(٣).

والغضب نوعان:

(١) غضب محمود: وهو الغضب الديني، غضب لانتهاك محارم الله تعالى كما كان النبي ﷺ يغضب لانتهاك الحرمات في أكثر من موقف، فيحمر وجهه ﷺ، ولولا هذا النوع من الغضب لما بقيت حرمة، ولا دافع إنسان عن محارمه، فهذا الغضب محمود لا محالة.

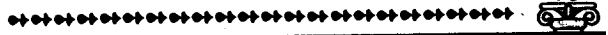
(٢) غضب مذموم: وهو الغضب الدنيوي للنفس أو لغير الله تعالى، وهو ما نتحدث عنه في هذا البحث، وهذا الغضب قال عنه صحابة رسول الله ﷺ: «يجمع الشر كله»^(٤).

(١) انظر لسان العرب (٣٢٦٢) والرغب الأصفهاني (ص ٣٦١) في المفردات.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٤١) لابن رجب الحنبلي - ط دار الفجر للتراث.

(٣) الوصايا النبوية (ص ٤٠٦) للمؤلف.

(٤) صحيح: أحمد (٤٨٤/٣) في المسند.



وقال جعفر الصادق: «الغضب مفتاح كل شر». وقال ابن المبارك: «حسن الخلق ترك الغضب». وقال مجاهد: «قال إبليس: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث:

- إذا سكر أحدهم أخذنا بخزائمه ففقدناه حيث شئنا، وعمل لنا بما أحيينا.

- وإذا غضب قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم.

- ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه»^(١).

وقد ذم الله تعالى هذا الغضب فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٦). وأمر المؤمنين بالإمساك عنه فقال سبحانه: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وقد حرص النبي ﷺ على تحذير أمته من هذا الغضب المذموم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب». فردد مراراً قال: «لا تغضب»^(٢). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٣).

ولأن الغضب تصاحبه تغيرات طارئة كاحمرار الوجه، وانتفاخ الأوداج، وتوقد حر الصدر والقلب، قال ﷺ لرجل غضب عنده: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(٤).

والغضب له أضراره فهو جماع الشر كله، يخرج من صاحبه أسوأ المقال، وأقبح الفعال، كما يولد الحقد والحسد وإضرار السوء، ويطرد الملائكة، ومن هنا تبدو خطورته، ويظهر لنا محاربته.

(١) شعب الإيمان (١٣/٥) لليهقي رحمه الله.

(٢) صحيح: البخاري (٦١١٦) في الأدب.

(٣) صحيح: البخاري (٦١١٤) في الأدب، مسلم (٢٦٠٩) في البر والصلة.

(٤) صحيح: البخاري (٦١١٥) في الأدب، مسلم (٢٦١٠) في البر والصلة.



متى يبدأ ظهور الغضب؟ وهل هو عند الإناث أو الذكور أكثر؟ وصوره عند الصغار:

والغضب موجود عند الأطفال يبدأ منذ الستة أشهر تقريباً، والأطفال الذكور خاصة أكثر ميلاً إلى الغضب من الإناث حيث يعتبر الغضب عاملاً جيداً لتحقيق الرغبات وتأكيد الذات.

والغضب يظهر على الأطفال بصورة مختلفة ومتنوعة حسب السن، فالطفل في الثالثة مثلاً يظهر غضبه أحياناً بكثرة البكاء، والضرب على الأرض بالأقدام، وربما قذف أغراضه. أما الطفل في التاسعة فيتخذ موقفاً سلبياً عند الغضب؛ فيرفض الأكل، وينزوي في غرفته مع ظهور علامات عدم الرضا والتسخط عليه، ولا ينبغي للأب أن ينحرف وراء العاطفة، فيصاع لرغبات ولده عند غضبه، فيلبي له كل ما يشاء، فلا يعرف الولد سوى الصراخ والعيول إذا أراد أن يتحقق له أمر ما، فإذا تعود الولد هذا السلوك أصبح من الصعب عليه مستقبلاً أن يحتمل فوات ملذاته، وعدم تحقيق رغباته، فيصطدم بمشكلات الحياة المتنوعة، فإما أن ييأس وينحرف، وإما أن يبدأ في التعود والتدريب على هذا النمط الجديد من الحياة، وهذا صعب بعد النضوج^(١).

ماهي أسباب الغضب عند الصغار؟

وككل خلق تحدثنا عنه قبل ذلك لابد من سبب أو عدة أسباب للغضب، وهي كالآتي:

(١) الإسراف في التدليل: وهذا معناه أن رغبات الطفل ما هي إلا أوامر سرعان ما تلبى، فإذا ما تأخر أحد في تلبية واحدة من رغباته هاج وماج، وبدأ يعبر بطريقته المعتادة عن غضبه من تأخر تلبية الرغبة.

(٢) وجود عاهة في الطفل: أقصد بها العاهة الجسدية بالطبع، ولابد من دخول الأب والأم وغيرهما للطفل هنا من مدخل القضاء والقدر والإيمان بقسم الله تعالى.

(١) انظر دكتور/ عبد القادر زيدان (الغضب عند الأطفال) ضمن مجلة التوثيق التربوي (ص ١١)،

(٣) القسوة من أحد الوالدين: وتستمر معه فترة طويلة ربما وصلت إلى أن تدخل معه صفة الغضب إلى القبر.

(٤) كون أحد الوالدين عصبياً: فيقلده الصغير عفواً فيكون مثله، خاصة التعصب الكروي.

(٥) عنف الأب في التربية، والتدليل: فهناك من يدلل بطريقة الأسود والقروء لا

طريقة البشر فيعود الصغير على طريقة (التصادم) ويجعله كثير الغضب سريعه.

(٦) الفشل في ناحية من نواحي الحياة: كالناحية التعليمية، أو الاجتماعية، أو

المادية، فتضيق نفس الصغير ذرعاً به حتى ينفس عن ذلك بطريقة الغضب.

(٧) عدم الاهتمام عاطفياً بالصغير.

(٨) الغيرة من حوله.

طريقة معالجة الغضب:

(١) اجتناب العصبية والغضب أمام الصغار: فالوالد مثلاً يعرف أن زوجته تثير

غضبه في بعض الأفعال كتأخير الطعام، أو إهمال بعض واجباتها، فعليه أن يتجنب إثارة المشاكل في هذا الجانب أمام الأولاد وأن يصطحب الزوجة لمكان مغلق، وليفعل فيها ما يشاء!! وليعلم أنه ما من بيت من البيوتات إلا وفيه نسبة الإهمال التي تزيد وتقل بحسب أخلاق الزوجة، فلا داعي للإثارة والغضب. وكذا تتوخى الأم الحذر في أفعالها، فتجنب ما يثير غضب الزوج.

(٢) اتباع تعاليم السنة المطهرة عند الغضب: ويكون هذا عن طريق الاستعاذة بالله

من الشيطان الرجيم كما سبق، وعن طريق تغيير وضع الصغير، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»^(١). وعن طريق الوضوء، ففي حديث عطية السعدي رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»^(٢).

(١) صحيح: أبو داود (٤٧٨٢) في الأدب وصححه الألباني هناك.

(٢) ضعفه الألباني في سنن أبي داود، ورمز له السيوطي (٨٣/١) في الجامع الصغير بالحسن.

(٣) التعامل مع الطفل الغاضب بهدوء وسكينة لا بانفعال وعصبية.

(٤) إشعار الابن بالحنان والعطف، وتحول الغيرة إلى منافسة شريفة.

(٥) التدرج في التخلص من الغضب: لأن الغضب جبلّة وطبع لو أردنا تخلص الطفل منها مرة واحدة لكنا كمن أراد نزع البثر بملعقة واحدة، ويقول الغزالي رحمه الله في هذه المسألة: «الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما»^(١).

والطباع منها ما يكون سريع الاستجابة، ومنها ما هو بطيء جداً عن ذلك، فإذا ما وجد الأب صموداً من الصغير وتمادياً في الغضب فلا يغضب هو تجاه ذلك، وإنما يبحث عن السبب الأصلي ويقتلعه من جذوره اقتلاعاً، وعليه الملاحظة، ثم الإعراض والصد بعد التحفيز ونحذر من السخرية من الصغير أو محاولة اتهامه بالسفاهة عند الغضب لأن ذلك سيزيد غضبه.

وخلاصة القول في علاج الغضب: صبر المربي على الطفل وإلا خسرتنا الطفل تماماً، وعدم الانفعال حتى لا نزيد الصغير غضباً إلى غضبه، مع تبيان عاقبة الغضب الوخيمة في الدنيا والآخرة.



(٧) الخوف وتخليص الصغير منه

تعريف الخوف وأنواعه:

الخوف ضد الأمن، وهو توقع مكروه أو فوت محبوب. وقيل: حذر النفس من أمور. وقيل: غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من سوء.

وقال الراغب: «الخوف توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب» (١).

والخوف يستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية، فمنه الخوف المحمود، ومنه الخوف المذموم، ومنه الخوف الفطري كما خاف موسى عليه السلام من فرعون فقال: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص: ٣٣). وكما خشى النبي ﷺ على نفسه لما نزل الوحي عليه كما في حديث عائشة المتفق عليه.

والخوف المحمود: هو الخوف من الخالق سبحانه الذي يجعله في وجل ورهبة من الله تعالى، فيصده عن الحرام، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥). وقال: ﴿وَأَيُّيَ فَارُهُونَ﴾ (البقرة: ٤٠). إلى غير هذه الآيات المرغبة في الخوف الذي جعله الله تعالى مع (الرجاء والمحبة) ثلاثة أسس لا يقوم الإيمان بغيرهن، ومن هنا فاز أصحابه يوم القيامة فوزاً عظيماً، وكذا وصى به النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ دخل على شاب عند الموت فقال له: «كيف تمعدك؟». قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف» (٢).

وهذا الخوف لطالما وصى به الصالحون وكانوا مثلاً فيه، وينبغي تعليمه لأبنائنا. أما الخوف المذموم: فهو الخوف من المخلوقات حتى تساوي مشاعر الخوف منهم

(١) التعريفات (٣٢٨/١) للجرجاني.

(٢) حسن: حسنه الألباني (٤٢٦١) في الزهد من سنن ابن ماجه ط - الرياض (ص ٧٠٦).

مشاعر الخوف من الله تعالى، فقد قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (العنكبوت: ١٠). وهذا لخلو النفس من معرفة ربها سبحانه، أو الإيمان بصفاته العلا وأسمائه الحسنى، وكنتيجة طبيعية لعدم وجود تربية عقدية توحيدية صحيحة سليمة، ولقد قال الله تعالى: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦).

والنفع والضرر إنما هما بيد الله تبارك وتعالى وهو (الجبار - المنتقم - شديد العقاب - القاهر - ذو البطش الشديد) إلى غير هذه الأسماء التي تبعث على الرهبة من عذابه وبطشه سبحانه، ثم تبعث على الاطمئنان من نصره للمؤمنين وجبر كسرهم.

وهذا النوع من الخوف ينبغي محاربته والقضاء عليه.

خوف الصغار من أي نوع؟

يتميز خوف الصغار عن الكبار بأنه خوف فطري يمكن التغلب عليه وتحويله إلى خوف محمود، ومن أمثلة خوف الصغار:

- الخوف من الحيوانات الضخمة بالنسبة له كالحصان أو الجمل أو الحمار.

- الخوف من القطة.

- الخوف من صعود المرتفعات، أو نزول الدرج.

- الخوف من أصحاب الوجوه الملونة أو الأغراب.

- الخوف من أصوات الحيوانات ليلاً.

- الخوف من الظلمات وهو القاسم المشترك بين جميع الصغار.

وحتى هذه اللحظة يمكن للجميع هزيمة الخوف داخل نفس الصغير.

الآباء قد يصبحون سبباً في إصابة الصغار بمرض الخوف:

نعم، هذه حقيقة، فقد تعودنا تطويع نفس الطفل لنا عن طريق تخويفه بهذه

الطرق:

أولاً: اختراع شخصيات وهمية تأكل الصغار وتلتهمهم: كأبي رجل مسلوخة، وأبي

غرارة، والعو، والسلعو، والبيع، والرجل العجوز، وهذه الأسماء الشيطانية التي

ابتدعها الحمقى والجهال لتخويف الصغار.

ثانياً: التخويف الدائم من الظلمة أو العقوبة بالوضع فيها: فيقول المربي: أتركك في الظلام. أو يطفئ المصباح ويهرب تاركاً الصغير يصرخ، أو يهدده: سأتركك وحدك في الظلام، أو يكون مع الصغير فيقول له: أنا خائف من الظلام، أو: اسكت ونام لآحسن حاجة تطلع لنا في الظلام!!

ثالثاً: حكايات وهمية عن شياطين وعفاريت ووحوش: وما أكثر هذا السفه في بيوتنا، خاصة الجدات المحترمات اللاتي يلقين الرعب في نفوس الصغار بمثل هذه القصص. رابعاً: مشاهدة أفلام الرعب: وقد سبق الحديث عنها.

خامساً: تخويف الطفل بشخص معين: كأصحاب البشرة السمراء- وعلم الله كم نحبهم ونحترمهم-.

سادساً: التخويف بالحيوانات: كقولهم: الكلب يأكلك، القطة تعضك.

سابعاً: الصراخ في وجه الصغير أو حمله في الهواء: ينبغي للوالد أن ينبه أهل البيت أن يجنبوا الولد الشعور بالخوف من احتمال السقوط من مكان مرتفع، أو الصراخ أمامه، فإن الطفل يولد مزوداً بكراهية هذه الممارسات والخوف منها، ويتجنب الأب ما اعتاده بعض الناس من قذف الطفل في الهواء ثم التقاطه مرة أخرى، فإن هذا نوع من اللعب يثير في نفس الولد الخوف، إلى جانب احتمال سقوطه على الأرض^(١).

ثامناً: خوف الأم خاصة من بعض الحشرات: كالفار، أو الصرصور، أو الوزغ (البرص)، فترى الحمقاء منهن تجاهر بخوفها فتصرخ وتعدو، وربما كانت سفية فتتخذ من هذا الموقف فاتح شهية للتدلل على زوجها!! ولا تدري أن المصيبة التي ستجنيها أعظم بكثير من مجرد إثارة الزوج.

علاج هذه الأسباب:

(١) عدم استخدام الألفاظ والروايات والأشكال التي تخيف الطفل: فلماذا لا نحكي

قصة الأنبياء والرسل بدلاً من قصة أبي رجل مسلوخة؟ ولماذا لا نُطمع الطفل في رحمة الله، أو نحفزه مادياً ومعنوياً بدلاً من تخويفه؟ ولماذا نسلمه للجواهر يعلمنه ويروين له ما يدمر حياته ويقتل شجاعته؟

(٢) إضاءة الحجرات بمصابيح خافتة: فتصبح الحجرة التي ينام فيها الطفل حجرة ذات أنوار خافتة لا هي مضيئة ولا هي مظلمة، وهذه الطريقة معمول بها في بلاد العالم المتحضر - كما يسمونه - هذا إن لم يكن الصغير قد تعلّم النوم في الظلام من البداية، فهو أنفع نوم وأكثر راحة، وتعويد الطفل عليه يبدأ منذ الولادة، فلا مانع من أن يصل إلى درجة التضايق من وجود إنارة في الحجرة.

(٣) إزالة أسباب الخوف: فمن الأشخاص: نقره منهم، ونعرفه أن بلالاً رضي الله عنه كان أسود اللون ومع ذلك رفع الله تعالى درجته، وأن لقمان كان عبداً حبشياً، لكن اللون ليس أساساً للتفريق بين الناس، أو الخوف منهم، مع طلب العون من الشخص الذي يخشاه الطفل عن طريق تقديم هدية للصغير، أو مداعبته، أو اصطحابه معه، مع الامتناع عن وجود أفلام الرعب كما سبق، ثم على الأم أو غيرها حتى وإن كان يخشى بعض الحشرات أن يخفي هذا الشعور ويطلب من غيره قتل هذه الحشرة، أو تعويد الصغير على ذلك منذ البداية.

(٤) تربية الخوف الصحيح داخل نفوس الصغار: مع تعليمهم أن الله تعالى هو سبحانه من نخشاه لا أحد سواه، وكيف كان المسلمون الأوائل يقتحمون الصعاب حسبة لله، لا يخشون أحداً إلا الله تعالى، مع التركيز على أن القوة المطلقة، والقدرة التي لا حدود لها إنما هي لله تعالى، ومن سواه عباد تتفاوت قدراتهم حسبما أراد الله تعالى لهم، لا كما يريدون هم بمن فيهم الجن والشياطين.

(٥) تدريب الصغار على الشجاعة منذ الصغر: وذلك من خلال تدريبهم رياضياً على صعود الجبال، وركوب الخيل، والسير في الطرق الصحراوية وغيرها.

(٨) الأنانية

الأنانية: حب الذات، وتحقيق وجودها، وتفضيلها على الغير. ويقترب معناها للغاية من الأثرة وهي: ترك الإيثار. والإيثار هو: تقديم الغير على النفس في النفع له، والدفع عنه، وهو من معاني الأخوة^(١).

وبمعنى أقرب: الأنانية هي: حب تملك الأشياء، فهي نوع من أنواع البخل واختلاس حق الآخرين والطمع فيه.

ولا خلاف بين الناس على أننا جميعاً قد جُبِلنا على حب الشهوات بما أباح الله تعالى لنا، فالكل يميل بفطرته إلى ما في الدنيا من الزينة التي قال الله تعالى عنها: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ (آل عمران: ١٤).

فالناس على اتفاق في أنهم جميعاً يحبون هذه الأمور المزينة لهم، ولكن الأنانية صفة رذيلة مكتسبة من المجتمع سببها خبث الطوية، وطمع النفس، أو الوراثة عن الآباء والأمهات والإخوة.

وقد حذرت السنة المطهرة من مثل هذا، فقال ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من مال لا تبغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(٢). قال النووي رحمه الله: «فيه- في فوائد الحديث-: ذم الحرص على الدنيا، وحب المكاثرة بها والرغبة فيها»^(٣).

فدَّمَ ﷺ اللاهين وراء الدنيا مخبراً بمآلهم، فمهما جمعوا وملكوا وحازوا وحصلوا؛ سيودعون القبر، فتمتلئ أفواههم من التراب، وعندها تنقطع أمانيتهم إلا

(١) التعريفات (٥٩/١) للجرجاني.

(٢) صحيح: البخاري (٦٤٣٩) في الرقاق، مسلم (١١٦/١٠٤٨) في الزكاة عن أنس رضي الله

عنه.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٥٩/٤) ط - دار الفجر للتراث.

من رجاء رحمة الله تعالى. فينبغي على العاقل ألا يكون لاهئاً وراء شهواته، هائماً في كل واحد يبحث عن تميلك الدنيا، وهي قليل من قليل، نعيمها قليل، ومتاعها قليل، وبقاؤها قليل، والناس جميعاً شركاء في هذا القليل، فحظه من القليل قليل!!

وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(١). فالعرض (بفتح العين والراء): هو متاع الدنيا، سمي كذلك لذهابه، والغنى المحمود: غنى النفس وشعبها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى^(٢)، ولو شرب الحريص كل نهر ما ارتوى.

أسباب الأنانية وحب التملك عند الصغير:

وبعد ظهور خطورة الأنانية وأنها تسبب جوعاً مادياً لا شبع له إلا مع دخول القبر، يتبين خطرهما الاجتماعي من خلال وجود شخص يريد الاستئثار بكل شيء لنفسه ليملكه هو وحده دون الآخرين، مما سيفضي بالجميع إلى هوة الحقد والحسد، فتبدأ مواجهة هذه الرذيلة مبكراً كما ووجهت أخواتها من الرذائل من قبل، ولكن لا بد أولاً من التعرف على أسباب هذه الظاهرة التي قد تتفشى بين الصغار إذا لم تُهذب.

(١) عدم تمييز الصغير؛ بل سيطرة الصبانية عليه: فالصغير إذا لم يرشد ويُعلم سار وراء غلمانته وصبانته، فهو يريد كل شيء لنفسه، ولا يدري تمييزاً أو فارقاً بين ما له وما ليس له، وهذا حتى سن السادسة كما يجزم علماء النفس بذلك، فهو يكثر استخدام (حاجتي) (بحري) (سريري) (لي) (حقى) (بتاعتي) فيكثر من ذكر ياء المتكلم، وهنا لا بد من توجيهه وترشيد هذه المشاعر بدلاً من طغيانها.

(٢) تأكيد الكبار على الأنانية: فبعض الآباء يفضل الذكر على الأنثى، وربما أخذ

(١) صحيح: البخاري (٦٤٤٦) في الرقاق، مسلم (١٠٥١ / ١٢٠) في الزكاة.

(٢) النووي على شرح مسلم (٤ / ١٦٠) ط - دار الفجر للتراث.

حق الأنتى فأضافه للذكر، وقد يكون الكبير من الصغار هو محور الاهتمام، فيُعطى كل شيء له، وهذا مما يربي الأنانية عند الكبير والشعور بالظلم عند الصغار. كيف نواجه هذه الرذيلة؟

(١) الأب يبدأ مع ولده في تأصيل مبدأ تحديد الملكيات من خلال تحديد ملكيات الولد أولاً، ليعرف ما له من أشياء، وما لغيره من ممتلكات فيحترمها ولا يتعدى عليها، فيُعرف الأب ولده ما يخصه من حاجيات كالملابس والألعاب وغيرهما من خصوصياته، ويحاول أن يفهمه أن هذا له يتصرف فيه كيف شاء، ويفضل أن تكون تلك الممتلكات في حجرة خاصة به دون غيره، أو في خزانة تخصه وحده، وبهذه الخطوة يكون الأب قد حدد للولد وأفهمه حدود ملكياته الخاصة، ويكون الولد نفسه قد فهم ذلك، حيث قد وضعت أدواته وما يخصه في مكان يعرفه ويمكنه التصرف فيها كما يجب، فإن حدث أن تعدى أحد إخوته على ممتلكاته، وحاول أن يأخذ منها شيئاً، فبرز له الولد ومنعه، فإنه بذلك يكون قد علم فعلاً حدود ممتلكاته وحاجاته الخاصة، وأنه ليس لأحد أن يأخذ منها إلا بإذنه وموافقته، فإن حاول هو نفسه أن يتعدى على خصوصيات أحد إخوته فمُنِع، فإن ذلك يكون بمثابة درس عملي يعرف به الولد حدود ممتلكاته، ويعلم أنه ليس له حق في ممتلكات غيره، كما أنه ليس لغيره حق في خصوصياته وما يملك، ويحاول الأب قدر المستطاع أن لا تكون ألعاب الأطفال مشاعة بينهم دون تحديد أصحابها؛ لئلا يفقد الطفل معرفة ما له وما ليس له (١).

(٢) ويعمل الأب أو المربي عموماً على إعطاء صغيره (مصرياً) يكون له - بلا إسراف بالطبع - لينفق منه على رغباته الخاصة غير الجامحة، حتى لا يتعدى على حقوق الآخرين.

(٣) تعريفه بالعدل والمساواة، وأنه لا أحد فوق العدل، ويعيش الأب حياته مساوياً بين أولاده غير مفضل لأحدهم على الآخر في العطية.

(١) انظر محمد كامل عبد الصمد (ص ١٢٧) (طفلك الصغير هل هو مشكلة؟).



(الرفق، والرحمة، والرافة)

وهذا نموذج تعليمي لهذه الصفات:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»^(١). وقال ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»^(٢).

الرفق والرحمة صفتان كريمتان نادى بهما الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، والإنسان الرحيم هو رفيق القلب الذي يفعل الخير دائماً، وقد سمي الله عز وجل رسوله ﷺ فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فالرحمة خلق رفيع لا يتصف به إلا المؤمنون فقط، وقد قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَتَوْكُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩). فلو كان النبي ﷺ غير رحيم - أي: غليظ القلب - لما تجمع الناس حوله، ولكنه ﷺ كان ليناً - أي: رحيماً - أحبه الناس حتى قال الله عز وجل فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ومن أسماء الله تعالى وصفاته: (الرحمن الرحيم، والرفيق، والرءوف) وكل الكائنات تعيش برحمة الله، وتحيا في ظلالها.

نماذج من الرحمة والرفق:

(١) الرحمة بالإنسان: وقد كان النبي ﷺ هو أرحم راحم على وجه الأرض، فقد كان قلبه رقيقاً يفيض بالرحمة ﷺ، يُعامل المسلمين بالرحمة، وينبض قلبه بالحنان، يُعامل الكل برحمته الكبير والصغير، والمؤمن والمشرک، فقد كان واسع الصدر، ضربه الكافر حتى سال الدم على وجهه الكريم ﷺ وهو يبكي، فلما نزل عليه جبريل عليه السلام يقول له: لو شئت لأهلكهم الله. فقال ﷺ: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وجاء أعرابي من البدو، والأعراب هؤلاء اشتهروا بالقسوة وغلظة القلوب، فإذا بالأعرابي يقول: يا محمد أعطني من المال، فهو مال الله، ليس من مالك ولا مال أبيك. ثم جذب^(١) النبي ﷺ من ثيابه جذبةً أثرت في عنقه^(٢) الشريف، وقام الصحابة ليقتلوا هذا الأعرابي، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اتركوه». فقال الأعرابي: إنك يا محمد تجزي السيئة بالحسنة. فوحى النبي ﷺ، وعفا عنه، وصدق من سمّاه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وكان رسول الله ﷺ يحب الأطفال الصغار ويُقبلهم، وقد جاءه رجل فوجده يُقبل طفلاً، فقال: إن لي عشرة من الأطفال لم أقبل منهم أحداً قط. فقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله، من لا يرحم الناس لا يرحمه الله». وقال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا».

الرفق بالحيوان:

وقد وصّى رسول الله ﷺ المسلمين أن يرفقوا بالحيوان ويرحموه، فلا يُجوع الحيوان، ولا يُضرب أو يُظْمَأ ويُعطش، ولا يُحبس حتى يموت.

وفي إحدى أسفار النبي ﷺ نزل المسلمون وادياً ليرتاحوا فيه، فجاء رجل من المسلمين ببيضة لطائر، وهذا الطائر هو (الحُمْرة)، فجاء الطائر يرفرف بجناحيه فوق رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «أيكم أخذ بيضتها؟». فقال الرجل: أنا يا رسول الله أخذت بيضتها. فقال ﷺ: «اردها رحمةً لها».

وجاء جملٌ يكي بين يدي النبي ﷺ، فكلّمه^(٣) النبي ﷺ وقال لصاحبه: «إن هذا الجمل يشكو كثرة العمل». فرحمه صاحبه بعد ذلك.

وحكى لنا رسول الله ﷺ عن رجل كان يمشي في الطريق، فاشتد به العطش، فوجد بئراً، فنزل فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى^(٤) من شدة العطش،

(١) جذب: شدّ.

(٢) عنق: العنق هو الرقبة.

(٣) هذه معجزة لرسول الله ﷺ.

(٤) يلهث: يخرج لسانه من شدة العطش. الثرى: التراب المبلل بالندى أو بماء البئر.

فنزل الرجل إلى البئر وملاً خفلاً^(١) ماءً ثم أمسكه وسقى الكلب، فغفر الله للرجل.

وعلمنا النبي ﷺ أن نرحم الحيوان إذا ذبحناه بفعل الآتي:

- ١- إراحة الذبيحة وإبعادها عن السكين.
 - ٢- إحسان الذبيحة يعني إسراعها.
 - ٣- أن تكون السكين حادة فلا يشعر الحيوان بالألم.
 - ٤- لا يذبح الحيوان أمام أمه أو أي حيوان آخر.
 - ٥- لا تعطش الحيوانات، ولا تحبس أو تجوع حتى الموت.
 - ٦- وأخبرنا النبي ﷺ عن امرأة دخلت النار في هرة^(٢) حبستها حتى ماتت من العطش والجوع، فلا هي تركتها لتشرب، أو أطعمتها، أو تركتها ولم تحبسها.
- وهذه هي أخلاق الإسلام، فقد كانت الرحمة هي صفة النبي ﷺ، وصفة الصحابة جميعاً من بعده، فلا بد من التحلي بها.

جزاء القسوة:

وقد اتضح لنا جزاء القسوة وغلظة القلب:

- ١- فغليظ القلب لا يدخل الجنة لأن الله تعالى لا يُحبه.
- ٢- ويكرهه الناس، وينفرون- أي: يبتعدون- عنه،
- ٣- ولا يرحم الله عز وجل من لا يرحم الناس.

جزاء الرحمة والرفق واللين:

- ١- حُب الله عز وجل ودخول الجنة.
- ٢- يرحمه الله عز وجل ويقربه منه.
- ٣- يُحبه الناس، ويقترّبون منه، ويودونه.
- ٤- يكون متشبهاً برسول الله ﷺ وصحابته.

(١) خُفّه: حذاءه.

(٢) هرة: قطة.

من مظاهر الرحمة في المجتمع:

- ١- رحمة الأطفال الصغار وعدم القسوة عليهم.
- ٢- رحمة اليتيم والعطف عليه.
- ٣- رحمة الكبار من الناس، فلا يجلس الشاب أو الشابة، ويقف الشيخ الكبير أو المرأة لا تتحمل الوقوف.
- ٤- رحمة الوالدين عند كبر سنهما.
- ٥- والدعاء لهما بالرحمة بعد الموت: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).
- ٦- رحمة الحيوان وعدم تعذيبه وإيذائه.





الحقوق والواجبات التي يجب أن يتعلمها الصغير

- ١- حق الوالدين .
- ٢- حق العلماء .
- ٣- حق الإخوة .
- ٤- صلة الأرحام .
- ٥- الأخوة والصداقة .

تعليم الصغير بر والديه

الأخلاق مع الوالدين

يتحدث القرآن صراحةً عن بر الوالدين موصياً الأولاد بحفظ آبائهم في أنفسهم، وأموالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، فيقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤) .

ويقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨) .
وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤) .

فالوصية هنا بالآباء لا بالأبناء، فقد سبق في علمه سبحانه أن الجفوة والعقوق يحدثان في أغلب الأحوال من الأبناء تجاه الآباء والأمهات، لذا جاء الأمر بالبر بعد ذكر التوحيد مباشرة ليكون أكد في الوجوب، وأشد في الوزر لمن عقوق والديه .

ولو نظرنا إلى سورة لقمان لوجدنا لمحة طيبة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ...﴾ (لقمان: ١٣) . ثم قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ (لقمان: ١٤) . فعاد الكلام إلى الله تعالى .

إن لقمان يعظ ابنه وكان من المفترض أن يقول له: «وأوصيك بي وبأهلك»، لكن هذا لم يحدث، وإنما تولى الله تعالى الوصية بالوالدين ليقول لكل الأبناء: إن الوصية بالوالدين مصدرها ليس لقمان ولا غيره، إنما مصدرها الإرادة الإلهية العليا التي لا يعصى لها أمر، ولا يرد لها واجب مهما كانت الظروف والملابسات .

ولو جاءت الوصية على لسان لقمان لقال بعضهم: رجل يوصي ولده بنفسه، فقطع الله تعالى الألسنة قبل أن تشدق بما يخالف الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

إننا لو سألنا أي أب في الوجود سؤالاً واحداً تتعدد صيغته فقلنا: لماذا تقاسي الشدائد؟ لماذا تركب الصعاب؟ لماذا تضحي براحتك؟ سيكون الجواب كل مرة واحداً: من أجل أبنائي ومن أجل راحتهم. حتى تعارف الناس على أمر واحد؛ ألا وهو: أنه لا أحد في هذا الوجود يتمنى لإنسان أن يكون خيراً منه إلا الوالدين يتمنيان لولدهما هذا.

ومقابل التضحيات التي يقدمها الآباء للأبناء، فهم لا يريدون منهم إلا ابتسامة في الصغر، وصحة في البدن، ونجاحاً وفلاحاً في الحياة، فمرحلة عطاء الوالدين لابنهما تستمر حتى الممات، ومن هنا كان التحذير من عقوق الوالدين، والوصية ببرهما.

والبر هو: ضد العقوق (١)، ومعناه: الإحسان وصلة الوالدين.

وقال النووي: «هو الإحسان وفعل الجميل معهما، وفعل ما يسرهما».

والعقوق هو: ضد البر، ومعناه: قطع الوالدين وعدم صلة رحمهما (٢).

وقال ابن الجوزي: «هو مخالفة الوالدين فيما يأمران به من المباح، وسوء الأدب في القول والفعل». وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» (٣).

ويحذر ﷺ من العقوق فيجعل من الكبائر كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله». قال: ثم ماذا؟ قال: «ثم عقوق الوالدين». قال: ثم ماذا؟ قال: «ثم اليمين الغموس» (٤). إلى غير هذه الأحاديث التي تحذر من العقوق، وتأمر بالبر.

(١) لسان العرب (٥٣/٤).

(٢) السابق (٢٥٦/١٠، ٢٥٧)، والبر والصلة (ص ٦٨) لابن الجوزي.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٤)، مسلم (٨٥).

(٤) صحيح: البخاري (٦٧٥) و (٦٨٧٠) و (٦٩٢٠).

ويجعل ﷺ الابن أعجز ما يكون عن أن يوفي والديه حقهما، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»^(١).

وُسأل معاذ بن جبل رضي الله عنه عن حق الوالدين على الولد فيقول: «لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما»^(٢).

فهذا حق عظيم ينبغي أن يؤدي على وجه الكمال، وللأم نصيبها الأكبر من البر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ جاء رجلٌ فقال: يا رسول الله؛ مَنْ أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أُمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أُمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أُمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أُمك»^(٣).

وهذا معناه: أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وذلك: لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع. فهذا تنفرد به الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية^(٤).

وأزيد سببًا رابعًا ألا وهو: أن الأم أنثى ويغلب عليها دائمًا حال الضعف، أو التنازل عن بعض الحقوق، أمَّا الوالد فهو قوي ويمكنه إرغام أبنائه على بره ولو قسرًا.

وإذا كنا نتحدث عن بر الآباء، فينبغي أن ننوه عن بر الأبناء بحسن التربية وأداء حقوقهم كما سبق، حتى تظفر بما تشاء وتتمنى من بر أبنائك لك، وإلا عقوك كما عقتهم.

كيف نربي صغارنا على معرفة حقوق الوالدين؟

كما سبق علمنا أن التربية الصالحة عليها المعول في تعليم الصغير بره بأبويه، وإلا كنا كمن زرع شوكًا ليحصد دماءً، والقاعدة تقول: كما تدين تُدان، فهناك ضوابط

(١) صحيح: مسلم (١٥١٠) في العتق.

(٢) أحمد في الورع (ص ١٠٥، ١٠٦).

(٣) صحيح: البخاري (٥٩٧١)، مسلم (٢٥٤٨).

(٤) فتح الباري (١٠/٤١٦).

لا بد من معرفتها وترسيخها داخل نفوس الوالدين قبل الأبناء وهي كالآتي:

(١) أن يكون الأبوان بارين بآبائهما: وهذه قضية في منتهى الخطورة، فالأب العاق لن يرزق إلا بمثله، وهذا الذنب تحديداً- عقوق الوالدين- تُعَجَّلُ عقوبته في الدنيا، وهو مرثي في أحوال الناس وحياتهم. يقول كعب الأحبار: «والذي نفسي بيده إن الله ليعجل أجل العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيد برّاً وخيراً» (١).

والأب العاق لوالديه لن يرزق بابنٍ بارٍّ، نحلف على ذلك إلا إذا شاء الله تعالى أمراً آخر، وكذا حال الأم العاقّة التي لن ترزق إلا بمثلتها.

وعن ثابت البناني رحمه الله قال: «روي أن رجلاً كان يضرب أباه في موضع، ف قيل له: ما هذا؟ قال الأب: خلّوا عنه فإنني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك، ولا لوم عليه».

ويقال: من عصى والديه لم ير السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته (٢). فعلى الوالد أو الوالدة إن ابتلي أحدهما بهذا الداء أن يتوب إلى الله تعالى وأن يستغفره، وأن يذهب إلى من بقي من والديه يسترضيهما لئلا يعاجل بهذه العقوبة في الدنيا.

ونحذر من أن يكون العقوق بمرثي من الصغار، فيرد الوالد على والده (الجد) أو الأم (الجدّة) أو يعقهما أمام صغيره قولاً وفعلاً، فهذا مما ينبت في قلب الصغير العقوق.

وقد روي أن رجلاً كان يؤوي أباه في بيته فلا يطعمه إلا في طبق خشبي، فسأله ولده عن سر الطبق الخشبي، فقال: إن جدك رجل كبير وأخشى إن أحضرت له طبقاً من خزف أو زجاج أن يكسره. فقال الصغير: إذن احفظ لي هذا الطبق حتى إذا كبرت أطعمتك فيه!!

(١) الكباثر (ص ٢٦) للإمام الذهبي رحمه الله.

(٢) هذا والسابق في تنبيه الغافلين (ص ٦٩) للسمرقندي.



(٢) أمر الصغير بما يطيق وبما لا مهانة فيه: يقول السمرقندي رحمه الله: «وروي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه بأمر، وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره، فسُئل عن ذلك فقال: إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني فيستوجب النار، وأنا لا أحرق ابني بالنار»^(١).

وهذا فهم راقٍ من السلف رحمهم الله في مسألة البر، ويؤكد ذلك خارجة بن معصب إذ قال للأباء موضحاً كيف يحملون أبناءهم على برهم: «يعطيه، ويحسن إليه حتى يبهر».

ويقول الغزالي رحمه الله: ومساعدتهم حتى يكونوا بارين به غير عاقين له، فيقول: «يعينهم على بره، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم، ولا يمنعهم من طاعة ربهم، ولا يمن عليهم بتربيتهم». فالوالد لا يشتد مع ابنه، ويختبر طاعته له بالامتحانات الشاقة، كأن يمنعه النوم في بعض الأوقات لإتمام عمل غير مهم، أو يكلفه من أعمال البر والملاطفة وخفض الجناح ما يلغي شخصية الولد ومكانته، كأن يغضب إذا نسي الولد أن يقبل يده، أو سها أن يهين له مجلسه، أو يقرب له حذاءه؛ بل يحاول الأب أن يتغافل عن بعض زلات الولد، ولا يعاقبه إلا على الواجبات إن قصر فيها، أو الأخطاء الكبيرة، كأن يُسيء الأدب معه، أو يرفع صوته في وجهه، أو يقل أدبه مع الأم أو الجد أو الجدة.

إن هذه الأعمال التي لا يطيقها الصغار معنوياً لا تتسبب إلا في إذلالهم ومهانتهم، وإضعاف شخصيتهم، وتربية الذل فيها، والمسلم بعيد النظر يرى ببصيرته وبصره، وهو مشفق على ولده حانٍ عليه، فليفكر ألف مرة في الأمر قبل أن ينطلق به لسانه، فرحم الله رجلاً أعان ولده على برّه.

فهل من المعقول أن نقول للصغير: من أجل أن نحبك أترك اللعب ونم، في وقت يحب هو اللعب فيه؟ أم هل يترك اللعب للعمل لتغثال طفولته وبراءته ويشيخ قلبه قبل الأوان؟

اسأل نفسك أيها الأب المسلم، وأنت أيتها الأم المسلمة: ما جدوى ما أمر به الصغير؟ وماذا سترتب عليه؟ وما هو نفعه أو ضرره؟ ثم قرر بعد ذلك ما تشاء.

(٣) الاهتمام بتربيته وتعليمه: فإن الجهل داء فتاك، ولو ترك الصغير بلا توصية وتعليم وحسن تعهد لكان الجهل وحده كفيلاً بقتل قلبه، وخنق صوت الحياة فيه، يحكي أبو حفص البيكندي - من علماء سمرقند - أنه قد أتاها رجلٌ فقال: إن ابني ضربي وأوجعني!! فقال البيكندي: سبحان الله، الابن يضرب أباه!! قال: نعم، ضربي وأوجعني. قال: هل علمته الأدب؟ قال: لا. قال: فهل علمته القرآن؟ قال: لا. قال: فأى عمل يعمل؟ قال: الزراعة. قال البيكندي: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال الرجل: لا. قال: فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه، والكلب من خلفه، وهو لا يحسن القرآن فتغنى، وتعرضت له في ذلك الوقت، فظن أنك بقرة فضربك، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك (١).

أفرايت ما يفعل الجهل بأهله؟ هكذا أراد هذا الفقيه أن يوصل إلى من وراءه ما يفعل الجهل وإهمال التعليم بالناس، فمن باب أولى تعليم الصغير وإحسان تربيته ليفهم بعد ذلك ما ينبغي عليه فعله.

وهذه القضايا والحقوق لا يمكن أن يفهما الولد الصغير، ويدرك أبعادها من خلال التوجيه والإرشاد النظري فقط، خاصة إن كان الولد دون سن التمييز؛ بل إن الإرشاد العملي التطبيقي أمام الولد أكبر تعليم، وأفضل بيان؛ فالولد الذي يقبل والده ووالدته في يديهما ورأسيهما أمام نظر الولد، يُعلّم الولد هذا الفعل ويدربه عليه عملياً، كما أن الظهور أمام الوالدين بمظهر الذل والخضوع لهما، وتنفيذ أمرهما وتوقيهما، كل هذا يوقع في نفس الولد عظم منزلة الوالدين ومكانتهما.

كما أن تعريف الولد بحق والديه، وأن رضاهما من رضا الله عز وجل، وأن غضبهما من غضبه سبحانه وتعالى، يُحيي في قلبه الخشية من العقوق، كما أن

تعريف الولد وإطلاعه على أجر بر الوالدين ومنزلته عند الله، وأن جزاء الجنة، وأن عصيانهما سبب لمقت الله ودخول النار، له دوره أيضاً في تركيز معاني بر الوالدين في نفسه، فيعيش الولد بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب، فإن عصى أو عاند ذُكر بذلك، ليراجع نفسه، ويقطع عن خطئه.

ولتعريف الولد جهد والديه معه، وما قدماء من الخدمات الجليلة له في حضانته وتربيته عندما كان صغيراً لا يعقل، فإن الأب يلفت نظره إلى المعاناة التي يلقاها الوالدان مع أخيه الرضيع، وكيف تسهر الأم تطعمه وتنظفه، وإن مرض لم تفارقه حتى يبرأ، وكيف أن الوالد يسارع بحمله إلى المستشفى لعلاجها عندما يشعر بوعكة أو ألم. كل هذه المواقف يشعر بها الولد المميز ليدرك عظم حق والديه، والجهد الذي قدماه له، فيحس في نفسه بواجب الشكر والتقدير على هذه الفضائل الأبوية العظيمة.

وللقصة وقعها في نفس الولد، فإن الأطفال يحبونها ويتأثرون بها، فيمكن للوالد اختيار بعض القصص التي تبرز جانب بر الوالدين، وكيف كانت عاقبة العاق لوالديه حيث قيض الله له من ولده من يعقه عند كبره فلقى جزاءه بالمثل، كما أن الولد الطائع لوالديه، البار بهما سخر الله له من ولده من يبر به ويطلب رضاه، فكان جزاؤه بالمثل للمحسن الإحسان، وللمسيء الإساءة، وعند سرد القصة يكثر الأب من الثناء على الطفل البار، ويذم الطفل العاق، لينقع في نفس الولد حب هذا ويغض الآخر.

ولما كانت منزلة الأم عظيمة تفوق منزلة الأب، فإن توجيه الولد لأخذ رضا الأم أمر هام، فيأمره الأب أن يقبل يدها في كل صباح ويسلم عليها، وفي بعض الأوقات والمناسبات يقترح عليه أن يهدي والدته هدية مناسبة، فيعطيه بعض النقود ليختار لها هدية تناسبها، ويحاول الأب أن يوجد في نفس ولده التعظيم للوالدة ويبين له حقها ومنزلتها، وينبهه على ذلك دائماً، كأن يقول له: هل أغضبت أمك اليوم؟ ماذا فعلت اليوم لتكسب رضاها؟ هل دعوت لها؟ وهكذا، يتابعه في ذلك ليشعر ويحس بمنزلتها.

ولا شك أن الوالدة أيضاً مأمورة ومدعوة لتعظيم حق الوالد في نفس الأولاد، وإبراز دوره، وإيجاد المهابة له في قلوبهم على أن يكون ذلك في غير رعب أو شدة أو قسوة، فإن قصرت في ذلك ذكرها الأب ونهها.

ويحاول الأب قدر المستطاع أن يجنب أولاده سماع النزاع أو الشجار بينه وبين الأم، فإن هذا يؤلمهم، إلى جانب أنه يُضعف الثقة بهما، لما يرونه من التناقض بين التوجيهات التي يصحونها منهما، وبين سلوكهما تجاه بعضهما البعض.

وهذا نموذج عملي يمكن تعليمه للصغار:



بر الوالدين

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بصحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك»^(١). وقال ﷺ: «رغم أنف»^(٢)، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة»^(٣)

فضل الآباء والأمهات:

لو سألنا كل أب وأم في هذه الحياة فقلنا: لماذا تُضحى من أجل أولادك؟ لماذا تترك منزلك، وتُضحى براحتك، وتُقاسي في الحياة؟ سيكون الجواب واحداً في كل الحالات: نحن نتعب ونشقى من أجل أبنائنا، ليكونوا سعداء في حياتهم، وسعداء في دراستهم وأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨). وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ

(١) متفق عليه

(٢) رغم أنف: دعاء من الرسول ﷺ على من لم يُطع والديه، ومعناه التصق أنفه بالتراب، وأدرك: لحق، الكبر: الشيخوخة والعجز.

(٣) رواه مسلم.

لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (الإسراء: ٢٣، ٢٤)

لقد عَرَفَ اللهُ تعالى أن الآباء يعانون في حياتهم من أجل الأبناء، فالأم تتحمل المشاق والمتاعب فهي التي تتحمل آلام الحمل والولادة، ومشاق الرضاعة كما قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا^(١) عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ^(٢) فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤).

هي التي حملت الجنين الذي كان يشاركها طعامها، فكانت ضعيفة الجسد والبدن، ولكنها تحملت حين أحسَّت أن ولدها هو الذي يأكل طعامها، ولو أخذ روحها لأعطته هذه الروح هدية منها، ثم راحت تُرضعه عامين كاملين، وترعاه صغيراً وهو الذي لا يملك من أمره شيئاً، فالطفل يبكي وهو صغير، ولا يستطيع المشي أو الكلام فترعاه، وتسهر الليالي طويلة بلا نوم أو راحة حين يبكي صغيرها، وهي التي تسيل دموعها على خديها إذا أحسَّت أن صغيرها مريضاً، فلا تدخر جهداً لراحته، ثم يأتي دور الأب الذي يسعى ويعمل ويجتهد من أجل توفير الحياة الكريمة لأبنائه الصغار فهو سر الوجود للطفل بعد الله عز وجل.

وحينما يكبر الأطفال ينسون هذه الأفضال والنعم، ويبخلون على الوالدين حتى بالنعم، ونذكر الصغار من الآن بهذه الأسئلة:

- مَنْ الذي حملتك في بطنها تسعة أشهر؟
- مَنْ التي تحمَّلت آلام الولادة والوضع وكادت تموت من أجلك؟
- مَنْ التي أرضعتك من لبنها عامين كاملين؟
- مَنْ الذي سهر الليالي، وضجَّ براحته من أجلك ليوفر لك الطعام والكساء^(٣)؟

- مَنْ الذي إذا مرضتَ ذهب بك للطبيب، واشترى لك الدواء، وفارقت البسمة وجهه حتى يشفيك الله من مرضك؟

(١) وهناً: الوهن: الضعف.

(٢) فصَّاله: فطامه بعد الرضاعة.

(٣) أي الغطاء والملابس.

إننا لا نشعر بقيمة الأب أو الأم إلا إذا فقدنا أحدهما، فأكرم والديك يكرمك الله عز وجل.

قصة عجيبة:

وقد ذكروا قديماً أن رجلاً كان عاقاً^(١) لوالدته، ومُحباً لزوجته، ومرضت زوجته ذات يوم، فقال الطبيب: لابد من قلب جديد لزوجتك. فذهب هذا الرجل القاسي إلى أمه فقتلها، واستخرج قلبها، ثم حمّله على يده، وفي الطريق عثر هذا الرجل بحجر، فأوشك على السقوط، فناداه قلب أمه: احترس يا ولدي من الوقوع. فيا للعجب، ويا للحنان والروعة!!

حقوق الوالدين:

وقد جعل الله تبارك وتعالى حقوقاً للوالدين، فمنها:

- (١) الطاعة لهما في الصَّغَر والكِبَر.
- (٢) الإحسان إليهما كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).
- (٣) إكرامهما، وتقبيل أيديهما، واحترامهما، وتوقيرهما.
- (٤) عدم إجهادهما بكثرة الطلب، وكثرة السؤال.
- (٥) تقديم الأب والأم على الناس، فإذا أراد المسلم أن يهدي هدية فليهد لوالديه أولاً.
- (٦) الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، ويدعو الإنسان لهما قائلاً: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).
- (٧) عدم التضجر منهما ولو بكلمة: ﴿أَفِ^(٢)﴾ (الإسراء: ٢٣).
- وهي كلمة مكونة من حرفين، ولو كان في اللغة كلمة أقل منها لقالها القرآن.
- (٨) مناداتهما بـ(أبي) و(أمي) ولا تقلد مثل أولئك الذين ينادون آباءهم (يا فلان) و(يا فلانة) فهو سوء أدب معهما.

(١) عاقاً: لا يؤدي حق أمه، فيضربها ويشتمها.

(٢) أف: هي كلمة تُقال عند الضجر والملل.

(٩) المبالغة في احترامهما، فقد كان أحد الصالحين لا يأكل مع أمه، فسأله الناس عن ذلك، فقال: إنني أخاف إذا أرادت هي طعاماً أن أسبقها إليه، فأحرمها منه، فأكون عاقاً لها.

(١٠) الحرص على رضاها، وعدم إغضابها.

ولقد مدح الله عز وجل يوسف^(١) عليه السلام فقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (يوسف: ١٠٠). ومدح إسماعيل^(٢) عليه السلام حين قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢). ومدح عيسى^(٣) عليه السلام فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ (مريم: ٣٢).

وخرج رجل للجهاد في سبيل الله، وترك أبويه - والديه - فبكيا، فقال له النبي ﷺ: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما».

ماذا يفعل من مات والداه؟

وقد يموت الوالد أو الوالدة، أو يموتان معاً، وهنا يجب على المسلم أن يفعل بعض الأمور، ومنها:

١- الإكثار من الدعاء لهما، والاستغفار لهما، فالله عز وجل يرفع درجاتهما في الجنة بكثرة الاستغفار.

٢- إخراج الصدقات لهما بعد الموت.

٣- أن يبر الإنسان صديق والده أو صديقة أمه.

٤- أن يصل رَحِمَ أبويه، فيزور عمه وعمته ويكرمهما، ويزور خاله وخالته ويكرمهما.

وقد أمر النبي ﷺ من ماتت أمه أن يكرم خالته.

هل نستطيع أن نرد فضل الوالدين؟

وبعد أن نؤدي هذه الواجبات، هل نحن بذلك نكون قد رددنا الفضل لوالدينا؟

لقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد حملت أُمِّي على

كتفي، ثم حجبت^(١) بها، فهل أكون جزيتها- رددت لها الفضل-؟ فقال النبي ﷺ: «لا، ما جزيتها ولو بطلقة». والطفلة هي جزء من الألم الذي تجده الأم عند الولادة، والرجل قد حمل أمه على كتفه، فحجج بها- أي: طاف حول الكعبة- وسعى بين الصفا والمروة، ووقف بها على جبل عرفة، وقام بمناسك الحج كلها وهي على كتفه، وأطعمها وسقاها، وأعانها في كل أمورها ومع ذلك فقد عجز عن أن يوفيهما ولو بجزء واحد من الألم الذي كانت تتأله عند الولادة.

وقال النبي ﷺ: «لا يجزي والد والدته إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه». أي: أن الابن لا يستطيع أن يرد فضل والده عليه إلا في حالة واحدة فقط؛ حين يراه عبداً يُباع ويُشترى، فيشتريه ثم يُحرره من الرق والعبودية، فمنّ متاً يستطيع أن يرد هذا الفضل الكبير؟ ومنّ متاً يستطيع أن يُوفي والديه حقهما أو جزءاً منه؟ فلنطع والدينا، فمن أطاعهما دخل الجنة، ورضي عنه الله تعالى.

جريمة عقوق الوالدين:

ويرتكب بعض الأبناء جريمة كبرى وهي (عقوق الوالدين)، والعقوق عكس (بر الوالدين)، فتراه جاحداً لهما، لا يطيعهما، وربما شتمهما، أو امتدت يده الآثمة فضربهما، أو ترك أباه وأمه وهما محتاجين إليه، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن هذه الجريمة الفظيعة فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر^(٢)؟ الإشرak بالله، وعقوق الوالدين». وقال: «من الكبائر شتم الرجل والديه». فقالوا: كيف؟ وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم؛ يسب^(٣) أباه، فيسب أباه وأمه». ومعنى الحديث: أن الرجل يشتم صاحبه فيقول له: يا ابن كذا، فيقول له: أنت ابن كذا، ويرد عليه السب والشتيمة. وهي جريمة كبرى وعظيمة عند الله عز وجل، لا يفعلها إلا العصاة، أما المؤمنون فألستهم طاهرة من مثل هذه العيوب والكلمات. وقال ﷺ: «إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات».

(١) حجبت: أديت فريضة الحج.

(٢) أي أعظم الذنوب والآثام، وأنبئكم: أخبركم.

(٣) يسب: يشتم.

ومن مظاهر عقوق الوالدين:

(١) أن يعصي الولد والديه فلا يطيعهما في أي أمر، أو يطيعهما فيما يحب، ويعصيهما فيما يكره، فيتعبهما ويجهدهما: فبعض الأبناء يفضل النوم والراحة على مساعدة أبيه وأمه، وبعضهم يفضل مشاهدة التلفاز على مساعدتهما.

(٢) يتسبب بعض الأبناء في إحزان أبويهما، من خلال الرسوب في الدراسة، أو التسبب في المشاكل الكثيرة لهما، أو عصيانهما فيما يأمرانه به.

(٣) وبعض الأبناء ربما عامل أبويه معاملة قاسية، وتسبب في غضبهما.

(٤) وبعضهم سليط اللسان، يسب أباه وأمه.

(٥) وقد يكون مجرمًا فتتطاول يده لتتال من أبيه أو أمه.

(٦) وبعض الأبناء قد يتخرج من إظهار مهنة أبيه، ويخجل من عمل أمه، وهو لا يفهم أن أباه لو كان يملك نجوم السماء لجعلها في يده، وإنما يعمل من أجله هو.

(٧) وآخرون يرفعون أصواتهم على آبائهم أو أمهاتهم.

(٨) وكثير من الأولاد يحب صديقه أو أقاربه أكثر من أبيه وأمه، ويكثر الهدايا

لهم، وينسى والديه.

(٩) وقد ينسى البعض أبويه بعد الممات فلا يدعوا لهما، أو يخرج عليهما الصدقات.

(١٠) وبعض الأبناء يبخل على أبويه بالمال، ويكون أنانيًا لا يحب إلا نفسه.

(١١) وآخرون يرهقون آباءهم وأمهاتهم بكثرة الطلب والأوامر.

جزاء عاق والديه:

حكى الناس قديمًا أن رجلاً كان يضرب أباه، ويشده من ملابسه حتى يصل إلى دكان رجل يبيع الطعام، فلما كبر هذا الرجل، ومات أبوه، نظر صاحب الدكان فرأى عجبًا: لقد جاء الرجل الذي كان يضرب أباه، ولكن هذه المرة جاء معه ولده، ويا للعجب! لقد كان الولد يضرب أباه كما كان يفعل مع جده، فلما وصل الولد بأبيه إلى دكان الرجل صاح فقال: كفى يا ولدي، إن أباك جرّ جدك إلى هنا فقط، فلا تزد على ذلك.

وكان رجلٌ غنيٌ عنده ولدٌ صغير، وكان له أب كبير في السن وهو جد ولده، فكان الرجل يضع الطعام لأبيه في إناء^(١) خشبي، فسأل الولد الصغير أباه فقال: يا أبي لماذا تضع الطعام لجدي في هذا الطبق الخشبي؟ فقال: إن جدك كبير، ونخشى أن يكسر أطباقنا الغالية الثمن. فقال الولد: إذن يا أبي احفظ الطبق الخشبي حتى أقدم لك فيه الطعام وأنت في سنّه.

وهكذا من يحصد الشر يزرع ندامة، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان. وأخبرنا رسول الله ﷺ: «أن كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يُعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات». فكل الذنوب التي يرتكبها الإنسان يغفرها الله له، أو يحاسبه عليها في الآخرة، إلا عقوق الآباء والأمهات فلا بد من تعجيل العقاب وسرعته.

ماذا يفعل عاق والديه إذا أراد التوبة؟

وقد يرضى الله عز وجل عن الولد العاق فيجيب له التوبة، ويريد أن يتوب، فمن أراد التوبة عن عقوق الوالدين فليذهب إلى أبويه ويطلب منهما العفو والمسامحة على جحوده، والله إن قلب الأب وقلب الأم رقيق يقبل العفو، ويغفر سريعاً، ثم يستغفر الله عز وجل ويعاهده ألا يعود إلى مثل هذا الذنب مرة أخرى.

ومن كان قد فقد والديه وهو عاقٌ لهما، فليذهب إلى قبريهما ويستغفر الله لهما، ثم يطلب من الله عز وجل المغفرة، ويُخرج الكثير من الصدقات على روحهما، ويرقابة أبيه وأمه، لعل الله عز وجل أن يغفر له بهذا.

وتذكر: لقد وصّى الله الأبناء بالوالدين، ولم يوصِ الوالدين بالأبناء!!



الأخلاق مع العلماء

العلماء هم ورثة الأنبياء^(١)، ومشاعل النور للناس، وسادتهم، من اتبعهم على هدى كان من الناجين، ومن خالفهم على جهل وكبر كان من الضالين الهالكين.

وقد جاء عن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مدحهم ورفع منزلتهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١). وقال سبحانه وتعالى مفرقاً بينهم وبين غيرهم من الجهلاء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩). ووصفهم سبحانه وتعالى بالخشية، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

فالعلماء هم أولياء الله وأحبابه، وأعلم الناس به، وهم أهل خشيته، ولا بد أن يكونوا كذلك، فإن من زاد علمه بالله، وعرف عظمته وقدره، وقعت في نفسه الخشية منه، والمهابة لجلال قدره وعظيم شأنه.

ويقول الرسول ﷺ في بيان فضل العلماء على غيرهم، وكيف أن الله اختارهم وفضلهم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢). فهم موقع رحمة الله وفضله ومنته.

ويقول ابن رجب رحمه الله مبيناً منزلتهم وقدرهم: «إن لم يكن العلماء والفقهاء أولياء الله فليس لله ولي»^(٣).

ومن هذا البيان يتضح فضل العلماء ومنزلتهم عند الله، فإذا كانوا هم أولياء الله وخاصته وأحبابه، فإن حبهم وموالاتهم واجبة، كما أن مخالفتهم، والوقوع في أعراضهم، وعدم الاكتراث بهم، حرام لا يجوز في حق غيرهم من العامة، فكيف بهم؟! لهذا يقول عليه الصلاة والسلام آمراً المسلمين بتعظيم حق العالم وتوقيره

(١) صحيح: أبو داود (٣٦٤١) في العلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه وصححه الألباني هناك.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٦٤٥) وصححه الألباني.

(٣) شرح حديث أبي الدرداء (ورثة الأنبياء)، لابن رجب (ص ١٣٣).

ومعرفة منزلته: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا»^(١). أي: يعرف قدر وفضل العالم، ففي العلماء اجتمعت خصلتان من الحديث: العلم وكبر السن، ففي العادة يكون العلماء من كبار السن. وفي الأمر بطاعتهم واتباعهم يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). وأولو الأمر هم الفقهاء والعلماء كما قال الضحاك رحمه الله تعالى^(٢)، فطاعتهم في حدود طاعة الله وما أمر به سبحانه وتعالى واجبة ولازمة.

قال سهل بن عبد الله رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم»^(٣).

ولما كان الأمر كذلك فإن طاعتهم واتباعهم لا تتم إلا بكمال محبتهم وموالاتهم، لهذا فإن مسئولية الأب في إيجاد هذا الحب والتوقير للعلماء في نفوس الأولاد أمر في غاية الأهمية، وتكون بداية الوالد في إيجاد هذا الحب عند الأولاد: بذكر فضائل العلماء عند الله، ومجاسن أفعالهم، حتى يقع في نفوس الأولاد حبهم، ويُدركهم الأب بأسمائهم ليحفظوها، ويتعرفوا على العلماء.

وتُعد صلاة الجمعة من أفضل المناسبات المتكررة التي يلتقي فيها العلماء مع عامة الناس ليعظوهم ويصلوا بهم، وهي فرصة جيدة للأب يعرف ولده على الخطباء من علماء المسلمين، فيقول له: يا بني هذا الخطيب هو العالم الفلاني الذي أخبرتك عنه. فإذا انتهت الصلاة أخذ ولده وتقدم إلى المحراب وسلم على الشيخ مقبلاً رأسه توقيراً له، ويأمر ولده بذلك أيضاً، ولو أمره بتقبيل يده فلا بأس، فقد ورد ذلك عن السلف، فعن عبد الرحمن بن رزين عن سلمة بن الأكوع قال: «بايعت النبي ﷺ بيدي هذه فقبلناها فلم ينكر ذلك»^(٤). وقد نقل أن ابن عمر قبل يدي النبي ﷺ

(١) صحيح بشواهده: الحاكم (١/١٢٢) في المستدرک.

(٢) تفسير القرطبي (٥/٢٥٩).

(٣) السابق (٢٥٩، ٢٦٠).

(٤) صحيح: الهيثمي في المجمع (٨/٤٥) ورجال الحديث ثقات.

وأن بعض اليهود قبلوا يديه ورجليه^(١)، ولكن لا يجعل الأب من تقبيل الأيدي عادة عند الولد، فتندثر شخصيته وتضمحل؛ بل يكون تقبيله لأبيه أو أمه أو العالم في الرأس أو اليد من باب التكريم وتعريف الناس بقدرهم ومزلتهم، خاصة في زمن قل فيه توقير العلماء وتبجيلهم.

ويوقع الأب في نفس الولد المهابة للعالم، فهذا منهج السلف في توقير العلماء والفضلاء، فقد روي أن ابن عباس رضي الله عنهما هاب أن يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن مسألة حتى مر عليه عام، ثم سألته عندما حانت فرصة مناسبة^(٢). ويعمل الأب جاهداً على إحضار ولده لدروس العلماء ومواعظهم في المساجد أو الأندية الثقافية، ويحاول أن يربطه بهم في هذه الدروس، فيتعود على حضورها ولا يمل من الجلوس، وإذا بدا للولد سؤال وجهه الوالد لأن يسأل العلماء، فإن كان في المسجد أمره بأن يسأل الخطيب، وإن كان في البيت أمره أن يتصل بأحد العلماء بالهاتف، ولا بأس أن يعود المراسلة في ذلك، فملازمة العلماء في مجالسهم ومزاحمتهم هي نصيحة لقمان لابنه حيث قال له: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»^(٣).

وتعتبر اللقاءات بين العلماء وعامة الناس مهمة جداً، وذلك ليعيش العلماء مشاكل الناس، ويشعروا عليها عن كثب، ويصفوا لها الحلول المناسبة، كما أن العامة يستفيدون من خلال لقاءهم بالعلماء علوماً جديدة، إلى جانب أنهم يشاهدون قدواتهم من فضلاء الأمة تعيش بالإسلام منهجاً وسلوكاً واقعياً، فيوقنون أن هذا الدين صالح لكل مكان وزمان، خاصة وأن بعض الناس يظنون صعوبة أو استحالة العيش بالإسلام في جميع شئون الحياة، وأن هذا الدين قد انتهى ولم يعد له دور في الحياة.

لهذا ينظم الأب مع أولاده زيارات لبعض العلماء في البلد، فيشعر العالم أو

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٧٠٤، ٣٧٠٥) في الأدب.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١١٢/١) لابن عبد البر المالكي النمري.

(٣) السابق (١٠٦/١).

الشيخ بهذه الزيارة ويحدد معه موعدها، ويفضل أن تكون في بيت الشيخ، أو في بيت الأب، وذلك لتحصل الفرصة للأولاد ليتحدثوا مع عالمهم، ويتصلوا به مباشرة، فيسألوه ما بدا لهم، وهو بدوره يرشدهم ويعلمهم ما يناسبهم من العلوم البسيطة الموافقة لسنهم.

فإن قرر الوالد ورغب الولد في ملازمة عالم من علماء البلد يدرس على يديه كتاباً، أو تفسيراً للقرآن، أو غير ذلك من العلوم في وقت الفراغ، فإن الوالد يستأذن الشيخ أولاً فإن وافق شجع ولده على ذلك، وأدبه وعلمه أصول مصاحبة ومرافقة العلماء، فقد جمع الغزالي رحمه الله شيئاً من ذلك فقال: «يبدوّه بالسّلام، ويُقل بين يديه الكلام، ويقوم له إذا قام، ولا يقول له: قال فلان خلاف ما قلت، ولا يسأل جلسه في مجلسه، ولا يبتسم عند مخاطبته، ولا يشير عليه بخلاف رأيه، ولا يأخذ بثوبه إذا قام، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى يبلغ منزله، ولا يكثر عليه عند مله»^(١).



(١) الأدب في الدين (ص ١٦، ١٧).

صلة الأرحام

إن للأقارب حقاً من حقوق صلة الرحم أيضاً، والإحسان إليهم حق واجب على المسلم، فالأب ينميه في نفوس أولاده، ويربهم عليه، والأمر بذلك في القرآن واضح، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١). وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل: ٩٠).

فهذا أمر واضح من الله عز وجل بالإحسان للقرابة، ومراقبة الله فيهم، والحذر من إيقاع الأذى بهم عن طريق مقاطعتهم أو هجرهم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»^(١). وقال أيضاً: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٢). وفي هذا تحريم واضح، وزجر وترهيب لقاطع الرحم المسيء للأقارب، الصاد عنهم والمجاني لهم، وفيه أيضاً بيان فضل المحسن إليهم والموصل خيره إليهم، وصلة الله للواصل وتأيدته وتوفيقه له.

وهذه المعاني المباركة يجب أن تقدم للأولاد في قوالب عملية بجانب التوجيهات النظرية؛ لتكون أكثر رسوخاً وتمكناً في نفوس الأولاد، فإن الولد في طفولته المتأخرة تزيد عنده القدرة على التكيف الاجتماعي، ومشاركة الآخرين في مسراتهم وآلامهم مشاركة وجدانية^(٣)، فلو استغل الوالد هذه القدرة في الولد لينمي جوانب صلة الرحم المختلفة، فإنه لا يبلغ مبلغ الرجال إلا وقد تأصل هذا المبدأ العظيم في نفسه وضميره، فلا ينفك عنه أبداً، ولن يصدر منه في الغالب ما ينافي المعاني التي تربي عليها من الإحسان للأقارب والأرحام والبر بهم.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (١٧)، (ج٤/ص١٩٨١).

(٢) المصدر السابق، حديث رقم (١٨).

(٣) الحاج، فائز محمد علي، بحوث في علم النفس العام (ص٢٢٢).

ويمكن للأب المسلم في هذا المجال أن ينتهج مع أولاده أساليب شتى، وطرقاً متنوعة تؤصل مبدأ صلة الرحم، ومن أهم هذه الأساليب والوسائل: الزيارات بين الأقارب، فيتخير الأب الوقت المناسب لزيارة الجد والجدة- إذا لم يكونا معه في نفس السكن- ويصطحب معه الأولاد؛ خاصة المميزين منهم، ويحاول أن تكون زيارة الجد والجدة زيارة دائمة متكررة، لا تفصل بينها فواصل زمنية طويلة، إذ إن حقهما كبير، وشأنهما عند الله عظيم خاصة بالنسبة للأب نفسه.

ويحاول الأب أن يشوق الأولاد لزيارة الجد والجدة بالآيات والأحاديث والآثار، ويذكرهم بفضل هذه الزيارات، وأجرها عند الله، ولا يغفل مكافأتهم إن أحسنوا التأدب في الزيارة، فإن كبار السن لا يحتملون عادة إزعاج الأطفال، وكثرة تحركاتهم.

ولو أحس الأب بملل الأولاد من الزيارة، وخشي أن يتبرموا من الجلوس مع الكبار، والاستماع إلى حديثهم الذي لا يفهمونه، فإن الأب يأمر الأولاد باصطحاب بعض ألعابهم البسيطة المسلية ليلتها بها حتى نهاية الزيارة، أو يؤمن الأب بعض الألعاب في بيت الجد والجدة ليتسلى بها الأولاد أثناء الزيارة، وهذا إذا كان الأولاد لا يستمتعون بحديث الجد والجدة، أما إن كانوا يرغبون في حديثهما، ويتشوقون إليه وللزيارة؛ فإنه من العبث وقلة الحياء أن يُلتهى عنهما بالألعاب أو غيرها.

ولا يقسو الأب على أولاده ويجبرهم على هذه الزيارة، خاصة إن كانت مملة فعلاً؛ بل يحاول أن يأخذ بعضهم دون بعض بالترتيب، ويكثر من مكافأتهم وترغيبهم بالأجر والثوبة، ويلحق هذه الزيارة ببرنامج ممتع مثل الخروج إلى التزهة، أو الذهاب إلى حديقة الحيوان، أو غير ذلك من المرغبات التي تسهل على الطفل القيام بهذه الزيارة المملة في نظره وموازينه.

أما زيارة الأعمام والعلمات والأخوال والخالات وباقي الأقارب فهي دون منزلة زيارة الجد والجدة.

وهذا النوع من الزيارات يرغب فيه الأولاد عادة، وذلك لأنه في المعتاد يكون لدى العم أو العمة، أو الخال أو الخالة، أطفال في سنهم وعمرهم، يتشوقون

لرؤيتهم واللعب معهم، فلا يحتاج الأب في هذا النوع من الزيارات إلى كثير جهد في ترغيب الأولاد.

كما أن هذا النوع من الزيارات لا يكون عادة متكرراً ومنتظماً في أوقات معينة؛ بل يحتاج إلى تنسيق مسبق مع المضيف قبل الزيارة، ويحاول الأب أن يوجه الأولاد إلى إحسان النية والقصد قبل القيام بالزيارة والخروج لها، بأن تكون نيتهم لله خالصة، فيسألهم: لماذا نزور العم فلائناً؟ فيقولون: لأن الله أمرنا بذلك. ويركز الأب على هذا الجانب ليقوي صلتهم بالله عز وجل، ويدربهم في نفس الوقت على تحسين القصد والنية، خاصة وأن مقصد الولد في هذه الزيارة يكون للعب مع ابن عمه فلان، أو لركوب دراجته الجديدة، أو للعب بالكرة، أو لغير ذلك من المقاصد.

وليتجنب الأب وقوع شغب من أولاده، أو إزعاج للمضيف، ويفضل أن يأخذ على الأولاد الموائيق والعهود بأن يلتزموا الأدب والاحترام، وأن يتجنبوا الإزعاج والمشاغبات، ويذكرهم بأن ما يجدونه عند أبناء عمهم من الألعاب هو ملكهم، وخاص بهم، فإن سمحوا لهم باللعب لعبوا معهم، وإن منعهم لم يصروا عليهم، ولم يجبروهم. فإن صدر من أحد الأولاد مخالفة ومشغبة مع أولاد العم، عاقبه الأب بما يستحق، ومنعه من الزيارة المقبلة، ليعتبر هو وباقي الإخوة.

وللزيارات الرسمية بين الأقارب مثل الولائم، والدعوات، والعقيقة، وغيرها من الدعوات الرسمية دورها في تقوية أواصر المحبة بين الأقارب، لهذا فإن الوالد يجتهد في حضورها، وأخذ الأولاد إليها، وذلك لإجابة الدعوة، وصلة الرحم، والتقاء الأولاد مع الأقارب من الصغار والكبار، وليتعرفوا عليهم، ويعتادوا رؤيتهم، فقد أقر الرسول ﷺ هذه الزيارات وحث عليها، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أبصر النبي ﷺ نساءً وصبياناً مقبلين من عرس، فقام ممتناً، فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي»^(١). فهذا إقرار منه عليه الصلاة والسلام بمشروعية اصطحاب الأطفال إلى الأعراس، وحضورهم اجتماع الناس والأقارب.

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس

ويُقترح أن يتولى الأب إقناع الأقارب وعلى رأسهم الجد والجددة بأن يكون لهم لقاء في كل شهر، أو في كل شهرين، أو أكثر، يجتمع فيه جميع الأقارب من نسل الجد والجددة، يلتقون على عشاء أو غداء في بيت الجد، فيحصل من هذا اللقاء زيادة ألفة بين الأقارب، وتعارف الأولاد الصغار بعضهم مع بعض، وقضاء وقت ممتع.

ويراعي الأب تنبيه أولاده على الأخطاء التي يمكن أن يشاهدوها عند أقاربهم من الذين لا يعتمدون منهج التربية الإسلامية الصحيح، فإن سألوه عن بعض الممارسات التي شاهدوها، فإنه لابد من إقرار الحق، وبيان الخطأ إن وجد.

ولا تقتصر صلة الأرحام على الزيارات فقط؛ بل يدخل فيها كل خير يمكن إيصاله إليهم من مال، أو هدية، أو معروف، أو كلمة طيبة، أو غير ذلك من البر حتى السلام، فقد ورد في الحديث: «بَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»^(١).

ومن الأساليب التي يستخدمها الأب لتحقيق مبدأ صلة الرحم عند الأولاد قضية استخدام جهاز الهاتف، فيُعلم الولد كيف يستخدم هذا الجهاز، ثم يُكلفه الاتصال بالأقارب والأرحام والسؤال عنهم وعن أحوالهم، خاصة المقيمين منهم خارج المدينة، وهذا الأسلوب يمكن أن يكون ناجحاً هذه الأيام، خاصة وأن أكثر الناس قد انشغل بنفسه، وأصبح اجتماع الأقارب وزيارتهم من الصعوبة بمكان، فلو تدرّب الولد على الاتصال بالأقارب، خاصة في المناسبات للسؤال عنهم وإبلاغهم السلام فإن في ذلك نفعاً كبيراً، وتدريباً عملياً للولد على صلة الرحم.

كما يمكن للأب استخدام أسلوب تدريب الولد على كتابة الرسائل، وهذا يكون مع الولد الكبير القادر على الكتابة، فيشجعه الأب على كتابة الرسائل الحاملة للتهاني في المناسبات الشرعية المختلفة، ويكافئه على ذلك، ويشتي عليه.



(١) الترمذي، الحكيم، نوارد الأصول في معرفة أحاديث الرسول، (ص ١٩١)، والحديث حسن، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٢٨٣٥)، (ج ٣/ ص ٩).

علاقة الصغير بإخوته

يمتد دور الأب ومسئوليته مع الأولاد ليشمل تقوية أواصر المحبة والتآلف بينهم، ونبذ الشحناء والتباغض إذ إنه كثيراً ما تحدث الشحناء والغيرة، والتنافس والحسد بين الإخوة والأخوات.

وقد جاء في السنة المطهرة ذم الحسد وبغضه، فقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» - أو قال: العشب-^(١). فالولد الذي يتربى مع إخوته في جو مليء بالتوتر والتنافس الشديد، والحسد والبغض، يصعب عليه عند كبره أن يتخلص من هذا الوصف المذموم، فربما تأصل فيه هذا الداء، فيأكل حسناته ويفنيها، وتتعذب نفسه وترهق، لهذا كان دور الأب هاماً في التخفيف من حدة التوتر والغيرة بين الأولاد، إذ إن إزالة الغيرة والحسد بالكلية من الأطفال لا يمكن أن يتم، وذلك لأن الحسد مخلوق وموجود في أعماق النفس لا يمكن استئصاله بالكلية.

يقول الحسن البصري فيما نقله عنه ابن الجوزي رحمهما الله: «ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا فعل لم يتبعه شيء»^(٢). فلا يمكن إزالة الحسد والغيرة من نفوس الأولاد بالكلية، إنما دور الأب التخفيف من حدتهما، أخذاً بالوسائل والأساليب التربوية الجيدة في ذلك.

ويعتبر نجاح الأب في تدريب الأولاد على العيش معاً في جو من الوثام والتآلف مؤشراً جيداً لإمكانية نجاح هؤلاء الأولاد في العيش مع غيرهم في المجتمع عندما يخرجون للحياة العامة، فالأسرة مجتمع صغير يتدرب فيه الأولاد على أنماط مختلفة من السلوك والممارسات والعلاقات بين الأفراد.

(١) أبو داود، سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في الحسد، حديث رقم (٤٩٠٣)، (ج٤/ص٢٧٦).

(٢) ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص٣٦١).

ولما كان للمولود الأكبر أهمية في إصلاح باقي الأولاد^(١)، فإن اهتمام الأب به يجب أن يكون كبيراً، فلا يجعله محط تجارب يمارس معه أساليب مختلفة من التريبات- كما هو حاصل في كثير من الأسر- بل يُوطِّن نفسه في بداية الأمر على اتخاذ المنهج الإسلامي في تربيته وتنشئته.

وكثيراً ما يبدأ بغض الولد الكبير لأخيه الصغير عندما يجد أن الاهتمام من الوالدين قد اتجه نحو أخيه الصغير، ولم يعد هو محط نظر أو اعتبار، فيلجأ إلى الانطواء على النفس، أو البكاء، أو التبول غير الإرادي، أو ربما ادعى المرض والألم، ليجذب نظر والديه إليه^(٢)، فهذه الأحوال لا ينبغي أن يُساق الولد إليها؛ بل ينبغي أخذ الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا، فيذكر له أثناء الحمل محاسن الطفل الجديد، وأنه قادم ليلعب معه إذا كبر، وأنه يحبه، فيحاول الأب أن يشعره دائماً بموالة الطفل الجديد وحبه له، فإذا وُلد بالمستشفى وقرر جلبه إلى البيت يستحسن ألا يكون الولد الكبير موجوداً في البيت لئلا يصطدم بالاهتمام البالغ الذي يلقاه أخوه عند قدومه، خاصة وأن الوالدين مرتبكان بتجهيزه وتهيته مكانه^(٣)، ولكن يؤتى بالولد الكبير بعد استقرار الوضع وسكونه، فلا يشعر بالتغيير.

ومن أساليب تحبيب الولد الأكبر في المولود الجديد عند أول لقاء بينهما توضع في يد المولود قطعة حلوى، فيقال: انظر ماذا يعطيك أخوك، إنه يعطيك حلوى، إنه يحبك. وبهذا الأسلوب تبدأ علاقة الوالدين بداية حسنة يُرجى بعدها أن لا تحدث بينهما مصادمات كبيرة، أو شقاق دائم.

ولا ينبغي أبداً الاطمئنان لسلوك الولد الأكبر مع أخيه، حتى وإن لم تصدر عنه مظاهر تدل على غيرته؛ لأن الغيرة موجودة فيه، بل إن بعض رجال التربية يعد عدم

(١) انظر: علوان، عبد الله صالح، تربية الأولاد في الإسلام (ج ٢/ص ٦٦٢).

(٢) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، (ص ٦١). الطراونة، ساهرة النابلسي، «الغيرة عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣) (ص ٤٢).

(٣) سروري، نادرة أحمد، «حماية أطفالنا من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥)، (٦) (ص ٤٢).

إظهار الطفل لغيرته من إخوته أمراً يحتاج فيه الطفل إلى معالجة ومساعدة^(١).

وإذا أظهر الولد غيرة من أخيه الصغير، وحاول إيذاءه أو الانتقام منه، وجب تحذيره من ذلك، وإفهامه أنه سوف يُعاقب إن أضرب أخيه، فإن هذا الأسلوب يخفف من حدة غضب الولد الأكبر وغيرته^(٢).

ولابد أن يُفهم «أن الطفل، سواء أكان المولود الأول أم المولود الثامن، بطبيعته يريد أن يستحوذ على كل شيء، إن الأطفال يريدون كل العطف، وكل اللعب، وكل الامتيازات، وكل الاهتمامات»^(٣)، فإذا رأى الطفل أن بعض الاهتمام والامتياز انصرف إلى غيره من الإخوة غار وغضب. وليس أمام الأب المسلم لحل هذه المشكلة سوى الاجتهاد في توزيع حبه وعطفه على جميع الأولاد بالتساوي، وقبولهم جميعاً على علاقتهم، ولا يفرق بينهم، حتى وإن أظهر بعضهم أدباً أكثر من الآخرين، ولا يعقد بينهم المقارنات؛ إذ إن عقد المقارنات بين الأبناء يزيد من تنافسهم وغيرتهم من بعضهم البعض، ويربي فيهم الأحقاد والضغائن، ولا فائدة من وراء ذلك^(٤).

والحل الصحيح لتنفيس غضب الأطفال ومشاغباتهم هو عقد المنافسات البريئة بينهم، مثل المسابقات الثقافية، أو الرياضية، أو غيرها من مجالات التنفيس النفسي، فيُعد لهم الأب أسئلة ثقافية توافق أعمارهم، وي طرحها عليهم، ويكافئ الذي يجيب، كما يمكنه عقد المباريات في كرة القدم، أو الطائرة، أو العدو، أو غيرها من الألعاب الرياضية المُنشِطة والمنفِسة للطاقات، وتكون هذه المسابقات والألعاب بصورة مستمرة وفي أوقات منتظمة يومياً.

وبهذه الوسيلة يكون الأب قد استنفذ طاقات الأبناء فيما يعود عليهم بالفائدة، ويكفُّهم عن المشاغبات والمشاكل، فإن السلوك العدواني عند الأطفال يظهر عندما تُكبت وتُقيّد الحركات البدنية، خاصة وأن الأطفال لديهم طاقات جسمية كبيرة^(٥).

(١) المرجع السابق، (ص ٤٤).

(٢) بونر، هيلين، كيف نعاون الإخوة والأخوات على التفاهم (ص ٢٧، ٢٨).

(٣) (٤، المرجع السابق (ص ٢٥) (ص ٣١).

(٥) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس (ص ٤٣).

وكثيراً ما يتنازع الأولاد على الألعاب، فليس من الحكمة أو الصواب أن يُفرض على الولد السماح لأخيه باللعب معه خاصة إن كان الولد غير راضٍ بذلك، إذ إن هذا الفرض يزيد من أنانية الولد وحقده على أخيه، وربما سبب له رد فعل سيء، والمفروض أن تنبعث الرغبة في المشاركة واللعب من نفس الولد دون فرض أو قهر، فتكون عادة مستقرة في نفسه لا تكلف فيها^(١).

ويضاف إلى موضوع الألعاب عدم اختيار ألعاب للأولاد من نفس النوع، فكثير من الآباء يظنون أن اختيار الألعاب من نفس النوع للأولاد يجعلهم راضين مقتنعين بذلك ويحسون بالعدل والمساواة، وفي الحقيقة فإن هذا الاختيار المتشابه والمتساوي للألعاب ربما دفع الولد إلى محاولة معرفة الفرق بين اللعب حتى وإن كان بسيطاً لا يلاحظ إلا بالدقة فينتج من جراء هذا نزاع وفرقة، والأفضل في هذا أن يختار لكل ولد لعبة تناسب سنه، مع إفهامه أنها تناسبه أكثر من غيرها، ويُقنع بذلك^(٢).

وتكون الغيرة على أشدها في السن دون الخامسة، وذلك لأن الطفل لا يزال معتمداً على الأبوين ومحتاجاً لهما^(٣)، أما بعد سن التمييز في الطفولة المتأخرة، فإن الطفل يكون أقدر على فهم المعاني المجردة حول مراتب الأخوة وصلة الرحم، ونبذ الخلافات والتقاطع.

وفي هذا السن يعمل الأب جاهداً على إبراز معاني الأخوة في الله، والحب فيه، إلى جانب أخوة الدم والمنشأ، فيعلمهم التأدب مع بعضهم البعض، واحترام الأخ الأكبر، وتقديمه عليهم، وينشر بينهم السلام، فإن السلام يزيد من الحب وعاقبته المحبة الموصلة إلى الجنة ورضوان الله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٤)، فإفشاء السلام بين الأولاد، ومتابعتهم في ذلك هو الطريق إلى

(١) سروري، نادرة أحمد، «حماية الأطفال من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥) و (٦)، (ص ٤٦).

(٢، ٣) المرجع السابق (ص ٤٧) (ص ٤٦).

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفتاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم (٩٣)، (ج ١) (ص ٧٤).

التأليف بينهم وترباطهم. وتعتبر الغيبة والنميمة من الأعمال الممقوتة، وكثيراً ما يلجأ إليها الأولاد فيذمون بعضهم بعضاً عند الوالدين، وواجب الأب هنا هو كفهم عن ذلك، وعدم الاستماع إلى شيء من هذا الباطل، ويُدْكَرْهم بالله، ويُعرفهم بالغيبة، وما ورد في القرآن والسنة من مقتها وذمها حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢). فهذا من أعظم الزجر عن هذا العمل القبيح والسلوك المنحرف.

وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»^(١).

فهذه الآية وهذا الحديث وغيرهما إذا عُرِضَتْ على الأولاد وشرُحَتْ لهم، فإنهم سوف ينفرون من هذا السلوك ويكرهونه، خاصة إن شعر أحدهم أنه يأكل لحم أخيه، ويأتي يوم القيامة يخدش وجهه في منظر قبيح مرعب.

فإن حدث من الولد- بعد التنبيه والزجر- أن اغتاب أحد إخوته، أو ذكره بسوء، أمر بأن يعتذر له ويتأسف لما بدر منه، فإن هذا الأسلوب ينتزع الغيبة انتزاعاً من الولد، لما في ذلك من الجهد النفسي الكبير الذي يقدمه الولد عندما يعتذر لأخيه عن خطئه، كما يؤمر بالإضافة إلى الاعتذار أن يدعو لأخيه ويستغفر له حتى يحس أنه كفر عن هذا الجرم، ولا بأس في بعض الأحيان أن يؤمر الولد بالصدقة إذا أخطأ أو أذنب، ويراعي الأب في كل هذا أن يكون هو قدوة صالحة لأولاده فلا يسمعون منه غيبة أو ذكراً سيئاً عن أحد.

وليس من المستحسن أن يبقى الأولاد طول الوقت مع بعضهم البعض في مكان واحد فإن هذا بلا شك يزيد من منازعاتهم ومشاكلهم؛ بل الأفضل هو تفريقهم في بعض الأوقات ليشتاقوا إلى بعضهم البعض، فهذا سلوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أولاده، فقد كان يقول لهم: «إذا أصبحتم فتبددوا، ولا تجتمعوا في دار

(١) أحمد، المسند (ج ٣/ص ٢٢٤)، والحديث صحيح: انظر: هامش ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، في الغيبة والنميمة، حديث رقم (٦٢١٥)، (ج ٨) (ص ٤٤٨).

واحدة فأني أخاف عليكم أن تقاطعوا، أو يكون بينكم شر^(١). وهذا من فقه عمر رضي الله عنه، وبعد نظره؛ إذ فهم أن بقاء الأولاد في دار واحدة يكون مدعاة للتناحر والتقاطع لكثرة تنازعهم، فأمرهم بالانتشار والتبديد.

والأب المسلم يمكنه أن يأخذ هذه الوصية ويطبقها على أولاده، فيجعل لكل واحد منهم غرفة تخصه، فإن لم يتمكن من ذلك قسم الغرفة بطريقة هندسية إلى عدة أقسام، حتى وإن تطلب الأمر جعل الغرفة دورين مستعملاً الخشب أو غير ذلك من المواد، ثم يخصص لكل واحد منهم مكانه وزاويته التي تخصه.

كما يمكنه في بعض الأوقات اصطحاب بعضهم دون بعض عند الخروج للسوق، أو في زيارة بعض الأقارب، فإذا غاب بعضهم عن بعض في بعض الأحيان اشتاقوا ونسوا ما كان بينهم من خلاف وشجار.



(١) الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٥٩٤٨) (ج ١٦) (ص ٥٨٣).

الصغير والأصدقاء

يتأثر الإنسان - رجلاً كان أو طفلاً - بالأصدقاء والقرناء، ولا يمكن أن يُظن عدم حدوث هذا التأثير، ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام واصفاً أثر الجليس الصالح، وأثر الجليس السوء: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»^(١). ففي كلا الحالين يتأثر الجليس بجليسه، إما بالسوء وحرق الثياب، وأقله الريح الخبيثة، وإما بالخير والفائدة والعطر الحسن.

ولما كان تأثير الصاحب والجليس بهذه الدرجة، فإن تأثير الأطفال بعضهم في بعض أكثر تحقّقاً ومضاءً، إذ «تعتبر جماعات الرفاق من أشد الجماعات تأثيراً على تكوين أنماط السلوك الأساسية لدى الطفل»^(٢). وقد تفتن العلماء المسلمون الأوائل لهذه القضية، فحذروا ونبهوا، فهذا الإمام ابن الجوزي رحمه الله يقول: «أما تدبير الأولاد فحفظهم من مخالطة تفسد، وليحمل على صحبة الأشراف والعلماء، وليحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء، فإن الطبع لص»^(٣). وينقل رحمه الله عن إبراهيم الحربي قوله: «أول فساد الصبيان بعضهم من بعض»^(٤).

وأشار الإمام الغزالي رحمه الله إلى أن تكوين الأخلاق الحسنة يمكن أن يكون عن طريق مصاحبة الأخيار والصالحين، وكذلك الأخلاق السيئة، فقال رحمه الله: «الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً»^(٥). ويذهب رحمه الله إلى أبعد من

-
- (١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم (١٤٦) (ج ٤) (ص ٢٠٢٦).
 (٢) الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث (ص ١١٦).
 (٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، (ص ٢٢٠).
 (٤) ابن الجوزي، ذم الهوى، (ص ٩٧).
 (٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (ج ٣) (ص ٥٨).

هذا، ولا يكتفي بالتحذير من قراء السوء فقط؛ بل حتى من المترفين والمتنعين من الصبيان، فيقول: «ويُحفظ الصبي من الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة»^(١).

ولا يقصد من هذا التحذير والتنبيه عزل الولد مطلقاً عن قرنائهم من الأطفال، والحجر عليه للحفاظ على أخلاقه وسلوكه، فهذا النهج المستبعد الوقوع يعد سلبية وتشاؤماً؛ إذ إن وجود الطفل - في بعض الأوقات - في محيط من الأطفال يعد من العوامل الأساسية والهامة في التربية^(٢)؛ إذ يتعلم الولد من خلال الجماعة كيف يعامل غيره، ويتدرب على تقديم التضحيات المختلفة مسيرة لإرادة الجماعة، وليكون مقبولاً عندها^(٣)، وهذه الفوائد التربوية وغيرها مما يتحصله الولد عن طريق أصدقائه وقرنائهم، لا يمكن أن يتحصل عليه بدونهم، فيكون القصد إذاً من هذا التحذير هو حفظ الولد من قراء السوء الذين يضررونه ويؤذونه، وفي الجانب الآخر ربطه بقراء الخير من الصالحين الذين يمكن أن ينفعوه ويعينوه على الخير، ويحضوه عليه.

ولا شك أن تكوين محيط اجتماعي صالح خير للولد في مثل هذه الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم يعد أمراً صعباً شاقاً، ولكنه ليس بالمستحيل المتعذر الوقوع والتحقق؛ إذ يمكن للأب المسلم أن يجعل من بيته وبيوت بعض أقاربه وأصحابه مجتمعاً صالحاً يمارس فيه الأولاد السلوك الإسلامي السوي، حتى يشتد عودهم، وتقوى إرادتهم، ويملكو القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب، ثم يمكنوا بعد ذلك من الدخول والمشاركة في المحيط الاجتماعي العام الذي لا بد له منه^(٤).

ولا يعني هذا أنهم لن يتأثروا ببعض سلبات وانحرافات المحيط الخارجي، فإن التأثير به لا شك واقع، ولكن مع وجود هذا المجتمع الصغير الصالح، يكون التأثير ضعيفاً ليس بالقوي، وذلك لقلّة الاحتكاك به، وقيام أفراد ذلك المجتمع الصغير

(١) المصدر السابق، (ج ٣/ ص ٧٠).

(٢) فينكس، فيليب، فلسفة التربية، (ص ٣٢٦).

(٣) راحلة، سليمان فياض، «السلوك العدواني عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١) ص (٩٠).

(٤) انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، (ص ١٩).



الصالح بإزالة ما يقع في نفوس الصغار وعقولهم من الأفكار والأخلاق المنحرفة أولاً بأول، فلا يسمحون لها بالتراكم والتمكن.

ويسعى الأب جاداً في تكوين ذلك المجتمع والمحيط الصغير الصالح من أقربائه وجيرانه وأصدقائه الصالحين، الذين انتهجوا المنهج الإسلامي اعتقاداً وسلوكاً، فيعمل على توطيد العلاقات معهم، والإكثار من الزيارات واللقاءات، ويمكن أن يُحقق ذلك من خلال الاتفاق على تنظيم زيارات دورية أسبوعية منتظمة يلتقي فيها الكبار على حدة، ويمارس الأطفال معاً نشاطاتهم وألعابهم على حدة، بعيداً عن ضغط الكبار وتوجيهاتهم المباشرة، فيعيشون بعض الوقت في جو من الحرية والانطلاق.

ويمكن أن تتولى كل عائلة أسبوعياً استضافة باقي العوائل في منزلها إذا توفر المكان المتسع والقدرة على ذلك، فإن لم يتوفر ذلك، ووجد عند أحدهم مكان متسع وفناء كبير، فإن ذلك أنسب للقاء خاصة إذا تجنب الجميع المبالغة والتكلف في الإكرام، فإن تعذر هذا وذاك التقوا في الخلاء وأماكن النزهة البريئة.

ويحاول الأب أن ينسق مع زملائه من الآباء المشاركين معه في هذه اللقاءات: أن يعدوا للأولاد برنامجاً ثقافياً دينياً وآخر رياضياً، فيتوزعوا مهام الإعداد بصفة دورية، ويكون إعداد البرنامج الثقافي عن طريق كتابة أسئلة وإجابات في بطاقات صغيرة، مع مراعاة أعمار ومستويات الأولاد المختلفة، ومراحلهم الدراسية في اختبار المعلومات والأسئلة.

وتتضمن هذه البطاقات أسئلة من القرآن الكريم، وأخرى من الحديث والسيرة، والثقافة العامة، وغير ذلك، مع مراعاة التركيز على المفاهيم الإسلامية العامة، كشمول الإسلام لكامل نشاطات الإنسان، ومفهوم العبادة، والأخوة في الله، وحب الصالحين، وبغض الفاسقين، وغير ذلك من المفاهيم العامة التي يمكن أن يدركها الأطفال، حيث تُبسّط لهم وتقدم في صورة جميلة سهلة ميسرة.

كما يمكن إعداد مسابقات تنافسية بين الأولاد في حفظ بعض السور القصيرة، أو حفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو حفظ بعض الأناشيد الإسلامية الهادفة، والقصائد الشعرية.

ولا ينبغي أن يُغفل جانب الجوائز، فإن تأثير الجائزة كبير، خاصة عند الأطفال، فيُعد لذلك جوائز تقديرية مناسبة لأعمار الأولاد دون تكلف مراعين رخصها وفائدتها وذلك مثل الأقلام، والمراسم، والكراسات، وعلب أدوات الهندسة البسيطة، وغيرها من الأدوات المكتتية المفيدة الرخيصة، كما يمكن اختيار بعض الهدايا من الألعاب البسيطة مثل الكور، أو العربات والسيارات الصغيرة للأطفال صغار السن.

أما ما يخص النشاط الرياضي، فيفضل أن يكون موعده سابقاً للبرنامج الثقافي، وذلك لشغف الأولاد وتعلقهم به، إذ إن علم الأولاد بوجود برنامج رياضي بعد البرنامج الثقافي يقلل من إقبالهم وتفاعلهم الكامل مع البرنامج الثقافي، ويفضل أن يتولى الإشراف على النشاط الرياضي أحد الآباء ذوي الخبرة الرياضية والميل إلى الحركة والنشاط، فيعد لهم برنامجاً منظماً يمارس فيه الأولاد معاً أنواعاً مختلفة من النشاطات الرياضية، فإن كان عددهم كبيراً جعلهم في مجموعات تمارس كل مجموعة لعبتها المفضلة.

ويراعي الأب التنوع بين كرة القدم، والطائرة، والركض، واللعب بالرمل، والسباحة- إن تيسر- وتسلق الجبال ذات العقد، وغير ذلك من الألعاب المتنوعة المختلفة، والتي تعود على الأولاد بالفائدة الجسمية والنفسية.

ويحاول الأب بين فترة وأخرى أن يذكّرهم بأن هدف الرياضة ليس من أجل الرياضة فحسب؛ بل هو تقوية الجسم، والمحافظة عليه، ليتقوى على طاعة الله، والقيام بالواجبات الشرعية التي كُلف بها المسلم.

ويلاحظ الأب في اختيار الألعاب الرياضية بعدها عن العنف والخطورة، كاللعب بالأخشاب وضرب بعضها ببعض، أو الملاكمة، أو استعمال الآلات الحادة أو الحديد، فقد جاء النهي عن ذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»^(١). ففي الحديث نهى عن

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم (١٢٥)، (ج ٤) (ص ٢٠٢).

ترويع المسلم وتخويفه بحديدة أو نحوها، فربما أخطأ الولد وزلّت يده وأوقع الحديدة أو الآلة الحادة على أخيه أو زميله، فأذاه وآله وعكّر جو المرح والأنس.

كما يؤدّب الأب أولاده ويعلمهم كيف يلاعبون ويخالطون زملاءهم، فيعلمهم المصافحة والسلام، ويعرفهم أجر ذلك عند الله، ويوطّنهم على تقديم الخير لهم بنفس سخية، وأن لا ييخلوا عليهم بما عندهم، ويعلمهم الترفع عن الأخذ منهم، إلا أن تكون هدية، فقد نصح بذلك ابن الحاج رحمه الله حيث قال: «ويُمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ»^(١). ويعلم الأولاد أن لا يأخذوا من أحد شيئاً دون رضاه حتى وإن كان ذلك من باب المزاح والمداعبة، فقد ورد النهي عن ذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعباً ولا جاداً، فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه، فليردها عليه»^(٢). والحديث لم يترك حتى العصا التي لا يلتفت إليها، فالألعباب والملابس والأمتعة الأخرى من باب أولى يكون التحذير من أخذها أشد وأبلغ.

وفي سبيل تقوية أواصر المحبة بين الأولاد وأصدقائهم من الصالحين، يحث الأب أولاده على دعوة زملائهم إلى المنزل في بعض الأحيان لتناول طعام العشاء مثلاً، ويحاول الأب أن يدخل عليهم جميعاً السرور مظهرًا بهجته بحضورهم، وأنه سعيد بقدمهم، مراعيًا عدم الإطالة في الجلوس معهم، إذ إن ذلك يقلل من حريتهم وانطلاقهم، ويحث أولاده على تقديم الهدايا لزملائهم إذا زاروهم فإن للهدية وقعًا طيبًا في النفس، كما أنها تُذهب ما يقع في الصدر من غل أو حقد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «تهادوا فإن الهدية تذهب وغر»^(٣) الصدر^(٤).

وإن حصل أن وجدت علاقة بين الولد وأحد الأولاد من غير الصالحين، وخشي الأب أن يؤثر على ولده سلبياً، وعجز عن توجيهه إلى الخير، أو لم يتمكن من

(١) ابن الحاج، المدخل (ج ٤/ص ٢٩٧).

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب ما لا يجوز من اللعب والمزاح، حديث رقم (٢٤١)، (ص ٩٥).

(٣) الوغر: هو الغل. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٥/ص ٢٠٨).

(٤) أحمد، المسند (ج ٢/ص ٤٠٥).



ذلك، فإن عليه أن يسارع بتنبيه ولده إلى وجوب قطع علاقته به وأن لا يخالطه، مبيّنًا له ضرر ذلك الولد عليه، فإن تعذر ذلك لشدة تعلق الولد بزميله عمل الأب على تنفير الآخر بسوء استقباله وإظهار الاستياء لحضوره، وإن احتاج الأمر إلى إشعار أهله بذلك فحسن، إذ إنهم إن علموا بعدم رغبة الأب في مخالطة ولده لابنه أخذتهم العزة والأنفة، وحجزوا ولدهم ومنعوه عنه.

أما ما يخص الصداقات والزمالة في المدرسة، فإن الأب يحاول أن يوجه ولده للانخراط في نشاطات المدرسة الصيفية، وأهمها النشاط الكشفي؛ لما فيه من برامج تدرب على الجدية والرجولة والإقدام إلى جانب تعلم الانضباط واحترام القيادة، وخدمة المجتمع، ويضاف إلى النشاط الكشفي نشاطات اللجان الطلابية مثل: لجان التوعية الإسلامية، واللجان الثقافية والاجتماعية، وعادة ما يكون الطلاب الملتحقون بهذه النشاطات جيدين ومثقفين أكثر من غيرهم، فلو تكونت بعض العلاقات والصداقات بين الولد وبعض هؤلاء الطلاب فلا بأس إن شاء الله.





الصغار وعلو الهمة

- * كلمات في علو الهمة .
- * اكتشف عالي الهمة منذ الصغر .
- * مسئولية الآباء والعلماء في تربية علو الهمة داخل نفوس الصغار .



كلمات في علو الهمة

تعريف علو الهمة:

الهِمَّةُ هي: قوة راسخة في النفس طالبة أوالي الأمور وعواليها، هاربة من خسائسها. والهِمة: اعتناء القلب بالشيء، وتكون بمعنى المهموم: المطلوب^(١).
ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء».

ولم أر في عيوب الناس عيباً * كنقص القادرين على التمام^(٢)
ويقول رحمه الله: «فمن علت همته يختار العالي». وقال: «علو الهمة: خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل».

ويعرف ابن قيم الجوزية (علو الهمة) فيقول رحمه الله: «أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلاً منه، ولا تبع حظها من الله، وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهم كالأطائر العالي على الطيور؛ لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدها الآفات من كل مكان، فإن الآفات قواطع وجواذب،

(١) التعريفات (٧٤٣/١) للجرجاني.

(٢) صيد الخاطر (ص ١٧) بتحقيقي - ط دار الفجر للتراث.

وهي لا تعلق إلى المكان العالي فتجذب منه، وإنما تجذب من المكان السافل فلاحه، وسفول همته عنوان حرمانه»^(١).

والهمة تولد مع الناس، فما منهم إلا وفيه همة لكن منهم من يُعلي همته، ومنهم من تسفل به همته، فتقعد به أبداً، وما فعل ذلك إلا لخساسة نفسه وحقارتها، وتعودها عن طلب المعالي، وكسلها عن إدراك الخير المتناثر في كل مكان.

وفي هذا الزمان الذي نرى قعود الهمم وقصورها وانحطاطها، وذلك لشيء وقر في الصدور منذ الصغر وهو: أننا صغار، ضعاف، لا قدرة لنا على التقدم، ولا على الرفعة، فنحن متخلفون رجعيون، لا مادة عندنا للحضارة ولا أسباب. أو لأننا استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فرضينا بالدون من كل شيء، فلم نر إلا قليلاً ممن يدفعون هذه الهواجس ويهزمونها، ويقهرون واقعنا الأليم ليكونوا مصاييح تضيء في هذه العصور المظلمة التي نحيهاها.

وإن كنا قد عجزنا عن علاج الأجيال الملوثة التي أصيبت بـ(سرطان انحطاط الهمة) نتيجة مؤثرات تربية خاطئة، ومؤثرات إعلامية أديرت عجلتها منذ الاحتلال الصليبي لبلادنا في العصر الحديث، فإنه يجب علينا أن نغرس علو الهمة في نفوس صغارنا الذين نرجوهم لأعدائنا حرباً وسلاحاً، ولديننا نُصرة ورفعة.

فإذا ما ضاع الصغار أيضاً فقد ضاع جزء كبير، وقطاع عريض من الأفراد الذين نرجو إصلاحهم، ليصلحوا ما قد أفسده الآخرون. وعليه فإن تعليم الصغير كيف يعلو بهيمته يجب أن يبدأ مع بدايات قدومه إلى الحياة!! فمزد اللحظات الأولى التي يقدم فيها الصغير إلى الحياة يجب علينا أن نفهم أنه لا ينبغي الإكثار من حمله، أو إطعامه، أو الاستجابة السريعة له عند بكائه، فذلك مما يُقر في نفسه مبدأ (بالبكاء يأتيك كل شيء)، فتتخط همته ولا زال في مهده كما سبق.

ولا زال الناس يعرفون قدر علو هذه الهمة، وقد كان أهل الجاهلية يلقون

(١) مدارج السالكين (٣/٣) لابن قيم الجوزية رحمه الله.

بأولادهم في البوادي ليتعلموا خشونة العيش والكلام، وليعيشوا بعيداً عن ترف المترفين، وإسراف المتنعمين، يسمونهم بأسماء: حرب، وسهم، وتلك الأسماء التي تحمل معنى الغلظة، بينما يسمي مملوكه: أفلح، ويسار، ورياح، وعطاء، فإذا سئل قال: ممالكنا نربيهم لأنفسنا، وأبنائنا نربيهم لعدونا. كان الجاهلي يضرب ولده ضرباً مبرحاً لا يضربه لعبه، فإذا سئل قال: أضربه ليكون رجلاً يتحمل الحرب، ويصبر على عدوه حتى يهزمه.

كانت هذه هي حياتهم، فقل أن ترى منهم جباناً يفر من الحرب، حتى إنهم ثبتوا في يوم (ذي قار) حتى هزموا جند كسرى الذي كان قد ملك جيشه آنذاك ما يربو على نصف ممالك الأرض، ولقد دخل إلى الشام وغيرها حتى نقل تراث الصليبيين إلى بلاده، فما وهن العربي أمامه بل هزمه.

كان يسمي الصحراء مفازة ليشجع نفسه ولا يجبن، يسمي اللديغ سليماً حتى لا يخشى المرض، يسمي المسحور مطبوعاً ليتفاد بالشفاء، ذلك أنهم كانوا أصحاب همم عالية، فما أن جاء الإسلام حتى حوّل هذه العادات إلى خير مما كانت عليه، وأزاح شرها، وجعل تربية الصغار على علو الهمة عبودية لله تعالى حتى نبغ الصغار بين الكبار فلمعت أسماؤهم كـ (معاذ بن جبل) و (زيد بن ثابت) و (ابن عباس) رضي الله عنهم جميعاً.

ومن هنا ينبغي على الكبار أن يعلموا أن إهمال تعليم الصغار كيف تعلو همتهم إحدى الكبائر في هذا الزمان الذي يحاول الأعداء فيه ترسيخ مفهوم (المسلم الذي لن يتقدم، ولن يعلو أبداً).

لقد اشتد حرص السلف على مباشرة هذه المهمة الجسيمة، حتى إن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية، يقول لهم: «ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا».

واشتد نكيرهم على من يصرف همه إلى الكبار فقط، ويهمل الصغار، وما ذاك إلا لأن الأمة محتاجة إليهم، وهم الأعمدة التي تبنى لتحمل ثقل البناء فيما بعد.

قال عمرو بن العاص لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه

جلس إليهم وقد نحووا الفتيان عن مجلسهم، فقال: «لا تفعلوا، أوسعوا لهم، وأدنوهم، والهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين، قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين». وقد علق الإمام ابن مفلح رحمه الله على هذه العبارة قائلاً: «وهذا صحيح لا شك فيه، والعلم في الصغر أثبت، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة لاسيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم، فلا ينبغي أن يجعل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعاً من مراعاتهم والاعتناء بهم»^(١). وكان الإمام الشاشي محمد بن الحسين الفقيه الشافعي رحمه الله ينشد:

تعلم يا فتى والعود رطب ★ وطنك لئن والطبع قـابل



اكتشاف عالي الهمة من الصغار

يقول المثل السائر بين الناس: «الكتكوت الفصيح في البيضة يصيح»، يقصد الناس بذلك أن علامات النبوغ تظهر من بدايات الإنسان، تظهر في كلماته وتصرفاته وبعض تحركاته التي تنبئ عن نفس عالية الهمة، لا ترضى بالدون من الأفعال أو الأقوال أو المقامات.

وكثير من العلماء أو الأمراء بدأ نبوغهم مبكراً حتى نطقت الألسنة رغماً عنها، ودون أن تشعر بأن لهؤلاء مستقبلاً عند الله تعالى إن قُدِّرَ لهم البقاء.

وأول الأمثلة على هذا ما كان في قصة أصحاب الأخدود، فقد لفت الأنظار بذكائه المفرط بعد أن طاف زبانية الملك آنذاك المملكة بحثاً عن غلام يرث السحر، فلما ظهرت علامات نبوغه أخذوه ليكون ساحراً، وصدقوا حين توسموا خيراً فيه، فقد تحول الطائر الصغير إلى نسر للإيمان، وبنبوغه وذكائه وهداية ربه له من قبل اختار الإيمان على الكفر، والإسلام على السحر، وأثر الحق على الباطل حتى ضحى بنفسه لتؤمن قريته فأمنت، فخلدت القصة في القرآن الكريم، وفي حديث النبي

(١) الآداب الشرعية، والمنح المرعية (١/٢٢٥)، نقلاً عن علو الهمة للدكتور/ محمد إسماعيل (ص ٣٦٧).

ﷺ، مما يبدو لنا واضحاً في هذه القصة التي رواها الإمام مسلم في صحيحه كالآتي:

أخرج الإمام مسلم^(١) في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلماً كَبُرَ قال للملك: إني قد كَبُرْتُ فأبعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرّاً بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ. وكان الغلام يُرئى الأكمه^(٢) والأبرص ويُدأوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك. فأَمَنَ بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: مَنْ رَدَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌ غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجاء بالغلام، قال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجاء بالراهب فقبل له: أرجع عن دينك، فأبى فدعا بالمشار^(٣) فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقبل له: أرجع عن دينك. فأبى فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقبل له: أرجع عن دينك. فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتُم ذروته^(٤) فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به

(١) مسلم (حديث ٣٠٠٥). (٢) الأكمه: هو الذي ولد أعمى.

(٣) المشار: مهموز في رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروي: المشار، بالنون وهما لغتان صحيحتان.

(٤) ذروته: ذروة الجبل أعلاه، وهي بضم الذال وكسرها.

فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل^(١) فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور^(٢) فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة^(٣) ففرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد^(٤) واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس^(٥) ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتي الملك ف قيل له: رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك^(٦) قد آمن الناس. فأمر بالأخدود^(٧) في أفواه السكك^(٨) فخذت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها^(٩). أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست^(١٠) أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»

(١) فرجف بهم الجبل: أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

(٢) قرقور: القرقورة السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة. واختار القاضي الصغيرة، بعد حكايته خلافاً كثيراً.

(٣) فانكفأت بهم السفينة: أي انقلبت.

(٤) صعيد: الصعيد هنا: الأرض البارزة.

(٥) كبد القوس: مقبضها عند الرمي.

(٦) نزل بك حذرك: أي: ما كنت تحذر وتخاف.

(٧) بالأخدود: الأخدود: هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد.

(٨) أفواه السكك: أي: أبواب الطرق.

(٩) فأحموه فيها: هكذا هو في عامة النسخ: فأحموه بهمة قطع بعدها حاء ساكنة ونقل القاضي اتفاق النساخ على هذا ووقع في بعض نسخ بلادنا: فأقموه، بالقاء، وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرهاً، ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها. من قولهم: أحميت الحديدة وغيرها، إذا أدخلتها النار لتحمي.

(١٠) فتقاعست: أي: توقفت ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار.

وعن محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن مروان قال لرأس جالوت أو لابن رأس جالوت: «ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء، لأنهم يُخلَقون خلقًا بعد خلق، غير أنا نرمُقهم، فإن سمعنا منهم مَنْ يقول في لعبه: مَنْ يكون معي؟ رأيناه ذا همة وحنوّ صدّق فيه، وإن سمعناه يقول: مع مَنْ أكون؟ كرهناها منه، فكان أول ما علّم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي، فمرّ رجل فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقري، وقال: يا صبيان اجعلوني أميركم، وشُدُّوا بنا عليه.

ومرّ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففروا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أُجرِم فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسّع لك^(١).

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: «كنت يتيمًا في حجر أمي، فدفعني إلى الكتاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما جمعت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث والمسألة فأحفظها، فلم يكن عند أمي ما تعطيني أشترى به القراطيس، فكنت أنظر إلى العظم آخذه فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في الجرة، فاجتمع عندي حَبَّان^(٢).

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: «كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلقّن الصبي الآية، فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون إملاءهم، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم كنت قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئًا. قال: ثم لما أن خرجت من الكتاب كنت ألتقط الخزف، والرقوق^(٣)، وكَرَب^(٤) النخل، واكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث، وأجيء إلى

(١) علو الهمة (ص ٣٦٩) للدكتور/ محمد إسماعيل.

(٢) الحب: وعاء الماء كالزير والجرة.

(٣) الرقوق: جمع رق، جلد رقيق يُكْتَب فيه، والصحيفة البيضاء.

(٤) الكرب: الأصل العريض للسعف إذا ييس.

الدواوين، وأستوهب منهم الظهور فأكتب فيها، حتى كان لأمي حبان، فملأتهما أكتافاً اهـ.

وحفظ الإمام أحمد بن حنبل القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة، ثم اتجه إلى الديوان يمرن على التحرير، ويقول عن نفسه: «كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة». وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد حتى قال بعض الآباء: «وأنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف!!». وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته.

وكان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد ليعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة من ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك ورمى بها في الماء تأثماً من الوشاية والتسبب لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفت هذا الورع وهذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات حتى قال الهيثم بن جميل: «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة رحمه الله: «بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت أن في هذه البلاد صبياً يقال له: أحمد بن تيمية، سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه. فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهباً إلى الكُتَّاب. فلما مر قيل: ها هو الذي معه اللوح الكبير. فناده الشيخ، وأخذ منه اللوح، وكتب له من متون الحديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ هذا. فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته إياه ثم قال: أسمعته عليّ. فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما يكون، ثم كتب عدة أسانيد انتخبها، فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله. فكان كما قال»^(١) اهـ.

قال يحيى بن أيوب العابد: حدثنا أبو المثني قال: «سمعتهم بمرور يقولون: قد جاء

الثوري، قد جاء الثوري. فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بَقَلَ وجهه». قال الذهبي: «كان يُنَوِّه بذكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه وهو شاب» (١).

وعن الإمام النووي:

وقال الشيخ يسين بن يوسف المراكشي: «رأيت الشيخ - يعني النووي - وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، قال: فوق في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن توصية به، وقلت له: هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، ويتنفع الناس به. فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك. فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام» (٢).

وقال صاحب «أنباء نجباء الأبناء»: «بلغني أن أبا سليمان داود بن نصير الطائي رحمه الله لما بلغ من العمر خمس سنين أسلمه أبوه إلى المؤدب، فابتدأه بتلقين القرآن، وكان لَقْنًا فلما تعلَّم سورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (سورة الإنسان). وحفظها؛ رآته أمه يوم جمعة مقبلاً على حائط وهو يفكر ويشير بيده، فخافت عليه وقالت له: قم يا داود فاخرج والعب مع الصبيان. فلم يجبها فضمته إلى صدرها، ودعت بالعويل فقال: ما لك يا أماه؟ فقالت: أبك بأس؟ قال: لا. قالت: أين ذهنت؟ كلمتك فلم تسمع. قال: مع عباد الله. قالت: فأين هم؟ قال: في الجنة. قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الإنسان: ١٣، ١٤).

ومر في السورة وهو شاخص ببصره كأنه ينظر إليهم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢). ثم قال: يا أماه! ما كان سعيهم؟ فلم تدر ما تجيبه به فقال: قومي عني حتى أتزعه عندهم ساعة. فقامت وأرسلت إلى والده، فجاء فأخبرته الخبر فقال له: يا داود كان سعيهم مشكوراً أنهم قالوا: لا إله إلا الله محمد

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٦).

(٢) طبقات الشافعية (٨/ ٣٩٦، ٣٩٧).

رسول الله . فكان داود بعد ذلك لا يدع أن يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله .

وروى الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: «وكنتم أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين- وأردت بذلك: حديثين- فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوماً» .

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: «كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» لسفيان الثوري من كتاب والدي، فمرَّ أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته فقال الثانية والثالثة، فراجعته فسكت ثم قال: من هذا؟ قالوا: ابن إسماعيل. فقال: هو كما قال، واحفظوا أن هذا يصير يوماً رجلاً» .

علامات النبوغ إذن تبدو ظاهرة منذ البداية ليكتشفها الآباء في أبنائهم فيعملون من همتهم ويساعدونهم على تنمية هذه المواهب، ونستطيع إجمال هذه العلامات كالآتي:

- (١) قوة الفهم، وقوة الملاحظة .
- (٢) ملاحظة القول، وحسن المنظر .
- (٣) قوة الحفظ مع الفهم .
- (٤) سلامة الصدر فلا حقد ولا حسد .
- (٥) الثقة بالنفس .
- (٦) الحرص على التحصيل .
- (٧) عدم اليأس والإحباط .
- (٨) عدم الميل إلى اللعب كثيراً، أو الشره نحوه، بل ترى الصغير يحب العزلة في غير مرض، يبتغي بذلك تحصيل ما يعجز عنه الغير .

(٩) الإحساس بأنه يكبر من هم في سنه.

(١٠) الاتصاف بالشجاعة والنجدة وحب القيادة بغير رياء ولا سُمعة.

هذه هي علامات علو الهمة التي قد تظهر في الصغار ولا يشترط أن تكون مجتمعة؛ بل قد تظهر بعضها، أو نحرص نحن على محاولة إيجادها، وعندئذ نحاول تنمية هذه البذرة وتعهدها حتى تثبت غرسًا لا يزال الله تعالى يستعمله لخدمة هذا الدين.

فإذا ما تركت هذه الصفات بلا تنمية ولا تعهد ولا رعاية ماتت إذ هي كالزراع لا بد من تعهده، وإلا ذبلت أوراقه، وضعف جذره، وخار ساقه، ومن ترك أرضًا خصبة، وبذرة جيدة فلم يتعهدها، أقل ما يقال فيه: إنه أحمق.

إن الخسارة عظيمة لا شك عندنا حين تتبعثر هذه الهمم ولا تجد من يلم شتاتها فينظمها في عقد واحد لخدمة هذا الدين ورفعته، والأخذ بأسباب النصر والتمكين له.



مسئولية الآباء والعلماء في تربية علو الهمة داخل نفوس الصغار

(١) المسؤولية المادية والاجتماعية:

تولد الهمة مع الإنسان كما سبق، والناس على شاكلتين: عالي الهمة، ومنحط الهمة. وقد سبق وصف عالي الهمة، والإشارة إلى علامات نبوغه التي تظهر معه فتكبر كلما كبر، وفي نهاية المبحث السابق نوّهت على أن إعلاء الهمة ليس شأن الصغير الذي لا يدرك إلا شعوراً فطرياً يحركه ناحية التفوق أو الحفظ، أو صفة تبدو عليه وتغلب دون ملاحظة منه، إلى آخر هذه العلامات التي تبدأ في الظهور مبكراً كبشريات لإنسان عالي الهمة على استعداد لتحمل المشاق وخوض غمار الحياة.

والمسئولية تقع على المجتمع بكامله في هذا الشق تحديداً، فظهور غلام يتصف بعلو الهمة والذكاء نعمة تستحق الشكر، ولابد من الاستفادة بها في عصر يعج بالفاشلين والمحبطين والمهووسين بالفساد والغناء والكرة، وأوثان العصر الحديث، فيجب على الآباء والأمهات والعلماء أن يدركوا جيداً أن المسؤولية تقع عليهم خاصة للحفاظ على هذه المواهب الربانية التي تتفجر في صدور الصغار ونفوسهم، حتى نصل بهم إلى شاطئ الأمان وساحل السلامة، وحتى نعطي الصغير من معطيات القوة والفهم والعلم والمال ما يقوى به على مواجهة صعاب الحياة وهزيمتها والعلو فوقها.

يقول الدكتور/ محمد إسماعيل المقدم: «الأمة التي تهتم بالنابغين، تصنع بهم مستقبلها المشرق، لأنهم يصلحون أمرها، ويسهمون في ازدهارها، والأمة التي تهمل رعاية نابغيها سوف تشقى حين يتولى أمورها جهلة قاصرون يوردونها المهالك، أو مرضى نفسيون معقدون يسومونها سوء العذاب، أو سفلة أصحاب نفوس دنيئة وهمم خسيصة يبيعونها لأعدائها بثمن بخس.

ومع كون المواهب استعدادات فطرية فإنها لا تؤدي إلى النبوغ إلا إذا توفرت لأصحابها الظروف البيئية المناسبة والتربية الصالحة اللازمة لتنميتها وصقلها، وتعد

الأسرة- وبخاصة الوالدان أو من يقوم مقامهما- أهم عناصر البيئة تأثيراً في إظهار النبوغ، وزراعة الهمة العالية في قلوب الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وهذا ما قد يفسر لنا سر اتصال سلسلة النابغين من أبناء أسرٍ معينة، كآل تيمية- مثلاً- حيث اجتمعت الاستعدادات الفطرية الموروثة، والقدرات الإبداعية مع البيئة المساعدة التي تكشف هذه المواهب مبكراً، وتنميتها وتوجهها إلى الطريق الأمثل.

فرب أم ذكية محبة للعلم^(١)، أو أب عالم مشهود بعلمه، كان سبباً في تيسير السبيل إلى العلم ومجالسة العلماء، مما كان له أثر بليغ في تنمية نبوغ أبنائهم.

فهذا «الزبير بن العوام» فارس رسول الله ﷺ الذي عدل به عمر رضي الله عنه ألفاً من الرجال، يشب في كنف أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وأخت أسد الله حمزة، وهؤلاء الكلمة العظماء عبد الله، والمنذر، وعروة أبناء الزبير، كلهم ثمرات أمهم ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتربى على يد أمه فاطمة بنت أسد، وخديجة بنت خويلد رضي الله عنهما، وهذا عبد الله بن جعفر سيد أجواد العرب تعاهدته أمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وهذا أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أريب العرب وألعيها، ورث عن أمه هند بنت عتبة همة تجاوز الثريا، وهي القائلة- وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها-: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه، قالت: ثكَلْتُهُ إِذَا إِن لَمْ يَسِدْ إِلَّا قَوْمَهُ. ولَمَّا نَعِيَ إِلَيْهَا وَلَدَهَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ لَهَا بَعْضُ الْمَعْزِينَ: إِنَّا لَنَرْجُو أَن يَكُونَ فِي مَعَاوِيَةَ خَلْفَ مِنْهُ. فقالت: أو مثل معاوية يكون خلقاً من أحد؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها، ثم رمي به فيها، لخرج من أيها شاء.

وقد كان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع بالفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي، انتسب إلى أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند.

وهذا سفيان الثوري الإمام الجليل، والعلم الشامخ كان ثمرة أم صالحة غذته

بلبانها، وحاطته بكنفها، حتى صار إمام المسلمين، وأمير المؤمنين في الحديث، قالت له أمه وهو صغير: يا بني! اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي.

وكذا فعلت أم الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن، شيخ الإمام مالك، فقد كان ثمرة تربية أم فاضلة أنفقت عليه أمه ثلاثين ألف دينار خلفها زوجها عندها وهي حامل به، وخرج إلى الغزو ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة.

وها هي أم الإمام مالك إمام دار الهجرة تؤزّه على طلب العلم، وتلبسه ثياب العلم، وتقول له: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه.

ومات والد الإمام الشافعي وهو جنين أو رضيع، فتولته أمه بعنايتها، وأشرقت عليه بحكمتها، وتنقلت به من «غرة» إلى «مكة» مستقر أخواله، فربته بينهم هنالك. ونشأ الإمام الشافعي فقيراً، ولم تستطع أمه دفع أجر معلمه، إلا أن المعلم قبل أن يعلمه بدون أجر، وتعهده بالرعاية، وجعل له منزلة خاصة بين التلاميذ، لما لمسه فيه من نباهة وسرعة في الحفظ. قال الشافعي رحمه الله: «كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي أن يعلمني بدون أجر، وأن أخلفه في الدرس إذا قام».

وهذا إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله مات أبوه إسماعيل وهو صغير، فنشأ يتيمًا في حجر أمه، وكانت أمه عابدة صاحبة كرامات.

ثم قال حفظه الله: وتأمل كيف اكتشف والد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نضوجه الاجتماعي المبكر، فراح ينمي ثقته بنفسه، ويصقل مواهبه، ويؤيده لتحمل المسئوليات، فقد كتب في ذلك إلى صاحب له فقال رحمه الله: «تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال سن اثنتي عشرة سنة على التمام، ورأيت أنه أهلاً للصلاة بالجماعة والالتزام، فقدمته لمعرفة بالأحكام، وزوجته بعد البلوغ مباشرة، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبت بالإسعاف إلى ذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام»^(١) اهـ.

وبغير هذا «النضوج الاجتماعي المبكر» والتربية الواعية التي تنمي الملكات، وتغرس الشقة في النفس، وتحررها من التواكل والتبعية والطفولية، لا نستطيع أن نفسر ظاهرة ارتحال العلماء في سن الصبا والشباب المبكر في أقطار الدنيا طلباً للعلم، وقد فارقوا الأهل والأوطان، وكابدوا المخاطر والمشاق دون كلل ولا ملل ولا تبرم.

وقد تكون البيئة المترفة عائقاً بليغ الإعاقة عن المضي في طريق المجد، ومع ذلك يترفع عليها صاحب الهمة العالية، ويسخرها لإنجاز المطالب الجسيمة، كحال الإمام أبي محمد علي بن حزم رحمه الله، الذي نشأ نشأة مترفة، ولكنه انصرف عن مطامح الدنيا ومطامعها في سبيل طلب العلم، فقد جرت مناظرة بين الإمامين ابن حزم وأبي الوليد الباجي رحمهما الله، فلما انقضت قال الباجي لابن حزم: تعذرني فإن أكثر مطالعاتي كانت على سُرُج الحُرَّاس. فأجابه ابن حزم: وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعاتي كانت على منائر- أي: مصابيح- الذهب والفضة^(١). قال ياقوت الحموي: «أراد أن الغنى أضيع لأطلب العلم من الفقر!».

فماذا لو كان النابغة في ظروف لا تؤهله للنبوغ؟ هل تدفن مواهبه؟ أم يُرجى له الموت، وتكون موهبته وبالأعلى عليه؟ إن عالي الهمة لا يكف عن إظهار همته رغماً عنه لعلو نفسه ورفعتها لا لكبرها، فمن الإنصاف أن يتكافل المجتمع المسلم للحفاظ على هذه الموهبة.

وأذكر الآن أن قوافل الفنانين تمر لاكتشاف مواهب التمثيل والغناء!! وأن كشافي كرة القدم يبحثون عن اللاعبين بـ(المنقاش) للاستفادة بهم، فلم لا يكون أهل الحق أولى من غيرهم بهذا الاكتشاف وهذا البحث، وتقديم الرعاية الكاملة لهؤلاء؟

هذا هو أبو حنيفة رحمه الله، تذكر عنه هذه القصة: وذكر الكردي في مناقبه بسنده إلى أبي يوسف رحمه الله تعالى، قال: «كنت أطلب الحديث وأنا مقل المال، فجاء إليّ أبي وأنا عند الإمام فقال لي: يا بني لا تمدنّ رجلك معه، فإن خبزه

مُسَوَّى وأنت محتاج. فقعدت عن كثير من الطلب، واخترت طاعة والدي، فسأل عني الإمام وتفقدني، وقال حين رأيي: ما خلَّفك عنا؟ قلت: طلب المعاش. فلما رجع الناس، وأردت الانصراف دفع إليَّ صرة فيها مائة درهم فقال: أنفق هذا، فإذا تمَّ أعلمني، والزم الحلقة. فلما مضت مدة دفع إليَّ مائة أخرى، وكلما تنفد كان يعطيني بلا إعلام كأنه كان يُخبر بنفادها، حتى بلغت حاجتي من العلم، أحسن الله مكافأته، وغفر له.

لقد تكفل أبو حنيفة رحمه الله بإخراج جيلٍ قال عنه: «ستحتاجه الدولة»، ورفض تقلد منصب القضاء، ولكن ذهب فأنفق على تلامذته حتى قامت حضارة دولة بني العباس على أكتافهم، وصمدت زمناً طويلاً بفضل الله أولاً، ثم بآراء هؤلاء العلماء والقضاة الذين أنفق عليهم أبو حنيفة رحمه الله من ماله الخاص، وعلى الدولة أن تسلك هذا المنحى كما في هذه اللوحة.

هذا الخليفة الموحي الثالث «المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن» الذي أنشأ «بيت الطلبة»، وأشرف عليه بنفسه، وعندما بلغه حسد بعض حاشيته على موضع الطلبة النابغين عنده، فرع منهم، وخاطبهم قائلاً: «يا معشر الموحدين! أنتم قبائل، فمن نابه منكم أمر فرع إلى قبيلته، وهؤلاء الطلبة لا قبيلة لهم إلا أنا، فمهما نابهم من أمر فأنا ملجؤهم، إليَّ فرعهم، وإليَّ ينسبون».

(٢) تشجيع الصغار عند اكتشاف نبوغهم:

والتشجيع هنا له أعظم الأثر في الدلالة على الخير، والتحريض عليه، والحرص على فعله، والحث على الإقدام عليه، وعبارات الثناء وحدها كفيلة بجعل الصغير مثلاً همة ونشاطاً، ثم يحفز مادياً واجتماعياً، وترفع منزلته مما سيرفع لا شخصه؛ بل أمته كلها.

وقد كان النبي ﷺ يمارس هذا التشجيع ليعلم الصحابة أثره العظيم في تنمية الخير في نفوس الصغار والغلمان كما في هذه المواقف:

فيما أخرجه ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: «كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرا من

المشركين فقالوا: «يا غلام هل عندك لبن تسقيننا؟». فقلت: إني مؤتمن ولست أسقيكما. فقال النبي ﷺ: «هل عندك من جرة لم ينز عليها الفحل؟». قلت: نعم، فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا فحفل الضرع ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقكرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع: «اقلص»، فقلص. قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول. قال: «إنك غلام معلّم». فأخذت من فيه سبعين سورة لا يُنازعني فيها أحد^(١).

ولما طعن الناس في إمارة أسامة بن زيد رضي الله عنه إذ إنه ﷺ يفعل الآتي كما يقول ابن عمر: أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم، فطعنوا في إمارته فقال: «أنطعنون في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله لقد كان خليقاً بالإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»^(٢).

من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء».

وفي رواية للبخاري^(٣): «ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله؟». قال كل واحد منهما: أنا قتلت. فقال: «هل مسحتم سيفيكما؟». قالوا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله». فأعطى سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح».

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي، فجرتني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله ﷺ على

(١) صحيح: ابن سعد (١٠٦/١/٣) في طبقاته.

(٢) صحيح: البخاري (٤٢٥٠) في المغازي، مسلم (٢٤٢٦) في فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: البخاري (٣٩٨٨) و (٣١٤١)، مسلم (١٧٥٢).

صلاته خنست، فصلى رسول الله ﷺ، فلما انصرف قال لي: «ما شأني أجعلك حذائي فتخس؟!». فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً. قال: ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفخ ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله، الصلاة. فقام فصلى ما أعاد وضوءاً^(١).

وفي رواية البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ ضمه إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة»^(٢).

ويسير عمر رضي الله عنه على نفس طريق النبي ﷺ: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رُئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليُرهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ (سورة النصر). فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ - وذلك علامة أجلك - فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ (النصر: ٣). فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول^(٣).

وهذه واحدة أخرى لعمر رضي الله عنه: «فمن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟». فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟! قال: فقال: «هي النخلة». قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا»^(٤).

(١) صحيح: أحمد (١/ ٣٣٠) في المسند.

(٢) صحيح: البخاري (٣٧٥٦) في فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: البخاري (٤٩٧٠) في التفسير.

(٤) صحيح: البخاري ومسلم.

على هذا السنن سار ابن عباس منذ طفولته، غير مبال بتثييط مَنْ هو أقصر منه همة، قال رضي الله عنه: «لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ فيهم؟! قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلاً أرسلت إليَّ فأتيتك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني»^(١).

وقد كان ابن شهاب رحمه الله يشجع الأولاد الصغار، ويقول لهم: «لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم»^(٢).

وهذا نموذج آخر في عصر ليس بالبعيد عنا: يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله: «ومن عجيب النماذج الناجحة في زراعة الهمة العالية في الأطفال ما يقال من أن الشيخ أقمشس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني رحمه الله، كان يأخذ بيده، ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح من بعد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى إلى هذه المدينة التي تلوح في الأفق؟ إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن رجلاً من أمتي سيفتحها بجيشه، ويضمها إلى أمة التوحيد، فقال ﷺ فيما روي عنه: «لنفتحنَّ القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»، وما زال يكرر هذه الإشارة على مسمع الأمير الصبي إلى أن نمت شجرة الهمة في نفسه العبقريّة، وترعرعت في قلبه، فعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذي بشرَّ به الصادق المصدوق ﷺ،

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٥٠) لابن كثير.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٨٥).

وقد كان، فقد كان والده السلطان مراد الثاني منذ صغره يستصحبه معه بين حين وآخر إلى بعض المعارك، ليعتاد مشاهدة الحرب والطعان، ومناظر الجنود في تحركاتهم واستعداداتهم ونزالهم، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عملياً، حتى إذا ما ولي السلطنة، وخاض غمار المعارك خاضها عن دراية وخبرة.

ولما جاء اليوم الموعود شرع السلطان محمد «الفاتح» في مفاوضة الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة قال رحمه الله: «حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر».

وحاصر السلطان «محمد الفاتح» - أنعم به من فاتح - القسطنطينية واحداً وخمسين يوماً، تعددت خلالها المعارك العنيفة، وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله، على يد بطل شاب، له من العمر ثلاث وعشرون سنة، وحقق هذا الفاتح البطل للمسلمين أملاً غالياً ظل يراودهم ثمانية قرون، حاولوا تحقيقه مراراً فلم يفلحوا، وكأن القدر كان قد أدّخر هذا الشرف لهذا البطل المغوار.

لكن هنا تحذير: فلا بد من مراقبة الصغير بعد الثناء عليه، والنظر بعين الربّي إليه، هل أثمر الثناء والتشجيع ثماراً طيبة ممزوجة بالتواضع، أم أورثته كبراً وغروراً وعلواً على الآخرين؟ وللوقاية من هذا الداء يحذر من كثرة الثناء، مع مزجه بتعليم الصغير التواضع.

ماذا لو تعثر الصغير مرة؟

تشجعه ألف مرة ومرة لينجح حتى لا يتعود الفشل فيئأس ويترك ما كان يظن أنه سينجح فيه، وإياك ثم إياك من تثبيط الهمم، وهذا مرض متفشٍ بين جموع المسلمين، فقد درج بعض الناس على تثبيط الهمم عامة، ولهذا أسباب منها:

(١) تكبر بعضهم على الآخرين.

(٢) وجود الغيرة التي تورث الحقد.

(٣) وجود عائلات غنية تخشى زلزلة عرشها من الفقراء، وهم مشبوتون من الدرجة الأولى، ظنوا الدنيا حكراً عليهم، فإن لم يكونوا كذلك دبّروا المؤامرات لوأد

مواهب وإبداعات كثيرة، وما يدرون أنهم يقتلون الحياة بقتل هؤلاء، ويحرمون أمتهم من خير كثير.

(٤) الجهل.

(٥) معاداة الدين، أو المعيشة في وهم القديم والتمسك به على خطئه، لكن ما كان صحيحاً منه عمل به.

(٦) النفسيات الساخرة التي تود السخرية ممن حولها، فإن لم تجد سخرت من نفسها.

(٧) انحطاط همة المثبط نفسه.

(٨) الغرور بالنفس والاعتداد بها.

يحكي الشيخ علي الطنطاوي عن مثل هؤلاء المثبتين وأفعالهم، فيعرض لأكثر من نموذج، فيذكر أولاً أثر هؤلاء في قتل الحياة ومفرداتها، فيقول: «إن الشيخ محمد أمين «ابن عابدين» لما نشأ، وأنس المثبتون منه الميل إلى العلم، وعرفوا فيه الذكاء المتوقد، والعقل الراجح، خافوا منه فذهبوا يقنعون أباه - وكان أبوه امرأً تاجراً - ليسلك به سبيل التجارة، ويتنكب به طريق العلم، وجعلوا يكلمونه، ويرسلون إليه الرسل، ويكتبون إليه الكتب، ويستعينون عليه بأصحابه وخلصائه، ولكن الله أراد بالمسلمين خيراً، فثبت الوالد فكان من هذا الولد المبارك ابن عابدين صاحب «الحاشية»، أوسع كتاب في فروع الفقه الحنفي.

بل أرادوا أن يصرفوا أستاذنا العلامة «محمد بن كرد علي» عن العلم، فبعثوا إليه بشقيقتين من آل... بشقيقتين قد ماتا فلسفتُ أسميهما، على رغم أنهما قطعاً عن العلم أكثر من أربعين طالباً، فما زالا بأبيه - ولم يكن أبوه من أهل العلم - ينصحانه أن يقطعه عن العلم، ويعلمه مهنة يتكسب منها، فما في العلم نفع ولا منه فائدة، ويُلحَّان عليه ويلازمانه، حتى ضجر فصرفهما فكان من ولده هذا، الأستاذ «كرد علي» أبو النهضة الفكرية في الشام وقائدها، ووزير معارف سورية الأسبق ومفخرتها، والذي من مصنفاته: خطط الشام، وغرائب الغرب، والقديم والحديث، والمحاضرات، وغلبير الأندلس وحاضرها، والإدارة الإسلامية، والإسلام والحضارة

العربية، والمقتبس. ومن مصنفاته: «المجمع العلمي العربي بدمشق»، ومن مصنفاته «هؤلاء الشعراء والكتاب من الشباب»!

ولعل في الناس كثيرين كانوا لولا الاحتكار والشيط كابن عابدين وكکرد علي، وما هو ذا العلامة الشيخ «سليم البخاري» رحمه الله مات وما له مصنف رسالة فما فوقها، على جلالة قدره، وكثرة علمه، وقوة قلمه، وشدة بيانه، وسبب ذلك أنه صنف لأول عهده بالطلب رسالة صغيرة في المنطق، كتبها بلغة سهلة عذبة، تنفي عن هذا العلم تعقيد العبارة، وصعوبة الفهم، وعرضها على شيخه، فسخر منه وأنبه وقال له: أيها المغرور! أبلغ من قدرك أن تصنف، وأنت... وأنت...؟ ثم أخذ الرسالة فسجّر بها المدفأة، فكانت هي أول مصنفات العلامة البخاري وآخرها.

وإليك هذه القصة لتتعلم منها: «نشأ الشيخ «محمد إسماعيل» الحائك عامياً، ولكنه محبٌ للعلم، محبٌ للعلماء، فكان يحضر مجالسهم، ويجلس في حلقتهم للتبرك والسماع، وكان يواظب على الدرس لا يفوته الجلوس في الصف الأول، فجعل الشيخ يؤنسه ويلطف به لما يرى من دوامه وتبكيره، ويسأل عنه إذا غاب، فشدّ ذلك من عزمه، فاشترى الكتب يُحيي ليله في مطالعة الدرس، ويستعين على ذلك بالنابهين من الطلبة، واستمر على ذلك دهرًا حتى أتقن علوم الآلة، وصار واحد زمانه في الفقه والأصول، وهو عاكف على مهنته لم يتركها، وصار الناس يأتونه في محلّه يسألونه عن مشكلات المسائل، وعويصات الوقائع، فيجيبهم بما يعجز عنه فحولة العلماء، وانقطع الناس عن المفتي من آل العمادي، فساء ذلك العماديين وآلهم، فتربّصوا بالشيخ وأضمرّوا له الشر، ولكنهم لم يجدوا إليه سبيلاً، فقد كان يحيا من عمله، ويحيا الناس بعلمه، وكان يمر كل يوم بدار العماديين في «القيمرية» وهو على أتان^(١) له بيضاء، فيسلّم فيردون عليه السلام، فمر يوماً كما كان يمر، فوجد على الباب أخاً للمفتي، فرد عليه السلام وقال ساخراً: إلى أين يا شيخ، أذهب أنت إلى إسطنبول لتأتي بولاية الإفتاء؟ وضحك وضحك من حوله، أما الشيخ فلم يزد على أن قال: إن شاء الله. وسار في طريقه حتى إذا ابتعد عنهم

دار في الأزقة حتى عاد إلى داره، فودع أهله، وأعطاهم نفقتهم، وسافر، وما زال يفارق بلدًا، ويستقبل بلدًا حتى دخل القسطنطينية، فنزل في خان قريب من دار المشيخة، وكان يجلس على الباب يطالع في كتاب أو يكتب في صحيفة، فيعرف الناس من زيّه أنه عربي فيحترمونه ويُجلُّونه، ولم يكن الترك قد جنُّوا الجَنَّةَ الكبرى بعدُ، فكانوا يعظمون العربي، لأنه من أمه الرسول الأعظم الذي اهتدوا به، وصاروا به وبقومه ناسًا.

واتصلت أسباب الشيخ بأسباب طائفة منهم فكانوا يجلسون إليه يحدثونه، فقال له يوماً رجل منهم: إن السلطان سأل دار المشيخة عن قضية حيرت علماءها، ولم يجدوا لها جوابًا، والسلطان يستحثهم وهم حائرون، فهل لك في أن تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب؟ قال: نعم. قال: سر معي إلى المشيخة. قال: بسم الله. ودخل على ناموس المشيخة - سكرتيرها - فسأله الشيخ إسماعيل عن المسألة فرفع رأسه فقلَّب بصره فيه بازدياء، ولم تكن هيئة الشيخ بالتي تُرضي، ثم ألقاها إليه وانصرف إلى عمله، فأخرج الشيخ نظارته فوضعها على عينه فقرأ المسألة ثم أخرج من منطقته هذه الدواة النحاسية الطويلة التي كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة وللدفاع عن النفس، فاستخرج منها قصبة فبراها، وأخذ المقطع فقطعها، وجلس يكتب الجواب بخط نسخي جميل حتى سوِّد عشر صفحات ما رجع في كلمة منها إلى كتاب، ودفعها إلى الناموس، ودفع إليه عنوان منزله وذهب، فلما حملها الناموس إلى شيخ الإسلام وقرأها، كاد يقضي دهشةً وسرورًا، وقال له: ويحك! مَنْ كتب هذا الجواب؟ قال: شيخ شامي من صفته كيت وكيت. قال: عليَّ به. فدعوه وجعلوا يعلمونه كيف يسلم على شيخ الإسلام، وأن عليه أن يشير بالتحية واضعًا يده على صدره منحنيًا، ثم يمشي متباطئًا حتى يقوم بين يديه... إلى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة التي نسيها الشيخ ولم يحفظ منها شيئًا، ودخل على شيخ الإسلام فقال له: السلام عليكم ورحمة الله. وذهب فجلس في أقرب المجالس إليه، وعجب الحاضرون من عمله، ولكن شيخ الإسلام سرَّ بهذه التحية الإسلامية، وأقبل عليه يسأله حتى قال له: سلني حاجتك. قال: إفتاء الشام وتدريس القبة. قال: هما لك،

فاغدُ عليَّ غداً. فلما كان من الغد ذهب إليه، فأعطاه فرمان التولية، وكيساً فيه ألف دينار، وعاد الشيخ إلى دمشق فركب أتاناً، ودار حتى مرَّ بدار العماديين، فإذا صاحبنا على الباب، فسخر منه كما سخر وقال: من أين الشيخ؟ فقال الشيخ: من هنا، من إسطنبول، أتيت بتولية الإفتاء كما أمرتني. ثم ذهب إلى القصر فقابل الوالي بالفرمان، وسلم الشيخ عمله في حفلة حافلة.

وكم كان العالم الإسلامي سيخسر لو أن الرجل قعدت همته بسبب هؤلاء؟! فعلى المربي ألا يُحِطَّ من همة أحد، ولا يزدريه، بل يشجعه ويرشده إلى الصواب ويعينه عليه.

(٣) النصيحة والمتابعة:

فينصح الوالد ولده بما ينفعه ويوجهه إليه، ويأطره عليه وإليه أطراً، فكما يقول سفیان بن عیینة رحمه الله - ت (١٩٨هـ) -: «قال لي أبي - وقد بلغ خمس عشرة سنة - إنه قد انقضت عليك شرائع الصبا، فاتبع الخير تكن من أهله. فجعلت وصية أبي قبله أميل إليها، ولا أميل عنها» (١).

إننا نلمح النبوغ من جهة معينة من الصغار فعلينا أن نحفزهم وننصحهم ونعينهم عليها، وأن نختار من الكلمات والنصائح ما يبقى في آذانهم دهرًا طويلاً.

(٤) معاملة الصغير معاملة العاقل:

فيكون له (كيان) يشعر به دون أن يتكبر أو نعطيه نحن الفرصة لذلك، فمثلاً: يستأذنه فيما هو حق له.

إن إعطاء الطفل حقه يشعره بقيمته في الحياة، ويؤهله مستقبلاً أن ينضبط، فلا يفرط في حقوق الآخرين. وهذا النبي القدوة ﷺ يستأذن غلاماً جالساً عن يمينه أن يتنازل عن حقه في الشراب للشيخ الكبير الجالس عن يسار النبي ﷺ، وإذا بالطفل يرفض التنازل عن حقه لأي أحد إلا للنبي فقط، فأعطاه النبي ﷺ الإناء ليشرب ويستأثر بحقه، ولو كان قبل الشيوخ.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟». فقال الغلام: لا، والله لا أوثر بنصيب منك أحداً. قال: فتلّه - وضعه - رسول الله ﷺ في يده^(١). سبحان الله! محمد سيد الخلق، وأعظمهم منزلة، وأعلاهم مكانة، يستأذن صبيّا!!

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أعطى النبي ﷺ الجالس عن يمينه، وهو الذي أمر بإعطاء الكبير أولاً كما في قوله ﷺ: «كَبُرَ كَبِيرٌ»، وما نُقِلَ عنه أنه ﷺ إذا سقى قال: «ابدءوا بالكبير»؟

والجواب: إن هذا إشكال يحتاج إلى توضيح، وتوضيحه كما قال ابن حجر رحمه الله: «ويُجمع بأنه محمول على الحالة التي يجلسون فيها متساوين، إما بين يدي الكبير أو عن يساره كلهم أو خلفه أو حيث لا يكون فيهم فتخص هذه الصورة - وهي البدء بالكبير - من عموم تقديم الأيمن، أو يُخص من عموم هذا الأمر بالبدء بالكبير ما إذا جلس بعض عن يمين الرئيس وبعض عن يساره، ففي هذه الصورة يُقدّم الصغير على الكبير والمفضول على الفاضل. ويظهر من هذا أن الأيمن ما امتاز بمجرد الجلوس في الجهة اليمنى؛ بل بخصوص كونها يمين الرئيس، كالفضل إنما فاض عليه من الأفضل.

وقال أيضاً: «إن تقديم الأيمن سنة عامة في كل موطن، وإن تقديم الذي على اليمين ليس لمعنى فيه؛ بل لمعنى في جهة اليمين وهو فضلها على جهة اليسار»^(٢).

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضرب أروع المثل في الاقتداء بالنبي ﷺ في استئذان الصغير في حقه، فكان أبو بكر فوق الستين من عمره حين استأذن أسامة بن زيد البالغ من العمر ثماني عشرة سنة أن يترك له عمر الفاروق ليساعده في شئون الخلافة وذلك بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وكان الرسول ﷺ قد بعث أسامة أميراً على جيش لغزو الروم، وكان عمر أحد جنود هذا الجيش بقيادة أسامة، وتأخر

(١) صحيح: البخاري ومسلم، والغلام قيل: هو ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الفتح (١/٨٧).

خروج ذلك الجيش بسبب وفاة النبي ﷺ، ثم بعد دفن النبي ﷺ أمر أبو بكر رضي الله عنه بأن يمضي جيش أسامة لغزو الروم.

قال الإمام الذهبي: «قال أبو بكر: امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر فأستشيره وأستعين به. ففعل أسامة»^(١).

أو أن يقدم للصلاة إن كان هو أحفظ القوم كما في حديث عمرو بن سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليؤمكم أكثركم قرآنًا»^(٢). وكان عمرو حينها أصغر قارئ (ست سنوات).

وقد امثل أصحاب النبي ﷺ لتقرير هذا الحق للصغير، فعن عمرو بن سلمة قال: «وبادر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًا، فقال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنًا». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: غطوا است قارئكم. فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص»^(٣).

وقد صحت الأحاديث بإمامة الأقرأ والأحفظ لكتاب الله، فهي حقه، قال ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنًا، ولا يؤم الرجل في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه»^(٤).

أو يصحبه معه ليحيا حياة الكبار، ويكتسب خبرات أكثر وأكثر، فمن حق الطفل أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة،

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) انظر صحيح الجامع (٥٣٥٠).

(٣) صحيح: البخاري في الصلاة.

(٤) صحيح: الترمذي (٢٣٥).

والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته.

وقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك، فعلمنا أنه صحب أنسًا، وكذلك صحب أبناء جعفر ابن عمه، والفضل ابن عمه، وها هو عبد الله بن عباس، ابن عمه ﷺ، يسير بصحبته ﷺ على دابته، فيستفيد النبي ﷺ من تلك الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خال، والقلب مفتوح، فيعلمه كلمات على قدر سنه واستيعابه، في خطاب مختصر ومباشر وسهل، مع ما يحمله من معانٍ عظيمة يسهل على الطفل فهمها واستخلاصها، يقول: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١).

وينبغي أيضًا تعويده على مكارم الأخلاق، قال ابن القيم رحمه الله: «وما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده الرب في صغره من: حَرَدٍ، وغضبٍ، ولَجَاجٍ، وعَجَلَةٍ، وخِفَّةٍ مع هواه، وطيشٍ، وحِدَّةٍ، وجَشَعٍ، فيصعب عليه في كِبَرِهِ تلافِي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرر منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قِبَل التربية التي نشأ عليها، وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغماء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه، عسر عليه مفارقتها في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج عن حُكْم الطبيعة عسر جداً.

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي، ويعوده البذل والإعطاء، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئاً أعطاه إياه على يده ليزوق حلاوة الإعطاء، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) في صفة القيامة وضححه الألباني هناك عن ابن عباس رضي الله

فما يجنبه السم الناقع، فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة، وحرمه كل خير.

ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام، ومخالطة الأنام، فإن الخسارة في هذه الفضلات، وهي تفوت على العبد خير دنياه وآخرته، ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فساداً يعز عليه بعد صلاحه، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانتة له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء^(١).

وقال الغزالي: «وينبغي أن يُعوّد ألا ييصق في مجلسه، ولا يتمخط، ولا يتثأب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده؛ فإن ذلك يدل على الوقاحة، وأنه فعل اللثام، ويمنع اليمين رأساً، صادقاً كان أو كاذباً، حتى لا يعتاد ذلك من الصغر، ويمنع أن يبتدئ بالكلام، ويعود ألا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنّاً، وأن يقوم لمن فوقه، ويوسّع له المكان، ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإن ذلك يسري لا محالة من قراء السوء، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء»^(٢).

وبمثل هذا نخرج عالي الهمة، مع مزج ما سبق بالدعاء له، وأن تكون نية المربي لله تعالى خالصة لا تشوبها شائبة.

(٥) التدريب على حمل المسؤولية منذ الصغر:

خاصة إن كان الصغير ولدّاً، فالرجل بطبعه يحب المسؤولية، وإذا كان الصغير مجبوراً على أنه خالٍ من المسؤولية فلنبدأ نحن في تعليمه كيف يتحملها، نبدأ بتعليمه

(١) تحفة المودود (ص ١٩٤ - ١٩٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٦٢).

كيف يقضي حاجاته وحده (يشرب، يأكل، يقضي حاجته) مع مساعدة وعون، نعلمه كيف يخلع ملابسه ويرتديها، وقد نسمح له بحل بعض المشاكل الصغيرة التي نرى له قدرة على حلها كـ (ربط الحذاء) مثلاً، أو إجراء المصالحة بين أخوين له أو صديقين، أو طلب المثابرة منه على فهم مسألة معينة، وبعثه برسائل لا تحمل طابع الأهمية إلى الجيران أو الأصدقاء، أو إرساله لشراء بعض الحاجيات، وتعويد الاعتماد على النفس، ونعلمه كيف يتحمل النتائج المترتبة على خطئه هو، ويُعوّد على ترتيب حجرته، ولم البعثة التي يحدثها أثناء اللعب. وهذه الأمور على صغرها إلا أن لها أكبر الأثر بعد ذلك في إخراج الرجال.

يقول الدكتور عدنان باحارث^(١): «كما يمكن تحميل الولد المميز أعباء خطئه فيشعر بالمسئولية، ويحس بها من خلال تحميله مسئولية تنظيف ألعابه وأدواته التي تركها في فناء المنزل فأصابها المطر، وأتلف بعضها، كما يتحمل تكاليف كسره لزجاج النافذة بالكرة حيث أهمل ولم يلعب في المكان المخصص لذلك.

ويلحظ الأب في تحميل الولد تبعات أخطائه أن يكلفه ويحمله الأخطاء التي ارتكبها عمداً أو بتفريط منه، أما الأخطاء التي وقعت له بدون قصد أو سابق إرادة، فإنه لا يعاقب على ذلك، بل يشرح له ويبين، ويؤمر بأخذ الاحتياط في المستقبل، كما يحاول الأب أن يثيب الولد بعد اعترافه بخطئه وتحمله لتبعاته ونجاحه في ذلك، فيعطيه هدية، أو يظهر له الشئ على عمله وأنه راضٍ عنه، وذلك لئلا يشعر الولد بأن والده يكرهه أو يحقد عليه، بل يتعلم أن خطأه هذا هو الذي جر عليه غضب والده، وأن تحمله أعباء خطئه وإصلاح ما أتلفه أعاد له رضا والده عنه مرة أخرى.



(١) مسئولية الأب المسلم (ص ١٦٧).

التربية بالقصة

* أهمية التربية بالقصة والروايات.

* ثمان قصص إسلامية.



أهمية القصة والروايات في تربية الأولاد

تعد القصة وسيلة تربوية هامة في منهج التربية الإسلامية، حيث لا يقتصر دورها التربوي وتأثيرها العاطفي والنفسي على الأطفال الصغار فحسب؛ بل يتعدى ذلك ليشمل الكبار والشيوخ، فهذا كتاب الله عز وجل قد تضمن بين دفتيه المباركتين قصصاً كثيرة تربي عليها الكبار في العهد النبوي وما بعده قبل أن يتربى عليها الصغار، فأنمر تأثيرها- ممتزجاً بباقي جوانب المنهج الإسلامي- نماذج بشرية فاقت كل جيل قبلها، وأعجزت كل جيل بعدها أن يماثلها أو يساويها.

إن وجود هذا العدد الهائل من القصص في كتاب الله عز وجل، وسرد بعضها بتفصيل دقيق، وذكر بعضها في أكثر من سورة، رغم الإيجاز في توضيح أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، رغم أنها أركان الإسلام وأساساته، فهذه الشعائر التعبدية العظيمة لم يرد لها تفصيل في القرآن الكريم كما هو الحال في حق القصص القرآني الذي فُصِّل تفصيلاً دقيقاً وكثيراً، إن في هذا إشارة بالغة الوضوح في أن لهذا القصص مكانته وأهميته التربوية في منهج التربية الإسلامية. وإذا كان الأمر كذلك فإن استخدام الأب للقصة في مجال توجيه الولد وتربيته، يعد أمراً موافقاً لمنهج التربية الإسلامية الصحيح، خاصة وأن التربويين يكادون يجمعون على أهمية استخدام القصة في تربية النشء، وأن لها أثراً تربوياً جيداً على شخصياتهم، فهي تقوي الخيال عندهم، وتشد انتباههم، وتنمي لغتهم، وتدخل عليهم السرور والبهجة، إلى جانب أنها تعلمهم الفضائل والأخلاق من خلال أحداثها المثيرة^(١).

(١) انظر: سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، (ص ٣٠٤). الإستانبولي، محمود =

وعند اختيار الأب للقصة يراعي بعض الأمور^(١):

- (أ) أن تهدف إلى فوائد خلقية وأدبية وعلمية مع تجنب القصص السخيفة.
- (ب) أن تضم جانباً من الفكاهة والمرح لجذب انتباه الولد وإدخال السرور عليه.
- (ج) إظهار الانفعالات على الوجه والصوت حسب المواقف المختلفة ليعيش الولد مع القصة.
- (د) الشاء على أصحاب الفضل في القصة، وذم أصحاب الباطل والتقليل من شأنهم.
- (هـ) تجنب الوقائع التاريخية التي لا يفهمها الأطفال وليس فيها دروس أخلاقية تنفعهم، مثل مقتل عثمان رضي الله عنه، أو موقعة الجمل، أو معركة صفين وغيرها من القصص التي لا تناسب الأطفال.

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأمور بعض القضايا الخاصة بالقصص المقروءة، فيراعي الأب أن تكون القصة مكتوبة بخط كبير وواضح، وبلغة سهلة ميسرة، مع استخدام الصور الزاهية الملونة^(٢).

أما ما يخص اختيار القصة نفسها من بين المعروضات المختلفة من قصص الأطفال، فإن الاهتمام بأدب الأطفال، والكتابة لهم، يعتبر من الاهتمامات الحديثة في هذا العصر، وقد أصبح في الآونة الأخيرة في توسع كبير، «إلا أن معظم هذه الكتابات تتم في غياب النقد والرقابة الوطنية التربوية^(٣)، فالكتب والقصص الخاصة بالأطفال، والتي تُرجم إلى العربية لا تمثل في الحقيقة احتياجات أطفالنا، ولا تعالج موضوعات تخصنا؛ بل هي بعيدة عن واقع حياتنا الذي نعيشه، إلى جانب أن أكثرها ضعيف الترجمة والنقل إلى العربية، فتصعب على الطفل قراءتها^(٤).

= مهدي، كيف نربي أطفالنا، (ص ٦٦). مراد، جوليا، قصص الأطفال، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣) (ص ٨٦).

(١) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا (ص ٦٩ - ٧٢).

(٢) مراد، جوليا، قصص الأطفال، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣) (ص ٨٧).

(٣) معمر، عيد، أدب وأدباء الطفولة، مجلة التربية، العدد (٦٥)، (ص ٥٧).

(٤) أبو النصر، جوليندا، تنمية القراءة لدى الأطفال العرب، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية (ص ٢٦).

والقصص والمجلات المنشورة مثل: «سوبر مان»، و«اللولو»، و«الوطواط»، و«ميكي» وغيرها تدور أحداثها حول المغامرات والعنف، وشخصيات خرافية وهمية غير حقيقية، وبعضها شخصيات حيوانات أو رجال فضاء، كما أن استخدام هذه المجلات للغة العربية العامة مكتوبة ومقروءة، يعد بلا شك أشد خطراً على اللغة العربية الفصحى من كون العامة مسموعة فقط دون كتابة^(١).

ولا شك أن لهذه القصص بجانب هدمها للغة العربية الفصحى، فإن لها أثرها السيء في توجيه الأطفال، فهي لا تتضمن معاني تربوية رفيعة، كما أنها لا تهدف إلى غرس الأخلاق والمقيم، إلى جانب أنها خرافية بعيدة عن الواقع والحقيقة، وأعظم من هذا كله أنها تغفل وجود الله عز وجل بالكلية، وإن حدث وذكر جل شأنه، كان بلا دور حقيقي وفعال، فإن أبطال تلك القصص والمجلات هم الذين يتحكمون في الكون ومقدراته بما أوتوه من القوة الخارقة، والأجسام العملاقة، والأجهزة الفتاكة، ولا تخفى على الأب المسلم خطورة مثل هذه المنشورات على عقيدة الأولاد وأخلاقهم.

ويُضاف إلى هذا النوع من القصص والروايات التي يتجنبها الأب تلك القصص المرعبة التي تدور أحداثها حول الجن والشياطين، فإنها تضر الولد، وتوقع في نفسه الفزع والخوف، إلى جانب أنها لا تحمل قيمةً أو فائدة علمية^(٢).

والمرابي أو الأب يجد وفرة من القصص القرآني والنبوي الذي يتميز بحقيقته وواقعيته وبعده عن الخيال والخرافة، فيقوي عند الولد صلته بالتاريخ الإسلامي المجيد، إلى جانب ما يتضمنه من تقوية العقيدة بالله، وأنه هو المؤيد للمؤمنين، المخزي للكافرين، كما أن هذا القصص يتضمن إبراز الصراع الدائم بين الحق والباطل، وانتصار الحق في النهاية، وفي القصص القرآني وصل للولد بالأمم المؤمنة السابقة وأنبيائها، فيستشعر الولد أن تاريخه يبدأ من آدم عليه السلام، وينتهي إلى

(١) الدسوقي، فاروق أحمد، مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي، وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين (ج ١/ ص ٣٥٢، ٣٥٣).

(٢) جرجس، ملاك، مخاوف الطفل وعدم ثقته بنفسه أسبابها والوقاية منها وعلاجها، (ص ٢٦).

آخر إنسان يقول: «لا إله إلا الله» على وجه هذه الأرض، وهذا الاستشعار الهام يوقد في قلبه جذوة الإيمان، ويهبه علو الهمة والشأن، حتى وإن كان ضعيفاً مغلوباً على أمره فهو موصول بكل هذا التاريخ الطويل المجيد الضارب أطنايه في القرون الخالية واللاحقة، أما غيره من الأعداء والمجرمين فهم مبتورون منقطعون عن هذا التاريخ العظيم.

وعرض الأب أو المربي للقصص القرآني والنبوي على هذا النحو الفريد له بالغ الأثر على نفس الولد، ففي مجال اختيار القصص القرآني يمكن أن يعتمد على القرآن الكريم وكتب التفسير، وفي القصص النبوي يعتمد على سيرة الرسول ﷺ في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام، أو كتاب «زاد المعاد» لابن القيم.

وهناك من الكتب المعنية بالأطفال كثير كما كان لي شرف الكتابة فيها، فقد أصدرت دار الفجر مجموعة من كتب الأطفال تهتم بالقصص وهي كالاتي: (قصص الأنبياء، السيرة النبوية للأطفال، حياة الصحابة للأطفال، من وصايا الرسول ﷺ للأطفال، فقه السنة للأطفال) وهي من الكتب التي لاقت رواجاً كبيراً بحمد الله تعالى، وننصح الأب أو المربي عموماً بالتحضير والقراءة المسبقة مع اختيار وسيلة جيدة للعرض، ليؤهل الصغير بعد ذلك للقراءة، ويزرع فيه حبها، وهذه قصص ثمانٍ نمزج فيها بين القصص القرآني والنبوي، فاستعن بها بعد الله تعالى.



رحلة العجائب

قصة موسى والخضر^(١) عليهما السلام

وقف موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل^(٢) يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر، ويذكرهم بالله وطاعته، حتى بكت العيون، وخشعت القلوب، فقام رجل من بني إسرائيل فقال: مَنْ هو أعلم^(٣) الناس؟ فقال موسى عليه السلام: أنا. وانصرف بنو إسرائيل، وبقي منوسى عليه السلام وحده، فأوحى الله إليه يُعلِّمه أن هناك مَنْ هو أعلم منه، فقال موسى عليه السلام: وَمَنْ هو يا رب؟ فقال الله تعالى: عبدٌ لي اسمه: الخضرُ بمجمع البحرين^(٤). فقال موسى عليه السلام: كيف أراه؟ وكيف أصل إليه يا رب؟ فقال الله عز وجل: خذ حوتاً^(٥) في مِكْتَلٍ^(٦) فإذا فقدت الحوت فارجع إلى مكان فقده، فهذه علامة على مكان الخضر. فاستدعى موسى عليه السلام فتاه (يُوشع بن نون) وأمره أن يأتي بحوتٍ في مِكْتَلٍ، وأن يستعد للسفر معه إلى مجمع البحرين، في رحلة علمية سيريان فيها العجب العُجاب.

وانطلق موسى عليه السلام إلى مجمع البحرين، يتمنى لقاء (الخضر) ليتعلم منه ما علَّمه الله، ولا عجب فالمرء يتعلم طيلة حياته، ولا ينبغي ترك العلم حتى الممات، والإنسان مهما آتاه الله من العلم هناك مَنْ هو أعلم منه، والله تعالى الذي له العلم كله، والبشر إنما يتعلمون جزءاً من علم الله تعالى.

كان الخضر شخصية عجيبة، فقد علمه الله علوماً لا يفهمها إلا هو، وكان الخضر قد ذهب ليجلس على قُرْوةٍ فلما قام عنها إذا بها تهتر خضراء، فسماه الناس:

(١) الخضر: بفتح الخاء وكسر الضاد.

(٢) بني إسرائيل: هم قوم موسى عليه السلام.

(٣) أعلم: أكثر الناس علماً.

(٤) مجمع البحرين: اسم لمكان.

(٥) الحوت: السمكة الكبيرة.

(٦) المِكْتَل: الزنبيل، أو القُفَّة، وهو وعاءٌ من خوص.

الخضر، وصار هذا اسمه الذي اشتهر به بين الناس.

وكان الزمان القديم قبل بعثة رسول الله ﷺ إذا بُعث النبي يُبعث إلى قومه فقط، فيمكن أن يكون في الزمان الواحد أكثر من نبي، فلما بُعث رسول الله ﷺ كانت بعثته للناس جميعاً، فليس بعده من رسول، فلم يكن غريباً أن يكون في زمان موسى عليه السلام أكثر من نبي: هو، والخضر عليهما السلام.

كان موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون يقطعان الطريق من ديار بني إسرائيل إلى مجمع البحرين لعلهما أن يلتقيا بالخضر، والحوت كائن مائي إن ترك الماء وخرج منه مات، وهذا بالضبط ما حصل للحوت الذي وضعه (يوشع بن نون) في المكتل، لكن حدث العَجَبُ العُجَاب!! لقد نام موسى عليه السلام ونام معه فتاه يوشع بن نون عند صخرة من الصخرات الكبيرة القريبة من البحر، فإذا بالحوت يأمره الله تعالى أن يعود حياً، والله على كل شيء قدير، فعاد الحوت يهتز كما كان، فخرج من المكتل ليتوجه إلى البحر، ويتابع طريقه ليعود من حيث أتى، دون أن يشعر موسى عليه السلام ولا فتاه يوشع بن نون، فلا زالا نائمين، فما إن استيقظا حتى واصلا طريقهما باحثين عن الخضر عليه السلام، فمضى اليوم، ومضت الليلة ولم يجدها، فلما كان الغدُ وهما يواصلان البحث، أحس نبي الله موسى عليه السلام بالجوع الشديد، فقال لفتاه: آتنا غداءنا، فقد أصابنا من هذا السفر الطويل نصبٌ وتعبٌ. فنظر يوشع في المكتل فلم يجد الحوت، فقال لنبي الله موسى: أرايت لو رجعنا إلى الصخرة التي كنا نائمين عندها، فإني نسيت الحوت هناك. فاستبشر موسى عليه السلام وفرح على ما به من الجوع، لأن فقد الحوت علامة لقائه بالخضر عليه السلام، فعاد إلى الصخرة سريعاً وهو يقول لفتاه: ذلك ما كنا نبغ^(١). وعاد ينظر إلى آثار قدميه حتى وصل إلى هذه الصخرة.

هناك عند الصخرة كان الخضر عليه السلام قد حطَّ رحاله، ثم تسجَّى^(٢) بثوب له، وبعد رحلة العجب إذا بالخضر يرى أمامه مَنْ يُلقِي عليه السلام، فردَّ الخضر

(١) نبغ: نريد.

(٢) تسجَّى: تغطى.

السلام، فقال موسى عليه السلام: أنا موسى!! فقال الخضر: موسى بني إسرائيل؟ فقال كليم الله^(١) في تواضع: نعم، أتيتك لتُعَلِّمَنِي بما علمك الله من الهداية والعلم. وهذا أدب الاستئذان الذي ينبغي أن يتأدب به الطالب مع شيخه وأستاذه، فقال: إنك يا موسى عَلَّمَك اللهُ علماً لا أعلمه أنا، وَعَلَّمَنِي اللهُ علماً لا تعلمه أنت. فقال موسى عليه السلام: هل أَتَّبِعُكَ؟ قال الخضر: لكنك لا تستطيع أن تصبر على ما سأفعله، فهو علمٌ لم يُخبرك اللهُ به. قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فقال الخضر عن الشرط الذي وضعه ليلتزم به نبي الله موسى: فإن أَتَّبَعْتَنِي فلا تسألني عن شيءٍ حتى أكون أنا الذي أبدأ بالحديث عنه. فوافق موسى عليه السلام على هذا الشرط، وقَبِلَ به.

وانطلق الرجلان في رحلة علمية تستحق أن تُسمَّى (رحلة العجائب)، ولم يدر موسى عليه السلام أن العلم الذي علمه الله للخضر أغرب وأعجب مما تعلمه هو، وأن صبره سينفذ عند أول لقاء، ولتبدأ الرحلة.

شيخٌ وطالبٌ وقفا على شاطئ البحر في انتظار سفينة تُقلِّهُما إلى الوجهة التي أراد الذهاب إليها، وسرعان ما لاحت^(٢) على البعد سفينة، فأشار إليها، فوقف أصحاب السفينة لينظروا مَنْ يشير إليهم، فإذا بهم قَرَحُوا إذ وجدوا أن مَنْ يشير لهم بالتوقف: الخضر ذلك الرجل الصالح، فلم يكن الشيخ والطالب إلا: الخضر وموسى عليهما السلام، فرحبوا بهما أشد الترحاب، وأركبوهما معهم على الرَّحْب والسعة، بلا أجرٍ يدفعونها، وجاء عصفور فوقف على حرف السفينة، فنقر بمنقاره في البحر نقرةً أو نقرتين، فقال الخضر لموسى عليه السلام: يا موسى!! فانتبه نبي الله الكليم لسمع أول درس يُلقَى عليه من نبي الله الخضر عليه السلام، والذي قال له: ما نَقُصُّ عِلْمِي وَعِلْمُكَ من عِلْمِ اللهِ إلا مثل هذا العصفور بمنقاره في البحر!! فعلم الكليم أنه أمام نبي متواضع عالم، فإن العلم يغرس في أصحابه التواضع، وأجمل ما يكون التواضع لله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، فما علم البشر

(١) كليم الله: لأن الله تعالى كلَّم موسى عليه السلام من غير حجاب.

(٢) لاحت: ظهرت.

جميعاً مهما زاد بما فيه علم الأنبياء إلا كنقطة أو نقطتين في بحر عظيم واسع ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

راحت السفينة تمخر عباب البحر، تعلو فوق أمواجه حتى وصلت إلى وسط البحر، ووسط البحر أعلاه، وفوق السفينة ركاب، وأصحابها مساكين يبدو عليهم الفقر، ورغم ذلك حملوا الخضر وموسى عليهما السلام بغير أجر، ووسط انشغال أصحاب السفينة بقيادتها وسط الريح والأمواج إذا بموسى عليه السلام يرى شيخه الخضر، الأكثر منه علماً يفعل شيئاً إمرأ^(١): إن الخضر تناول فأساً، ونزع لوحاً من ألواح السفينة!! وإذا بنبي الله موسى عليه السلام يستشعر الخطر، فهذا اللوح سيدخل الماء منه، فيغرق السفينة بأهلها، وما ذنب أصحابها المساكين الذين فعلوا معروفاً معهما، فقال في غضب: أحرقت السفينة لتغرق أهلها وأصحابها!! أصحابها حملونا بغير أجر، تكافئهم على معروفهم بإغراق سفينتهم!!

وفي هدوء وسكينة قال الخضر لموسى مُذْكَراً بالشرط الذي قطعه على نفسه: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟! فهذأت نفس الكليم وهو يعلم أن قدر الله لا يحمل إلا الخير لأصحابه، وأن الله لا ولن يعلم الخضر ما يؤدي به الناس، فهناك حكمة خافية، وستظهر عما قريب، فليصبر.

فقال موسى عليه السلام: لا تؤاخذني فقد نسيت، ولا ترهقني^(٢)، فإن ما أراه صعبٌ عليّ. إن موسى عليه السلام إنما أخذته رقةً وشفقةً بالبشر من أصحاب السفينة وركابها، وهذا حال الأنبياء جميعاً عليهم السلام رقة ورحمة ورأفة. لقد وصلت السفينة إلى الساحل فنزل النبيان الكريمان وشكرا أصحاب السفينة على معروفهم.

لم يكن الخضر عليه السلام ينتقل في الأرض إلا بأمر الله تعالى وبوحيه، وهذه المرة انطلق مع نبي الله موسى إلى قرية من القرى، وكانما يبحث الخضر عن شيء بعينه داخل طرق هذه القرية، حتى وصل إلى مجموعة من الصبيان يلعبون، تلتمع

(١) إمرأ: منكرًا عجبًا هائلاً.

(٢) ترهقني: لا تحملني فوق طاقتي، فإن فيما أراه شدة عليّ.

في عيونهم براءة الصغار، ويشع منهم الطُّهر، وبينهم طفل هو أحسنهم وأجملهم، يقفز في براءة، ويتقلب مع الصغار، فيضحك معهم ويتسم حتى إن العيون إذا رآته تمت أن يكون لها مثله من الولد، ويظل الخضر يحوم حول هؤلاء الصغار حتى استدعى هذا الصغير الجميل من بينهم، وذهب به بعيداً، وموسى عليه السلام ينظر إليه ما سيفعل به، وفجأة، وبدون مقدمات إذا بالخضر ي... يقتلع رأس هذا الغلام!! نعم، لقد قتل الخضر طفلاً صغيراً، فأسرع نبي الله موسى عليه السلام، وهو هذه المرة غير ناسٍ، بل متذكر للشرط الأول، أسرع ليقول للخضر: أقتلت نفساً زكية^(١) بغير ذنب فعلته، وبغير نفسٍ قتلتها، لقد فعلت شيئاً نكراً^(٢). وعاد الخضر عليه السلام في هدوءٍ ليذكر الكليم عليه السلام بما اشترطه عليه، ورضي هو به فقال: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معي صبراً؟! فهذا الكليم، وطابت نفسه، وعادت السكينة إلى نفسه، لكنه اشترط على نفسه شرطاً أصعب فقال: إن سألتك بعدها فلا تُصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً^(٣). ولم يكن موسى عليه السلام قد فعل ذلك إلا حياءً من الخضر عليه السلام، فقبل الخضر عليه السلام هذا الشرط الذي ألزم موسى عليه السلام به نفسه، ثم انطلقا.

لوح يُقْلَع من سفينة للمساكين!! وصغيرٌ يُقْتَل على براءته!! ماذا سيفعل النبيان الكريمان من العجائب إذن؟ إن العجيبة الثالثة في طريقهما، كما أن موسى والخضر عليهما السلام لا يزالان في طريقهما، لكن شعوراً بالجوع بدأ يهاجمهما، فرحلة موسى عليه السلام من ديار بني إسرائيل إلى مجمع البحرين دون طعام كفيفة وحدها بأن تقتله جوعاً، فكيف بما بعدها من رحلة البحر وقرية الغلام؟

ولا أحد يدري كم مشى الخضر عليه السلام هو الآخر، وهما بشر من البشر؛ يجوعان ويعطشان!! وكانا قد وصلا إلى قرية، هي قرية البُخل واللُّؤم، فإن أهلها أبوا أن يضيفوهما^(٤)، ومضى الخضر يسير بموسى حتى وصلا إلى جدارٍ من جدران

(١) زكية: بريئة، طاهرة، سالحة.

(٢) نكراً: منكراً.

(٣) أي: صبرت عليّ، وانتهت أعذارى إليك.

(٤) أبوا: رفضوا. يضيفوهما: يقومون بواجب الضيافة وكرمها.

هذه القرية قد أوشك على السقوط، فراحا يبنياه من جديد، الخضر بيني وموسى يناوله ويساعده حتى تم البناء بلا أجر، ولا عطاء على شدة جوعهما، فإن موسى عليه السلام رأى أهل هذه القرية بخلاء لثاماً لا يستحقون المعروف، فإذا به يقول للخضر: لو كنا أخذنا على هذا البناء أجراً؟! وهنا قال الخضر: هذا فراق بيني وبينك!!

لقد نسي موسى هذه المرة الشرط الذي وضعه هو على نفسه بعدم سؤال الخضر، فإن سأل يفرقه فوراً، وقد فعل، وهما نبيان كريمان، والنبي لا يخلف وعده أبداً، وقبل الفراق أراد الخضر أن يعلم موسى ما وعده به من العلم.

حقائق وغرائب لا يمكن أن يتصورها العقل وحده، فإن الخضر الآن يبث الأسرار لموسى عليه السلام ليعلم أنه فوق كل ذي علم عليم، فقال: سأنبئك^(١) بتفسير ما لم تصبر عليه:

أما السفينة التي خرقتها، ونزعت اللوح منها: كانت لمساكين يعملون في البحر، لا يملكون غيرها، وكان وراءهم بمسافة قليلة ملك ظالم من الملوك، يأخذ السفن من أهلها غصباً وكراهية، فإذا ما وجد السفينة بها عيب تركها لأصحابها وأهلها.

وبذلك نستطيع نحن أن نقول: إن الملك جاء إلى السفينة فوجد لوحاً من ألواحها منزوعاً فتركها للمساكين، فشكر المساكين الله تعالى أن نجاهم منه، وهكذا صارت المصيبة خيراً لأهلها.

وأما الغلام. فكان أبواه مؤمنين، ولو كبر لصار كافراً فأتبعهما، فأراد الله تعالى أن يموت هذا الغلام رفقا بأبويه المؤمنين، على أن يرزقهما بولد أو بنت أخرى مؤمنة يكون قرّة عين لهما، وهكذا صار الموت خيراً من الحياة، وقدر الله تعالى يحمل الخير دائماً للعباد.

وأما الجدار الذي بنياه: فإنه لغلامين صغيرين يتيمين في المدينة، وكان أبوهما صالحاً، وقد دفن تحت الجدار كنزاً^(٢)، فأراد الله تعالى أن نبني هذا الجدار حتى لا

(١) أنبك: أخبرك.

(٢) الكنز: المال المخبوء تحت الأرض.

يسقط ويظل الكنز تحته، حتى يكبر الغلامان فيستخرجا هذا الكنز بإذن الله، فحفظ الله الغلامين بصلاح أبيهما.

وعلى وجه موسى عليه السلام ارتسم العجب، وبدت^(١) علامات التعجب والفرح والسرور، وتمنى أن لو كان تابع المسير حتى يرى العجب العُجاب في رحلة العجائب.

وافترق النبيان الكريمان كلٌّ عائداً إلى حيث وجهه الله تعالى، وبعد أن مضى زمن طويل، حكى لنا النبي ﷺ هذه القصة، فتمنى أن لو صبر موسى عليه السلام ليعلمنا الله به خيراً كثيراً فيقول: «يرحم الله موسى، لو كان صبر يُقص^(٢) علينا من أمرهما!!».



الدروس المستفادة

- (١) الله تعالى أحاط بكل شيء علماً.
- (٢) فوق كل ذي علم عليم.
- (٣) ردُّ العلم دائماً إلى الله تعالى بقولنا: الله أعلم.
- (٤) الإيمان بالقضاء والقدر.
- (٥) التأدب بآداب الاستئذان، والصبر على العلم.
- (٦) قدر الله خيراً دائماً للإنسان.
- (٧) العقل وحده لا يكفي في فهم الأمور، بل لابد من الوحي: الكتاب والسنة لفهم الأمور فهماً صحيحاً.
- (٨) العذر للناسي، لأن النسيان طبيعة بشرية.
- (٩) يظل المرء يتعلم حتى الموت.

(١) بدت: ظهرت.

(٢) يُقص: يحكي القصة.

(١٠) إذا كان الأدب مع العلماء مستحباً، فإنه مع الله تعالى واجب وفرض.



الأسئلة

اختر الصحيح من بين الأقواس:

- وعاءٌ من خوص يسمى الزنبيل أو القفَّة، وضع فيه فتى موسى الحوت... (المكتل - الصندوق - القفص).
- كان لقاء نبي الله موسى مع الخضر في مكان يُسمى..... (مجمع النهرين - مجمع البحرين - مجمع الأرضين).
- ركب موسى والخضر سفينة كانت لمساكين يعملون في..... (البر - البحر - الجو).
- كان تحت الجدار للغلامين اليتيمين..... (كنز - زرع - مال).

من هو؟

- فتى موسى عليه السلام المذكور في القصة؟
- النبي الذي صاحبه موسى عليه السلام ليتعلم منه؟
- النبي الكريم الذي تمنى أن يصبر موسى عليه السلام على الخضر ليقص من خبرهما؟

- [الصخرة - السفينة - الجدار]: لكل كلمة من هذه الكلمات وظيفة في القصة، فما هي؟

اذكر لنا السبب في الآتي:

- (١) قلع الخضر للوح من السفينة.
- (٢) قتل الخضر للغلام.
- (٣) بناء الخضر وموسى الجدار.

الإجابات

- (المكتل - مجمع البحرين - البحر - كنز).
- (يوشع بن نون - الخضر - محمد ﷺ).

(الملك- الساحر- والغلام)

أصحاب الأخدود

هل يمكن لغلام صغير أن يغيّر حياة أمةٍ بأكملها؟ وهل يمكن لغلام صغير أن يزرع الإيمان داخل قلوب الكبار؟

إن الإيمان لا يعرف وطنًا إلا قلوب الصالحين، ولا يعرف سنًا، إنما المؤمن بعمله لا بسنّه ولا بعمره، والصغار ربّما فاقوا الكبار بإيمانهم وأعمالهم الصالحة؛ بل ويظل التاريخ يذكرهم ضمن العظماء الذين تبقى سيرتهم وأعمالهم سجلًا من نورٍ لا يحو سطورها أحد.

وهذا بالضبط ما فعله غلام أصحاب الأخدود «عبد الله بن الثامر» الذي جعله الله سبيًا في إسلام قرية بأكملها تحوّلت من الكفر إلى الإيمان، فتزلزل عرش (١) الملك الظالم، واختنق صوت الكفر، ومات السّحر، وعاش الإيمان حيًّا رغم أن أصحابه قُتلوا حرقًا بالنار، بعد أن حُفر لهم الأخدود (٢) وأُشعلت فيه النيران، وألقي فيه المؤمنون حتى الأطفال الرضع منهم، لكن بقيت قصتهم حية، قرآنًا يُتلى (٣)، وسيرة للمؤمنين والصالحين.

يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتَ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فُتِنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١ - ١٠). هذه هي القصة كما ذكرها القرآن الكريم، ولكن للقصة حكاية حكاها النبي ﷺ للصحابه لتصل إلينا، فكيف كانت أحداثها؟

(١) عرش: كرسي الملك.

(٢) الأخدود: شق - حفرة - مستطيلة في الأرض.

(٣) يُتلى: يقرأ.

بعد أن رفع الله نبيه عيسى عليه السلام إلى السماء، ومضى على ذلك زمن، لم يُبعث نبي ولا رسول حتى بُعث رسول الله ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وخلال هذه الفترة الخالية من الأنبياء كان الصالحون من كل قوم يعظون قومهم ويدعونهم إلى الحق، بينما علّا بعض الكفار في الأرض وأعلنوا كفرهم وشركهم، وجعل بعضهم نفسه إلهاً يُعبد من دون الله تعالى، هذا ما حدث بالضبط مع الملك الظالم الذي حكم القرية التي دارت فيها أحداث قصة أصحاب الأخدود، فقد كان كافراً ظالماً، أجبر الناس وأرغمهم على عبادته من دون الله، واستعان بأحد السحرة المهرة الذين يخدعون الناس بالأعبيهم، ويسيطرون عليهم بقوة تأثيرهم ومساعدة شياطينهم.

ومضى زمن ولا زالت الأحوال كما هي لم يتغيروا إلا شيئاً واحداً: لقد كبر الساحر وأدركته الشيخوخة، فضعفت عظامه، وشاب شعره، وبدأ يشعر بأن ليامه في الحياة صارت معدودة، وأنه بين لحظة والأخرى ينتظر الموت لتخرج روحه من جسده، فذهب الساحر إلى الملك يقول له: إني قد كبرت سني، فاختر لي غلاماً أعلمه السحر.

لقد كان الساحر هو السبب الذي ثبت أركان مُلك هذا الظالم، فهو شريك للملك، ويريد أن يُورث هذا الباطل وهذا الظلم حتى لا يضيع ما قدمه خلال سنوات حياته التي ضيعها في السحر وهو باطل.

وذهب رجال الملك في كل مكان من أرجاء^(١) مملكته لاختيار أذكى غلام ليكون تلميذاً للساحر، وخادماً للملك، فما تركوا صغيراً إلا وجربوه حتى وقع اختيارهم على غلام من الغلمان، هو الأذكى بينهم، فقد بدت على وجهه معالم النبأة والفطنة^(٢)، فسرعان ما قرروا اصطحابه ليكون الساحر الجديد. وانطلق الغلام «عبد الله بن الثامر» إلى الساحر ليشهد أول درس من دروس السحر على يد الساحر العجوز، يُحدّث نفسه بالمال، والغنى، والمكانة العالية، والقرب من الملك، وما من

(١) أرجاء: نواحي وجهات.

(٢) الفطنة: الذكاء.

عين إلا وتنظر إليه تتمنى أن تكون مكانه قريباً من الملك وقصره، بينما كانت الأقدار تحمل السعادة لعبد الله بن الثامر، كأنها تقول له: أرادوك ساحراً، والله يريد لك خيراً، وهم يريدون، والله فعّال لما يريد.

اختار الساحر غلاماً صغيراً يعلمه السحر؛ لأن الغلام الصغير صافي الذهن، بعيد عن المشاكل والمشاكل، ولأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وبدأت دروس السحر يلقيها الساحر العجوز على تلميذه ابن الثامر، وبدأ عبد الله يكتشف أن السحر ما هو إلا أكاذيب وخداع وحيل تعتمد على خفة اليد، وقوة تأثير الساحر على من أمامه من الناس، فقلّ حبه للسحر، وفي طريقه إلى الساحر يرى عجباً: إنه راهب^(١) من الرهبان يتعبد لله تعالى في صومعته، فكان الغلام يتسلل إلى حيث الراهب فيستمع إلى ما يقوله من دعاء في صلاته!! فسمع الغلام كلمات لم يكن أهل قريته يعرفونها، ولم يُردها أحد منهم أمامه من ذوي قبل، لقد سمع الراهب يردد: لا إله إلا الله، سمعه ينادي: يا رب، سمعه يقرأ من الآيات ما يقرأ، فأحسّ الغلام الصدق في كلامه، فكان يجلس إليه كل يوم حتى عرف أن للكون إلهاً أعظم وأكبر من هذا الملك الظالم، إن الإله الذي خلق الكون لا ينام ولا يغفل، ولا يجوع ولا يعطش، والملك الظالم ينام، يجوع، يعطش، يحتاج إلى من يخدمه، والإله الذي يملك ويخلق لا بد أن يكون مستغنياً عن خلقه، الخلق يحتاجون إليه، لا هو الذي يحتاج إليهم، والملك يحتاج إلى الساحر والسحر، فكيف يكون إلهاً وهو فقير ضعيف، لو أن برغوثاً قرصه لم يستطع النوم ليلته. فأقرّ الغلام بالعبودية لله، وآمن مع الراهب بالله العظيم، لكن في كل يوم مشكلة تحدث، مشكلة واحدة لا تتغير!! الغلام يذهب إلى الراهب فيتأخر عنده، فيضربه الساحر، فإذا ما ذهب إلى الساحر وبدأت دروس السحر تأخر، فإذا عاد إلى أهله ضربوه مرة ثانية!! إنه صغير، والضرب شديد، وليت الضرب مرة واحدة، لكنه مرتان وكل يوم، فماذا يفعل؟ شكاً ذلك إلى الراهب، قال له الراهب: إذا أراد الساحر ضربك فقل:

(١) راهب: رجل نصراني منقطع للعبادة في بيت يُسمّى (صومعة) وهو أمر كرهه الإسلام وحرّمه لأن فيه انشغالا عن الجهاد، والشیطان أقرب منه للواحد من الاثنين.

حبسني^(١) أهلي. وإذا أراد أهلك ضربك فقل: حبسني الساحر. وكفّ الضاربون عن الضرب، وعادت الحياة إلى ما كانت عليه من الهدوء، واستمر عبد الله يتلقى دروس السحر بغير اهتمام، بينما يتلقى دروس العقيدة والتوحيد بكل اهتمام، وهكذا اختار الله الخير لابن الثامر.

السّاحر: إما كاذب مخادع يخدع الناس بالأعْيِية وحِيلِهِ، فهو كذاب. وإما يخدم الشياطين ويخدمونه فهو كافر بالله العظيم، لكن معه الغنى، وعنده المال، وبالسحر يكون القُرب من الملك. والراهب: رجل مؤمن فيه صلاح وتقوى، لكنه فقير منعزل عن الناس. فأيهما أقرب إلى الصواب؟ وأيهما الذي يتبعه عبد الله بن الثامر؟

كانت هذه الأسئلة تدور في رأس عبد الله، فإنه يريد أن يقرر مع مَنْ يكون؟ مع الساحر أم الراهب؟ وجاءت اللحظة التي عرف فيها إلى أيّ الفريقين سينتمي، ومع مَنْ يكون:

هذه أصوات عالية، وزحام شديد، والصغار قد اختلطوا بالكبار، والبهائم بالبشر، ولا يدري عبد الله ما حدث حتى اقترب، فرأى دابة^(٢) عظيمة قد سدّت طريق الناس، فنظر عبد الله إليها وقد التقط حجراً من الأرض ثم قال: اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم الراهب؟ ثم دعا الله عز وجل قائلاً: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي^(٣) الناس. ثم ألقى بالحجر الصغير، فماتت الدابة، فمرّ الناس ذاهبين إلى أعمالهم وإلى حيث يريدون، وحملت الغلام رجلاه إلى الراهب، فأخبره بخبر الدابة، فقال الراهب: أي بني! إنك اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى^(٤)، وإنك ستبتلى^(٥)، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ. واستقبل الاثنان القبلة، ودخلا في صلاة مليئة بالخشوع والدعاء والبكاء من خشية الله تعالى.

(١) حبسني: أخزني.

(٢) الدابة: كل ما له قدم أو حافر يدبُّ به على الأرض.

(٣) يمضي: يمرّ.

(٤) يعني: صرت خيراً مني، ودعاؤك مستجاب.

(٥) ستبتلى: تعذّب وتمنّحن.

كان للملك جليسٌ أعمى، يتمنى أن لو أنفق ما عنده من المال والثروات مقابل أن يرى النور ولو مرة واحدة، فإن فاقد البصر لا يعرف دائماً إلا الظلام بعد أن انطفأ نور عينيه، وعلم الجليس الأعمى أن في الملكة طبيب صغير السن يشفي المرضى من جلسة واحدة، فجمع هدايا وأموالاً وأشياء ثمينة^(١) نفيسة^(٢)، وحملها متوجهاً إلى دار الطبيب لعله أن يشفيه بطبه ودوائه فيعود إليه بصره ليرى مرة أخرى، ثم دخل الجليس الأعمى على الطبيب الصغير ليقول: كل هذه الهدايا وهذه الأموال والتحف لك إن أنت شفيتني ورددت إليّ بصري. فقال الطبيب: لكني لا أشفي أحداً. فقال الأعمى: إن كنت لا تشفي أحداً، فمن يشفي؟ فقال الطبيب: ربي الله يشفي!! فقال الأعمى: الله!! فقال الطبيب: إن أنت آمنت بالله دعوته فشفاك. فأمن الجليس الأعمى بالله، فدعا الطبيب الله، فعاد إلى الأعمى بصره ليرى النور، ويضيء قلبه ليرى الحقيقة، لقد شهد أنه: لا إله إلا الله!!

ولما تفتحت عيناه لم يجد الطبيب إلا: عبد الله بن الثامر!! نعم، إنه هو، عوض الله بالدعاء المستجاب بدلاً من السحر، فلن يترك المرء شيئاً من الحرام إلا عوضه الله خيراً منه من الحلال، لقد أعطى الله تعالى الغلام نعمة الدعاء المستجاب، فيدعو الغلام ربه للمريض فيشفى بإذن الله، وكان ممن دعا له فشفي هذا الجليس الأعمى الذي صار مبصراً، فأمن بالله العظيم.

ويستدعي الملك جليسه فلماذا به يراه قد صار مبصراً، فيقول له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ وهنا تأكد الجليس بأن الملك مجرد بشر، فالإله لا يخفى عليه أمر أحد من خلقه، ولا يسأل أحداً منهم عن حاله؛ لأن العلم من صفات الإله، فلما سأل الملك الجليس عمن رد إليه بصره علم الجليس أنه جاهل، مجرد إنسان لا أكثر، فقال: شفاني الله. فقال الملك: أو لك ربٌ غيري؟! فقال: ربي وربك الله.

فهاج الملك، وغضب، وثار، فقد حدث ما كان يخشاه، لقد عرف الناس الله وآمنوا به، فملكه في خطر، وعرشه يتزلزل من تحته، وليس بينه الآن وبين الهلاك

(١) ثمينة: غالية الثمن.

(٢) نفيسة: نادرة.

إلا القليل، فلا بد من معرفة من يدعو الناس إلى الإيمان.

أثين^(١)، وتأوه^(٢)، ورجال يضربون رجلاً يعذبونه عذاباً أليماً بأمر ملكهم، حتى نطق الشخص المُعَذَّب: إنه الغلام عبد الله بن الثامر. لقد عذَّبَ المجلس الذي أبصر ليرى نفسه معذباً، حتى دلَّ الملك وحرَّاسه على الغلام، وأخبرهم أنه الذي دعاه إلى الإيمان، وبسرعة كانت أقدام جنود الملك تسابق الريح لإحضار الغلام أمام الملك، فقال الملك له: أي بني، هل برعت في السِّحر حتي صرتَ تشفي المرضى؟! فقال الصغير في ثبات واطمئنان: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فجُنَّ جنون الملك فقد زاد عدد المؤمنين إلى اثنين، فأمر بتعذيب الغلام، فعُذِّبَ رغم صغر سنه حتى دلَّهم على الراهب، ثم أحضر الراهب، فوقف المؤمنون الثلاثة أمام الملك في قصره وبين جنده، وتحت تهديد السلاح والسيوف!! لكن الثلاثة المؤمنون هم الأقوى من ذلك كله، قوَّاهم الإيمان لعلمهم أن الله تعالى قدَّر المقادير، وأن الملك لن يقدر عليهم إلا بأمر الله، فلن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم.

وخير الملك الراهب بين الكفر وبين القتل، فاختر الراهب القتل على الكفر، فنشروه بالمنشار، فقسموه نصفين، فلقي الله تعالى شهيداً، بينما جيء بالمجلس ف قيل له: تكفر بالله أو تُقتل كما قُتل الراهب؟ فاختر القتل على الكفر، فوضعوا المنشار على رأسه فشقوقه إلى نصفين، فلقي الله تعالى شهيداً، ثم بقي الغلام، وقد رأى مصراع صاحبيه، لكنه لم يزد إلا إيماناً بالله العظيم، فلو كان إلهاً فلماذا لم يعلم بأمر المجلس؟ ولم لم يشفه ويردَّ إليه بصره؟ ولم عجزَ عن ردِّ الراهب والمجلس إلى الكفر بعد الإيمان؟ إنه ضعيف ولو كان قوياً لواجههم بالحجة!! وهنا قيل للغلام: تكفر بالله، أم تُقتل كما قُتل صاحبك؟ فاختر هو الآخر القتل على الكفر، فوضع المنشار على رأسه استعداداً لقتله.

صيححات تعجب!! ونظرات غيظ من الملك!! وابتسامة رقيقة من الغلام ابن الثامر الذي يبدو كعصفور صغير، فقد تعطلَّ المنشار عن العمل، فلم يستطع جند الملك

(١) الأثين: صوت الالم.

(٢) التأوه: صوت المضروب يقول: آه. آه.!!

قتله ولا شقّه بالمنشار إلى نصفين!! فهزمهم وحده، فمنعه الله الذي لا يُهزمُ جنده، ولا يُذلُّ من والاه، ولا يضيع من توكل عليه. فإذا بالملك يقول لبعض حرسه: خذوا هذا الغلام حتى تصلوا به إلى أعلى قمة لأعلى جبل، فإما أن يكفر وإما أن تُلْقوه من فوق الجبل ليموت. وذهبوا به، فدعا الله قائلاً: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف الجبل واهتز واضطرب، وسقط جند الملك، ونجا الغلام، وعاد إلى الملك يدعوهُ إلى الإيمان بالله، لكن الملك قال لبعض جنده: خذوا هذا الغلام في قُرُور^(١)، فإذا وصلتكم إلى وسط البحر فالقوا موت غريقاً فنستريح منه.

ووسط البحر علت الأمواج، وظهرت كأنها الجبال، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت. فغرق جند الملك، وبقي بالغلام حياً بإذن الله ليعود إلى الملك، واحتار الملك ما يفعل مع هذا الصغير ليحمي مملكته من (الإيمان بالله)!! ويا للعجب، فالطُّغاة والظالمون من الكفار يَرَوْنَ الإيمان بالله خطراً يتهددهم، ولو فكَّروا لآمنوا، لكنهم أحبوا الدنيا وباعوا الآخرة، فقال ابن الثامر للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. فقال الملك: وما أفعل؟ قال: اجمع الناس في مكان واحد، ثم اربطني على جذع شجرة المصلوب، ثم خذ سهمًا من كِنَانَتِي^(٢)، وضع السهم في كبد^(٣) القوس، ثم ارمني وقل: بسم الله رب الغلام، فإذا فعلت ذلك قتلتنِي. فوافق الملك.

خرج الملك في موكب عظيم، أمام شعبه وجنده وحرَّاسه، وجلس على كرسيه، ثم استدعى الحراس أمراً إياهم بربط الغلام في شجرة قد اختاروها من بين الأشجار لعلو مكانها حتى يرى النَّاسُ جميعاً مقتل الغلام.

وانتهى الحرَّاس من ربط الغلام الذي نظر إلى قومه وأهله يودعهم بابتسامة رقيقة تلتئم فيها براءة الصِّغار، وطُهر المؤمنين، بينما سالت الدُّموع تبكي هذا العصفور الصغير الذي سيدفع حياته ثمناً لدينه وعقيدته، بينما لا زال أمثاله يلهون ويلعبون

(١) قُرُور: قارب صغير.

(٢) كِنَانَتِي: الكِنَانَة: مخلاة توضع فيها السهام.

(٣) كبد: وسط.

ويعرحون والتسقط الملك سهمًا من كنانة الغلام، ثم وضعه في كبد القوس، وقال بصوت عالٍ: باسم الله رب الغلام، ثم ألقى السهم فوق ع على خُدغ الغلام، فمات، فلقني الله شهيداً.

وهنا علم الجميع أن للكون إلهاً حمى الغلام من القتل، وكان هو الشافي الذي شفى مرضاهم، وهو إله أعظم وأكبر من الملك، فصاحوا: آمنا بالله رب الغلام، آمنا بالله رب الغلام، آمنا بالله رب الغلام. فآمنت أمة لما رأوا عجز الملك عن قتل هذا الغلام الصغير حتى أذن رب الغلام بمقتله فارتعب الملك، وخاف، والتف حوله جنده ووزراؤه، وأشاروا عليه بخطة شيطانية. أمروه بحفر أخدود عظيم، بجواره أخدود، وأخدود، حتى خارت أخاديد كثيرة، ثم يُشعل فيها النيران، ويلقي فيها المؤمنين إلاً أن يكفروا بالله.

وقعد الجنود على النار، بينما كان المؤمنون يساقون إليها فيخيرون بين الكفر والقتل حرقاً فيختارون الحرق على الكفر.

حتى جيء بامرأة على يدها طفل رضيع لها، فقالوا: إما أن تكفري، وإما أن نحرق طفلك الرضيع. فبيا للقسوة، وبيا للقلوب الكافرة التي لا ترحم حتى الرضيع!!

فتأخرت هذه المرأة تريد أن تنطق بكلمة الكفر حتى لا يحرق خغيرها، فإذا بالله تعالى يأمر الصغير فينطق قائلاً: يا أمه اخبري، فإنك على الحق.

فتراجعت عن الكفر، وأبت^(١) إلا الإيمان، فآلقوا رضيعها في النار، ثم آلقوا بها هي الأخرى وراء رضيعها.

وبينما أخحاب الأخدود قعود على النار إذ خرجت النار رارتفعت حتى أحرقتهم، ويوم القيامة لهم عذاب الحريق عند الله.

لقد آمن الجميع على يد غلام خغير، فما أجمل الإيمان الذي يرفع الصغار ليجعلهم في بعض الأوقات أكبر من الكبار!!

(١) أبت: رفضت.

الدُّروسُ المُستفادَة

- (١) الإيمان بالله وحده لا شريك له.
- (٢) الكل عبيدٌ لله، ولا يجوز لأحد أن يدعي الألوهية من دون الله.
- (٣) الساحر إمّا كذاب، وإما كافر.
- (٤) الإيمان يهزم الكفر في كل معركة.
- (٥) الصغار يجعلهم الإيمان كباراً.
- (٦) الله تعالى هو الشافي، والأطباء مجرد سبب في الشفاء.
- (٧) الدعوة إلى التوحيد.
- (٨) الله تعالى قادرٌ على إنطاق الصغار في المهد.
- (٩) الصبر على البلاء والامتحان.
- (١٠) الله تعالى يمتحن المؤمنين ليعلم الصادق من الكاذب.



الأسئلة

(١) اذكر السبب:

- جعل الله تعالى دعوة الغلام مستجابة.
- قتلُ الملكِ للرَّاهِب والجَليْس.
- حفر الملك للأخدود.
- عدم استطاعة جند الملك قتل الغلام.

(٢) أكمل التالي:

- كان الغلام قد اختاره جنود الملك ليكون ولكن الله تعالى أرادَهُ مؤمناً، فكان في طريقه إلى يرى يتعبد في صومعته، فأمن به وتأكد الإيمان في قلبه حين قتل بحجر صغير، وجعله الله تعالى

الدُّعاء، واختار الراهب والجليس على الكفر، ودعا الغلام ربّه فقال: اللهم
..... بما

(٣) اذكر معاني هذه الكلمات:

[الأخدود - يُتلى - الأنين - قُرُور].

(٤) اذكر القصة في عشرين سطراً بأسلوبك الخاص.

☆☆☆

الإجابات

(ليعوضه عن السحر - لأنهما آمنّا بالله - لقتل المؤمنين - لأنه دعا الله فكفاه).

(ساحراً - الساحر - الراهب - الله - الدابة - مستجاب - القتل - اكفنيهم - شت).

☆☆☆

الشكر، والجحود الأبرص، والأقرع، والأعمى

عاش ثلاثة في بني إسرائيل كلِّ بَعَاةٍ غير الآخر:

فالأول: أبرص أصابه البرص وهو مرض جلدي - عافاك الله - يصيب بشرة الإنسان فيجعلها بيضاء يَسْتَقْدِرُهَا الناس، فينفرون^(١) من صاحبها، فكان الناس يتجنبونه، خاصة أن البرص لم يكن له علاج ولا دواء آنذاك.

وفوق هذا كان هذا الأبرص فقيراً مُعْدِماً، فجمع بين الفقر والمرض، ونُفُور النَّاسِ منه، وكان أكبر أملٍ له أن يشفيه الله تعالى من مرضه ليعود سليماً صحيحاً يُخالط الناس من جديد.

والثاني: أقرع لا شعر له، وكان الناس ينفرون منه، ويستقذرونه كما يَسْتَقْدِرُونَ الأبرص، ولا مال له هو الآخر، فكان كُلُّ ما يتمناه أن يُنْعِمَ اللهُ عليه بِشَعْرٍ حَسَنٍ يعيد إليه الناس ويعيده إليهم بعد نفورهم منه، واستقذارهم له.

وبقي الثالث: فقد كان أعمى لا بصر له، يراه الناس ولا يراهم هو، حُرِمَ نعمة البصر التي لا يشعر بها إلا مثله ممن لا يرون النور طيلة حياتهم، فكان رجاؤه من الله تعالى أن يرد إليه بصره.

وعالم البشر عالم غريب، فالبشر يتشابهون في خلقهم: فلكل إنسان عين، وأذن، ويد، وقدم، وفم، ولكن يختلفون في إيمانهم، والإيمان مكانه القلب. فمنهم من يمتلئ قلبه بالإيمان، ومنهم من يضعف الإيمان في قلبه، وصنف ثالث لا إيمان له، فالقلب دائماً يجعل الإنسان في أعلى مرتبة، أو في أدنى درجة.

وأراد الله تعالى أن يختبر إيمان الثلاثة: الأبرص، والأقرع، والأعمى، ليكونوا مثلاً للمؤمنين من بعدهم، وعبرة لمن يريد العظة، واختباراً لهم: هل يظلون على إيمانهم فيشكرون الله؟ أم يُغَيِّرُهُمُ المال، وتُحوِّلُهُمُ النعمة إلى صف الجاحدين الذين

(١) ينفرون: يبتعدون، والنفور: الابتعاد والتقزز.

ينكرون نعمة الله تعالى؟ فجاءت أحداث هذه القصة التي حكاها النبي ﷺ لأصحابه في حديثه .

لا زال الثلاثة (الأبرص، والأقرع، والأعمى) سجناء الحزن، والفقر، كلٌ منهم قد أغلق داره على نفسه، وأشدَّ ما كان يحزن الجميع هو: نفور الناس وتقزُّزهم منهم .

وبأمر الله تعالى ينزلُ مَلَكٌ^(١) كريم من السماء، ليكون الاختبار والامتحان على يديه .

وبدأ المَلَكُ بـ(الأبرص)، فجاء يسأله - بعد أن سلَّم عليه - فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك^(٢)؟ فقال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قَدَّرَني الناس^(٣) .

فمسحه الملك الكريم، فذهب عنه البرصُ بإذن الله، وذهب عنه بياض البرص، وحسَّنَ لونه وجلده. فقال الملك: أي المال تُحب؟ فقال: أحب الإبل^(٤) . فأعطاه الله تعالى ناقةً عُسراء^(٥)، ثم دعا المَلَكُ له فقال: بارك الله لك فيها. ثم تركه المَلَكُ وانطلق إلى دار الأقرع .

لا زال المَلَكُ الكريم بأمر الله تعالى في طريقه إلى بيت الأقرع، ولا زال الأقرع حبيس داره بعد أن قَدَّرَه الناس واشمأزوا منه، فلم يخالطوه، فما فُوجِيَ إلاَّ والمَلِكُ عنده يقول له: أي شيء أحبُّ إليك؟ فقال: شعرٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قَدَّرَني الناس. فمسح الملك عليه، فنبت له شعرٌ جميلٌ حسنٌ إذا نظر إليه الناس تَمَنَّوا مثله، ثم قال الملك له: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ فقال الأقرع ذو الشعر الحسن: البقر. فأعطاه الله تعالى بقرة حاملاً، ودعا له المَلَكُ فقال: بارك الله لك فيها. ثم مضى منطلقاً ليَتِمَّ ما بدأه .

(١) المَلَكُ: مفرد الملائكة وهم مخلوقات من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم ذوو أجنحة يصعدون إلى السماء ويهبطون إلى الأرض .

(٢) يعني: ماذا تتمنى؟

(٣) يعني: يذهب عنه البرص الذي تجنِّبه النَّاسُ لأجله .

(٤) الإبل: الجمال .

(٥) عُسراء: حاملاً .

لا يعرف نعمة البصر ولا قدرها إلا مَنْ قد حُرِمَها وسَلِبَها، وإن كان من فاقد البصر مَنْ هم أشد بصيرة^(١)، والله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦). فالعمى عمى القلوب والبصائر، لا عمى العيون والأبصار.

لقد ذهب الملك إلى فاقد بصره - الأعمى - فقال له: أي شيء أحب إليك؟ - أي: ماذا تتمنى؟ - فقال: أن يرُدَّ الله إليَّ بصري، فأبصر^(٢) الناس. فمسح الملك على عينه، فعاد إليه بصره بإذن الله تعالى، فبأ لشدة فرحه بالنور الذي عاد يملأ بصره حتى أضاءت عينه من جديد، فقال الملك: فأبيُّ المال أحبُّ إليك؟ فقال: الغنم. فأعطاه الله شاةً والدًا، وقال: بارك الله لك فيها. ثم انطلق الملك الكريم، وقد تغيرت أحوال الثلاثة: فالأبرص: جلده الآن حسن، ومنظره حسن، ومعه ناقة عشراء. والأقرع: صار ذا شعر حسن، ومعه بقرة حامل. والأعمى: عاد إليه البصر، ومعه شاة والد.

تُرى مَنْ سيصمُدُ^(٣) أمام شيطانه ونفسه، ويشكر ربه على النعمة ولا يجحد؟ لنُدع الأيام تمر، لنرى ما قد حدث.

فارق كبير بين الحال قديمًا والحال الآن، فقديماً قذره الناس متقرزين منه، وهم الآن يضربون المثل بلونه الحسن الجميل. وقديماً كان الفقر يقتله كل ليلة، والآن يملك واديًا^(٤) من الإبل بعد أن أنتجت^(٥) الناقة العشراء وولدت، وولد ما بعدها من أولادها فتكاثروا ببركة الله تعالى، واستجابة لدعاء الملك إذ دعا فقال: بارك الله لك فيها. فبارك الله تعالى، وبركة الله لا انقطاع لها، حتى إن ماله كل يوم ليزيد، والناس يبحثون عن طريقه ليصادقوه بعد أن كانوا يتجنبونه.

(١) البصر: نظر العينين، والجمع أبصار، والبصيرة: القلب والجمع بصائر.

(٢) أبصر: أرى.

(٣) يصمد: يثبت.

(٤) الوادي: طريق بين جبلين.

(٥) أنتجت: ولدت.

هذا هو حال الأبرص الذي بارك الله له في جلده وفي ماله وما يملك. ويدخل على الأبرص رجلٌ مسكين، انقطعت به السبل وضاع ماله، يريد الصدقة عليه، وهذا هو (ابن السيل)، الذي خرج بعيداً عن وطنه فضل الطريق، أو ضاع ماله، فما أن رآه الأبرص حتى قال: مَنْ أنت؟ فقال: رجلٌ مسكين، قد انقطعت بي الحبال^(١) في سفري، فلا بلاغ^(٢) لي اليوم إلا بالله ثم بك. ثم قال هذا المسكين مستعظفاً قلب الأبرص الذي كان فقيراً من وقت قريب، ذاق طعم الحرمان كما يذوقه هو الآن، فهو أكثر الناس إحساساً به وشعوراً، فلا يعرف شعور الفقير المسكين إلا مَنْ كان مثله، فقال: أسألك بالذي^(٣) أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بغير^(٤) أتبلغ^(٥) به في سفري. فقال الأبرص: الحقوق^(٦) كثيرة. لقد جحد نعمة الله ونسي ما كان عليه قبل أن يُنعم ربه عليه باللون الحسن والمال الكثير، فقال المسكين: كأي أعرفك، ألم تكن أبرص يقدرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فاشتد غضب الأبرص، وقال في كبرياء كاذباً: إنما ورثتُ هذا المال كائراً عن كابر^(٧)!!

وما أسوأ الإنسان حين يكذب، وينسى نعمة الله عليه فيجحدها ولا يشكر ربه، وينسب الفضل إلى نفسه، فقال المسكين: إن كنت كاذباً، فصيرك^(٨) الله إلى ما كنت. فإذا بكل شيء يعود إلى ما كان عليه، لقد ذهب الجلد الحسن، واللون الحسن، والمال الكثير، وبقي الفقر، وعاد البرص، وانفض الناس من حوله، وتلك عاقبة الجحود، وجزاء الكذب.

(١) الحبال هنا معناها: الأسباب أو الطرق يعني: لا مال لي، ولا حيلة، ولا طريقة أتكسب بها وأحصل على الطعام.

(٢) بلاغ: وصول إلى ما أريده من الرزق والطعام.

(٣) يعني: أسألك بالله.

(٤) بغير: جمل.

(٥) أتبلغ: أصل.

(٦) الحقوق: المطالب والمصروفات.

(٧) كائراً عن كابر: يعني ورثته عن أجدادي وآبائي.

(٨) صيرك: حوَّلك وأعادك.

لعله الآن يذكر ما كان عليه، وما أصبح فيه وصار إليه، فالوادي أمامه قد امتلأ بالبقر وأولادها، وكثر بحيث لا يستطيع أحد أن يحسبه أو يعدّه، والناس سينظرون إليه نظرة غبطة^(١) أو حسد، فيتمنون أن لو كانوا مكانه، فبعد معاناة طويلة مع الفقر صار من أغنى أغنيائهم، وبعد أن كان الناس ينفرون منه صاروا ينظرون إلى شعره الجميل الذي أعطاه ربه فيحسدونه عليه، ويتمنون لأولادهم مثله، إنه ثاني أبطال القصة «الأقرع» ذو الشعر الجميل، الذي بارك الله له في بقرته حتى صارت بقرات وبقرات، كأنما أعطاه الله ما في الأرض من بقر.

وبينما هو جالس في ماله، يسمع ثغاء^(٢) البقر، إذ دخل عليه المسكين الذي كان من قليل يبحث عن صدقة الأبرص، فما أن رآه الأقرع حتى قال: من أنت؟ فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن، والمال، بقرة أتبلغ بها في سفري. فقال الأقرع يبخل بالعطاء والصدقة: الحقوق كثيرة!! ونسي أنه ذاق نفس الكأس يوم أن كان فقيراً أقرع يقدره الناس وينفرون منه، ونسي أن ماله هذا من عند الله، وأن للفقير المسكين في الصدقة حقاً.

فقال للمسكين: كأني أعرفك، ألم تكن أقرع يقدرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال كاذباً، جاحداً نعمة الله، ينسب الفضل إلى نفسه: إنما ورثت هذا المال كبيراً عن كبير!! فما أن قالها حتى صاح المسكين قائلاً: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت!!

وكما بارك الله له بدعوة، أزال الله عنه النعمة بدعوة أخرى، وراح الشعر الجميل يتساقط أمام عينيه وعاد إليه ما كان عليه من ذي قبل، فهو الأقرع!! فاجتمع عليه: الفقر، ونفور الناس، والحسرة على ماله الذي ضيَّعه لجحوده وإنكاره نعمة الله عليه، وبخله بالصدقة، وكذبه على الله، ونسبة المال إلى نفسه، وهذه عاقبة الجحود.

المال كثير والحمد لله، والبصر ثاقب فله الحمد الذي ردَّ عليه بصره، وغنمه

(١) غبطة: حسد لا يتمنى المرء فيه زوال نعمة الغير.

(٢) ثغاء: صوت البقر، والرغاء: صوت الإبل.

تسعى هنا وهناك، يعلو صوتهما، ويكثر عددها كل يوم كأنما الوادي اجتمع فيه غنم العالم كله، والرزق دارٌ وفير، والخير والبركة تعمان المكان، فله الحمد على نعمائه، له الحمد على أن ردَّ البصر، وأغنى من الفقر، وبارك في المال.

هذا هو الأعمى الذي أبصر، وبارك الله له في الشاة فولدت، وولد أولادها، وأولاد أولادها حتى صار الوادي ممتلئًا بالغنم الصغار والكبار.

وأناه المسكين فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري.

فردَّ الأعمى في سكينه وطمأنينة وحمد الله وشكر على نعمائه: قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت^(١)، ودع^(٢) ما شئت، فوالله لا أجهدك^(٣) اليوم بشيء أخذته الله عز وجل. وانتظر الأعمى أن يدخل المسكين ليأخذ ما أراد من غنم، لكن كانت المفاجأة!! لم يكن المسكين مسكينًا، ولم يكن ابن سبيل، بل هو الملك الكريم الذي جاءهم أول مرة، جاءهم هذه المرة على هيئة مسكين ليمتحنهم، ويختبر إيمانهم بإذن الله تعالى، وإذا به يقول للأعمى: أمسك^(٤) مالك، فإنما ابتليتكم^(٥)، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك^(٦).

فبارك الله للأعمى في ماله، وزاده ورضي عنه، وهذه عاقبة الشكر، وجزاء الشاكرين، وانطلق الملك ليصعد إلى السماء بأمر الله تعالى، بعد أن ترك لنا درسًا رائعًا خلاصته: أن الشاكر يزيد الله نعمته ويبارك له، وأن الجاحد يُزيل الله نعمته ولا يبارك له.

(١) شئت: أردت.

(٢) دع: أترك.

(٣) أجهدك: لا أشق عليك في شيء تطلبه مني فخذ ما شئت.

(٤) أمسك مالك: يعني أبقه واجعله معك.

(٥) ابتليتكم: اختبرتكم، وامتحنتكم.

(٦) سخط: غضب، صاحبيك: الأبرص، والأقرع.

فما بقي للأبرص وللأقرع غير الفقر والحسرة والندامة، ونفور الناس، وغضب الله تعالى فوق ذلك، وبقي للأعمى رضا الله تعالى، والمال، والبركة.



الدروس المستفادة

- (١) يجب على المرء شكر الله تعالى على سلامة أعضائه وحواسه.
- (٢) حق الفقير في الصدقة.
- (٣) قدرة الملائكة على التشكل على هيئة بشر.
- (٤) الملائكة يصعدون إلى السماء ويهبطون منها.
- (٥) عاقبة الشكر: البركة ورضا الله تعالى.
- (٦) عاقبة الجحود: غضب الله تعالى، وضياع النعمة.
- (٧) الشاكرون من الناس قليل.
- (٨) النهي عن البخل.
- (٩) فضل الصدقة على الضعفاء والفقراء.
- (١٠) لا تقل لفلان: أنا بالله وبك، ولكن: أنا بالله ثم بك. ولا تقل: على الله وعليك؛ بل تقول: على الله ثم عليك.



الأسئلة

- (١) اذكر معاني هذه الكلمات:
(صيرك - دَع - النفور - البرص).
- (٢) عبّر عن الآتي بكلمة واحدة:
(أ) من فقد بصره فلا يرى.
(ب) مخلوقات من نور لا تعصي الله تعالى ما أمرهم به، ويصعدون إلى السماء ويهبطون منها.

(ج) من خرج بعيداً عن وطنه، وانقطعت به الحبال.

(د) من سقط شعره فظهرت جلدة رأسه.

(٣) أكمل العبارات التالية:

ذهب إلى الأبرص فمسحه فصار له حسن و حسن،
ولما أراد منه الصدقة قال: ورثت هذا كابرأ عن كابر، ورضي أن
يعطيه من الصدقة، فبارك له في ماله ورضي عنه و على صاحبيه.

(٤) ما هي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

☆☆☆

الإجابات

(٢) (الأعمى - الملائكة - ابن السليل - الأقرع).

(٣) (الملك - جلد - لون - المال - الأعمى - الله - سخط).

☆☆☆

أمانة وإخلاص الجرة الذهبية

كأنه حُلْمٌ من الأحلام، أو أسطورة^(١) من الأساطير، أو خيال من الخيال، ووهم من الأوهام، فماذا لو أنك حفرت في أرضك، وبينما تحفر، وتحفر تجد صندوقاً، فتفتحه فإذا به ملآن بالكنوز من الذهب والفضة والمال والجواهر الثمينة؟!

سيسيل لعابك، ستفرح، ستسعد، ستفكر كيف تنفق هذه الأموال؟ ستفكر ماذا ستشتري بها؟ وكم ستدخر؟ وستكتفم الخبر عن الجميع حتى لا يشاركك أحدٌ في هذه الأموال التي وجدها، وسيكون سر الأسرار عندك: أنك وجدت كنزاً من الكنوز!!

لكن صاحب هذه القصة لم يفعل ذلك، فقد فكّر كيف يرد المال إلى أصحابه؟ فلما وجد صاحب المال وأراد إعطائه المال، كان لصاحب المال رأي آخر!! فلماذا لا نذهب إلى رسول الله ﷺ ليقص علينا خبر الرجلين: صاحب الكنز، ومن وجد المال، وكيف كان حالهما؟

هذه إذن قصة أخرى حكاها رسول الله ﷺ لأصحابه حدثت في بني إسرائيل وأوحى الله تعالى إليه بها، حتى وصلت إلينا، وهذه أحداثها:

حين يسود الإيمان، وتمتلئ القلوب به، لا يعرف الإنسان إلا الخلق الحسن، وبعيداً عن الإيمان لا يعرف الإنسان إلا مساوئ الأخلاق، فلا خلق كريم، ولا حسن خلق، بل فساد وضياع.

هذا رجلٌ في بني إسرائيل من مؤمنهم، وأصحاب الخلق الحسن، ظل يبحث عن عقارٍ يشتريه حتى وجد مؤمناً آخر فاشترى منه عقاراً^(٢). وبدأ صاحب العقار يُخلي العقار لصاحبه الحديد الذي اشتراه، حتى استلمه منه، وبدأ يحفر في هذه الأرض، وبينما هو يحفر ويحفر إذ ارتطم معوله^(٣) بشيء في الأرض، فخفف الضرب والحفر

(١) أسطورة: أكلوبية.

(٢) عقار: أرض فيها منزل وضيعة.

(٣) معوله: المول: أداة التكسير والحفر.

حتى بدأت تتراءى له جرة^(١) مدفونة في الأرض، فنفض التراب من حولها، وراح يخرجها بهدوء حتى استخرجها من مكانها سليمة كما هي، وبعد عناء في استخراجها وتعب، فتح المالك الجديد للعقار الجرة، فإذا بالذهب يلتصع بلونه الأصفر المعروف!!

فيالله: إنها جرة ذهبية، امتلأت عن آخرها بالذهب، فهي ثروة هائلة، وبدلاً من أن ينشغل بعَدُّ الذهب، والبحث عن مكان جديد لإخفائه حتى لا يعلم بأمره ولا بأمرها أحد، أغلقها ثانية، وقرر الدخول إلى داره ليستعد للذهاب إلى مكان آخر، وقد حمل الجرة معه، فانطلق في طريقه.

طرقات شديدة على الباب تدلُّ على أن صاحب هذه الطرقات^(٢) يحمل خيراً هاماً، ونبأ لا يحتمل التأجيل، فأسرع صاحب الدار ليفتح الباب، فإذا به يُفاجأ بأن صاحب الطرقات ليس هو إلا المشتري الذي دفع المال له عما قليل ليشتري أرضه، فقال: خيراً، ما جاء بك؟ فقال: هذه الجرة!! فنظر البائع إلى الجرة نظرة تعجب ودهشة، فقال المشتري: هذه جرة مملوءة بالذهب، وجدتها في أرضك. فازداد عجب البائع واستغرابه، وإذا بالمشتري يقول: خذ!! خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع^(٣) الذهب.

ولن يفكر أحدهما فيما فكر فيه البائع!! فلو أن أحدهما في هذا الزمان قيل له: خذ ذهباً، لأخذه دون سؤال - إلا من رحم ربي - لكن صاحب الأرض الذي باعها لم يكن بأقل إيماناً من صاحبه المشتري، فقد آمن، فملا الله قلبيهما أمانة، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

(النساء: ٥٨)

فقال البائع: وأنا بعثتك الأرض وما فيها.

فحدثت خصومة طريفة بين الرجلين: أحدهما يريد إعطاء المال للآخر، والثاني:

(١) جرة: وعاء من فخار.

(٢) طرقات: دقات.

(٣) أبتع: ابتاع يعني: اشتري.

لا يريد أخذ المال. فلما احتدمت^(١) الخصومة بينهما كان لابد من اللجوء إلى قاضٍ يحكم بينهما في هذه الخصومة اللطيفة التي لا تكون إلا بين الأمناء من المؤمنين.

جلس البائع والمشتري أمامهما الجرة المملوءة ذهبًا، وبينهما جلس رجلٌ صالح ليقتضي بينهما في هذه القضية!! فسمع من المشتري قصته وأنه وجد الجرة الذهبية في الأرض فليسب من حقه لأنه إنما اشترى الأرض فقط، ويريد ردّ الجرة إلى المشتري. بينما قال البائع: بل بعته الأرض بما فيها، ولم أكن أدري عن الجرة شيئًا.

فابتسم القاضي أمام هذين المؤمنين الأمينين، وعلم أنه مهما قضى بالجرة لأحدهما فلن يقبل، فهده الله تعالى إلى حكم عجيب، فقال لأحدهما: هل عندك ولد؟ فقال: نعم. وقال للآخر: هل عندك ابنة لم تتزوج؟ قال: نعم. قال: فليتزوج الولد من البنت، ويُنفق عليهما من الذهب الذي امتلأت به الجرة، وما بقي أنفقوا منه عليهما، وتصدقوا على الفقراء والمساكين.

فقام الرجلان وقد رضيا بالحكم الرائع الذي قضى به هذا القاضي الصالح، فتزوج الولد بالبنت، فالطيبات للطيبين، والخبيثات للخبيثين، وإذا كان الأصل صالحًا كان الفرع صالحًا.

وبعد أن حكى رسول الله ﷺ هذه القصة للصحابة إذا بهم يتناقشون ويتساءلون: من أكثر أمانة من الآخر، المشتري أم البائع؟ واختلف الصحابة في ذلك اختلافًا لطيفًا، فهل عرفت أنت أيهما أكثر أمانة؟



الدروس المستفادة

(١) الأمانة خلق قويم يجب أن يتحلى به المؤمنون.

(٢) الأمانة لا حدود لها.

(٣) الطيبون يتزوجون بالطيبات.

(٤) جزاء الصدق والأمانة خير دائمًا.

(٥) خلق المؤمنين خلقاً رفيعاً.

(٦) لا خلق حسن إلا بإيمان وتقوى.

(٧) القضاء بين المتنازعين والإصلاح بينهما.

☆☆☆

الأسئلة

(١) ضع علامة (✓) أو (×) أمام العبارات التالية:

- () - خبأ المشتري الجرة الذهبية ولم يعلن عنها، وطمع فيها.
- () - قتل البائع المشتري ليأخذ منه جرة الذهب.
- () - رفض القاضي الإصلاح بين البائع والمشتري.
- () - الأمانة خلق رفيع قوي يتصف به المؤمنون.

(٢) ضع هذه الكلمات في جمل مفيدة:

(العقار - الجرة - البائع - القاضي - الخصومة).

(٣) أي الرجلين أكثر أمانة من الآخر في رأيك؟

(٤) ما هي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

(٥) اكتب هذه القصة في عشرة أسطر من أسلوبك.

☆☆☆

الإجابات

(١) (✓ × × × ×).

☆☆☆

الشمس تحبس

يوشع بن نون عليه السلام والشمس

لما خرج نبي الله موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر، وجاوز بهم البحر وعبره بعد أن ضربه بعصاه فانشق بإذن الله، فعبّر بنو إسرائيل وغرق فرعون وجنده، وبعد أن تأكد اليهود من غرق فرعون وجنده، أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يسير بجيش بني إسرائيل نحو الشام، وتحديدًا نحو بيت المقدس الذي احتله المشركون آنذاك، وكان هؤلاء المحتلون أصحاب قوة وشدة في القتال، فقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ (١) مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ (٣) الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ (٤) فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (المائدة: ٢٠، ٢١).

إلا أن بني إسرائيل كان لهم رأي آخر، فالكنعانيون الذين كانوا يحتلون بيت المقدس آنذاك اشتهر عنهم القوة في حروبهم، لكن الله على كل شيء قدير، وهو الذي فلق البحر لهم، وهو سبحانه قادر على هزيمة أعدائهم، فقالوا: يا موسى!! هكذا بلا أدب ولا مراعاة لمقام النبوة ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ (٥)﴾ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (المائدة: ٢٢).

فأغضبت الكلمات رجلين من المؤمنين فقالا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٦)﴾ (المائدة: ٢٣).

فالنصر لبني إسرائيل لو دخلوا الباب فقط، وتوكلوا على الله تعالى، لأن بيت المقدس يجب أن يبقى في يد المؤمنين لا الكافرين، ولكن اليهود جنباء، يخشون

(١) آتاكم: أعطاكم.

(٢) الأرض المقدسة: بيت المقدس.

(٣) تترددوا على أدباركم: ترجعوا إلى ما كنتم عليه خوفًا من الجبارين.

(٤) جبارين: أقوياء.

القتال والحرب فقالوا: ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَنُدْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

وهذه هي الوقاحة والجرأة على الله تعالى، والجحود بنعمته، وبدلاً من شكر نعمة الله الذي نَجَّاهم من فرعون بعد أن كان يقتل أولادهم الذكور، ويترك الإناث، وبعد أن كان يعذبهم ويسخرهم في الأعمال الشاقة، بدلاً من شكر الله على إغراق فرعون، وإنقاذهم منه كفروا بالله ونعمته حتى قالوا ما قالوا لموسى عليه السلام، فغضب نبي الله موسى وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرِّقْ بَيْنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥).

فطلب من الله تعالى أن يفرق بينه وبين هؤلاء الفاسقين الذين عصوا أمر الله تعالى، فكان العقاب من الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ (١) مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَنَأْسَ (٢) عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦).

فكان العقاب أن يظل بنو إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة كاملة في أرض سيناء في بقعة تعرف بـ (أرض التيه) فكان بنو إسرائيل يمشون طيلة نهارهم ثم يعود الرجل ليجد نفسه في اليوم التالي في النقطة التي بدأ منها المسير، عقوبة لهم على عصيانهم لله تعالى، والمدة: أربعون سنة كاملة.

فاستقبل بنو إسرائيل العذاب وظلُّوا فيه مدة أربعين سنة حدثت فيها وقائع عظيمة، وتغيَّرت الأحوال، وتبدلت الأمور، ومات الكثير، وولد الكثير.

توفي نبي الله هارون عليه السلام قبل نبي الله موسى، فحزن بنو إسرائيل لفراقه، فقد كان هارون عليه السلام ليناً رقيقاً بهم، ثم تبعه موسى عليه السلام فتوفي هو الآخر، فأوحى الله إلى (يُوشَعَ بن نُون)، وهو فتى موسى عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في قصة الخضر إذ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ (الكهف: ٦٠). فصار يوشع بوحى الله إليه نبياً إلى بني إسرائيل.

(١) فَإِنَّهَا: يعني أرض بيت المقدس.

(٢) نَأْسَى: تحزن عليهم.

وكان بنو إسرائيل لا يعرفون ملكاً ولا أميراً ولا رئيساً حتى عهد طالوت وداود عليه السلام، وإنما كان الأنبياء يقومون بأمور بني إسرائيل، فلا نبي: نبيٌّ ورئيسٌ في وقت واحد، يدبر أمور الدين والدنيا، ويرجع إليه الكبير والصغير في أمورهم جميعاً.

لقد كانت فترة العقاب (أربعين سنة) مات فيها معظم العصاة الذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤). وبدأ جيلٌ جديد من المؤمنين يظهر في أواخر حياة موسى عليه السلام، فبدأ موسى عليه السلام في تربية هذا الجيل الجديد على الإيمان والتوحيد، والطاعة لله عز وجل ولرسوله موسى عليه السلام.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ^(١) بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا^(٢) وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ١٢).

فعوَّدهم نبي الله موسى على التوحيد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسل، مقابل أن يغفر الله لهم ذنوبهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار. وتوفي موسى عليه السلام قبل أن تنتهي فترة العقاب فتولى المهمة (يوشع بن نون) عليه السلام وكانت قبائل بني إسرائيل (اثنتي عشرة) قبيلة، فعين من كل قبيلة رئيساً لمجموعة من الجيل الجديد حتى انتهت فترة العقاب، ففتح الله تعالى الطريق لبني إسرائيل، فخرجوا من أرض التيه متجهين إلى الشام، وإلى أرض بيت القدس تحديداً ليحرروها من الكنعانيين الكفرة الذين دنسوها في ذلك الوقت، وانطلق جيش بني إسرائيل وجهته تحرير بيت المقدس.

في ديار الكنعانيين عاش رجلٌ يُسمى (بلغام بن باعوراء) كان يدعي الإيمان والتقوى، وكان يدعي فوق ذلك العلم والعبادة، عاش بين قومه ينظرون إليه أنه

(١) ميثاق: عهد.

(٢) نقيباً: رئيساً.

أنقاهم وأعلمهم وأكثرهم تقوى، فقد كان الوحيد المؤمن في هذه القرية الكافرة، ونظر قومه فوجدوا أنهم سيهزمون أمام بني إسرائيل في أول جولة من المعركة إذا لم يلجأوا إلى الحيلة والمكر، فجيش بني إسرائيل في ذلك الوقت كان جيش الإيمان، والإيمان كالبركان، وويل لمن وقف أمام البركان، فلم يجروا الكنعانيين على الوقوف أمام بني إسرائيل، فأرادوا هزيمتهم بسلاح آخر قبل القتال، فذهب القوم إلى (بلعام ابن باعوراء) ليدعو على بني إسرائيل بالهزيمة، فعارضهم (بلعام) وتمنع ورفض، لكنهم أداروا رأسه، فأغروه بالمال والهدايا واثروات، فمال إليهم.

ركب (بلعام) بغلته وصعد على الجبل، وتوجه ناحية جيش بني إسرائيل يدعو عليهم، فاندلع^(١) لسانه على صدره، وكلما أراد الدعاء على بني إسرائيل انقلب لسانه يدعو على نفسه وقومه، فعلم أن ربه عليه غضبان، فإذا به يعود إلى قومه يقول لهم: ذهبت مني الأخيرة، ولم يبق لي إلا الحيلة. قالوا: بماذا تأمرنا؟ فأوحى إليه شيطانه بفكرة جديدة، فإذا به يقول: زينوا نساءكم، وأعطوهم بعض السلع والبضائع، وأرسلوهن حتى يدخلن في جيش بني إسرائيل على أنهن بائعات، ومروهن ألا يمنعن أنفسهن من أحد من بني إسرائيل، فإذا وقعت الفاحشة فإن الله سيرسل غضبه على بني إسرائيل، وعندئذ تهزمونهم. ففعل قومه ما أمرهم به.

في جيش بني إسرائيل تجاورت خيام الجند، وفي كل خيمة كان الجنود يأوون إلى الراحة أو الصلاة، ووسط الخيام كان بعض الجند يتحدثون عن المعركة المنتظرة يتمنون النصر على أعدائهم، ودخول بيت المقدس، مهجر أنبياء الله قديماً، وقبلتهم التي يصلون إليها.

وإذا بالجند يتساقطون قتلى وموتى، حتى مات عدد كبير منهم بسبب الطاعون، وبسرعة خرج أحد الجنود بحربته^(٢) يمسح الدم عنها، وهو يقول: اللهم إني قتلت هذين، فأرفع عنا العذاب. ولم يكن القتاتل إلا مؤمناً من المؤمنين، علم أن سبب الطاعون الذي انتشر بين جند بني إسرائيل سببه الفاحشة التي ارتكبها أحدهم مع

(١) اندلع: يعني خرج على صدره فطال كالكلب.

(٢) الحربة: عود من حديد، رأسه محددة تستعمل في الحرب، والجمع حرباب.

واحدة من نساء الكنعانيين اللاتي تزينَّ، ودخلن في الخيام، ووسط الجند على أنهم بائعات، كما أشار بذلك بلعام، فما كان من المؤمن إلا أن قتلها ليرفع الله العذاب عن بني إسرائيل، فاستجاب الله تعالى له.

ففشلت خطة (بلعام) وراحت منه الدنيا، وضاعت الآخرة، فصار كالكلب يلهث إن كان عطشاً ويلهث إن كان رياناً، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الاعراف: ١٧٥، ١٧٦)

لقد شبهه الله بـ(الكلب) إن طرده يلهث، وإن تركه يلهث، يريد كل شيء لنفسه، يشم كل شيء بأنفه ويطمع فيه وحده ولو كان خُرءاً، وبلعام كالكلب إن تركته فهو ضالٌّ، وإن وعظته فهو ضالٌّ، ولو أنه آمن لكان خيراً له، لكنه اختار الكفر، فخرج من الإيمان، وخرج الإيمان منه كأنما كان الإيمان قميصاً لبسه بعض الوقت ثم خلعه، باع الآخرة بالدنيا، واشترى ما عند الناس، وباع ما عند الله تعالى.

واقترب اللقاء الموعود بين بني إسرائيل والكنعانيين بعد فشل خطة بلعام.

جيش بني إسرائيل يقترب من أسوار بيت المقدس أكثر وأكثر، واليوم هو يوم الجمعة، وبعد مغيب الشمس يوم الجمعة يحرم على اليهودي أن يصنع شيئاً إلاَّ العبادة، فيوم (السبت) عند اليهود هو يوم العبادة، اختاروه بأنفسهم وحرموه فيه العمل، والحرب، وكل نشاط إلاَّ العبادة فقط.

وشاء الله تعالى أن تبدأ الحرب يوم الجمعة، وعليه فإن الحرب يجب أن تنتهي قبل غروب الشمس هذا اليوم، وإلا اضطرَّ بنو إسرائيل للانسحاب من المعركة.

ها هو (يوشع بن نون) عليه السلام، والنقباء معه يشعلون حماسة الجنود، ويغدونهم بنصر الله تعالى لهم ليقاتلوا عدوهم، فإمّا النصر على الأعداء، وإمّا الشهادة والجنة، وكلما مر الوقت كلما ازدادت سخونة الحرب، فالغبار يرتفع إلى

السماء، ولا تسمع إلا صهيل^(١) الخيل، وصليل^(٢) السيوف، ولا يرتفع إلا صوت صيحات الحرب وهتافاتها، وبدأ النهار ينتصف والمعركة دائرة لم تنته بعد.

وبدأت المعركة تميل ناحية بني إسرائيل، فالكنعانيون كفار لا يقاتلون إلا من أجل الأرض والمال، أما نبي الله يوشع بن نون ومن معه فيقاتلون من أجل تنفيذ أمر الله، والوقت يمر، والنصر في جانب بني إسرائيل، والقتلى يتساقطون من الكنعانيين، وجيشهم بدأ يشعر بالهزيمة، وجند بني إسرائيل يحملون على عدوهم، ولم يبق إلا القليل ليُعلن انتصار بني إسرائيل.

ولكن... الشمس ستغيب!! معنى هذا أن بني إسرائيل سينسحبون ويتركون أرض المعركة، ولن يقاتلوا عدوهم إلا يوم الأحد، وقد يهاجمهم عدوهم يوم السبت فينتصر عليهم، فتوجه نبي الله يوشع بن نون إلى الشمس فقال: إِنَّكَ مَأْمُورٌ^(٣)، وأنا مأمور. ثم قال: اللهم احبسها^(٤) عليّ شيئاً. فاستجاب الله تعالى لدعائه فلم تغرب الشمس، فحبسها الله عليه وعلى قومه، وأمر الله الشمس ذلك اليوم ألا تغرب حتى ينتصر بنو إسرائيل، وانتهت المعركة بانتصار بني إسرائيل على عدوهم فالحمد لله رب العالمين.

الغنائم هي: مكاسب الحرب، كان في شريعة الأنبياء السابقين على رسول الله ﷺ أنهم يجمعون هذه الغنائم، ويضعونها على جبلٍ حتى تنزل نارٌ بيضاء من السماء فتأكل هذه الغنائم، فإن لم يقبلها الله تعالى، لم تنزل النار، وإنما تبقى الغنائم على قمم الجبال.

وجمع نبي الله (يوشع بن نون) عليه السلام الغنائم التي اكتسبها بنو إسرائيل من حربهم ووضعها على جبلٍ من الجبال، فلم تنزل النار البيضاء، فعلم أن هناك من سرق من الغنائم شيئاً، فقال: فيكم الغلول- يعني اللص السارق-. ثم قال:

(١) صهيل: صوت الحصان.

(٢) صليل: صوت السيوف.

(٣) يعني: يأمر الله بالشرق أو الغروب.

(٤) يعني: أخرها فلا تغرب حتى أنتصر أنا وقومي على عدونا.

ليصافحني من كل قبيلة رجلٌ. فالتصقت يدُ رجلٍ من هؤلاء بيد يوشع عليه السلام فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم- يعني سرقتم-. ثم صافح كل رجل منهم فالتصقت يد رجلين أو ثلاثة منهم بيده فقال: فيكم أنتم الغلول!! فلم ينكروا السرقة؛ بل أخرجوا له رأس بقرة من ذهب، فوضعوها مع الغنائم، فنزلت نارٌ بيضاء من السماء، فأكلت الغنائم فقبلها الله تعالى.

أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون أن يبلغ قومه بدخول بيت المقدس وهم ساجدون، وأن يقولوا: حِطَّةٌ؛ يعني: يا رب حُطْ^(١) عَنَّا ذُنُوبَنَا. فإذا باليهود يستهزئون بأمر الله تعالى، فدخلوا بيت المقدس على أستاذهم^(٢) يزحفون وقالوا: حبة في شعرة. أو قالوا: حنطة- يعني قمح- بدلاً من حِطَّة.

وعندئذ عاقبهم الله تعالى بأن أرسل عليهم (الرجز) وهو الطاعون عقاباً لهم على عصيان أمر الله تعالى، ولو أطاعوه لحفظ لهم انتصارهم، لكن اليهود هم اليهود: كلهم عصاة لله تعالى، وهذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) قَبُلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٨، ٥٩). وتوفي نبي الله يوشع بن نون، فانتهت حياته، لكن فضائح اليهود لم تنته بعد.



الدروس المستفادة

- (١) طاعة أمر الله تعالى.
- (٢) الغنائم لم تكن حلالاً لأحد قبل الإسلام.
- (٣) العصيان لله تعالى يورث الذلة والعقاب.
- (٤) النصر للموحدين على الكافرين.

(١) حُطَّ: ارفع وامح.

(٢) أستاذهم: الأستاذ: مؤخره الإنسان.

- (٥) لا يجوز أن تكون بيت المقدس إلا للمؤمنين الموحدين .
 (٦) بيت المقدس للمسلمين الموحدين لا لليهود العصاة .
 (٧) اليهود قوم سوء حرفوا كلام الله وعصوا أمره .
 (٨) فضل أمة الإسلام على غيرها من الأمم: أعطاه الله يوم الجمعة، وأحلَّ لها الغنائم .



الأسئلة

(١) أكمل التالي مختاراً الصحيح من بين الأقواس:

- (أ) قام بأعباء بني إسرائيل بعد موسى عثيه السلام (دانيال - يوشع - أشعيا) .
 (ب) أرض جعلها الله تعالى للموحدين دائماً . . . (مكة المكرمة - المدينة المنورة - بيت المقدس) .
 (ج) مرض كان قديماً يُسمى بالرجز . . . (الطاعون - الطاحون - الطاهون) .
 (د) تُسمى مكاسب الحرب بـ (الغنم - الغنائم - الغنيمات) .
 (هـ) يُسمى صوت الحصان بـ (صهيل - صليل - عويل) .
 (٢) رتب العبارات التالية:
 (يوشع - حاربه - قاد - بني - نون - إسرائيل - في - الكنعانيين - بن - ضد) .
 (عاش - إسرائيل - بنو - أربعين - التيه - سنة - أرض - في) .
 (الذي - آيات - انسلخ - بلعام - من - الله - باعوراء - بن - هو) .
 (٣) مَنْ هو؟

- نبي أحبه بنو إسرائيل لرفقه بهم ولينه .
 - رجلٌ عاصٍ كافر شبهه الله في القرآن بالكلب .
 - قوم احتلوا بيت المقدس وحاربهم يوشع وبنو إسرائيل .

(٤) ما هي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

☆☆☆

الإجابات

- (١) (يوشع - بيت المقدس - الطاعون - الغنائم - صهيل)
- (٢) قاد يوشع بن نون بني إسرائيل في حربهم ضد الكنعانيين .
- عاش بنو إسرائيل في أرض التيه أربعين سنة .
- بلعام بن باعوراء هو الذي انسلخ من آيات الله .
- (٣) هارون - بلعام بن باعوراء - الكنعانيون .

☆☆☆



الخشبة الأمانة

خشبة الوفاء ورجلان من بني إسرائيل

في كل أمة من الأمم يوجد أناس صالحون، منهم الأمناء، ومنهم المخلصون، ومنهم من يتورع عن الوقوع في الحرام، وآخرون مجاهدون شهداء، وصنف من أهل الحق والخير.

والإيمان لا تخلو الأرض منه، ولا تخلو قلوب المؤمنين منه، وكلما ازداد الإيمان في القلوب، كلما كان الإنسان صاحب خلق حسن فاضل يحبه الناس، ويشيرون إليه، ويتمنون أن لو كانوا مثله.

ومن الزمن القديم يحكي لنا النبي ﷺ قصة مُسْلِمَيْن من بني إسرائيل اقترض^(١) أحدهما من الآخر مالا قدره ألف دينار، ووعد أن يؤديه إليه - أي: الدين - في موعد مُحدد، وجاء الموعد، وقد رحل المُستدين إلى بلد آخر، فلم يجد وسيلة لرد المال إلى صاحبه إلا أن يـ...!!

هذه أحداث القصة التي لا نريد عرضها الآن، وإلا أضعنا متعتها وتشويقها قبل عرضها، لكن في هذه القصة درس عظيم ينبغي أن نذكره قبل أن نحكي ما فيها كما حكاها رسول الله ﷺ، وهو: أن الأمانة حين تضيع تضيع معها الأخلاق كلها، وأن الوفاء بالوعد حين يضيع تضيع معه كثير من خصال الخير وصفاته، وأن المؤمن يفي بعهده دائماً، وأن إخلاف العهد ونقضه، وإخلاف الوعد إنما هو من صفات المنافقين كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة^(٢) منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها^(٣): إذا أئتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر^(٤).» فخيانة

(١) اقترض: استلف.

(٢) خصلة: صفة.

(٣) يدعها: يتركها.

(٤) رواه البخاري (٣٤) في كتاب الإيمان، مسلم (١٠٦/٥٨) في كتاب الإيمان.

الأمانة رُبُّ النَّفَاقِ، وصاحبها- يعني الخائن- إيمانه ناقص يحتاج إلى التوبة الصادقة، وإلاَّ كان فيه صفة من صفات المنافقين.

وأعظم مثال للأمانة: رسول الله ﷺ الذي كان الناس قبل الإسلام يسمونه (الصادق) أو (الصادق الأمين)، واختارته السيدة خديجة رضي الله عنها قبل أن تتزوجه ليعمل في تجارتها لأمانته، وكان أهل مكة إذا أرادوا أن يحفظوا ودائعهم عند أحد، جعلوها عند رسول الله ﷺ، وهو الذي جعل الكفار ودائعهم عنده حتى بعد أن كذبوه ووصفوه بالساحر الكذاب الشاعر، ولم يؤمنوا به، ورغم ذلك جعلوا أماناتهم عنده، فلما أراد الهجرة جعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيت في فراشه، ويبقى في مكة ليرد الودائع إلى أصحابها، وفاءً منه ﷺ بالعهد، وأداءً للأمانة، وعدم خيانة لها، فهو أعظم أمين عرفته البشرية كلها ﷺ.

يحتاج الإنسان في بعض الأوقات إلى المال ليصلح به بعض أموره، وكثير من الناس يتعرض لضوائق مادية ومالية تُرغمُه على الاستدانة من أصحابه أو إخوانه أو أقربائه.

وأكثر الناس تعرضاً لهذه الضوائق: التجار الذين يحتاجون دائماً إلى المال للتبريح منه، ثم إعادته إلى صاحبه مرة أخرى، والقَرْضُ يحل مشكلة، لكنه قد يكون مشكلة حينما يعجز صاحبه عن رده، أو يُماطل صاحبه فلا يريد رده إليه، أو يردّه بعد عذاب وعناء، فلا يُقرضُه الناس مرة أخرى، إذ يشتهر عنه أنه مضيع للحقوق، لا يؤديها إلى أصحابها.

ومن عادة الناس^(١) أن يأخذوا ضماناً لردِّ الدين إليهم بكتابة صك أو ورقة تضمن رد الدين، وإشهاد الشهود على هذا الدين، وبعضهم يقول: هات لي كفيلاً أو ضامناً، يعني: من يتكفل بردِّ هذا الدين، ويضمن رده إلى صاحبه إذا لم يردّه المقترض.

ويقول الناس: الضامن غارم، يعني: يغرم دفع الدين عند تأخر سدادده، فماذا لو

(١) وقرر الإسلام هذا، وانظر آية الدين أطول آيات القرآن رقم (٢٨٢) من سورة البقرة.

أن الله تعالى هو الشهيد، وهو الكفيل على الدين؟! هذه قصتنا، وإليك أحداثها:

خرج الرجل الصالح من داره يستغي دار أخ صالح له، حتى وصل إلى هناك متخالفة خطواته يكاد الحياء يردُّه إلى بيته، فإنه عقد العزم على أن يستدين من أخيه هذا ألف دينار، وهو مبلغ طائل في ذلك الزمان، ومالٌ كثيرٌ، مما يدل على أنه كان تاجراً أو غنياً يمكنه سداد هذه الأموال بعدد، لكنه توكل على ربه، وطمع في إحسان أخيه فطرق بابه، فما أن رآه صاحبه حتى هشَّ له ويشَّ، وازداد به فرحه فقال له: أقرضني ألف دينار!! فلم يُمانع الرجل، لكنه قال: اتنتي^(١) بشهداء أشهدهم.

وليس في هذا عيبٌ فهو يريد ضمان حقه لنفسه، أو لولده من بعده، ويبدو أن بني إسرائيل في ذلك الوقت انتشر بينهم الغدر والخيانة، وتضييع الأمانات، فأراد الرجل أن يضمن حقوقه لثلاث تضييع.

فقال الرجل الصالح: كفى بالله شهيداً. فأحسَّ أخوه منه صدقاً فقال: صدقت. ولكنه عاد فقال: اتنتي بكفيل^(٢). فلم يملك الآخر إلا أن قال: كفى بالله كفيلاً. فقال له صاحبه: صدقت، فأحضر الألف دينار، وحدد لأخيه موعداً للسداد، فوافق المُقترض على ذلك، وانطلق بالألف دينار يُدبر بها أموره وشئونه، ولم يغب عنه أنه جعل الله تعالى شهيداً عليه وكفيلاً له، فعقد العزم على ردِّ الدنانير الألف في موعدهما المحدد.

لم يكن الناس في الزمان القديم يعرفون ما نعرفه نحن من وسائل المواصلات السريعة الآن كالطائرة، والقطار وغيرها من الآلات الحديثة التي يسرها الله لنا فقضت على كثير من متاعب السفر ومشاقه، وكان السفر قديماً بوسيلتين:

الأولى: الدواب: الحصان - البغل - الحمار - الناقة (الجمال).

والثانية: ركوب البحر عن طريق السفن الشراعية القديمة.

فكان السفر يستغرق وقتاً طويلاً ربما شهور، وربما أيام طوال، لكن يبقى أن السفر كان يتطلب من صاحبه جهداً، ومالاً، ووقتاً.

(١) اتنتي: هات لي، أو احضر لي.

(٢) كفيل: ضامن.

وقد انطلق صاحبنا الذي اقترض الألف دينار فركب مركباً فنقله إلى بلد أخرى ليتاجر ويربح ولا زالت مركبه تتهادى في البحر تضربها الأمواج وتتقاذفها، وتعاكسها الرياح، والرياح دائماً تأتي بما لا تشتهي السفن.

فاستغرق سفره في البحر وقتاً ومُدَّة، حتى وصل إلى وجهته التي يريد، فباع واشترى، وربح، ولم يغب عنه أن لسداد الدين موعداً لا بد أن يفي به، وأن يؤدي المال فيه إلى صاحبه، فإنه أشهد الله على ذلك، ويخشى أن يضيع الأمانة. والصالح يُعظم أمر الله تعالى، ولا يضيعه، وقد خشي أن يلقي الله به (ربع النفاق إذا أخلف موعده).

وقبل أن يأتي الموعد المحدد لسداد الدين كان هذا الصالح قد وقف على ساحل البحر ينتظر مركباً تحمله إلى بلده ليردَّ الدين إلى صاحبه، ولكنه لم تأت مركبٌ قط، وانتظر، وانتظر، وطال انتظاره، حتى يش من قدوم مركب تحمله، فتوجه إلى الله تعالى قائلاً: اللهم إنك قد علمت أنني استلفتُ من فلان ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدتُ^(١) أن أجد مركباً أبعثُ إليه بماله، فلم أجد مركباً، وإني استودعتُها!!

ثم جاء بخشبة فنقرها^(٢)، وأدخل فيها ألف دينار، وكتب برسالة إلى صاحبه الذي استلف منه المال يخبره بأن هذه هي دنائره الألف، ثم سوى موضع النقر، وأصلحه ورمى بالخشبة وقد قال: وإني استودعتُها!! أي: جعلت المال والخشبة والصحيفة وديعة عندك يا رب، ولا تضيع الودائع عندك!!

ومضى عائداً حتى يجد مركباً في وقت آخر، ولن يضيع الله من جعله على وعده شهيداً وله كفيلاً، ولن يضيع الله من توكل عليه أبداً، ومن يدري إلى أين تذهب هذه الخشبة العجيبة: خشبة الوفاء والأمانة.

تُرى هل سيأتي في موعده ليفي بعهده معي، ويرد المال إليّ؟ أو سيماطل في دفع

(١) جهدت: يعني بذلت غاية جهدي، وبحثت قدر استطاعتي.

(٢) نقرها: نقبها.

الدين كما هو حال معظم بني إسرائيل؟ إنه جعل الله تعالى عليه شهيداً، وله كفيلاً، ولن يُخلف وعده إن شاء الله.

هذه أسئلة لا بد أنها كانت تدور في عقل صاحب المال، وقد وقف على ساحل البحر ينتظر مركباً قادماً من البلد التي سافر إليها أخوه الذي اقترض المال، ولكن لم يأت مركب ولا قارب، فلعل البحر أن تكون قد هاجت أمواجه، أو عصفت رياحه فأخترته عن مواعده، وله العذر إن كان الأمر كذلك.

ولم يبق على غروب الشمس إلا قليلاً، ولم يُلح^(١) في الأفق^(٢) سفينة ولا مركب، ولا حتى قارب من القوارب، فقرر الرجل العودة إلى دياره وأهله بلا مال. ولكنه قرر الدُخول على أهله بما ينفثهم، فالتفت إلى الخشب والشجر وقوداً لهم في البيوت، وفحماً يتدفون بنيرانه، فالتقط إحدى الخشبات التي قذفها البحر، لتكون عوضاً له عن وقفته طيلة يومه انتظاراً لمركب صاحبه.

ودخل داره ثم بدأ في تكسير الخشبة التي التقطها من أمام الشاطئ، فإذا به يرى فيها ثقباً فيفتح الثقب فتسكب منه الدنانير وتصب صباً فراح يجمعها ويعدها فإذا هي ألف دينار بالتمام والكمال لا تنقص ديناراً واحداً، ثم نظر في الخشبة لعل ديناراً آخر يختبئ بين أجزائها فإذا بصحيفة كُتِب فيها رسالة، والرسالة لم تكن إلا من صاحبه الذي جعل الله عليه شهيداً، وله كفيلاً، يخبره أنه لم يقدر على الوصول إليه في مواعده، لكن الله تعالى الذي رضي به شهيداً وكفيلاً على كل شيء قدير، أوصل إليه الأمانة التي استودعها صاحبه، والله تعالى لا ولن تضيع ودائعه.

فأخذ ماله، وشكر ربه، ودعا لأخيه، وعرف أنه صالح يُعظم أمر الله، فلم يستغل صلاحه وتقواه، ويستدين منه ثم يضيع ماله، بل أوفى بعهده خوفاً من الله تعالى، ولئلا يكون منافقاً.

وما هي إلا أيام قلائل حتى سمع من يطرق الباب، فلما فتح الباب، إذا به صاحبه الذي أودع المال الخشبة قد جاءه ومعه ألف دينار أخرى ظناً منه أن الخشبة قد

(١) يلح: يظهر.

(٢) الأفق: آخر ما تصل إليه العين.

تاهت في البحر، ولم تصل إلى صاحبه، وقال له كالمعتذر: والله ما رلت جاهدك في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي عدت فيه، ثم قدم إليه الألف دينار.

فقال صاحبه: إن الله الذي جعلته شهيدًا وكفيلاً قد أدّى عنه، ولقد التقطت الخشبة، وأخذت المال، وقرأت الصحيفة، فانصرف بالآلف دينار راشدًا يرحمك الله!!

فانصرف يحمد الله ويشكره، ويتعجب من لطف الله به، ومن عاقبة الأمانة والحرص على سداد دين الغير، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، ومن أمانة صاحبه الذي كان بمقدوره أن ينكر أنه التقط الخشبة بما فيها من مال، لكنهما مُسلمين، والمسلم لا يأكل حرامًا قط.

هذه إذن قصتهما وفعلهما، ولكن لا يمكن لأحدنا أن يقتصر ثم يضع المال في خشبة ويفعل مثل صاحبنا فإنها مرة وذهبت، والله أعلم!!



الدروس المستفادة

- (١) الصالحون موجودون في الأمم السابقة.
- (٢) الله تعالى يعين الأمين الذي يريد سداد دينه وأداء الأمانة.
- (٣) خيانة الأمانة، وتضييعها ربع النفاق.
- (٤) أداء الأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين، وهو خلق يجب أن يتحلى به المؤمن.

(٥) الإسراع في سداد الديون.

(٦) التوكل على الله وتفويض الأمر إليه سبحانه.



الأسئلة

(١) تصوّر نفسك الرجل الذي اقترض المال أو وضعه في الخشبة ثم احك لنا القصة.

(٢) صلّ هذه العبارات ببعضها البعض وصلّاً صحيحاً:

- (أ) مَنْ يضمن المستدين ويغرم الدين إذا تأخر عن السداد.
(أ) الوديعة.
(ب) عبارة تعني أن الضامن يدفع المال إذا تأخر صاحب الدين.
(ب) الشُّهود.
(ج) مالٌ أو شيء ثمين يضعه الناس كأمانة عند صاحب لهم.
(ج) الضامن غارمٌ.
(د) مَنْ يشهد على أن فلاناً اقترض من الآخر.
(د) الضامن أو الكفيل.

(٣) أكمل هذه العبارات بالاختيار الصحيح:

- * الثقب في الخشبة يسمى
(الفقر - البقر - النقر).
* قال الرجل: اللهم إني قد
(عملت - جهدت - مهدت).
* عاد الرجل إلى داره بخشبة ففتحها وجد فيها ألف .. (ريال - درهم - دينار).

(٤) ماهي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

(٥) اذكر معنى الكلمات التالية:

(نقرها - الأفق - كفيل - اقترض).

الإجابات

(٢) (١- د) (ب- ج) (ج- أ) (د- ب).

(٣) (النقر - جهدت - دينار).

(٥) (ثقبها - آخر ما تصل إليه العين من الرؤيا - ضامن - استلف).

طفل يتكلم في المهد^(١)

جريج العابد

صلاتي أم أُمي؟

هذا هو السؤال الذي دار في ذهن جريج العابد أحد رجال بني إسرائيل، وهذا هو السؤال الذي كان سبباً في حدوث قصته التي حكاها لنا النبي ﷺ.

لقد نادته أمه في الصلاة، وكانت أمه سالحة، فلم يردَّ عليها، ولم يُجبها، فكانت أحداث مثيرة، ووقائع مشوقة، لو لم تحدث لفاتنا خيرٌ كثير، ولضاع علينا سماع قصة فيها فوائد عديدة. وقبل البداية:

* اعلم أن المسلم إذا كان في صلاة النافلة وهي غير الفريضة، فنادته أمه، أو دعاه أبوه جاز له الخروج من الصلاة إلا إذا كانت صلاته فريضة كالصُّبح، أو الظُّهر، أو العصر، أو المغرب، أو العشاء.

* وسيظهر لك في القصة أن مَنْ سبقنا كانوا يصلون كصلاتنا، مع اختلاف في بعض الأوقات لكنهم حرفوا هذه الصلاة وبدّلوها.

* وقد كان في الزمن القديم قومٌ انقطعوا للعبادة بعيداً عن الناس، وهذا ما حرّمه الإسلام، فإن المسلم الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم، من هؤلاء الذين انقطعوا للعبادة: جريج العابد صاحب بني إسرائيل، الذي كان له مع والدته وقومه قصة عجيبة، وواقعة غريبة، ولا غرابة في ذلك، فقد كان في السابقين العجب كل العجب.

من داخل الصَّومعة^(٢) ينبعث صوتٌ رقيقٌ يختلط فيه القراءة بالخشوع، وينبعث منها ضوءٌ خافتٌ^(٣) يدل على أن صاحب الصومعة رجلٌ صالح ترك متاع الدنيا،

(١) المهد: فراش الطفل.

(٢) صومعة: بيت الراهب.

(٣) خافت: ضعيف.

وانصرف عنه إلى العبادة يرجو وجه الله تعالى، ويتبغى رضاه.

ولا عجب، فالكل يعرف هذه الصومعة التي بُنيت ببساطة شديدة، بحيث تمنع صاحبها وتحميه من برد الشتاء ومطره، وحر الصيف ولهيبه، إنها صومعة (جُرْج) العابد الذي كان يعرفه أهل بلده، ويُقدمونه على الجميع، ويسألونه الدعاء لهم ولأبنائهم من بعدهم.

وفضلاً عن هذا كان جُرْج باراً بأُمَّه الصالحة التي كانت تأوي إليه كثيراً ليقضي حاجتها، أو تقضي له بعض أموره، فجمع الإيمان بين الولد والوالدة: جُرْج وأمه. وذات يوم دخل جريج في صلاته حتى أحس فيها بخشوع عجيب، وبدأ قلبه ييكى قبل عينيه كأنما ينسكب النور من حوله، حتى كأنه الآن يرى الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأهلها، ولم يقطع صلاته إلا صوت يناديه: جُرْج!! إنه صوت يعرفه جيداً، فكيف لا يعرف المرء صوت أمه؟! إنها أمه التي كررت النداء: جُرْج يا ولدي!!

واحتار جريج، أترك الصلاة ليجيب أمه، أم يمضي في الصلاة فلا يقطعها؟ ونسي جريج أن خشوعه قد ذهب بعد أن نادته أمه، وأنه في صلاة تطوع ونافلة ليست بالفريضة، وأنه إن أطاع أمه ولبى نداءها برأ بها كان خيراً له، لكنه عابدٌ، ولو كان عالماً لكان خيراً له، والناس تعارفوا أن العالم خيرٌ من سبعين عابداً.

وكررت الأم نداءها، وجريج حائر يقول: يا رب! أُمِّي وصلاتي. لكنه مضى في الصلاة ليتمها، ولم يُجِبْ أُمَّه، فحزنت الأم الصالحة، وغضبت من ولدها فقالت: اللهم لا تُمِتْهُ حتى تُرَبِّيه وجوه المومسات^(١). ثم مضت الأم تاركة ولدها جريج، وتاركة الدعوة التي دعت بها عليه، ومن الدعاء المستجاب: دعوة الوالد على ولده، ودعوة الوالدة على ولدها.

ذاع صيتها، واشتهر أمرها بين الناس: جميلة هي يُضرب المثل بحُسْنِها وجمالها، بَغْيٍ من المومسات لا تتحرج من الوقوع في الفاحشة وفعل السوء، وهي تفاخر

(١) المومسات: البغي الفاحشة الخلق والفعل.

بذلك وتباهى^(١) به، وهكذا الفُجَّار لا يرون فيما يصنعونه خطأ؛ بل يرون سيئاتهم حسنات، ومعاييبهم فضائل يفتخرون بها.

إنها إحدى البغايا في قرية جريج التي اختلط فيها الصالحون بالمفسدين، وكانت الفاحشة قد شاعت^(٢) في بني إسرائيل حتى صارت مهنة لبعض النساء والرجال. وفي إحدى مجالس الفُحش والفجور ذكر الفُجَّار العُصاة (جريج) وذكروا عبادته، وراحوا يتمنون أن لو كان مُفسداً مثلهم، وهكذا المفسدون دائماً يريدون العالم كله مفسداً مثلهم حتى لا يأمرهم أحدٌ بمعروف ولا ينهاهم عن منكر، فإن المفسد إذا رأى الصالح تذكر فساده وعيوبه، فكره هذا الصالح وتقواه وإيمانه، وتُمْنى أن لو كان معه على فساده.

ولذا يُنصح العقلاء من أهل الإيمان ألا يصاحب المسلم إلا مسلماً صالح الخلق طيب السيرة، وفي الحديث: «لا تُصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». وجلس المفسدون ليتفقوا على خطة شيطانية يعجرون بها (جريجاً العابد) إلى الفساد ليكون مثلهم، فاتفقوا مع بني القرية أن تفتن جريجاً وأن توقعه في الفاحشة، وأن تفضحه بين الناس حتى يتخلص المفسدون منه، ومن تقواه وعبادته وإيمانه، فقالت لهم موافقة: لأقتننه لكم. ثم مضت إلى حيث صومعة العابد جريج.

فارق كبير بين استجابة الدعوة وبين وقوعها وحدثها، فالله تعالى يستجيب الدعوة لكن ليس من شرط استجابتها أن تتحقق في الحال، فربما أراد الله تعالى أن يؤخر استجابة الدعاء إلى وقت آخر تكون فيه مصلحة العبد، فلو قال الرجل: يا رب ارزقني مالاً، فإن الله يستجيب له، لكن ربما أخر تحقق الدعوة بعض الشيء، لأن الرجل إذا رُزق المال الآن سيفسد به في الأرض، أو ينفقه في غير مصلحة، أو في وجه من وجوه الحرام.

وهذا ما حدث مع دعوة أم جريج، فقد استجاب الله تعالى لها، لكن أخر وقوعها وتحققها على الأرض، حتى جاء الموعد المحدد لذلك بقدر الله تعالى.

(١) تتباهى: تُفاخر.

(٢) شاعت: انتشرت.

لقد تزينت البغي وهي من (المومسات) - كما دعت أم جريج - ثم ذهبت إلى خيمة جريج عليها من الزينة والحلي ما عليها، تعطرت، ولبست أبهى ما عندها من ثياب تُريد إغواءه، لكنه لم يلتفت إليها إلا مرة واحدة رأى فيها وجهها، فكانت الدعوة قد أُجيبَت، فرأى وجوه المومسات.

وعادت البغي تزين له الفاحشة وهو معتصم بالله تعالى، يستعِذ بالله من الشيطان والشهوة، حتى يَأْسَتْ منه، فنزلت من صومعته.

لكن... هل تتركه هكذا دون أن تحقق ما وعدت به؟ لقد رفضها ولا طريق إليه فماذا تفعل؟ لقد كان أحد الرعاة قريباً من صومعة جريج، فعرضت عليه نفسها، فوقع معها في الفاحشة، فحملت منه، فلما ولدت قيل لها: ولدٌ من هذا؟ من أبوه؟ قالت: جريج!! فما بقي من أحدٍ من النساء إلا وقد أخذه العجب.

انزل جريج!! إن لم تنزل أنزلناك!! اخرج من صومعتك!! وإلا هدمناها وأنت فيها.

هذه صيحات وهتافات أهل قرية جريج الذين خرجوا بالفئوس يريدون هدم صومعة جريج إذ صدقوا البغي بأنها زنت مع جريج، وما هي إلا لحظات حتى صارت الصومعة كومة من تراب، وحتى انهال الناس على جريج ضرباً، وهو لا يدري لِمَ يضربونه؟ ولمَ هدموا صومعته؟ فلم يكن يدري عن أمر البغي شيئاً، حتى قال لهم بعد أن أبرحوه ضرباً: ما شأنكم؟! فقالوا: زينت بهذه البغي، فولدت منك!! فقال جريج: أين الصبي؟ - يعني الذي ولدته البغي -، فجاءوا به رضيعاً في مهد، فنظر إليه جريج، ثم قال لهم: دعوني^(١) حتى أصلي. ثم دخل في صلاته، فصلى يدعو ربه عز وجل دعاءً عريضاً يرجوه أن يُظهر براءته، حتى لا يكون ذلك سبباً في قتله، وأن يقال عن العباد من أمثاله أنهم سيئو الخلق.

وانصرف من صلاته متجهاً إلى الرضيع الصغير، فضرب بإصبعه في بطنه ضربة خفيفة.

(١) دعوني: اتركوني.

لم يكن الولد الذي ولدته هذه البغي إلا ابن الراعي الذي فجر بها، ولا علاقة لجريج من قريب أو بعيد بهذا الأمر، ولم يكن على هذه الحادثة من شهود إلا الله تعالى، ثم الراعي والبغي، فلا أحد يشهد لجريج، ولن يصدق قومه ولو حلف لهم ألف ألف مرة.

لكن جريجاً كان صالحاً مُجاب الدعوة، فما أن صلى حتى ذهب إلى الغلام فطغته بإصبعه والكل يرتقب المشهد، وما سيحدث فيه، فقال جريج يكلم الطفل الرضيع: يا غلام! مَنْ أبوك؟

وعجيبٌ والله أمره، أينطق الرضيع وهم في المهد؟! أم يفهم الصغار لغة الكبار ولم يكتمل عقلهم بعد؟ لكن فعلها الغلام الرضيع، فهم كلام جريج؛ بل أجاب فقال: أبي هو الراعي الذي بجوار صومعتك!!

يا الله: لقد نطق الصغير الرضيع، وظهرت الحقيقة واستجاب الله لدعاء جريج، فترك الناس الفئوس، وأقبلوا على جريج بعد أن عرفوا الفاعل الحقيقي، فراحوا يُقبّلون جريجاً، ويتمسّحون به، ويعتذرون إليه، ثم نظروا إلى صومعته التي صارت كوماً من تراب فقالوا: نبنينا لك من ذهب. فقال: لا، أعيدوها كما كانت.

فأقبل الناس على صومعته، فأعادوا بناءها بمنتهى البساطة كما كانت، ثم تركوه وعادوا بعد أن تأكدوا من تقواه وصلاحه.

وعاد جريج يستغفر ربه، وقد تعلّم الدرس، فما نادته أمه وهو في صلاة النافلة بعد إلا وأجابها، فلو لم تكن قد دعت عليه لما حدث ذلك كله. ولو كان عالماً مع عبادته لما دعت عليه، فما أجمل العلم والعبادة إذا اجتمعا!!



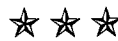
الدروس المستفادة

(١) طاعة الوالدين مقدمة على صلاة التطوع والنافلة.

(٢) بر الوالدين وعدم عقوبتهما.

(٣) العلم والعبادة خيرٌ من العبادة فقط.

- (٤) المسلم عفيفٌ لا يحب الخطأ ولا الفاحشة.
 (٥) لا يُصاحب المسلم إلا مسلماً مؤمناً تقياً مثله.
 (٦) المظلوم يستجيب الله دعوته.
 (٧) دعوة الوالدة على ولدها مجابة، فاحذر منها.



الأسئلة

- (١) اختر العبارة الصحيحة من بين الأقواس:
 - بطل القصة هو (جريح - جرير - جريح).
 - كانت أم جريح (صالحة - طالحة - مفسدة).
 - لا تُصاحب إلا (مفسداً - أحق - مؤمناً).
 - المسلم الذي (يعتزل - يخالط - يضرب) الناس خيراً من المسلم الذي لا يصبر على أذى الناس.
 - ما دون الفريضة من الصلاة يسمى (قافلة - رافلة - نافلة).
 (٢) ما معني هذه الكلمات:
 (راهب - صومعة - بغي - المهد).
 (٣) ماذا استفدت من هذه القصة؟
 (٤) للصلاة دور عظيم في كشف الكربات، وإزالة المصائب، فكيف كان هذا ضمن قصة جريح؟



الإجابات

- (١) (جريح - صالحة - مؤمناً - يخالط - نافلة).
 (٢) (منقطع للعبادة - بيت الراهب - سيئة الخلق - فراش الصغير).



البطاقة العجيبة

فضل لا إله إلا الله

لم يعرف البشر كلمة أرقى ولا أعلى من هذه لكلمة: كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، إنها الكلمة التي من أجلها بعث الله الرسل والأنبياء، فما من رسول إلا وقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (هود: ٥٠). وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وهي الكلمة التي كان النبي ﷺ يدعو الناس إليها لما بعثه الله، فكان ينادي في طرقات مكة، وأسواق العرب في مواسم الحج: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»^(١).

وقبل وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «يا عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»^(٢). وبعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»^(٣). وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٤).

معنى: لا إله إلا الله، وأركانها:

معناها: لا معبود بحق إلا الله.

وأركانها: يعني ما لا يصلح الإيمان بها إلا بعد الإقرار بهما: النفي^(٥)، والإثبات.

فالنفي: قولنا: (لا إله)، فنفيًا جميع ما يُعبد من دون الله تعالى.

(١) صحيح: أحمد (٣٤١/٤) في المسند عن ربيعة الدبلي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٠)، مسلم (٣٩/٢٤) عن المسيب بن حزن رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥)، مسلم (٢٩/١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٣٣/٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) النفي: الإنكار.

والإثبات: (إلا الله)، فثبتنا أن الله تعالى له العبادة وحده، ولا شريك له في ملكه.

ما هي شروط لا إله إلا الله؟

شروط لا إله إلا الله سبعة:

- العلم بها بلا جهل.
 - واليقين بها بلا شك.
 - والإخلاص الذي لا شرك فيه.
 - والصدق الذي لا كذب فيه.
 - والمحبة لله تعالى.
 - والانقياد والخضوع لله تعالى، فلا يعصي من أمر الله تعالى شيئاً.
 - والقبول لأوامر الله عز وجل، فلا يرد من أمره سبحانه وتعالى شيئاً.
- فضائل لا إله إلا الله:

ولكلمة التوحيد فضائل - مميزات وخصائص - ليست لأي كلمة أخرى:

(١) فهي دعوة الأنبياء جميعاً، فما من نبي إلا ودعا قومه إلى التوحيد كما رأينا، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦). وما من نبي من أنبياء الله إلا وقد أمر قومه بتوحيد الله وقول: لا إله إلا الله.

(٢) كلمة التوحيد سببٌ في دخول الجنة: وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»^(١). وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢). وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٣).

(٣) أن التوحيد بُنيت عليه أركان الإسلام جميعاً: فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا

(١) رواه مسلم (١٥١/٩٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (٢٦/٤٣) في الإيمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم عن طارق الأشجعي رضي الله عنه.

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

والمسلم إذا نظر في حياته كلها وجدها مبنية على التوحيد، فالمسلم لحظة الولادة يُؤذَّن في أذنه: الله أكبر... لا إله إلا الله، وفي المناسك (الحج) نقول: لبيك وحدك لا شريك لك، وفي الدعاء نقول: لا إله إلا أنت سبحانك، وفي الاستغفار نقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت.

(٤) أن (لا إله إلا الله) وهي كلمة التوحيد سبب دخول الجنة، والشرك سبب دخول النار: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨). وقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨). وقال: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦). وقال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

ومن كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة كما في الحديث الصحيح، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»^(١).

(٥) أن التوحيد يبعث الاطمئنان في قلوب أصحابه: والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا (٢) إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢). فزرع الإيمان في القلوب بالتوحيد.

وقد قال الله تعالى عن الذين كفروا: ﴿سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ (آل عمران: ١٥١).

فلو كان الكون كله بأرضه وسمائه، وإنسه وجنه ضد الموحدين لانتصروا عليهم بإذن الله، ولو تخلى الموحدون عن العقيدة الصحيحة لهزمهم جيش من النمل!!

(١) رواه مسلم (٤٧/٢٩).

(٢) يلبسوا: يخلطوا.



(٦) أن كلمة التوحيد تنقل صاحبها من النار إلى الجنة يوم القيامة: وهذا حق، وله قصة عجيبة تحدث يوم القيامة، لولا أن رسول الله ﷺ حكاه لنا ما كنا علمناها، ولا عرفنا عن خبرها من شيء، وهي قصة تحدث لرجل من أمة الإسلام يوم القيامة تُنقذه فيها كلمة التوحيد من النار وتدخله الجنة!!، ومعلوم أن الناس يوم القيامة تُنصب لهم الموازين، فمن رجحت كفة حسناته دخل الجنة، ومن رجحت كفة سيئاته دخل النار.

والسجلات^(١) التي كتب الملائكة الحفظة فيها الحسنات والسيئات هي التي توضع في الميزان يوم القيامة، ونحن نؤمن بالميزان، وبالسجلات، وبوجود الملائكة الكرام الذين يكتبون أعمال العباد ويدونونها لتكون سبباً في دخول العباد الجنة أو النار، وهكذا تبدأ قصة البطاقة العجيبة!!

هكذا الأحوال يوم القيامة: الشمس تدنو^(٢) من العباد حتى تكون فوق الرؤوس مباشرة، والكل فوق أرض واحدة بيضاء لم يصنع عليها ذنب قط، والمخلوقات من إنس، وجن، وحيوانات، وطير وقفت في مكان واحد تنتظر العرض على الله تعالى.

والملائكة قد وقفت على أرجاء السماوات والأرض، والجبال زالت، والأرض غير الأرض، والعرق شديد، فالناس اجتمع عليها حرّ الخوف من الله تعالى، وحر الزحام، وحر الشمس، فالناس يعرقون، فمنهم من يعرق حتى يلجمه العرق إجماماً، ومنهم من يصل العرق إلى ركبتيه، وآخر إلى سُرته، كلٌ حسب عمله وما قدمه.

ولا ظل يومئذٍ يستظل به العبد من الشمس، ولا جبل ليختبئ وراءه، وما هي إلا لحظات حتى يشعر الإنسان بالعطش ولا ماء، ويشعر بالجوع ولا طعام، ويريد الراحة في يوم لا راحة فيه إلا للمؤمنين.

وهناك من يمر على الصراط وهو جسر بين الجنة والنار، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، من سقط من عليه دخل النار حتماً، بينما تتطاير الكتب، فمن الناس

(١) السجلات: الكتب والدفاتر.

(٢) تدنو: تقترب.

من يأخذ كتابه بيمينه وأولئك أصحاب الجنة، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وهم الكفار والعصاة.

ومن عصاة أمة الإسلام رجلٌ يرى هذه الأحوال يوم القيامة، ثم يُعرض عليه عمله، ويُعرض هو على الله تعالى، والخلائق جميعاً ينظرون إليه، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، ومد البصر: يعني إلى آخر نقطة تصل إليها عينه، وما في هذه السجلات إلا سيئات قد ارتكبتها، فعندئذ يتيقن من دخوله النار لا محالة، إذ إن العصاة من أمة الإسلام إن لم يتب الله عليهم يدخلون النار يُعذبون بما ارتكبوا من معاصٍ ثم يخرجون منها لأنهم موحدون.

بعد مطالعة هذه السجلات يأمر هذا العبد من دخول الجنة، واستعد لدخول النار، فيقول الله عز وجل: أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله عز وجل: أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ فيقول العبد: لا يا رب!! وهنا زاد يقين العبد أنه داخل النار لا محالة.

حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (يونس: ٤٤). وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (نصفت: ٤٦). وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»^(٢).

ولأن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة - يعني وزن نملة صغيرة - فإنه يقول للعبد الذي تيقن بدخول النار: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم.

لكن، ماذا تفعل حسنة مع جبال السيئات التي سطرها الملائكة الكاتبون الحافظون في هذه السجلات التسعة والتسعين، ولكن لماذا لا يتمسك برحمة الله تعالى، ويرجو عفوهِ سبحانه؟! لقد ذهب العبد ليستخرج بطاقة، مجرد بطاقة^(٣) صغيرة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. إنها بطاقة صغيرة، وليست إلا كلمتين

(١) يعني: يُعرض ويفتح له تسعة وتسعون كتاباً كتبها الملائكة من أعماله.

(٢) رواه مسلم (٥٥/٢٥٧٧) عن أبي ذر عن النبي ﷺ عن ربه تعالى.

(٣) بطاقة: رقعة صغيرة من الورق يكتب عليها كلمات معدودات.

فقط، فماذا تفعل مع سجلات عددها تسعة وتسعون؟! لكنه يعود لينفذ أمر الله تعالى، فيأتي إلى الله عز وجل بها، فيقول الله تعالى: احضِرْ وزنك. فإذا بالعبد يقول: يا رب! ما تفعل هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال الله تعالى: إنك لا تُظلم.

لقد نسي العبد أن الكلمة التي كُتبت في البطاقة ليست كأي كلمة، إنها كلمة التوحيد، فلا كلمة تشابهها ولا تماثلها، فيأتي العبد بوزنه، فتوضع السجلات المليئة بالسيئات في كفة، والبطاقة الصغيرة في الكفة الأخرى، فإذا بالمفاجأة تحدث: لقد طاشت السجلات وطارت ورجحت كفة البطاقة التي فيها كلمة التوحيد، فإن اسم الله تعالى لا يثقل معه شيء، فإذا بالعبد يدخل الجنة بكلمة التوحيد لأنه كان مخلصاً إذ قالها ولو يوماً من الأيام، ورحم الله من قال:

تَبَارَكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ☆ وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
مَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ وَمَنْ يُحِصِّيَهَا ☆ غَسَّيْرُكَ يَا مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
جَنَّاتِ خَلِيدٍ لَنْ يُوحَّدَهُ ☆ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
نَارِهِ لَا تَحْمَسُ سِرِّقٍ مَنْ ☆ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
أَقُولُهَا مَخْلُصًا بَلَا بُخْلِ ☆ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

☆☆☆

الدروس المستفادة

- (١) شرف التوحيد وفضله، وأنه رسالة الأنبياء جميعاً، والمقصود الأول من الإيمان بالله عز وجل.
- (٢) شرف كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفضلها.
- (٣) لا بد من توافر شروط (لا إله إلا الله) سبعة.
- (٤) الميزان حق، والصراط حق يوم القيامة.
- (٥) الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً.
- (٦) رحمة الله بعباده يوم القيامة.

الأسئلة

(١) من فضائل كلمة التوحيد: لا إله إلا الله:

(أ)

(ب)

(ج)

(د)

(٢) عبّر بكلمة واحدة عن الآتي:

- رسالة الأنبياء جميعاً حتى نبينا محمد ﷺ .

- رقعة صغيرة مكتوب فيها بعض الكلمات .

- جسر يُضرب يوم القيامة بين الجنة والنار أدق من الشعرة وأحد من السيف .

- كلمة تعني: لا معبود بحق إلا الله .

(٣) أكمل التالي:

ركنا كلمة التوحيد هما و بينما كلمة التوحيد في دخول

الجنة، ومن وهو يعلم أنه لا إله إلا دخل ودعوة

هي دعوة الأنبياء، ونؤمن بأن حق يوم القيامة وأن حق، وحديث

..... دليل على أن الموحدين يدخلون الجنة .

(٤) اكتب لنا عشرة أسطر عن أهمية وفضل لا إله إلا الله .



الإجابات

(٢) (التوحيد- البطاقة- الصراط- كلمة التوحيد).

(٣) (النفي والإثبات- سبب- مات- الله- الجنة- التوحيد- الميزان- الصراط-

البطاقة).

صوت في السحاب ساقى الحديقة والزكاة

فرض الله تعالى الزكاة على الأغنياء من المسلمين، فجعلها ركناً من أركان الإسلام حتى إن الله تعالى ذكر الزكاة في القرآن ثلاثين مرة مفردة، وسبعة وعشرين مرة مرتبطة بالصلاة، فقال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣). وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (المؤمنون: ٢-٤). وقال الله تعالى في أكثر من موضع: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)

وفي حديث البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً» لكن: ما هي الحكمة من فرض الزكاة على الأغنياء؟ الحكمة من فرض الزكاة على الأغنياء لهذه الأسباب:

(١) غرس بذور التآلف والحب والمودة بين المسلمين، فيعلم الغني أن في المال حقاً للفقير، فالزكاة ليست تفضلاً من الغني على الفقير، بل هي حق له، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤، ٢٥).

(٢) وبالزكاة يحدث التوازن، فلن يظل الفقير فقيراً؛ بل سيجد المال الذي يوسع على نفسه وأهله به، ويُلبي حاجته، فلن يكون هناك غنيٌ يتمتع بالمال وحده فيموت هو وأولاده من التُّخمة، بينما هناك آخرون يموتون جوعاً لا يجدون مسكناً ولا مأوى، ولو بين قبور الموتى.

(٣) وساعتها لن يكره الغني الفقير، ولن يحقد الفقير على الغني؛ بل سينتشر الحب والتآلف بين الجميع.

(٤) والفقير حينما يمر على زروع الغني أو محلاته يتمنى أن لو كان له فيها من

نصيب، فإذا أعطى الغني الفقير حقّه طابت نفسه، ولم يتمن زوال نعمته.

(٥) ويجب أن يعلم الغني أنه لا يملك المال وحده في الحقيقة؛ بل المال ملك لله تعالى، جعل الله الغني راعياً له، فإن منع حق الفقير، كانت العقابة شديدة.

وقد حذر الله تعالى الذين لا يخرجون زكاة أموالهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَرُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥) فمن منع زكاة المال كان عقابه عند الله تعالى يوم القيامة عظيماً.

(١) يؤخذ كنزه- يعني ما ادخره من المال- فيوضع في النار، ثم تُحصى النار عليه- أي: يشتد لهيبها-.

(٢) حتى تسيل، فتكوى بها جبهة مانع الزكاة، وجنبه، وظهره.

(٣) ويلومه ربه فيقول له: هذا كنزك.

ثم يلقي في نار جهنم حتى يقضي الله تعالى بين العباد، ثم ينظر في أمره بعد ذلك، هل يدخل الجنة أم النار؟

وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة حتى أدوها إليه بعد ذلك. والقصة التي بين أيدينا تستحق أن توصف بأنها قصة جميلة، حكاهما النبي ﷺ ليعلم أمته أن من أدى الزكاة نَمَى الله له ماله، وزاده، فالصدقة لا تُنقص المال أبداً، بل هي والله تزيده وفي الحديث: «ما نقص مالٌ من صدقة».

لكن كيف؟ أنا معي عشرة ريالات، تصدقت بخمسة وبقي خمسة، فكيف لا تكون قد نقصت؟! نقول لك: إنها خمسة في يدك، لكن الله يبارك فيها، فتبقي وتشتري بها ما كنت تشتري بعشرة دراهم، وقد تدخر منها، بل قد تشتري شيئاً فيحقق الله لك الربح فيه، وبذلك يزداد المال ولا ينقص من الصدقة أبداً.

وهذه القصة التي بين أيدينا توضح ذلك، فكيف؟

أرضٌ واسعة، يبدو عليها أن المطر لا يتنزل فيها كثيراً، ومن بعيد يظهر سواد

إنسان يسير قد أجهده السفر، وأتعبه المسير في هذه الأرض التي لا أنيس فيها ولا جليس، وبدأت الصورة تظهر، إنه رجلٌ يسير في هذه الأرض الواسعة التي خلت من الماء والناس، وإذا به ينظر في السماء يتجول ببصره فيها ويتأمل روعة الخالق سبحانه في رفعه السماوات بلا عمدٍ، وفي خلقه السماء بزُرقتها الصافية التي تلمع فيها النجوم ليلاً، كأنهن يواقيت في جو السماء، فإذا ما طلع القمر أضاء الليل، وأثارت السماوات، وها هو السحاب في السماء يسير كأنه جيش جرار يسير وراء بعضه البعض، ولكن: أيتحدث السحاب؟ أيتكلم السحاب؟

إن السحاب ما هو - كما يقول العلماء - إلا بخار ماءٍ متجمع في الجو إذا ما طلعت عليه الشمس أذابته حتى تنزل حبات المطر منه، فلا لسان للسحاب، ولا فم، ولا أذن.

فماذا يحدث لو أنك سمعت سحابة تتكلم؟ وما العمل إن سمعت وتأكدت أن في السحابة صوت؟ بل الصوت يأمر السحابة فتتحرك بأمره، فيا لقدرة الله عز وجل!!
لقد نظر الرجل السائر في القلاة^(١) إلى سحابة، فسمع صوتاً في هذه السحابة يقول: اسق^(٢) حديقة فلان!! فاضطرب الرجل، وخاف، لكنه سرعان ما رأى السحابة تنفذ ما أمرت به، فسارت نحو حديقة قريبة!!

تحركت السحابة قليلاً، ثم مالت نحو حرةٍ من الحرار، والحرة: أرض صلبة فيها حجارة سوداء، ثم بدأت السحابة تمطر في هذه الحديقة فسكبت ما فيها من الماء في هذه الحرة فقط، فلم تتعدها إلى حرةٍ أخرى فإنها مأمورة أن تُفرغ ماءها وأن تسكبه في مكانٍ واحدٍ، فإذا بالماء يسير في اتجاه شرجةٍ من الشراج، والشرجة: هي مسيل من مسایل الماء في الصحراء والحرار.

وكان الماء يسير ومعه من يضبط له حركته، ولم لا، وقد كان سحابة منذ قليل أمرها من أمرها أن تذهب إلى مكان واحد لا تتعدها.

(١) القلاة: الأرض الواسعة.

(٢) اسق: اروي.

لقد دخل الماء في هذه الشرجة، وبدأ الرجل يتتبع الماء ليعلم إلى أين يذهب، ولا زال الماء يسير ويسيل، وهو وراءه حتى رأى على البعد حديقة فيها رجلٌ قد أمسك بـ(المسحاة)^(١) يجر الماء ويحوّله إلى حديقته، فأسرع ودخل عليه فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ فقال: اسمي فلان. فيا للمفاجأة الرائعة، إنه نفس الاسم الذي سمعته في السحاب منذ قليل!! ففكر الرجل كثيراً، إن في الأمر سرّاً؛ بل سرّاً خطيراً، فما الذي يجعل سحابة في السماء تُمطر في أرضه وحده؟ أهو ساحر؟ إن السحرة لا يُسخر لهم السحاب. أم هو شيطان؟ إن الشياطين لا تحب الماء، ولا تزرع؛ بل تحب الخراب والنار. أم أنه ملكٌ من الملائكة؟

ولم يقطع تفكيره إلا سؤال صاحب الحديقة: يا عبد الله! لمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي أمطر هذا الماء الذي تجرفه أنت، وتجُرّه إلى حديقتك يقول: اسقِ حديقة فلان؛ لاسمك، فما تصنع لكي يحدث هذا كله، ويمطر السحاب في أرضك وحدك؟

لم يكن الأمر سرّاً خطيراً، وصاحب الحديقة بشرٌ من البشر، ليس بملك، ولا هو جني، ولا شيطان، إنما يفعل شيئاً مما أمر الله به لا أكثر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الاعراف: ٩٦). فهذا رجلٌ تقي، مؤمن، ينفذ أمر الله تعالى، فتح الله له من بركات السماء ومن بركات الأرض، فماذا كان يفعل؟

قال صاحب الحديقة رداً على سؤال الرجل: أما إذ قلت هذا، وسألتني، وعرفت سري، فإنني سأخبرك بما أفعل: إنني أنظر إلى ما يخرج من هذه الحديقة من ثمر، فأقسمه إلى ثلاثة أقسام:

- فأتصدق بثلته، أجعله للمساكين، والسائلين، وابن السبيل.

- وآكل أنا وعيالي ثلته.

- وأردُّ فيها ثلته- يعني أصلح به الحديقة وأزرعها مرة ثانية-.

(١) المسحاة: أداة لسحب الأرض أو الماء، وهي المجرفة.



فعلم الرجل أن الله تعالى يبارك في الصدقة، ولصاحبها، وفيما تبقى منه .
 إن البركة هنا ظاهرة واضحة، فالله تعالى يبارك للمتصدق في حقيقته، فيجعل له
 سحابة تُمطر في أرضه، ويزيد من زرعه وثمره، ويبارك له ولعِياله، ولو كان في
 مكان بعيد منعزلٍ عن الناس، فما أعظم الصدقة؟! وما أعظم بركة الله تعالى
 للمؤمنين؟! وما أكثر النعم إذا ما أطاع العباد ربهم سبحانه وتعالى؟!



الدروس المستفادة

- (١) فضل الصدقة والزكاة .
- (٢) الله تعالى يبارك لمن أطاعه من عباده .
- (٣) عقوبة مانع الزكاة في النار شديدة .
- (٤) فضل الفلاحة والزراعة .
- (٥) في الزروع والثمار صدقات وزكاة .
- (٦) لو أطاع العباد ربهم لكانت البركة لهم في أموالهم وزروعهم .
- (٧) الصدقة تبارك المال ولا تنقصه .



الأسئلة

- (١) اختر الصحيح من بين هذه الإجابات:
 - ما نقص مالٌ من (صدقة - زكاة - ثروة) .
 - من فوائد الزكاة وحكمتها غرس بذور (الكراهية - الخصومة -
 التآلف) .
 - سمع الرجل في الصحراء صوتًا في (السماء - سحابة - الصحراء) .
- (٢) اذكر كلمة واحدة تُعبر بها عن العبارات الآتية:
 - مسيل من مسایل الماء .

- ماءٌ متجمع في السماء إذا طلعت الشمس جعلته مطراً.

- آلة لجرف الماء، وسحوه، وتسويته.

(٣) ما هو جزاء الصدقة كما فهمت من هذه القصة؟

(٤) تخيل نفسك مكان الرجل الذي سمع السحابة، ما هو وصفك لما حدث؟

☆☆☆

الإجابات

(١) (الصدقة - التآلف - سحابة).

(٢) (شرجة - سحاب - مسحاة).

☆☆☆

قصص الإيمان بالله

الإيمان^(١):

كان النبي ﷺ جالساً ومعه أصحابه رضي الله عنهم، فرأوا رجلاً آتياً من بعيد، يرتدي ثياباً بيضاء ناصعة، وشعره شديد السواد، لا تبدو عليه آثار السفر كالتهيب والإرهاق وغبار السفر، ولا يعرفه أحد منهم، وجلس الرجل أمام النبي ﷺ، وأسند ركبته إلى ركبة النبي ﷺ، وقال: يا محمد.. أخبرني عن الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال الرجل: صدقت. فعجب الصحابة له.. يسأله ويصدق! قال الرجل: فأخبرني عن الإيمان؟ قال النبي ﷺ: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال الرجل: صدقت.. فأخبرني عن الإحسان؟ قال النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ثم سأل الرجل الغريب عن يوم القيامة فأخبره النبي ﷺ بأن علمها عند الله عز وجل، ثم انطلق الرجل، وغاب عن عيون الصحابة، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(٢).

لا إله إلا الله^(٣):

كان النبي ﷺ جالساً بين أصحابه، فسألهم قائلاً: «هل فيكم غريب؟» - يعني من أهل الكتاب - فقال الصحابة: لا يا رسول الله. فأمرهم النبي ﷺ بغلق الباب، وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله». فرفع الصحابة أيديهم ساعة، ثم وضع النبي ﷺ يده، ثم قال: «الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها،

(١) قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (يونس).

(٢) متفق عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، الترمذي، لذلك يستحب للمسلم أن يكون له ورد يومي يذكر فيه هذه الكلمات عدة مرات بخشوع واطمئنان.

ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد». ثم قال: «أبشروا، فإن الله قد غفر لكم»^(١).

صفة الرحمن^(٢):

بعث رسول الله ﷺ رجلاً على سرية (جماعة من المسلمين المجاهدين)، فكان الرجل يقرأ لأصحابه في صلواتهم، ويختم قراءته بسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعواذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع هذا؟!». فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله عز وجل يحبه»^(٣).

البشرى^(٤):

جاء قوم من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال لهم: «اقبلوا البشرى يا بني تميم». قالوا: بشرتنا فأعطنا- قالوها مرتين- فتغير وجه رسول الله ﷺ؛ لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة، وفي وقت لم يكن لديه ما يعطيهم ليتألفهم به، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال لهم النبي ﷺ: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قبلنا. جئنا لتتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»^(٥).

والذكر هو اللوح المحفوظ، وهو خلق عظيم من خلق الله، سجل الله فيه كل ما يتعلق بجميع الكائنات التي قدرها.

(١) أحمد.

(٢) سئل النبي ﷺ: صف لنا ربك؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الله الصمد) لم يلد ولم يولد (٢) ولم يكن له كفواً أحد (سورة الإخلاص).

(٣) متفق عليه.

(٤) الله سبحانه هو خالق جميع الكائنات، وهو المصير لها، فلا يتحرك شيء ولا يسكن إلا بإذنه. قال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: ١٦).

(٥) البخاري.

رؤية الله^(١):

أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أنه سوف يكلمه على جبل طور سيناء، وينزل عليه التوراة، فأوصى موسى أخاه هارون بأن يرعى بني إسرائيل حتى يعود، ثم جاء موسى عليه السلام إلى الجبل، فكلمه الله سبحانه وتعالى، فطلب موسى عليه السلام أن يرى الله فقال: ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأخبره الله تعالى بأنه لا يقوى ولا يستطيع أن يراه، فقال: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فنظر موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الاعراف: ١٤٣). فآمن موسى عليه السلام أن الإنسان ضعيف، لا يقوى على رؤية نور الله عز وجل، فهذا الجبل بضخامته وقوته لم يقو ولم يصمد أمام نور الله، فما ظننا بالإنسان؟! ولكنه سبحانه علكتنا أن نرى الله في آياته ومخلوقاته، نراه في اتساع هذا الكون ونظامه وجمال مخلوقاته.

المحيي المميت^(٢):

الله سبحانه وتعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهو القادر وحده على ذلك، ولقد آمن بذلك نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولكن أراد أن يطمئن قلبه، فتوجه إلى الله بالدعاء، وسأله كيف يحيي الموتى قائلاً: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، فقال الله تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تَوْمِنْ﴾، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، فأمره الله تعالى بأن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاءً، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم يناديهن، فإنهن سوف يأتين إليه سعيًا. ففعل إبراهيم عليه السلام ما أمره الله، ونادى الطيور فأقبلت أجزاؤها حتى اجتمعت وعادت كما كانت طيوراً تطير وتمرح وتأكُل وتشرب، فشكر إبراهيم ربه على نعمته

(١) الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

(٢) قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

وزاد يقينًا واطمئنانًا بقدرته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

قدرة الله^(١):

في زمان قديم عاش رجل صالح اسمه عزير، وكان مشهوراً بين قومه بالحكمة والصلاح، ركب عزير حماره ذات يوم، وخرج في سفر، فمر على قرية خربة، فلفت نظره دمارها وخلوها من أي كائن حي، فقال متعجباً: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩). ونزل عزير عن حماره، ثم وضع طعامه وشرابه، وقبل أن يأكل بعث الله إليه ملك الموت، فقبض روحه، وبعد مائة عام من موته، وبعد أن أصبحت عظامه بالية، أراد الله عز وجل أن يريه قدرته على بعث الموتى، فأرسل إليه ملكاً، وخلق منه أول ما خلق عيناه، فجعل عزير ينظر إلى عظامه وهي تتجمع بعضها إلى بعض، ويكسوها اللحم والجلد والشعر، ثم نفخ فيه الروح، فسأله الملك: كم لبثت؟ فقال عزير: لبثت يوماً أو بعض يوم. فقال الملك: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير، وانظر إلى حمارك. فنظر عزير فرأى عظام حماره تتجمع، ويكسوها اللحم والجلد، ثم نفخ فيه الروح، فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقاً، فأمن عزير بقدره الله سبحانه على كل شيء.

الحجة القوية^(٢):

في قديم الزمان، كان في بابل حاكم ظالم، اسمه النمرود بن كنعان، يدعي أنه إله، وكان يستعبد الناس، ويستبد بأموارهم، فجاءه نبي الله إبراهيم عليه السلام، ودعاه إلى الإيمان بالله تعالى، وذكره بعظمة الله وقدرته، وأنه هو الذي يحيي ويميت، فقال النمرود في غطرسة: وأنا أحيي وأميت. ثم أحضر رجلين فقتل أحدهما، وترك الآخر حياً، وقال: أحييت هذا، وأميتُ هذا. فرد عليه نبي الله

(١) قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

(٢) الإيمان بالله يقتضي منا أن نؤمن بقدرته على بعث الموتى، وأنه وحده هو الذي يحيي ويميت وعلى كل شيء قدير.



إبراهيم عليه السلام قائلاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فبهت النمرود، ولم يستطع الكلام، وبرغم ذلك لم يؤمن مع إبراهيم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

المنقذ^(١):

يحكى أن رجلاً أنكر وجود الله تعالى، فقال له جعفر الصادق رضي الله عنه: «هل ركبتم البحر؟ فقال الرجل: نعم. فقال جعفر: هل رأيتم أهواله ومخاطره؟ فقال الرجل: أجل، هاجت يوماً رياح هائلة، فكسرت السفن، وأغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عني ذلك اللوح، فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج حتى دُفعت إلى الساحل. فقال جعفر: قد كان اعتمادك أولاً على السفينة والملاح، ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال الرجل: بل رجوت السلامة. قال جعفر: ممن كنت ترجوها؟ فسكت الرجل، فقال جعفر: إن الصانع (الله) هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت، وهو الذي أنجأك من الغرق. فأسلم الرجل على يد جعفر.

ذكاء الأعرابي^(٢):

الفطرة السليمة تهدي صاحبها إلى وجود الله سبحانه وتعالى، فقد روي أن أعرابياً سئل عن الدليل على وجود الله تعالى، فنظر الأعرابي إلى السماء، وقلب بصره في جوانبها، ثم نظر إلى الأرض نظرة فيها تفكير واعتبار، حرّكت في قلبه الإيمان والإذعان، فقال: البعرة (الرّوث) تدل على البعير، والماء يدل على الغدير، وأثر

(١) قال تعالى: ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٦٣).

(٢) قال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٦١).

الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج (نجوم وكواكب)، وأرض ذات فجاج (طرق واسعة)، وبحار ذات أمواج، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير؟
ورقة التوت^(١) :

يحكى أن جماعة من الناس سألوا الإمام الشافعي رضي الله عنه عما يثبت وجود الله، فقالوا له: ما الدليل على وجود الله؟ فقال الإمام الشافعي: ورقة الفرصاد (التوت). فاندesh الناس وقالوا: ورقة التوت.. كيف ذلك؟! فقال الإمام: ورقة التوت، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندهم؟ قالوا: نعم. قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منه الإبريسم (الحرير)، وتأكلها النحل فيخرج منها العسل، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر (الروث)، وتأكلها الطباء فينعتقد في نوافحها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟ فاستحسن الناس كلامه، وأسلموا على يده، وكانوا سبعة عشر رجلاً.
الزورق^(٢) :

يحكى أنه في أحد الأيام جاء رجل ملحد إلى أحد أمراء المسلمين، وطلب منه عالمًا مسلمًا يتحداه وينظره، وكان هذا الملحد ينكر وجود الله ويقول: ليس هناك إله في هذا الوجود! أحضر الحاكم عالمًا تقيًا، وأخبره بأمر ذلك الملحد، فقال العالم: أيها الأمير! أنا مستعد لهذه المناظرة، غير أن لي حاجة سوف أقضيها، وأعود إليكما سريعًا. فأذن له الأمير، وقعد ينتظره هو والملحد، وفات الوقت وتأخر العالم، فقال الملحد: أرأيت أيها الأمير، لقد هرب عالمكم من المناظرة لعجزه. وبينما هما كذلك جاء العالم، واعتذر عن تأخره، وقال: بينما أنا في طريق العودة لم أجد زورقًا أعبر عليه النهر، فانتظرت طويلاً، فلم أشعر إلا وقد ظهرت على وجه الماء ألواح من الخشب، وجاءت من هنا وهناك، واجتمع بعضها إلى بعض، وظهرت مطرقة،

(١) حث الله عز وجل على التفكير في خروج العسل من النحل، فقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٩).

(٢) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (النساء: ١٣٦).

وتطائرت مسامير فتهياً أمامي في لحظات زورق، فركبت فيه وحضرت. فضحك الملحد ساخراً وقال: أيها الأمير أرايت هذا الأحقق المجنون، يزعم ويدّعي ويهذي. فقال العالم: إذا كان من الحمق والهذيان أن يدّعي الإنسان حصول زورق صغير، يُركَّب من ألواح خشبية ومسامير، أفليس من الجنون أن يقول الإنسان بأن هذا الكون بما فيه من سماء، وأرض، وإنسان، وحيوان، وعجائب، وغرائب، ودقة صنع، ونظام، إنما وجد نفسه بلا خالق موجد؟! فأفحم الملحد وبهت، وخرج يجر أذيال الخيبة والخسران، وفرح الأمير بهذا التدبير، وشكر العالم المسلم على ذكائه.

الفطرة السليمة^(١) :

يحكى أنه في إحدى المدارس الابتدائية وقف معلم ملحد أمام التلاميذ، وسألهم: أترونني؟ فقالوا: نعم.. نراك. فقال: إذا أنا موجود.. أترون اللوح؟ قالوا: نعم.. نراه. قال: فاللوح إذا موجود.. أترون الطاولة؟ قالوا: نعم. قال: فالطاولة إذا موجودة، أترون الله؟ قالوا: لا. قال: فالله إذا غير موجود. فوقف أحد التلاميذ الأذكياء وقال لزملائه: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا. قال: فعقل الأستاذ إذا غير موجود.

وهكذا توصل الطفل الصغير بفطرته إلى وجود الله، فالتناس يؤمنون بوجود الهواء- مثلاً- لأنهم يحسون به ولا يرونه، ويؤمنون بوجود الروح وهم لا يرونها، ويؤمنون بوجود الأمس والغد وهم لا يرونهما، ويؤمنون بأن الأجداد كانوا موجودين برغم أنهم لا يعايشونهم.

هل ينأى الله^(٢) ؟ :

يحكى أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام سؤالاً غريباً.. قالوا له: يا موسى! هل ينأى ربك؟! فقال موسى عليه السلام: «اتقوا الله». فنادى الله سبحانه

(١) نحن نشعر بوجود الله دائماً، لأننا في حاجة مستمرة إليه، فإذا كنا لا نراه بالعين فإننا نراه بالعقل وبالعقل.

(٢) قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، مُسَلِّمٌ.

وتعالى موسى: يا موسى.. سألوكم: هل ينام ربك؟ فخذ زجاجتين في يديك، فقم الليل.

فقام موسى عليه السلام وهو يحمل الزجاجتين، في كل يد زجاجة، فلما مر ثلث الليل نعى موسى ووقع برأسه على ركبتيه، فانتبه بسرعة، وضبط الزجاجتين قبل أن يصطدما، وظل موسى يغالب النوم حتى إذا كان آخر الليل نعى ولم يشعر، فسقطت الزجاجتان وانكسرتا، فنادى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام: «يا موسى! لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك»^(١).

تمجيد الله^(٢):

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ملائكة سياحين في الأرض، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فماذا يسألونني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصاً عليها، وأشد طلباً لها، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعذون؟ فيقولون: من النار. فيقول الله عز وجل: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. فيقول: فاشهدكم أنني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»^(٣).

(١) الهيثمي.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما

طلعت عليه الشمس» مسلم.

(٣) البخاري ومسلم.

ملك الله (١) :

قال رسول الله ﷺ : «آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين. ترفع له شجرة فيقول: أي رب أدني من هذه الشجرة، فلا تستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله: يا ابن آدم لعلني إن أعطيتها سألتني غيرها. فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة أخرى هي أحسن من الأولى- ويتكرر نفس هذا الموقف مع شجرة أخرى- ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين فيقول: أي رب أدني من هذه الشجرة، فلا تستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب أدني من هذه لا أسألك غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فإذا أدناه سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصبرني- ما يمنعني- منك؟! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر» (٢) .

كلام الله (٣) :

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، يؤمن بذلك الملائكة والمؤمنون من الإنس والجن، فإذا قرئ القرآن استمعت له الملائكة وأنصتوا.

ف ذات ليلة، جلس أسيد بن حضير رضي الله عنه يقرأ القرآن، وكانت فرسه مربوطة عنده، وبينما هو يقرأ جالت الفرس وصهلت، فسكت أسيد عن القراءة،

(١) قال ﷺ : «إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول: قن، فيتمني ويتمني، فيقول له: تمنيت؟ فيقول: نعم فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه» مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) الكلام صفة من صفات الله عز وجل، والقرآن من كلامه سبحانه وتعالى، ولكن كلامه ليس ككلامنا، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فانصرف إلى ابنه يحيى وكان قريباً منها، فخاف أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء، فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح، عرجت - صعدت - إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أتدري ما ذاك؟» قال: لا يا رسول الله. قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها، لا تتوارى عنهم»^(١).

إيمان.. ويقين^(٢):

أخذ نبي الله إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه الرضيع إسماعيل إلى مكة، حيث أمره الله سبحانه وتعالى، وكانت مكة صحراء جرداء موحشة، لا ماء فيها ولا زرع ولا ناس، وترك إبراهيم معهما جراباً به تمر وسقاء به ماء، ثم تركهما ورجع عائداً إلى بلاد فلسطين، فذهبت هاجر ورائه وهي تقول: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا.

ورجعت هاجر وهي تؤمن بأن الله معها، وما دام أراد لها ذلك فسوف يتكفلها هي ووليدها ولن يضيعهما. وأخذت هاجر ترضع إسماعيل وتشرب من الماء حتى انتهت، فعطشت وعطش ابنها، وصرخ من ألم العطش والجوع.

ونظرت هاجر إلى وليدها وهو يتلوى، ولم تملك أن تصبر، فجرت إلى جبل الصفا وصعدت فوقه، ونظرت هل ترى أحداً، ثم نزلت وهرعت نحو جبل المروة، وظلت تسعى بين الجبلين سبع مرات فلم تجد أحداً.

وقبل أن يدب اليأس جاءت رحمة الله، فألقذت هذه السيدة المؤمنة وأنقذت وليدها، وتفجرت عين زمزم، فسقت ولدها وشربت، وأرسل الله عز وجل إليها ملكاً قال لها: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله الحرام بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وأهل الله هم المؤمنون به والموقنون بوجوده وعظمته.

(١) البخاري ومسلم.

(٢) قال تعالى: «إِن أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» (يونس: ٦٢، ٦٣).

تعليم الصغار الإيمان بالملائكة

وهو العنصر الثاني من عناصر الإيمان، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٢٣). والغيب: هو كل ما غاب عن عيوننا فلا نراه، والملائكة من هذا الغيب الذي أخبرنا الله تعالى به، وقال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

من هم الملائكة؟

هم خلق خلقهم الله تعالى من نور كما جاء في الحديث: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (١) (٢).

كما خلقهم الله تعالى قبل خلق آدم عليه السلام، وبذلك فهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناسلون، كما أعطاهم الله تعالى عدة صفات، منها:

١- القدرة على التشكل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مریم: ١٦، ١٧). والروح هو جبريل عليه السلام أعطاه الله تعالى القدرة على التشكل في هيئة إنسان سوي الخلقة.

٢- كما أن لهم القدرة على العروج- أي: الصعود- إلى السماء: فقال تعالى: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

٣- كما أن لهم خلق عظيم يفوق خلق الإنسان: فقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه الدر- أي: اللؤلؤ-.

٤- وهم منظّمون في صفوفهم، يصطفون لعلم الله تعالى يُتِمُّونَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ فالذي يليه.

(١) أي: كما وصف الله تعالى لنا في القرآن.

(٢) رواه مسلم.

٥- وهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ١٩، ٢٠). وقال عنهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦، ٢٧).

٦- وهم أيضاً لا ينسون ما قد علمهم الله تعالى؛ حيث قال سبحانه عنهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢).
وظائف الملائكة، ورؤسائهم:

(١) لقد أوكّل الله تعالى إلى الملائكة وظائف عدة تتعلق بالسموات والأرض، فكل حركة في العالم هم القائمون بها بإذن الله تعالى وبأمره.

(٢) فرؤساء الملائكة الثلاثة: جبريل عليه السلام، وهو الموكل بالوحي ونزول القرآن، وبه حياة القلوب والأرواح. وميكائيل عليه السلام الموكل بالقطر- المطر- الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان. وإسرافيل عليه السلام الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

(٣) ومنهم حملة العرش الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ (غافر: ٧). وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٧).

(٤) ومنهم ملك الموت، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

ونبه: على أن ملك الموت لا يصح أن نسميه: عزرائيل، فلم يصح هذا في القرآن ولا في صحيح السنة المطهرة.

(٥) ومنهم من يشهد مجالس الذكر والعلم كما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

(٦) وللملائكة وظائف أخرى، فهم يقفون على باب المسجد يوم الجمعة يكتبون

أسماء المصلين، ثم يسمعون الخطبة إذا قام الإمام للخطبة، ويؤمنون مع الإمام بعد تلاوة الفاتحة، وهم يصلون على المؤمنين ويدعون لهم، ويصلون- يعني يستغفرون- على المصلين وعلى من يفطر الصائمين، ويضعون أجنتهم لطلبة العلم، ويدعون لهم بالبركة، ويقاثلون مع المؤمنين، ومنهم خزنة الجنة، وخزنة النار، وهناك الملك الموكل بأمر الجبال، إلى غير تلك المهمات التي أعطاها الله تعالى إياهم.

ولكن كيف نبدأ مع الصغار تعلم الإيمان بالملائكة؟

- البداية مع تعلم الإيمان بالغيب عن طريق الآيات، وعن طريق الأدلة العقلية التي ذكرناها في مسألة (الإيمان بالله تعالى)، فيعطى مثال الكهرباء التي نؤمن بوجودها ولا نراها، وما هو على وزنها.

- ثم نربط بين الصغير وبين الملائكة عن طريق إظهار حب الملائكة لبني الإنسان، فيقول الدكتور عدنان باصالح: «يبدأ الأب ببيان حب الملائكة للمؤمنين، وأنها تستغفر لهم، كما أخبر بذلك الله عز وجل حيث قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٥). فيُشعر ولده بحب الملائكة له، وأنهم يدعون له، ويطلبون له النجاة والفوز بالجنة، كما يخبره أنهم يحمونهم بما يؤذيه، ومن كل ما يمكن أن يضره، فقد قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١). فالمعقبات هم الملائكة الذين يتعاقبون على الناس بالليل والنهار، يحفظونهم بأمر الله عز وجل مما لم يكتب عليهم.

ويبين الأب لولده أن الملائكة هم الذين ينزلون بالوحي الذي تحيا به القلوب، ويهتدي به الناس فكل أعمالهم لخير الناس وصلاحهم، وبهذا البيان يقع في نفس الولد حب الملائكة وموالاتهم، لما لهم من فضل وإحسان^(١).

- كما نربط بين حب الملائكة وحب الله تعالى، وأن من أبغضهم، كان من أعداء الله سبحانه وتعالى، فقد قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

(١) مسئولية الأب المسلم (ص ١٥٧).

- والتذكير الدائم بمرافقة الملائكة لبني البشر من ساعة الخلق ونفخ الروح حتى الممات، ليعلم الصغير أن ربه تبارك وتعالى حفظه بهؤلاء الملائكة الكرام.
- وعن طريق القصص الذي يعرض حب الملائكة لبني البشر ومساعدتهم لهم، وعلاقتهم بهم. وهذه نماذج من هذه القصص:

الملك الفارس^(١):

يحكى أنه في يوم من الأيام، خرج «أبو معقل الأنصاري» في تجارة له، وكان من أصحاب النبي ﷺ، وكان تقياً مؤمناً، يتجر بماله ومال غيره، فقابلته لص شرير رفع عليه السلاح وقال له: ضع متاعك فإني قاتلك. فقال له أبو معقل: شأنك بالمال. فقال اللص: لست أريد إلا دمك. فقال أبو معقل: فذرني أصلي. قال اللص: صل ما بدا لك. فتوضأ أبو معقل، وصلى ودعا الله قائلاً: يا ودود.. يا ذا العرش المجيد.. يا فعال لما تريد.. أسألك بعزتك التي لا ترام، وملكك الذي لا يضام، وينورك الذي ملأ أركان عرشك.. أن تكفيني شر هذا اللص.. يا مغيث أغثني.. يا مغيث أغثني. فلما بفارس يأتي ويده حربة، فطعن اللص فقتله، فسأله التاجر أبو معقل: من أنت فقد أغاثني الله بك؟ قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، لما دعوت سمعت لأبواب السماء قعقة (صوتاً)، ثم دعوت ثانياً فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم ثالثاً فقبل: دعاء مكروب، فسألت الله أن يوليني قتله^(٢).

الملائكة الضيوف^(٣):

كان نبي الله إبراهيم عليه السلام في داره، فجاء إليه شبان أقوياء، حسان الوجوه، فسلموا عليه، فرحب بهم واستضافهم، ثم ذهب ليختار عجلاً سميناً ليذبحه ويشويه ويقدمه للضيوف، وتعجب نبي الله إبراهيم، فبعد أن وضع العجل مشوياً أمام الضيوف، لم يجد أحدهم يده إليه، فسألهم إبراهيم مندهشاً: ألا تأكلون؟!

(١) الملائكة من أعظم جنود الله، ينصرون المؤمنين على أعدائهم، ويسارعون إلى عونهم ونجدهم.

(٢) ابن أبي الدنيا.

(٣) الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتصفون بالذكر ولا بالأنوثة، ولا يتزوجون، ولا يتنجسون، ولا يتناسلون.

ودخله الخوف منهم والمهابة، فطمأنوه وأخبروه بأنهم ملائكة، وبشروه بأن زوجته سارة ستلد له ولداً، وكانت السيدة سارة تستمع إلى بشرى الملائكة، فتعجبت من تلك البشرى، وضربت يدها على جبهتها، وقالت: عجوزٌ عقيم. فأخبرها الضيوف أن تلك إرادة الله سبحانه، وهو القادر على كل شيء.

خلق الملائكة^(١) :

الملائكة يتصفون بعظم الخلقة، ويختلف بعضهم عن بعض في عدد الأجنحة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ١).

وروي أن رسول الله ﷺ سأل جبريل أن يترأى له في صورته، فقال جبريل: إنك لن تطيق ذلك: قال: «إني أحب أن تفعل». فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأناه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ حين رآه، ثم أفاق وجبريل يسنده، ووضع إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا!». فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرائيل، إن له اثني عشر جناحاً، منها جناح في المشرق، وجناح في المغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه يتضاءل أحياناً لعظمة الله عز وجل حتى يصير مثل الوضع (الدبة)، حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته^(٢).

جبريل وسدرة المنتهى^(٣) :

جاء ثلاثة من الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم عند الكعبة - وكانت قريش تنام حول الكعبة - فقال أحد الملائكة: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم: فقال أحدهم: خذوا خيرهم. فاحملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق ما بين نحره إلى لَبَّتِه (موضع القلادة من الصدر) حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله

(١) وصف النبي ﷺ جبريل عليه السلام، فقال: «ما بين منكبي جبريل خمسمائة عام للطائر السريع الطيران» أبو الشيخ.

(٢) ابن المبارك في الزهد.

(٣) عن عبد الله بن الزبير، أنه كان إذا سمع الرعد قال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد» مالك.

من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست (إناء) من ذهب فيه نور محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره ولغاديدته (عروق حلقه)، ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد بُعث؟ قال: نعم. قالوا: فمرحباً به وأهلاً. فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه. فسلم عليه ورد عليه آدم وقال: مرحباً وأهلاً يا بني، نعم الابن أنت. ثم عرج به إلى باقي السماوات حتى السابعة، يقال له في كل سماء مثل ما قيل له في السماء الدنيا، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى^(١) ملك الجبال^(٢):

اشتد أذى الكفار بالنبي ﷺ في مكة، فخرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهو يلتمس العون من أهلها، ويرجو الله أن يهديهم للإيمان، ولما وصل النبي ﷺ إلى الطائف وعرض دعوته على أهلها، فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم، فشتموه وضربوه، عاد النبي ﷺ إلى مكة وهو حزين.

وبينما كان ﷺ في طريق عودته، رأى سحابة فوق رأسه، فيها جبريل عليه السلام يناديه ويقول: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فنادى ملك الجبال، وسلم على النبي ﷺ وقال له: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (الجبليين المحيطين بمكة). فقال النبي ﷺ في تسامح عظيم: «بل أرجو أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٣).

(١) البخاري.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة

الفجر، وصلاة العصر...» البخاري.

(٣) متفق عليه.

دعاء الملائكة (١) :

الملائكة تدعو للمؤمن، وتؤمن على دعائه، فإذا دعا المؤمن دعاءً، وسأل الله شيئاً، قالت الملائكة: آمين. لذلك أوصانا النبي ﷺ أن ندعو بالخير دائماً.

ففي يوم موت أبي سلمة رضي الله عنه ذهب النبي ﷺ إليه، وأغمض عينيه، ثم قال لمن حوله: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر». فأحدث بعض الناس من أهل أبي سلمة ضجيجاً، فقال النبي ﷺ: «لا تدعو على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم دعا النبي ﷺ الله عز وجل لأبي سلمة أن يغفر له، ويحافظ على أولاده وأهله فقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه» (٢).

الملائكة المشيعون (٣) :

ذات يوم، خرج النبي ﷺ يشيع جنازة أحد المسلمين، فأتي بدابة ليركبها، فرفض النبي ركوبها، فلما أنهى ﷺ تشيع الجنازة أتى بدابة له فركبها، فسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «إن الملائكة كانت تمشي، فلم أكن لأركب وهم يمشون، فلما ذهبوا ركبته» (٤). وخرج رسول الله ﷺ في جنازة، فرأى ركباً فقال: «ألا تستحيون؟ إن ملائكة الله على أقدامهم، وأنتم على ظهور الدواب» (٥).

الملائكة وأهل الجنة (٦) :

بينما كان رسول الله ﷺ بين أصحابه ذات يوم، سألهم: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟». فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال لهم النبي ﷺ: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت

(١) الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم بالخير، قال تعالى: «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» (غافر: ٧).

(٢) مسلم.

(٣) قال الله تعالى: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» (الأنعام: ٦١).

(٤) الترمذي.

(٥) أبو داود.

(٦) قال تعالى: «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ

بَاب (٢٢) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» (الرعد: ٢٣، ٢٤).

أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته: انتوهم فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم؟! فيقول: إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، وتُسد بهم الثغور، وتُتقى بهم المكارة، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً. عند ذلك تأتي الملائكة هؤلاء الفقراء ويدخلون عليهم من كل باب قائلين لهم: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» (الرعد: ٢٤).

ملك في صورة رجل^(١) :

حكى رسول الله ﷺ أن رجلاً أراد زيارة أحد إخوانه في قرية أخرى، وفي أثناء سيره قابله ملك في صورة رجل، أرسله الله عز وجل على طريقه، فسأله الملك: أين تريد؟ قال الرجل: أريد أخاً لي في هذه القرية. فسأله الملك عما إذا كان له مصلحة عند أخيه يريد قضاءها، فقال له: هل لك من نعمة تربُّها عليه؟ فقال: لا، غير أنني أحبه في الله. قال الملك: فلإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه^(٢).

بيت لا تدخله الملائكة^(٣) :

وعد جبريل عليه السلام النبي ﷺ أن يأتيه في ساعة معينة، فجاءت الساعة ولم يأت، وكان في يد النبي ﷺ عصاً فألقاها من يده وقال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله». ثم التفت النبي ﷺ، فرأى كلباً صغيراً تحت سريره، فقال لزوجته: «يا عائشة! متى دخل هذا الكلب هاهنا؟». فقالت: والله ما دريت. فأمرها النبي ﷺ أن تخرجه، فلما أخرج الكلب جاء جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «واعدنتني فجلس لك فلم تأت». فقال جبريل: منعني الكلب الذي كان في بيتك،

(١) قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لو أنكم تكونون إذا خرجتم على حالكم ذلك، لزارتكم الملائكة

في بيوتكم» الترمذي.

(٢) مسلم.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير» البخاري. لذلك لا تجوز تربية

الكلاب إلا لضرورة شديدة كالحراسة.

إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة^(١).

طاعة الملائكة^(٢) :

خلق الله الملائكة قبل أن يخلق الإنسان، وأنشأهم على طاعته، وجعلهم يسبحون بحمده ويقدمونه ليلاً ونهاراً، ومن أمثلة طاعة الملائكة لله تعالى أنه لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أخبر الملائكة بذلك، ليكونوا على علم به، فقال سبحانه لهم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا﴾ (البقرة: ٣٠). فقالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ (البقرة: ٣٠).

فأخبرهم الله أنه يعلم ما لا يعلمون، وأمرهم سبحانه أن يسجدوا له بمجرد أن ينفخ فيه من روحه، فأطاع الملائكة أمر الله، فسجدوا جميعاً لآدم طاعة لأوامر الله عز وجل وامتنالاً لها، فهم مخلوقون على الطاعة، ومطبوعون على العبادة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

حياء الملائكة^(٣) :

الحياء خلق من أخلاق الملائكة، فهي تستحي كما يستحي البشر، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، ولما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له، ولم تباله - أي: لم تكثر به وتحتفل لدخوله -، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست وسويت ثيابك. فقال ﷺ: «ألا أستحي من رجل يستحي من الملائكة؟!»^(٤).

(١) مسلم.

(٢) قال تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (البقرة: ٣٤).

(٣) جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب.

(٤) مسلم.

ملائكة بدر^(١):

بينما كان أبو لهب جالساً عند زمزم، يستطلع أخبار معركة بدر، والتي تدور أحداثها بين المسلمين والمشركين، إذ أقبل المغيرة بن الحارث من ميدان القتال، فناده أبو لهب قائلاً: هلم إليّ، فعندك - لعمرى - الخبر. فجلس المغيرة إلى جانبه، والناس حوله، فقال أبو لهب: يا ابن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟ فقال المغيرة: والله، ما هو أن لقينا القوم فمحنناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وإيم الله! مع ذلك ما ملت الناس، لقينا رجالاً يبضاً على خيل بلقي - لونها يختلط فيه السواد والبياض - بين السماء والأرض، والله ما تلقى شيئاً ولا يقوم لها شيء. وكان أبو رافع غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وقد أسلم وكنم إسلامه، فلما سمع كلام المغيرة بن الحارث قال: تلك والله الملائكة.

الملائكة واليهود^(٢):

سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف (يجني الثمر)، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما يتزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال ﷺ: «أخبرني بهن جبريل أنفاً». قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (البقرة: ٩٧). «أما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعته». قال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

ملائكة الرحمة^(٣):

في قديم الزمان، كان هناك رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، وأحب أن يتوب إلى

(١) جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟» قال: «من أفضل المسلمين»، قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» البخاري.

(٢) قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

(٣) اللجنة ملائكة، وللنار ملائكة، وخازن النار ملك اسمه مالك، قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكُونُ﴾ (الزخرف: ٧٧).

الله عز وجل، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّه الناس على راهب، فذهب إليه وأخبره بقصته، وسأله: هل لي من توبة؟ فقال الراهب: لا. فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل الرجل عن أعلم أهل الأرض، فدلّه الناس على عالم، فذهب إليه، وأخبره بقصته، وسأله: هل لي من توبة؟ فقال العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء.

فانطلق الرجل حتى إذا كان في نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فاتاه ملك في صورة آدمي، فجعّله (أي: حكماً)، وقد أرسله الله تعالى ليحكم بينهم بحكم الله تعالى، فقال: قيسوا ما بين الأرضين - أي: الأرض التي خرج منها، والأرض التي قصدتها - فإلى أيها كان أدنى (أقرب) فهو لها. ففاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي قصدتها، فقبضته ملائكة الرحمة^(١).

الملائكة تحمي النبي ﷺ: (٢)

في غزوة أحد اتجه المشركون إلى النبي ﷺ، وحاولوا قتله بشتى الطرق، فلما رأى بعض الصحابة ذلك، أسرعوا إلى النبي ﷺ، وأحاطوا به، ليدفعوا عنه هجوم المشركين، وكان من بين من يدافع عن النبي ﷺ جنديان مجهولان، عليهما ثياب بيضاء، ويقاتلان أشد القتال، هذان الجنديان كانا جبريل وميكائيل، وقد رآهما بعض الصحابة، وما رآهما قبل ولا بعد، وكان النبل يأتي من كل ناحية، ورسول الله ﷺ وسطها لا يصيبه منها شيء، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٨) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿﴾ (النحل: ٤٩، ٥٠).

(٣) متفق عليه.

وروي أن عبد الله بن شهاب الزهري - وكان مشركاً - ظل يبحث عن النبي ﷺ ليقتله، وكان يصيح في أصحابه: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه، لكنه لم يره، لأن الله تعالى قد أعمى بصره عن النبي ﷺ، فلما انتهت المعركة عاتبه صفوان على ذلك، فقال ابن شهاب: والله ما رأيته، أحلف بالله أنه ممنوع منا، خرجنا أربعة، فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله، فلم نخلص إلى ذلك.

الملائكة الطوافون^(١):

كان النبي ﷺ يخطب في أصحابه، فأخبرهم أن لله ملائكة يطوفون في الأرض، يبحثون عن العابدين الذاكرين، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، نادى بعضهم بعضاً: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيذاً، وأكثر لك تسييحاً. فيقول: فماذا يسألونني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصاً عليها، وأشد طلباً لها، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعذون؟ فيقولون: من النار. فيقول الله عز وجل: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم^(٢).

الملك جبريل^(٣):

كان النبي ﷺ يقضي شهر رمضان متعبداً في غار حراء، يتفكر في خلق

(١) الملائكة أكثر خلق الله طاعة له، يكثر من تسييح الله وتمجيده، قال تعالى: ﴿يَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) جبريل عليه السلام هو الملك الموكل بالوحي، من الله عز وجل إلى رسله من بني آدم.

السموات والأرض، وفي عظمة ذلك الخلق، فجاء جبريل، وضمه إلى صدره، ثم تركه وقال له: اقرأ. فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ». فأخذه جبريل وضمه إلى صدره، ثم تركه وقال له: اقرأ. فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ». فأخذه جبريل مرة ثالثة ثم تركه وقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم» (العلق: ١-٣).

فرجع النبي ﷺ وهو يرتجف، ودخل على زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، فواسته وخففت عنه، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً ضريباً، فلما سمع ورقة كلام النبي ﷺ قال له: هذا الناموس (جبريل) الذي نزل الله على موسى (١).

الملائكة تحب وتكره (٢):

أخبر النبي ﷺ صحابته بأن الملائكة تحب من يحبه الله تعالى، وتكره من يكرهه الله تعالى، قال ﷺ: «إذا أحب الله تعالى عبداً، نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض» (٣).

الملائكة والشهيد (٤):

في غزوة أحد، استشهد والد جابر بن عبد الله، فجاء به المسلمون وهو مغطى، وقد مثل به المشركون، فجرحوه في وجهه بعد أن مات، وأراد جابر أن يرفع الثوب الذي يغطي أباه، ويكشف عن وجهه، فمنعه قومه، ثم أراد أن يرفع الثوب، فنهاه

(١) البخاري.

(٢) الإيمان بالملائكة له ثمار جليلة، منها: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

(٣) مسلم.

(٤) من ثمار الإيمان بالملائكة، محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى، وطاعة لأوامره.

قومه مرة أخرى، فأمر به رسول الله ﷺ فرفع الثوب، فسمع صوت امرأة تبكي، فقال ﷺ: «من هذه؟». فقالوا: بنت عمرو. فقال النبي ﷺ: «ولم تبكي، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفِعَ - ومعناه: سواء بكت عليه أم لا، فما زالت الملائكة تظله، وحصل له من الكرامة، فلا ينبغي البكاء على مثل هذا-»^(١).
مصافحة الملائكة^(٢) :

قابل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حظلة الأسدي رضي الله عنه، فوجده حزينا، فسأله: كيف أنت يا حظلة؟ فأجابه: نافق حظلة. فقال أبو بكر: سبحان الله! ما تقول؟ فقال حظلة: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالجنة والنار، حتى كأننا نراهما رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا - خالطنا - الأزواج والأولاد والضيعات - أمور المعيشة -، فنسينا كثيرا. قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا.

ثم انطلق أبو بكر ومعه حظلة رضي الله عنهما حتى دخلا على رسول الله ﷺ، قال حظلة: نافق حظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟». قال حظلة: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، كأننا نراهما رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيرا. فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة»^(٣).



(١) متفق عليه.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» البخاري.

(٣) مسلم.

تعليم الصغير الإيمان بالكتب السماوية

ولكي يكتمل إيمان المسلم بالله تعالى فلا بد له من الإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى من الكتب على جميع الأنبياء من قبل، وهي: (صُحُف إبراهيم عليه السلام، وصحف موسى والتوراة، وزبور داود عليه السلام، وإنجيل عيسى عليه السلام، ثم القرآن الكريم).

وقد تحدث عن هذه الكتب في مواضع متفرقة فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: ١٨، ١٩). ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤). ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣). ﴿وَوَقَّعْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦). ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (يوسف: ٣). ﴿ءَامِنَ الرُّسُولَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (النساء: ١٣٦).

والكتاب هنا يعني القرآن في المرة الأولى، وفي الثانية يعني: التوراة والإنجيل والزبور، وما أنزل الله من كتب على الأنبياء الذين لم يحدثنا عنهم، وقد كانت هذه الكتب تدعو إلى توحيد الله حينما نطق بها الرسل الكرام عليهم السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥). فالتوحيد والإيمان هي رسالة الأنبياء جميعاً، إلا أن هذه الكتب تعرضت للتحريف والتغيير، إلا أن على المسلم أن يؤمن بأنها نزلت من عند الله على رسل الله تدعو إلى توحيد الله تعالى في وقت هؤلاء الرسل.

ثم جاء القرآن كلام الله تعالى لفظاً ومعنى، ووحيه، والنور المبين، والهادي إلى الصراط المستقيم، والمسلم يؤمن بأن القرآن كلام الله لفظاً ومعنى، نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، والمصحف الشريف هو الجامع للقرآن وآياته.

وعدد أجزاء القرآن: ثلاثون جزءاً، وعدد سور القرآن: ١١٤ سورة، وعدد الأحزاب: ستون حزباً، والحزب: أربعة أرباع، وعدد آيات القرآن: ٦٢٣٦ آية، وعدد كلماته: ٧٧٤٣٩ كلمة، وعدد أحرف القرآن: ٣٤٠٧٤٠ حرفاً، والله أعلم.

وهذه بعض القصص عن الكتب السماوية وعن القرآن الكريم:



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أنزل الله عز وجل الكتب السماوية على رسله بوحي منه، لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والإيمان بها ركن من أركان الإيمان.

والإيمان بالكتب يتضمن عدة أمور، منها: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً، والتصديق بما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة، والعمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها.

والكتب السماوية التي نعلم أسماءها هي: صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، والزيور الذي أوتيته داود عليه السلام، والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، والقرآن الذي نزل على رسولنا محمد ﷺ.

ونظراً لأن الكتب السابقة طرأ عليها التحريف والتزييف، ونسخها القرآن، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكامها إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب له فوائد عظيمة، وثمرات جلية، منها: العلم بعناية الله بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به، والعلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاهٌ﴾ (المائدة: ٤٨).

لذلك وجب شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

صحف إبراهيم وموسى^(١)

سأل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ: ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ فقال: «كانت أمثلاً كلها: أيها الملك المسلط المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله، أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب، وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمّة معاش - أي: إصلاح المعيشة -، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه». فسأله أبو ذر: يا رسول الله! فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال ﷺ: «كانت عمراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح! عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك! عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب - يتعب -! عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها! عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل!»^(٢).



الجهاد في الكتب السماوية^(٣)

الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء كلها من مصدر واحد، وهي من عند الله عز وجل، فالتوراة التي نزلت على موسى، والإنجيل الذي نزل على عيسى، والقرآن الذي نزل على محمد صلوات الله عليهم أجمعين، كلها نزلت من عند الله، ولذلك اشتركت جميعاً في بعض الأحكام والتعاليم التي أمر الله بها، ومن ذلك أن الله عز

(١) الكتب السماوية هي: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، والصحف هي: صحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) صحف إبراهيم وموسى (الاعلى: ١٨، ١٩).

(٢) ابن حبان والحاكم.

(٣) كان ورقة بن نوفل عنده علم بالكتب السابقة، فلما أسمع النبي ﷺ ما نزل عليه من الوحي، قال ورقة: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى» البخاري.

وجل فرض الجهاد في سبيله، وأنزل ذلك في الكتب الثلاثة، وذلك موجود بها قبل أن تُحرّف، ويدلنا على أن الجهاد نزل في الكتب الثلاثة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُقَاتِلُونَ وَيُقَاتِلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

فقد أمر الله بالجهاد أمة موسى في التوراة الصحيحة، وأمر به أمة عيسى في الإنجيل الصحيح، كما أمر به أمة محمد ﷺ في القرآن.



النبي في الكتب السماوية^(١)

ذكر النبي محمد ﷺ في الكتب السماوية جميعاً، في التوراة والإنجيل والقرآن، وقد أكد الله تعالى ذلك في القرآن فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٦، ١٥٧). وقد بشر عيسى عليه السلام بالنبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقرأ في كتب أهل الكتاب، فلما نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفتح: ٨). قال عبد الله: هي في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرراً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عمياً، وأذناً صماً، وقلوباً غلفاً»^(٢).

(١) قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٣) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ (آل عمران: ٣، ٤).

(٢) البخاري.

المحجة البيضاء^(١)

بعدما فتح المسلمون خيبر، سمع عمر رجلاً يهودياً يقرأ في بعض صحف التوراة، فأعجب عمر بها، فطلب من الرجل أن يكتب له ذلك، فأملأه الرجل، وكتب عمر ذلك في صحيفة، ثم ذهب بها إلى النبي ﷺ، ولما رآها النبي ﷺ في يده سأل: «ما هذا في يدك يا عمر؟». فقال عمر: يا رسول الله! كتاب نسخته لتزداد علماً إلى علمنا. فغضب النبي ﷺ حتى احمر وجهه، وقال لعمر: «أمتهوكون - هل أنتم متحيرون - فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوه عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه، أو يبطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٢).

ثم جمع النبي ﷺ الناس، ووقف يحذرهم من مثل ذلك، فقال: «يا أيها الناس! إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد آتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهوكوا - أي: لا تتحيروا ولا تضطربوا - ولا يغرنكم المتهوكون». فقال عمر: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسلاً^(٣). ثم أمسك عمر بالصحيفة ومحا ما فيها.



المعجزة الخالدة^(٤)

اجتمع المشركون يوماً، وقرروا أن يطلبوا من النبي ﷺ بعض الأشياء، فقالوا له: لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع، أو قطعت الأرض كما كان سليمان يُقطع لقومه

(١) المسلم لا يصدق ولا يكذب ما جاء عن أهل الكتاب، ولا يأخذ عنهم إلا ما يتفق مع القرآن والحديث الصحيح، قال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» البخاري.

(٢) أحمد.

(٣) أبو يعلى.

(٤) القرآن معجز في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، مما يدل على صحة دعواه.

بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه. فأنزل الله عز وجل يرد عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١). أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب فعل ذلك لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو هو أولى من غيره بهذا لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع إنسي ولا جني إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله.

وقد أكد النبي ﷺ على أن القرآن معجزته الخالدة فقال: «ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١). أي: أن معجزة كل نبي انقضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على مر الأيام، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معجزاته.



نزول القرآن^(٢)

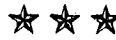
كان رسول الله ﷺ يتعبد شهر رمضان في غار حراء قبل نزول الوحي عليه، فلما أتم الأربعين عاماً، وجاء شهر رمضان، ذهب النبي ﷺ يتعبد في الغار، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». فضمه ضمة شديدة ثم تركه، وقال له: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئ». وتكرر ذلك ثلاث مرات، وفي الثالثة قال له الملك: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١-٣).

فرجع النبي ﷺ إلى زوجته السيدة خديجة يرتعد ويقول: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الخوف، فأخبر خديجة بما حدث، وقال لها: «لقد خشيت على نفسي». فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان عنده علم بالكتب السابقة، وكان شيخاً

(١) البخاري.

(٢) جبريل عليه السلام يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، وذلك في شهر رمضان، فعرضه عليه مرتين في العام الذي توفي فيه.

كبيراً قد عمي، فلما سمع النبي ﷺ قال له: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى. وأخبره أنه نبي هذه الأمة.



حلاوة القرآن^(١)

أرسلت قريش الوليد بن المغيرة المخزومي ليطلب من النبي ﷺ أن يكف عن دعوته، فلما جاءه قرأ ﷺ عليه آيات القرآن، فتأكد أن هذا ليس من كلام البشر، وخرج من عند النبي ﷺ وهو يقول: يا عجباً لما يقول - يعني النبي ﷺ -، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله.



جمع القرآن^(٢)

بعدما تولى أبو بكر الصديق الخلافة دخل المسلمون في عدة حروب مع المرتدين ومانعي الزكاة، فاستشهد عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم، فخشى عمر على ضياع القرآن، فقال لأبي بكر: إن القتل قد استحر بالحفاظ، وإني أخشى أن يُقتل من بقي منهم في المعارك الأخرى، فيذهب بذهابهم القرآن. فقال أبو بكر: وماذا ترى أن أفعل؟ فقال عمر: تجمع القرآن في مصحف حتى يظل مرجعاً يرجع الناس إليه. فقال: وكيف أصنع شيئاً لم يصنعه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلما اقتنع أبو بكر برأي عمر، واستراح إليه استدعى زيد بن ثابت، وكان ممن يكتبون الوحي، وأمره بجمع آيات القرآن من الرقاع والاكتاف وصدور الرجال، فرفض زيد أول الأمر، فلما اقتنع قام بذلك وجمع القرآن.



(١) القرآن أحسن الكلام، وأجملة: «اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» (الزمر: ٢٣).

(٢) تولى زيد بن ثابت مهمة جمع القرآن، وكان يقول: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به أبو بكر من جمع القرآن» البخاري.

مصحف عثمان (رضي الله عنه)^(١)

المصحف الذي جمعه أبو بكر لم يكن مقصوداً على حرف، ولا على لهجة واحدة، وإنما كانت الآيات تشمل كل اللهجات التي نزل بها القرآن، فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة، وكان الإسلام قد انتشر خارج جزيرة العرب، ودخل كثير من الأعاجم الإسلام، اختلفوا في القراءة، وكادت الناس أن تقتتل في ذلك، وشاهد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه هذا في أرمينية، فاشتد غمه، ولم يكده يرجع إلى المدينة المنورة حتى ذهب إلى عثمان رضي الله عنه قبل أن يدخل بيته وقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن تتفرق حول القرآن كما تفرق أهل الكتاب حول التوراة والإنجيل. ثم أخبره بما يحدث بين الناس في القراءة، فأمر عثمان رضي الله عنه بإحضار نسخة المصحف التي جمعها أبو بكر واستودعها عمر عند حفصة رضي الله عنها، فجاءوا بها، فاستدعى عثمان بعض الحفاظ وكتبه الوحي، وثبت قراءة واحدة، نسخ منها عدة نسخ، فأرسل بها إلى الأمصار، واحتفظ لنفسه بنسخة منها. وهكذا جمع عثمان الأمة على قراءة واحدة، وعلى مصحف واحد، وهو ما يُعرف اليوم بمصحف عثمان.



القرآن والقلوب^(٢)

خرج النبي ﷺ إلى الحرم ذات يوم، فوجد جمعاً كبيراً من قريش، كان فيه ساداتها وكبرائها، فوقف النبي ﷺ يتلو سورة النجم، ولم يكن هؤلاء الكفار قد سمعوا كلام الله من قبل، فلما فاجأهم النبي بالقراءة استمعوا دون أن يشعروا،

(١) أمر عثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث، بكتابة المصحف، وقال لهم: «إذا اختلفتم في عربية (كلمة) من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم» ففعلوا.

(٢) القرآن كلام الله، له تأثير قوي على الأسماع والقلوب، بل إنه يؤثر في الجبال، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُّصَدَعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).



وبقي كل واحد مصغياً إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى وصل النبي ﷺ إلى آية السجدة: ﴿أَقْمِنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجِبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (النجم: ٥٩-٦٢).

ثم سجد النبي ﷺ، فلم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، فقد أخذت روعة الحق بعقولهم، وصدعت العناد في نفوسهم، فما تمالكوا أن خروا لله ساجدين، ولكنهم لما أفاقوا أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم، فاستكبروا ثانية، وعاندوا وذهبوا معرضين جاحدين، وقد عُرف هذا الحدث في السيرة النبوية باسم «سجدة النجم».



الحجاب المستور^(١)

لما نزل قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مِّسَدٍ﴾ (سورة: المسد).

ادعى أبو لهب وزوجته أن محمداً قد هجاهما، وأن هذا شعر من عنده يهجوهما به، فأخذت أم جميل زوجة أبي لهب - حجراً، وذهبت تبحث عن رسول الله ﷺ لتضربه به، حتى وصلت عند الكعبة، وكان النبي ﷺ جالساً عندها وبجانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلما رآها أبو بكر خشي على النبي ﷺ منها، فقال: يا رسول الله! لقد أقلت هذه وأنا أخاف أن تراك. فقال له النبي ﷺ: «إنها لن تراني»، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥). فلما وصلت المرأة عندهما رأت أبا بكر، ولم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر! بلغني أن صاحبك هجاني. فقال أبو بكر: لا ورب البيت ما هجأك. فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أنني بنت سيدها^(٢).

(١) القرآن الكريم يحفظ الإنسان من المكروه والضرر، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» متفق عليه.

(٢) أبو يعلى.

القرآن يحفظ أهله^(١)

في إحدى السنين جمع رسول الله ﷺ زكاة رمضان، واختار أبو هريرة وكيلاً لحفظها، فكان أبو هريرة يحرسها كل ليلة في المكان الذي جمعت فيه، وذبت ليلة.. وجد أبو هريرة شخصاً يحاول أن يسرق منها، فأمسكه وأراد أن يأخذه إلى النبي ﷺ، فاعتذر بأنه فقير ومحتاج وعنده عيال، وأنه لن يعود، فتركه أبو هريرة، وفي الصباح سأل النبي ﷺ أبو هريرة: «ما فعل أسيرك البارحة؟». فقال: اشتكى حاجة وعيلاً، فرحمته وتركته. فقال له النبي ﷺ: «أما إنه كذبك وسيعود». فتربص به أبو هريرة في الليلة الثانية، فجاء فأمسكه، فاعتذر أيضاً، فتركه، وتكرر ذلك في الليلة الثالثة، فأمسكه أبو هريرة، وأصر أن يأخذه للنبي ﷺ، فقال له: اتركني وأنا أعلمك كلمات ينفعك الله بها. فسأله: وما هي؟ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لم يزل معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فلما أصبح أبو هريرة أخبر النبي ﷺ بما حدث، وبما قاله الشخص، فقال له النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»، ثم أخبره أن هذا الشخص كان شيطاناً^(٢).



الشفاء بالقرآن^(٣)

خرج أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في سفر مع بعض الصحابة، فلما وصلوا إلى حي من أحياء العرب نزلوا عندهم، وطلبوا منهم طعاماً، فلم يعطوهم، ولم يستضيفوهم، فنزل الصحابة في مكان قريب منهم، وبعد فترة جاء رجل من أهل هذا الحي، وقال للصحابة: إن عقرباً لدغت سيد الحي، وقد سعينا له بكل شيء

(١) قال ﷺ لابي بن كعب: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» فقال أبي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. فقال ﷺ: «لِيَهْنِكْ (هنيئاً لك) لعلم أبا المنذر» مسلم.

(٢) البخاري.

(٣) أكد الله عز وجل أن القرآن يشفي الأمراض، البدنية والقلبية، قال الله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢).



حتى يشفى، فما نفع معه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا له: إنكم لم تقرونا- لم تضيفونا- ولا نعمل حتى نجعلوا لنا جُعلاً- أجزاً- فاتفقوا على أن يعطوهم قطعاً من الغنم، فقام أحد الصحابة وذهب إلى سيد الحي، ورقاه بالفاتحة، فجعل يتفل في يديه، ويقرأ الفاتحة، ويمسح بها على الرجل، فشفي الرجل بإذن الله، وقام كأن لم يكن به وجع أو شيء، فأخذ الصحابة الغنم فقالوا: لن نطعمها حتى نسأل رسول الله ﷺ. فلما عادوا سألوا النبي ﷺ، فضحك ﷺ وقال للرجل الذي رقى: «وما أدراك أنها رقية؟ لقد أصبتم، خذوها، واضربوا لي معكم بسهم»^(١).



أهل القرآن^(٢)

يتمنى الإنسان يوم القيامة أن يجد من يدافع عنه ليستجو من عذاب الله، فيأتي القرآن مدافعاً عن أهله الذين كانوا يحفظونه ويعملون به، فيدافع عنهم، ويطلب من الله عز وجل أن يحفظ صاحبه، فيقول: يا رب! منعه النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفع فيه. وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث، منها قوله: «يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حلّه - أي: ألبس صاحبي حُلّة -، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده. فيلبس حلة الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه. فيرضى عنه فيقال له: اقرأ وارق، وتزداد بكل آية حسنة»^(٣).

القرآن وعذاب القبر^(٤)

كان رجل من الصحابة يسير في مكان، فجاء عليه الليل، فوجد مغارة فدخلها،

(١) متفق عليه

(٢) القرآن يشفع لأهله يوم القيامة، الذين كانوا مشغولين به متمسكين بأمره ونهيه، قال رسول الله

ﷺ «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» مسلم.

(٣) الترمذي.

(٤) سورة تبارك تشفع لصاحبها حتى يغفر له، قال رسول الله ﷺ: «من القرآن سورة ثلاثون آية

شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: تبارك الذي بيده الملك» أبو داود والترمذي.

ونصب فيها خيمته لينام حتى الصباح، وكان هذا المكان به قبر، ولم يكن الصحابي يعلم ذلك، فإذا به يسمع صوتاً خارجاً من القبر يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ...﴾ (الملك: ١). حتى ختم السورة، فلما أصبح الصحابي ذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني ضربت - أقمت - خبائي - خيمتي - على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ...﴾ حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي النجية، تنجيه من عذاب القبر»^(١).





تعليم الصغار الإيمان بالرسول والأنبياء عليهم السلام

والإيمان بأنبياء الله ورسله أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، إذ الرسل هم الوساطة التي عرفنا عن طريقها وحي الله تعالى وكتبه وشرائعه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٥٢). وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

فمن عادى الرسل ولو رسولا واحداً كان عدواً لله تعالى، ومن ثم وجب الإيمان بهم جميعاً عليه الصلاة والسلام.

وقد ورد في القرآن والسنة أسماء عدد من الأنبياء والرسل، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، واليسع، وداود، وسليمان، ويونس، وأيوب، وإلياس، والخضر، وذو الكفل، وشعيب، وزكريا، ويحيى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

وذكر النبي ﷺ يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام في السنة المطهرة، وهو فتي موسى في رحلته مع الخضر عليه الصلاة والسلام، وخاتم الرسل هو محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين. وخير الرسل أولو العزم من الرسل، وهم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد ﷺ ثم خيرهم على الإطلاق محمد ﷺ، ولكل من الرسل كرامة كرمه الله بها.

فآدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده وصوره، ونوح عليه الصلاة والسلام أول رسول إلى أهل الأرض، وأبو الأنبياء و خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذبيح هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وكليم الله موسى عليه الصلاة والسلام، ورؤس الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

لكن ما هو الفارق بين النبي والرسول؟

النبي: أوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ، وقد يكون مُقرراً لشرعة من قبله، كما كان الأنبياء من بعد موسى عليه الصلاة والسلام، فكانوا يعيدون الناس إلى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، ومنهم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

أما الرسول: فإنه قد أوحى الله إليه وأمره بالتبليغ، وربما أنزل عليه كتاباً كما حدث مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وبذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.



لماذا نحب رسول الله ﷺ؟^(١)

محبة رسول الله ﷺ ما محبته، محبته واجب شرعي، وأصل إيماني، وبغضه ناقض إيماني، وفساد اعتقادي، فكمال حبه ﷺ من كمال الإيمان، والنقص في محبته نقص في الإيمان كما جاء في حديث البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

فليست محبة رسول الله ﷺ مجرد كلمات تقال، ولا قصص تثار، ولا مدائح تلقى، بل عمل قلبي من أجل أعمال القلوب، وعلامة على نقص الإيمان أو زيادته، وعاطفة تدفع المحب نحو اتباع حبيب ﷺ وطاعته في كل الأمور ومتابعته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

ويروي البخاري من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر رضي الله عنه، فقال عمر - بحسب الطبع والجلبة - : يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي. فقال ﷺ وهو يقسم - وهو الصادق المصدوق وإن لم يقسم - : «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فتأمل عمر وتدبر وتفكر، فأدرك أن رسول الله ﷺ لا بد أن يكون أحب إليه من نفسه، فهو الذي أخرجه الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهو

(١) كانت هذه محاضرة ألقيتها في إحدى المحافل ورأيت أن أعيد ذكرها هنا للانتفاع بها.



الذي بسببه سيسكن الجنة سكنى خلود سرمدي أبدي لا ينقطع، فعندها أيقن عمر فقال: فإنك والله أحب إليّ من نفسي. فقال ﷺ: «الآن يا عمر». أي: عرفت الآن، فطقت الآن، فأمنت الآن يا عمر. وذلك مرتقى صعب لا يبلغه القلب إلا بمجاهدة طويلة، وترويض دائم، وبقظة مستمرة، ورغبة تستنزل عون الله.

ولقد ضرب الصادقون أروع الأمثلة في تقديم رسول الله ﷺ على النفس، ففي يوم الحديبية بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان المسلمون يكنونه بأبي عبد الله، فبعثه إلى قريش ليخبرهم أنه وأصحابه إنما جاءوا عُمَارًا يريدون الطواف بالبيت، لا يريدون حربًا ولا غزوًا، فانطلق عثمان رضي الله عنه إلى مكة، وطالت غيبته هناك حتى ظن المسلمون أنه قُتل، فلما عاد قال المسلمون له: هنيئًا لك يا أبا عبد الله لقد اشتفيت من الطواف بالبيت. فما كان من عثمان رضي الله عنه إلا أن أجاب بلسان الإيمان الصادق قائلًا: بشمًا ظنتم بي، والذي نفسي بيده لو مكثت بالكعبة سنة ما طُفْتُ بها حتى يطوف بها رسول الله ﷺ، ولقد دعني قريش للطواف بالبيت فابيت.

لقد كان عثمان إذاً يستشعر قول رسول الله ﷺ: «حتى أكون أحب إليه من نفسه»، ويستشعر وعيد الله لمن قدّم على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ أحدًا في أشد آية نعت على الناس ما لا يتخلص منه إلا من أدركته رحمة الله وعنايته ولطفه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

فانظر كيف قرّع الله تعالى من قدّم هذه المحبوبات على محبته، وتوعددهم بهددهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ثم فسقهم بتمام الآية، وحكم بأنهم ممن ضلّ فلم يهده الله، وبهذا عاش صحابة رسول الله ﷺ حتى إن طلحة بن البراء رضي الله عنه، وكان غلامًا، جاء في قصة إسلامه كما عند الطبراني في الكبير أنه لما رأى النبي ﷺ جعل يدنو ويقترب منه ويقول: يا رسول الله مُرني بما أحببت، والله لا أعصي لك أمرًا. فعجب النبي ﷺ له فقال: «اذهب فاقتل أباك». فوالله ما تردد، ولكن ذهب،

ذهب ليفعل ما أمره به رسول الله ﷺ، إلا أن رسول الله ﷺ لما رآه مطيعاً لأمره قال: «أقبل فإنني لم أبعث بقطيعة الرحم». فعاش صحابته يحبونه ويقدرونه، ويقفون على كل أمر أمرهم به، ويتوقفون عن كل نهى نهاهم عنه، فكانوا على الصراط المستقيم، والهدى المين، ولكن: لماذا نحب رسول الله ﷺ؟ إن هذا السؤال لا يحتاج إلى إجابة، ولكن سنضع له إجابة لتقر العقيدة في قلبك، ليحيى من حي عن بيته، ويهلك من هلك على بيته.

أولاً: لأنه حبيب الله عز وجل وخليله وصفيه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام:

١٢٤).

ثانياً: لأنه رحمة للعالمين، فجميع العالمين وعمومهم حصل لهم النفع برسالة ﷺ، أما أتباعه الذين آمنوا به: فنالوا كرامة الدنيا والآخرة، وأما من قاتلهم من المحاربين له: فذلك لهم رحمة، فإن طول أعمارهم في الدنيا تغليظ للعذاب عليهم في الآخرة، وأما المعاهدون له: فعاشوا تحت ظله وفي ذمته خير معيشة، وأما المنافقون: فحصل لهم بالإيمان حقن دمائهم وحفظ أموالهم وجريان أحكام المسلمين عليهم. فهو ﷺ لكل أحد رحمة، وإنما بُعث رحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ثالثاً: لكمال رحمته ورأفته خاصة بأمته كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ويروي الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٣٦). وقال في عيسى: ﴿إِن تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨). فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم أمتي». وبكى فقال الله عز وجل: «يا جبريل! اذهب إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟». فاتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

إن هذا الحديث يحمل معنى عظيماً غير رحمة النبي ﷺ بأمته، ألا وهو: عظم منزلة النبي ﷺ عند ربه، حتى إنه ليسترضيه، ويعده ألا يحزنه، وليس فوق هذا الشرف شرفٌ وجدير والله عبد كان بمثل هذه المحبة والرحمة أن تتوجه إليه قلوب المسلمين وقد كان، فلم تعرف الدنيا رجلاً فاضت بمحبته القلوب، ولا فدته بالأرواح والنفوس مثلاً عرفت رسول الله ﷺ، ها هو خبيب بن عدي، أسره المشركون، وأرادوا قتله، فخرجوا به من الحرم - كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رفعه - وإنه لموثق في الحديد، فبعد أن صلى ركعتين، وكان أول من سن ركعتين قبل الممات، واستعد للقاء ربه تعالى، جاءه أبو سفيان بن حرب، لعله أن ينتزع منه ولو كلمة ترضي غروره في لحظاته الأخيرة، فقال: يا خبيب! أتحب أن يكون محمد مكانك تُضرب عنقه وأنت في أهلك آمن؟ فقال خبيب رضي الله عنه: لا، والله ما أرضى أن محمداً يشاك شوكة وأنا في أهلي صالح سالم. فبهت الذي كفر وقال: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

هذا شأن الذين آمنوا به وأحبوه، أما الذين ناصبوه العداوة والبغضاء فلم يملكوا أنفسهم من تبيان حبه ﷺ، نطق العداة بفضله، والفضل ما شهدت به الأعداء، يقول اليهودي - واليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا - : والله ما وجه محمّد بوجه كذاب. لسان حاله:

فهبني قلت هذا الصبح ليل ★ أيعمى العالمين عن الضياء
إن رسول الله ﷺ لغني عن حبنا له، فلن يزيد حبنا رفعة، ولن يبخسه بغضنا منزلة، لكن من أحبه كانت له هذه الثمرات:

أولاً: الشعور بحلاوة الإيمان: ففي الحديث المتفق عليه عن أنس: «ثلاث من كن فيه... أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...».

ثانياً: أن محبه ﷺ سيكون معه في الآخرة: وتلك ثمرة عالية، وكفى بها، ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحب قوماً فلم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب». وفي رواية مسلم عن أنس رضي الله

عنه: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم».

فاسلك طريقهم إن أردت اللحاق بهم، واستفرغ وسعك، وابذل غاية جهدك، فإنما خلق الله الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ولم يقل: أكثر عملاً، وفي كل زمان يكثر المدعون للمحبة، ويا للأسى حين ترى أن أكثر المدعين للمحبة هم أكثر الناس مخالفة لسته ﷺ، مع أن المحب لمن أحب مطيع، ومن ادعى شيئاً فليأت بالبينة، وليأت بالشهداء، فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون، فأحضر شهود محبتك وإلا كنت كمن ترك النيل باحثاً عن النيل في الصحراء.

واليك بعض شواهد ودلائل وعلامات محبة النبي ﷺ، فإن وجدتها في نفسك فاحمد الله، وسله الثبات والتوفيق، وإن لم تجدوها فحاسب نفسك قبل نزول الموت، وقبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

العلامة الأولى: امتثال أمره واجتناب نواهيه: نقصد بذلك الاتباع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧). وبالإسناد الحسن بمجموع طرقه وشواهده روى ابن أبي عاصم في السنة والنووي في الحجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

إن من أحب محمداً ﷺ، أو أراد محبته كان لازماً عليه أن يطيعه في كل ما جاء به، وأن يكون صورة حية متحركة للإسلام، يحب ما أحبه الله ورسوله، ويكره ما كرهه الله ورسوله، وكل من ادعى محبة رسول الله ﷺ، وخالف أمره، فدعواه باطلة، وهو من الكاذبين، وآية المنافق ثلاث، منها: أنه إذا حدث كذب.

لقد كانت أفعال الصحابة رضي الله عنهم تنطق بمحبة رسول الله ﷺ وطاعته، وتؤكد ذلك، فقد علموا أن محبته تعني طاعته، فقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). وسمعوه ﷺ يقول - كما في الحديث الصحيح -: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري». فاتبعوه ﷺ.

يروى أبو داود بالسند الصحيح عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يرغب في جعل باب للمسجد للنساء، فقال ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء». يقول نافع رحمه الله: فوالله ما دخل ابن عمر من ذلك الباب حتى مات.

وروى ابن إسحاق في سيرته - وله أصل في البخاري - أن سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم بدر قال لرسول الله ﷺ معبراً عن طاعته له: «قد آمنا بك، وصدقناك، وتشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد».

إليه إيه علم القوم سعد، فإنهم ادعوا وما لدعواهم دليل، كأن لسان حال سعد: سأتبعك ما كان في القلب خافق، سأتبعك ما كانت العين تطرف.

فلو قلت لي من يمت سماعاً وطاعة * لقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً
إن محبة رسول الله ﷺ تعني أن يخضع المرء رغباته لما جاء به رسول الله ﷺ،
موقناً أن الخير كل الخير في طاعته، ولو خالف ذلك هواه ومبتغاه، فلا يحق لكائن
من كان أن يضع رأي جميع أهل الأرض في كفة، وقول رسول الله ﷺ في كفة،
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥).

هذا هو الشاهد العدل، هذا هو الميزان الفصل، من مال عنه فقد هوى، ومن
أطاع الهوى فقد هوى، إياك أن تقول: لِمَ؟ ولماذا؟ وكيف؟ ارم بهم في قاع البحر
وقل: السمع والطاعة لله ولرسوله.

أيها المسلمون! احفظوا عني: ليس بعد ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣).
نقصان، وليس بعد ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣). قول ولا فعل إلا الاتباع،
فاتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

الشاهد الثاني: الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ حياً وميتاً: فمن أحب رسول الله ﷺ
حقاً، ومن ادعى محبته صدقاً، رغب في صحبته وحرص في الدنيا والآخرة على

رفقته، فلو خيّر بين نعيم الدنيا بحذافيرها وبين رؤيته ﷺ ما أحر شيئاً على رؤيته ﷺ، وحاله في ذلك كحال القاتل في روضة المحبين: خيالك في ذهني، ذكرك في فمي، مثواك في قلبي، فأين تغيب؟!

ها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يجسد ذلك في حديث الهجرة الذي رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فذكرت: أن رسول الله ﷺ خرج في نحر الظهيرة مستخفياً، في وقت يلوذ منه الناس ببيوتهم من شدة الحر والفيح، فلا يتجول في تلك الساعة في الطرق إلا السراب ولهيب الشمس، فأقبل رسول الله ﷺ على الصديق، فلما رآته أسماء ذات النطاقين صاحت وقالت: أبي! ذا جاءك المصطفى. فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمراً! فقال ﷺ: «أخرج من عندك - يريد أبناءه-». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «فإني قد أذن لي في الخروج - يعني الهجرة-. فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟! وهملت عينه سروراً بالدمع، وقمة الفرح أن يُشفع بالبكاء، وإنه والله لحبٌ صادقٌ أبرزه إيمان لو وُزن بإيمان الأمة لرجح بها، فصار يرى المخاطرة مع رسول الله ﷺ قربة وشرفاً يعبر عنهما بالبكاء:

فعلمت أن من الدموع محدثاً وعلمت أن من الحديث دموعاً

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن رجلاً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي لذلك.

وحق للصديق رضي الله عنه أن يبكي، وكيف لا، وقد صار ثاني اثنين إذ هما في الغار، فاتراً برفقة خاتم النبيين؟ فكيف يملك دمع العين من كان لسان دمه ينطق بالفرح؟!

وها هم الأنصار رضي الله عنهم يجسدون المحبة لرسول الله ﷺ، لما سمعوا بمخرج النبي ﷺ من مكة، وأنه مهاجر إليهم، خرجوا إلى طريق مكة يترددون كل صباح إلى الحرة ينتظرونه ﷺ حتى تغلبهم الشمس على الظلال، ويؤذيهم حر الظهيرة فيرجعون، ولا زال موكب رسول الله ﷺ يسير وقلوب الأنصار يكاد جناح الشوق أن يطير بهم بحثاً عن رسول الله ﷺ في بيداء الحجاز بين مكة والمدينة، وكل

تراب داسه النبي ﷺ يقول: قَفْ لا تفارقني يا حبيبي، فما داسني أشرف منك ولا أغلى. ولا عجب في ذلك فهو الذي بكى الجذع حينئذ له، وهو الذي نطق بحبه الحجر.

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». ولا زالت ديار المدينة ديار طيبة، وقلوب أهلها تنادي الحبيب: أقبل فإني عليك أقبل.

وفي ذات يوم وقد عاد الأنصار إلى ديارهم هتف يهودي فوق جذع نخلة: يا معشر بني قيلة! هذا جدكم الذي تنتظرون. فخفّ الرجال إليه، ولو يقدرون مشوا على وجناتهم وعيونهم فضلاً عن الأقدام، تلقوا رسول الله ﷺ، وقد تحولوا إلى مشاعر وأحاسيس تظله وتحبه، فتزلّ ﷺ بقاء، ومكث بها بضع عشرة ليلة، وحال من في المدينة كحال القائل:

مرحباً مرحباً يا مرحباً * بنسيم هب من تلك الربا
عقيق الأرجاء نبئني * أنه من طيب سكان قبا

لقد ذهب رسول الله ﷺ إلى المدينة، ودخلها في لحظة يتمنى كل مسلم أن لو عاشها، وسكب الدمع فرحاً بها، الموكب يتحرك ببطء، والطريق مزدحم، لا أقول مزدحماً بالأجساد بل مزدحم بالقلوب، بالإيمان، بالمحبة، ورسول الله ﷺ على ناقته قد أرخى زمامها، فما من دار من دور الأنصار إلا وأمسك كبيرها بزمام الناقة يدعو رسول الله ﷺ لا ليكون ضيفاً عليه؛ بل نوراً يضيء قلبه وداره وسكنه، ورسول الله ﷺ يقول: «دعوها فإنها مأمورة». وعلى الطرق، وفوق البيوت لا تكاد تسمع إلا: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ. المدينة كلها: سلاحها، رجالها، نساؤها، أطفالها، شعابها، أشجارها، أحجارها كلٌّ قد عبر عن حبه بلسانه، فربما أبكى الأخرس من يتكلم.

الموكب يتهادى بين هذه الجموع، والكلُّ يبحث عن رسول الله ﷺ بمن فيهم الأطفال بيراءتهم، حتى إن أنس بن مالك رضي الله عنه يصور لنا مشاعر الصغار فيقول: إني لأسعى في الغلمان وهم يقولون: جاء محمد رسول الله ﷺ، فلا أرى

شيئاً، وأسعى ولا أرى شيئاً، فكمنّا له في بعض جُدر المدينة حتى جاء، فخرج أهل المدينة، فما رأينا منظرًا شبيهاً بيومئذٍ، والله لقد أضاء من المدينة كل شيء، فذاك يوم طيب أطيب من كل طيب.

ولا يزال أنس رضي الله عنه ذلك الطفل الذي بهره نور النبي ﷺ يسير وراءه يتبعه في براءة وإعجاب، وهو على الفطرة ورسول الله ﷺ بعث على دين الفطرة، فيا له من نبي، ما أعظمه! يعلن حبه للكبير والصغير في البيوت وعلى الطرقات، بل ويعلن حبه للجبال، فيمر على جبل أحد كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، فيقول: «هذا أحد جبل يحبنا ونحبه». ولو كان لأحد ألف لسان، لقال لهم: أحبك الله يا رسول الله كما أحببني!!

ولا زال الموكب يسير، القلوب له بيوت، والبيوت له قلوب، والأيدي إلى الزمام تمتد، والعيون تشخص، والركب يتواصل، والكل يهتف: المنزل عليّ أيها النبي. فتنافس الأنصار وما دروا لمن المفاض وأيهم أولى به؟

وأمام بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وقفت ناقة رسول الله ﷺ، فنزل عنها، فازدحم الأنصار كلٌّ يعرض على رسول الله ﷺ النزول عليه، فتسلل أبو أيوب وأخذ رحل النبي ﷺ إلى بيته، وبينما الجميع في هذا الخضم قال ﷺ: «أين رحلي؟». قال أبو أيوب: في دار أبي أيوب. وحلّ في قلب أبي أيوب والمدينة كلها تغبطه على ذلك الشرف، إن جدران بيته تفاخر حصى المدينة وجدرانها بنزول رسول الله ﷺ في بيته.

ونزل رسول الله ﷺ في سُفل البيت برغبته، وتملك الحرج أبا أيوب رضي الله عنه، فلو رأيته وهو في منزله لأشفقت عليه، لو رأيته وهو يتحرك في مساحة ضيقة من الطابق الثاني لا يتعداها في حسٍّ مرهف، وإيمان عميق، كأنه يخاطب نفسه: ويحك أبا أيوب!! أتعلمو رسول الله ﷺ؟! وأصبح أبو أيوب فأتى النبي ﷺ فقال: لا تكون تحتنا بأبي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله. فقال ﷺ: «يا أبا أيوب! السُّفل أرفق بنا». فقال أبو أيوب: والله لا أعلو سقيفة أنت تحتها يا رسول الله. فتحول رسول الله ﷺ، وقرّت عين أبي أيوب، ولا عجب، فإنه نبعٌ من سحابة الإيثار،

وهم الأنصار «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنِّي وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩)

وهذه شهادة الله لهم فخرٌ على الأزمان، وكان الجزاء أن آية الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار.

وفي الصحيح المسند من أسباب النزول أن أحد الصحابة جاء إلى رسول الله ﷺ وقد تغير وجهه، ولم يخف على من رآه علامة الحزن التي ارتسمت في وجهه، فقال ﷺ: «ما بك؟». فقال: يا رسول الله! ما بي شيء، إلا أنني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم إنني إذا ذكرت الآخرة أخاف ألا أراك؛ إن دخلت الجنة كنتُ في منزلة دون منزلتك، وإن لم أدخلها لم أرك أبداً. فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى قوله: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (النساء: ٦٩) فلا تسئل عن حاله، نطقت مدامعه بسر ضميره.

وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين- وكان رسول الله ﷺ قد توفي يوم الاثنين-. قال الصديق: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي إلى الغد، فإن أحب الأيام إليَّ أقربها من رسول الله ﷺ.

فاجمع بمن أهوى شملتي يا ★ جامع الأرواح بعد شتاتها
هذا حال صحابة النبي ﷺ، وهو أحب إليهم من أنفسهم، وأمره بينهم نافذ مطاع، كان لسان حال أحدهم:

لو قلت مت، لمتُ سماعاً وطاعةً ★ ولقلتُ لداعي الموت أهلاً ومرحباً
الشاهد الثالث: بذل النفس والمال من أجله ﷺ: فكل محب صادق يتربص الفرصة ليذل ماله، وروحه، وما ملكت يمينه في سبيل من أحب، وصحابة رسول الله ﷺ كلهم ذلك الرجل، ومن بعدهم يجد في نفسه الحسرة لفوات تلك الأمانة، فيبدلون بها بنصرة دينه وشريعته وسنته ﷺ، وعلى قمة أهل المحبة يأتي الصديق أبو بكر رضي الله عنه وهو مع رسول الله ﷺ في طريقه إلى غار ثور يوم الهجرة، فيتحول أبو بكر

رضي الله عنه إلى سحابة من حب تظل رسول الله ﷺ، فيجعل من جسده درعاً يحمي به رسول الله ﷺ يتذكر الرصد والطلب فيمشي عن يمين الحبيب وعن شماله وبين يديه، ويقلب عينيه خوفاً عليه، وتقلب العينين دليل على ما في القلب والخلد، ويلمحه النبي ﷺ فيقول: «يا أبا بكر! لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟». فيقول الصديق: نعم، والذي بعثك بالحق. ذلك جسد المحب، أما ماله فمشتور بين يدي رسول الله ﷺ، حمل أبو بكر ماله كله، وقدمه لله كله، فلم يكن أبقي لأهله منه شيئاً، حتى قال لما سئل: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. ولذا لما سمع عمر من يفضله على أبي بكر غضب وذكر ليلة الهجرة فقال: «والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر».

وفي أحد حين حصل الخلل والاضطراب في الصفوف، كان الكفار يريدون رسول الله ﷺ، صاح عليه الصلاة والسلام: «من للقوم؟». فتقدم قوم فقتلوا دونه حتى مات آخرهم على قدم النبي ﷺ، ثم تقدم آخرون لحماية رسول الله ﷺ، فسل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، كانت قضيته يوم أحد: نجاة رسول الله ﷺ. جعل أبو طلحة يهجم على المشركين حتى يدفعهم ويبعدهم عن رسول الله ﷺ، ثم يحمل رسول الله ﷺ على كتفه إلى الجبل ليسنده، ثم يعود إلى المشركين أخرى حتى صدهم عن رسول الله ﷺ، دماء طلحة تنزف، يده شلت، وكتفه قطعت، وسقط في حفرة مغشياً عليه، وحاله: لا أبالي بعد إذا سلم رسول الله ﷺ.

ومن قبل ينحني (أبو دجانة) على رسول الله ﷺ يتلقى النبل في ظهره حتى كثر وهو ثابت لا يتحرك، ويشرف النبي ﷺ لينظر إلى الناس، فيقف دونه أبو طلحة الأنصاري فيقول: لا تُشرف بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك، وجهي لوجهك الفداء، نفسي لنفسك.

أما سعد بن الربيع رضي الله عنه فبه سبعون طعنة، لم يبق بينه وبين الآخرة إلا لحظات، وقد نسي نفسه، وشغل قلبه بمن هو أحب إليه من نفسه، فتراه يقول وهو في الرمق الأخير: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام، وقل له: إني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم

عين تطرف. ثم فاضت روحه. فهل عملت مثلهم أيها المسلم؟ اللهم ارفع عنا ما بنا.

أما يوم حنين فحدث عن الأنصار، فقد روى أحمد في مسنده بالسند الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الأنصار حزنوا في أنفسهم لما أعطى رسول الله ﷺ بعض المسلمين الذين أسلموا حديثاً يوم فتح مكة من غنائم حنين، ولم يعط الأنصار، ظناً منهم أنه ﷺ فضل أهله من قريش على الأنصار فتركهم بدون عطاء، فأمر النبي ﷺ بجمع الأنصار في حظيرة، ثم قام فيهم خطيباً فقال: «يا معشر الأنصار! ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟». فقالوا: بلى يا رسول الله. فقال ﷺ: «ألا تحبون يا معشر الأنصار؟». قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نخيبك؟ قال: «والله لو شتتم لقتلتم، فصدقتهم وصدقتهم: جئنا طريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، وخائفاً فأمنأك، ومخذولاً فنصرناك». فقالوا: المَنُ الله ولرسوله ﷺ. فقال: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا - أي: بقية يسيرة - منها تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبيعير، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». فبكى القوم حتى أخضلوا - بللوا - لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً، وبرسوله قسماً. ثم انصرفوا، ففازوا برسول الله ﷺ إذ فاز قوم بالمال، وفاز الأنصار فوزاً عظيماً لما صدقوا في محبتهم.

الشاهد الرابع: حب صحابة رسول الله ﷺ وحب آل بيته: فمن أحب رسول الله ﷺ، وكان من قلبه قريباً، فهو لنا حبيب وقريب، والقريب من القريب قريب، وما هو الصديق في طليعة المحبين يقول كما في صحيح البخاري ومسلم: «والله لقربة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي». وقال عمر رضي الله عنه للعباس عم رسول الله ﷺ: «والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب».

وفي خلافة عمر رضي الله عنه يفرض عمر لأسامة بن زيد بن حارثة وهو حب رسول الله ﷺ وابن حبه زيد، يفرض له عطاءً من بيت المال أكثر مما افترض لولده عبد الله بن عمر، وكان عمر قد رتب المسلمين حسب شهودهم المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن عمر لأبيه: لِمَ قَدِّمْتَ أسامة عليّ، والله ما شهد أبوه مشهداً إلا وشهدته، وما شهد أسامة مشهداً إلا شهدته مع رسول الله ﷺ؟ فقال عمر رضي الله عنه: صدقت يا بني، لكن أباه (زيداً) كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك (عمر)، وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك.

فليست منحنة آل بيت رسول الله ﷺ تطوفاً بقبورهم وأضرحتهم المزعومة، أو وضع أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ من أجلهم، والاستغاثة والتوسل بهم، وإنما بحبهم ونجلهم، وندعو لهم، ونتمنى أن يجمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته تحت ظلال عدالة قدسية في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

الشاهد الخامس: الدفاع عنه ﷺ ورد شبهات الكفار: فندافع عنه ﷺ، ونقف في مواجهة كل من يسبه أو يخطئ في حقه، أو يحاول تجريحه والانتقاص منه ﷺ ولنا فيه ﷺ أسوة، فهو الذي كان يقول في أحد: «من يردهم عنا وله الجنة؟». ويقول لحسان بن ثابت كما في الصحيحين: «اهجهم وجبريل معك». ويهدر دم امرأة كانت تسبه ﷺ وتقع فيه، وكذلك ندافع عن سنته ﷺ في مواجهة شبه المبطلين والمفترين على أنها والحمد لله متهافة كالزجاج، تتحطم ولا تستقيم، لكن «ولتستبين سبل المجرمين» (الأنعام: ٥٥).

أما الدفاع عن صحابته ﷺ فهو جزء من الدفاع عنه ﷺ، فليس في الأمة كالصحابة في كل شيء: إيمانهم، علمهم، تقواهم، خلقهم، وعلى رأسهم الشيخان: أبو بكر وعمر.

وكل ذم في الصحابة هو ذم في رسول الله ﷺ؛ لأنهم خاصة رسول الله ﷺ وصحابته، فكأن من يسبهم يقول: رجل سوء وله أصحاب سوء. والمدافع عنهم يقول: عرضهم عرضي، وشتان ما بين ذاب وساب، ها هم العبيديون والذين يعرفون خطأً بالفاطميين، وأصلهم يهود عطلوا الصلوات، وابتدعوا البدع، جاءوا



بأربعة آلاف عالم من علماء الأمة، وخيروهم بين ترك الترضي عن أصحاب رسول الله ﷺ وبين الموت، فاختر العلماء جميعاً الموت على سب صحابة النبي ﷺ.

وكم من أحمق ضال مبتدع يؤمر بالاستغفار لصحابة النبي ﷺ، فيسبهم ويقع فيهم، ويبحث عن أخطائهم، ويدعي المحبة وهو أهل سوء وسبة، لكأن ظله ينجس الشمس إن صورته، كيف يجروا على صحابة بذلوا الأرواح والمهج والأموال والأولاد دون رسول الله ﷺ، ها هو السلطان التركي المسلم محمود بن سبكتكين، وكان محباً لله ولرسوله ﷺ، قائداً فاتحاً غازياً، أرسلت إليه الدولة العبيدية بكبير دعائهم على بغلة فارهة، تتلون كل ساعة بلون، فدعى السلطان إلى ملته الخيثة مستغلاً أنه تركي يجهل الكثير من أصول دينه، وكان العبيديون كارهين للصحابة يلعنونهم ويسبونهم، ولم يصرح مبعوثهم لكنه جمجم ولّح، فأدرك السلطان مغزى الرسالة التي لا تفرق بين أبي جهل وأبي هريرة، فانتفض وانبرى وأطلق قذيفته وقتل العبيدي الخبيث بسيفه، وما أمهله، فقد أنزل الله الحديد وبأسه ليكون في يد الموحدين لخدمة التوحيد، ثم أهدى بغلته لكبير علماء أهل السنة في بلده، ثم عزم عليه أن يركبها، فركبها فقال السلطان: الحمد لله، كان يركبها رأس الملحين، والآن يركبها رأس الموحدين.

الشاهد السادس: الدفاع عن المسلمين في كل مكان وكل زمان: خاصة في هذا الزمان، وهو زمان دم المسلم فيه هدر، وعرضه مباح، وماله فيء، وصراخه من الألم نغم، فحيثما وليت بوجهك رأيت مسلماً مهاناً مستباحاً في العراق، في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وأسرانا في جواتانامو.

الشاهد السابع: التأدب معه ﷺ حياً وميتاً: واسمع كيف كان صحابة رسول الله ﷺ يوقرونه ويجلون: كانت أبوابه ﷺ تقرع بالأظافر لا بالأصابع، وكانوا يكثرون من الصلاة عليه، والأحاديث في فضل الصلاة على النبي ﷺ كثيرة منها الصحيح والضعيف والموضوع المكذوب، لكن أعلاها وأشرفها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». وكانوا لا يذكرونه ﷺ باسمه مجرداً كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣).

وكان التابعون يوقرون النبي ﷺ عند سماع حديثه وسيرته، حتى إن سعيد بن المسيب رحمه الله وهو في مرض وفاته لا يقدر على الجلوس أو القيام، يقول لأولاده: أقعدوني، لا أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع. الكل ساكت خاشع مستشعر قول الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢).

ويوم الحديبية حدث عن عروة بن مسعود الثقفي وهو يصف توقير الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ، فيقول وهو يومئذ على كفره لم يسلم بعد كما روى البخاري في صحيحه: لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكبسى والنجاشي - وهم ملوك الأرض آنذاك - والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده.

ويبلغ التوقير منتهى الجمال والجلال حين يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه كما روى مسلم في صحيحه: «والله ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، والله ما أطق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه اليوم ما أطق».

أدب لو كان ماء لم ينضب، ولو كان سحاباً لهطل كالسيل، ولو كان بحراً لجرى بالزور.

هذا حال أصحابه رضي الله عنهم، وسيأتي قوم من أمته - وهم فينا - يتمنى أحدهم لو رآه ﷺ بمالهم وأهلهم كما روى ذلك مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من أشد الناس حباً لي ناس يكونون من بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله». فاللهم لا تحرمنا رؤياه ﷺ في الدنيا ولا في الآخرة.

هكذا ينبغي أن تكون المحبة لا إفراط فيها ولا تفريط، فلا يؤله ﷺ وهو القائل كما عند البخاري عن عمر رضي الله عنه: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم».

ونظام المحبة في متابعة سنته ﷺ وعدم الخروج عليها أو الانحراف عنها، فإن



المحب لمن أحبَّ مطيعٌ، وإلا فأنت لقيط دعيٍّ ما لك نسب، فالزم سنته ﷺ، فكل الطرق مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر محمد ﷺ.

قلت: وهذا ما ينبغي أن نتعلمه ثم نعلمه لأبنائنا من بعدنا، ولقد أطلت حتى يستفيد الجميع من بعض المعاني التي قد تغيب عنا رغم بساطتها وسهولتها.



من قصص الإيمان بالرسل

أول الرسل^(١)

خلق الله عز وجل آدم عليه السلام، وأمر الملائكة أن تسجد له تحية وتكريماً، وعلمه سبحانه الأسماء كلها، وأسكنه هو وزوجته الجنة، وحذرهما من إبليس، وأباح لهما الأكل من جميع شجر الجنة إلا من شجرة واحدة، ولكن الشيطان وسوس لهما فأكلا منها، وعصيا أمر الله، فعاقبهما الله عز وجل بأن أخرجهما من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض.

وآدم عليه السلام هو أول الأنبياء، روي أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: أي الأنبياء كان أول؟ فقال رسول الله ﷺ: «آدم». قال أبو ذر: أو نبي كان يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «نبي مكلم». قال أبو ذر: فكم المرسلون يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ثلاثمائة وخمسة عشر، جمًّا غفيراً»^(٢). وكان آدم عليه السلام يدعو أبناءه وأحفاده إلى عبادة الله وحده، ويعلمهم شرائع الدين الحنيف.



تبليغ الرسل^(٣)

في يوم القيامة يجيء كل نبي ومعه أمته، فيجيء نوح عليه السلام وأمته، فيسأله الله عز وجل: «هل بلغت؟». فيقول نوح عليه السلام: «أي رب (نعم يا رب)». فيسأل الله أمته: «هل بلغكم؟». فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فيقول الله عز وجل لنوح: «من يشهد لك؟». فيقول نوح: «محمد وأمته». فتأتي أمة محمد ﷺ، فتشهد

(١) دعوة رسل الله واحدة، وهي دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد وإقامة دينه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

(٢) أحمد.

(٣) التبليغ من أهم وظائف الرسل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلِّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧).

أنه قد بلغهم^(١). وقد أكد الله عز وجل على شهادة أمة محمد ﷺ على الأمم السابقة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

فكل رسول قد بلغ أمته بما أمره الله به، وحثهم على عبادة الله الواحد الأحد، وكان نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، فقبل أن يرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، فلم يصدقوه، وحاربوه، وأكثروا من إيذائه، وهو رغم كل ذلك لم يقصر في دعوته، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٥-٩).



معجزات الرسل^(٢)

أرسل الله عز وجل الأنبياء، وجعل لكل نبي معجزة تؤكد للناس أنه رسول من عند الله إليهم، فمن آمن فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بتلك المعجزات فله العذاب الأليم، وقد كانت معجزة صالح عليه السلام ناقة عظيمة خلقها الله على خلاف سنته في خلق الإبل، ثم جعل لها صفات تخالف صفات الإبل، ورغم هذه المعجزة لم يؤمن من قوم ثمود إلا قليل، وكذبوا رسولهم، فحذروهم صالح عليه السلام من التعرض للناقة بسوء، ولكنهم عصوا أمره فقتلوا الناقة، وتجاوزوا حدود الله، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَنتَ بِنَا نَحْنُ آلُكَ إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٧٧).

فلما فعلوا ذلك أرسل الله عليهم الهلاك في الدنيا، ونجى الله صالحًا والذين آمنوا

(١) البخاري.

(٢) المعجزات أمور خارقة للعادة، يؤيد الله عز وجل بها رسله صلوات الله عليهم وتسليماته، وذلك ليتأكد الناس من صدقهم، ويؤمنوا برسالتهم.

معه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِثِينَ (٦٧) كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الثَّمُودِ﴾ (هود: ٦٦ - ٦٨).



توكل الرسل^(١)

كان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام، ويقدمون لها القرابين والعطايا، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله الواحد، فرفضوا دعوته، وكذبوه، فقام إبراهيم بكسر أصنامهم وهم يحتفلون بالعيد، فقررروا أن يعذبوه، وقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨).

وأخذوا يجمعون الحطب مدة من الزمن، حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطباً لحريق إبراهيم، ثم ذهبوا إلى حفرة عظيمة، ووضعوا فيها الحطب، وأشعلوا فيه النار، فكانت ناراً عظيمة علا لها لهب وشرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق بعدما قيدوه، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له: «يا إبراهيم ألك حاجة؟». فقال إبراهيم: «أما إليك فلا». وكان يقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل، لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك». فجاء أمر الله إلى النار، قال تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

ونجى الله خليفه من النار، ورد كيد الكافرين في نحورهم، قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: ٩٨).



(١) الأنبياء أكثر الناس توكلًا على الله واعتمادًا عليه، قال تعالى على لسان هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود: ٥٦).

محاربة الغش^(١)

أرسل الله عز وجل إلى أهل مدين نبيه شعيباً عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن الغش والخداع في البيع والشراء، وظل خطيب الأنبياء شعيب يذكر قومه بنعم الله عليهم، ويذكرهم بعذابه وعقابه لمن سبقهم من الأمم الكافرة الفاسدة، ولكنهم رفضوا دعوته، وحاربوه، وأخذوا يجادلونه بالباطل، ويصدون الناس عن الإيمان به، وقالوا له: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧). ثم أخذوا يهددونه ومن آمن معه ولكن شعيباً لم يهتم بتهديدهم، واستمر في دعوته للناس، وأخذ يتوعد الكافرين والمعاندين، ويقول لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (هود: ٩٣).

فلما رأى الكفار صلابة شعيب عليه السلام، وتمسك من معه من المؤمنين بالحق، أخذوا يؤذونهم ويتعرضون لهم، فأرسل الله عليهم العذاب الشديد في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار.



رعاية الله^(٢)

الله عز وجل يرعى أنبياءه ورسله، ويحافظ عليهم منذ صغرهم، فيحيمهم من الأخطار التي يتعرضون لها، ويقيهم شرور أعدائهم الحاقدين عليهم، وهذه سنة الله في جميع أنبيائه، فنبي الله يوسف كان أبوه يعقوب عليه السلام يحبه حباً شديداً، فلما رأى إخوة يوسف حب أبيهم له حقدوا عليه، واشتد غيظهم وحسداهم، وقالوا: ﴿يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عَدُوٌّ لَهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨).

(١) كل الأنبياء حاربوا الغش والخداع في جميع أمور الحياة، لاسيما في التجارة، وقد نهى رسولنا محمد ﷺ أمته عن الغش، فقال ﷺ: «من غش فليس منا» مسلم.

(٢) كان يوسف عليه السلام من أفضل الناس وأكرمهم، فقد سئل النبي ﷺ أيُّ الناس أكرم؟ فقال ﷺ: «يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» البخاري.

وأخذوا يفكرون في التخلص منه، فقال بعضهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩). فقال أحدهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ١٠).

وكانت رعاية الله ليوسف، فتربى في بيت العزيز، تعلم العلم والحكمة، وصار ذا منزلة رفيعة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).



نصر الله^(١)

ظل يوسف عليه السلام في السجن مدة من الزمن، وتحمل كثيراً من المتاعب، كما فقد يعقوب عليه السلام بصره حزناً وبكاءً على ابنه، وصبر كل منهما على ذلك البلاء انتظاراً لنصر الله وفرجه، فكان لا يند أن يأتي نصر الله وفرجه، فتلك هي سنة الله مع أنبيائه، إنهم يتحملون في سبيل الله الكثير من المتاعب، ويتعرضون لكثير من الأذى ثم يأتي فرج الله ونصره لهم، ولهم خير الجزاء عند ربهم يوم القيامة، فأنعم الله علي يوسف بخروجه من السجن، حيث أرسل إليه الملك ليفسر له رؤيا رآها، فقد رأى الملك سبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان، وسبع سنبلات خضر، وآخر يابسات، ففسر له يوسف الرؤيا بأن البلاد سوف تتعرض لسبع سنين شداد تصاب فيها البلاد بالقحط والجذب، وذلك بعد سبع سنين من الرخاء ورغد العيش، فأخرج الملك يوسف من السجن، وثبتت براءته أمام الناس، وعينه الملك على خزائن البلاد، ثم جاءه إخوته فعرفهم، ثم جمع الله بينه وبين أبيه وإخوته، ورد الله على يعقوب بصره الذي فقدته حزناً على يوسف، وجمعه بأحب أبنائه يوسف عليه السلام.



(١) الله عز وجل يحمي رسله، وينصرهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ لَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠).

صبر الرسل^(١)

كان أيوب عليه السلام مثلاً للصبر العظيم، فقد ابتلاه الله بفقد ماله وهلاك أولاده، ثم ابتلاه بالمرض الشديد المزمّن الذي أقعده عن الحركة، فانصرف عنه الأقارب والأصدقاء، ولم يبق معه غير زوجته، وصبر أيوب على ذلك الابتلاء، ولم ينقطع عن عبادة ربه وشكره، وضربت معه زوجته بصدق وإخلاص، وقامت بخدمته، ولما نجح أيوب في اختبار الله له أمره الله أن يحرك رجله، فنبعت من تحتها عين ماء، فاغتسل منها وشرب، فأعاد الله إليه صحته، ثم رزقه بضعف ما كان عنده من المال والأولاد. قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَّرَى الْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٤).

وقد جعل الله عز وجل قصة أيوب عليه السلام عبرة لأهل البلاء، وعظة للصابرين، وذكرى للعابدين، ليعلموا أن الله يتلى أوليائه وأحب عباده إليه وهم الأنبياء والرسل، وقد مدح الله عز وجل أيوب عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤).



القرية المؤمنة^(٢)

أرسل الله عز وجل يونس بن متى عليه السلام إلى قومه أهل نينوى بالموصل، وكان قومه يعبدون الأصنام، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله الواحد أكثر من ثلاثين سنة، فلم يؤمن معه إلا قليل، فلما يئس منهم حذرهم من عذاب الله وسخطه ثم تركهم وذهب إلى البحر، فوجد قوماً يركبون سفينة، فركب معهم، وفي البحر

(١) أنبياء الله أكثر الناس بلاء وشدة، فقد سئل النبي ﷺ: أيُّ الناس أشد بلاء؟ فقال ﷺ: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل (أي: الأفضل فالأفضل)» الترمذي.

(٢) يجب أن نؤمن بالأنبياء جميعاً، ولا نفاضل ولا نفرق بينهم، قال ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» البخاري.

أصابَت السفينة ريح شديدة كادت تغرقها، فاقترعوا على من يُلقى في البحر لتنجو السفينة من الغرق، فوقعَت القرعة على يونس عليه السلام ثلاث مرات، فألقى بنفسه في البحر، فابتلعه حوت عظيم، وظل يونس حيًّا في بطن الحوت ثلاثة أيام، يذكر الله ويستغفره، ثم قذف الحوت يونس من بطنه إلى الشاطئ، ثم أنبت الله له شجرة يستظل بها ويأكل من ثمرها، حتى استرد عافيته، وشفاه الله، ثم ذهب يونس إلى قومه فوجدهم قد أسلموا جميعًا، وخرجوا إلى الصحراء بنسائهم وأبنائهم ودوابهم، وعلت أصواتهم بالدعاء والبكاء، فرحمهم الله وكشف عنهم العذاب.



حرفة الرسل (١)

كان رسول الله ﷺ جالسًا يومًا مع أصحابه، فقال لهم: «ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم». فسأله الصحابة: وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «نعم، كنت أُرعاها على قراريط لأهل مكة» (٢). فرسل الله وأنبيأوه كانت لهم حرف ومهن وأعمال، وقد روي أن آدم عليه السلام كان حرثًا، وكان نوح عليه السلام نجارًا، وكان إدريس عليه السلام خياطًا، وكان موسى عليه السلام راعيًا (٣).

كما روي أن زكريا عليه السلام كان نجارًا (٤). وقد كان داود عليه السلام يعمل بيده، قال ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (٥). فكان داود عليه السلام يصنع الدروع، وهو أول من نسج حلقاتها من الحديد، فقد ألان الله له الحديد، حتى يطويه بيده، لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة، قال تعالى: ﴿وَأَلَّانَ الْهَدِيدِ (١٠) أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (سبأ: ١٠، ١١)﴾. وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْمِلَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (الأنبياء: ٨٠)﴾.

(١) كان رسول الله ﷺ يعمل بالتجارة في بداية حياته، فقد عمل في تجارة السيدة خديجة، وعُرف بالأمانة والصدق في البيع والشراء.

(٢) البخاري.

(٣) الحاكم.

(٥) البخاري.

(٤) ابن ماجه.



عبادة الرسل^(١)

قال عبد الله بن عمرو بن العاص يوماً: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت. فعلم رسول الله ﷺ بذلك، فاستدعاه وقال له: «أنت الذي تقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت؟». فقال عبد الله: قد قلته. فذكر له النبي ﷺ أن أفضل الصيام، وأفضل الصلاة هما صيام وصلاة نبي الله داود عليه السلام، فقال ﷺ لعبد الله: «فصم يوماً وأفطر يوماً، وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام». فقال عبد الله: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله. فقال ﷺ: «لا أفضل من ذلك»^(٢). وقال له ﷺ: «وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»^(٣).

وكان داود عليه السلام يكثر من قراءة الزبور، وكان صوته حسناً جميلاً، ومن دعائه عليه السلام قوله: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»^(٤).



الرسول المعجزة^(٥)

كان عيسى عليه السلام معجزة في خلقه دون أب، ومعجزة في كلامه صغيراً، إلى جانب تأييد الله له بشفاء المرضى وإحياء الموتى، ونزول المائدة وغير ذلك، حملت أمه به دون أن يمسه بشيء فلما ظهر حملها خرجت إلى مكان بعيد، فولدت، وجعل الله لها رزقاً من رطب وماء لتأكل منه وتشرب، ثم عادت مريم

(١) كان داود عليه السلام من أكثر الأنبياء عبادة الله عز وجل وتقرباً إليه، وقد مدحه رسول الله ﷺ فقال عنه: «كان أعبد الناس» مسلم.

(٢)، (٣) البخاري.

(٤) الترمذي.

(٥) قال رسول الله ﷺ: «ما من بني آدم مولود إلا يمسسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها» البخاري.

بأبنها إلى قومها، فلما رأوها اتهموها بالفاحشة، فلم تتكلم وأشارت إلى الطفل الذي نطق بقدرة الله أمامهم جميعاً.

وأراد ملك الشام الظالم (هيرودس) قتل عيسى وهو طفل صغير، فهربت به مريم إلى مصر، فلما مات (هيرودس) كان عمر عيسى اثنتي عشرة سنة، فرجعت به مريم إلى فلسطين، ونشأ نشأة دينية صالحة، فلما بلغ ثلاثين عاماً جاءه الوحي وبعثه الله رسولاً، وعلمه التوراة وأنزل عليه الإنجيل، فدعا قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد، فأمن به بعض الناس، وكفر به كثير من بني إسرائيل، وتآمروا على قتله، فأنقذه الله منهم، ورفعاه إليه.



الشفيع (١)

في يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في مكان واحد، وتدنو الشمس منهم، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيذهبون إليه ليشفع لهم عند ربهم، فيقول لهم: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيذهبون إلى نوح، فيقول لهم: اذهبوا إلى محمد. فيذهبون إلى محمد ﷺ، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند الله، فينطلق رسول الله ﷺ حتى يقف تحت عرش الرحمن، فيسجد لربه، ويشني على الله عز وجل ثناء ومدحاً جميلاً، فيقول له ربه: «يا محمد! ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع». فيرفع رسول الله ﷺ رأسه، فيقول: «أمتي يا رب، أمتي يا رب». فيقول الله عز وجل: «يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» (٢).



(١) محمد رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الاحزاب: ٤٠).

(٢) متفق عليه.

هداية الرسل^(١)

في رحلة المعراج رأى رسول الله ﷺ من آمن بالأنبياء في الأمم السابقة، فرأى نبياً معه أقل من عشرة من أمته، ونبياً معه خمسة، ونبياً معه رجلان، ونبياً معه مؤمن واحد، ونبياً لم يؤمن به أحد من أمته، وفجأة رأى رسول الله ﷺ عدداً كثيراً من الناس، فظن النبي ﷺ أنهم أمته، فقال لجبريل عليه السلام: «يا جبريل! هؤلاء أمتي؟». فقال جبريل عليه السلام: «لا، هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق - السماء». فنظر رسول الله ﷺ، فإذا بخلق كثير قد سدوا الأفق وامتأ بهم، فقال له جبريل عليه السلام: «هؤلاء أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

وقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بصفات هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون - لا يطلبون الرقية من غيرهم - ولا يتطيرون - لا يتشاءمون - وعلى ربهم يتوكلون»^(٢).



أخوة الرسل^(٣)

تشاجر رجل من اليهود مع رجل من المسلمين، فأقسم اليهودي قائلاً: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجل من الأنصار، فقال له: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا - أي: يعيش بيننا -؟ ثم لطمه على وجهه، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ وقال له: أبا القاسم! إن لي ذمة وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟ فأرسل النبي ﷺ للمسلم الذي ضربه، ثم سأله: «لِمَ لطمت وجهه؟». فذكر

(١) الأنبياء يرشدون الناس إلى الحق، ولكنهم لا يملكون هدايتهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ ولكن الله يهدي من يشاء ﴿البقرة: ٢٧٢﴾.

(٢) متفق عليه.

(٣) قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى (أي: بنو رجل واحد، وأمهاتهم متعددة) ودينهم واحد» البخاري.

الأنصاري ما حدث بينهما، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، لا تخيروني على موسى، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث، فإذا موسى آخذ- ممسك- بالعرش، فلا أدري أكان فيمين صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله-أي: لم يصعق» (١).



وصية الرسل (٢)

أراد النبي ﷺ أن يوصي أصحابه قبل موته بعدة وصايا، فقال لهم وهو على فراش الموت: «اثنوني باللوح والدواة، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن. فاختلف الناس، وتنازعوا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر: حسبنا كتاب الله. فزاد اللغو والاختلاف بينهم، وما ينبغي عند نبي تنازع، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوني، فالذي أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم- أي: أكرموا الوفد-». ونسي الراوي الثالثة إلا أن تكون وصيته ﷺ بتجهيز وبعث جيش أسامة بن زيد.



(١) البخاري.

(٢) وصية الرسل لأبنائهم وأتباعهم واحدة، وهي الوصية بالإسلام والإيمان بالله واتباع أوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢).

تعليم الصغار الإيمان باليوم الآخر وقدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم:

الإيمان باليوم الآخر أصلٌ عظيم من أصول الدين، لأن مَنْ آمَنَ باليوم الآخر كان مُصدِّقاً بقدرة الله تعالى على بعث الناس من قبورهم بعد أن ماتوا ودُفِنُوا.

إننا سنحاول الآن أن نفرق بين رجلين:

الرجل الأول: لا يؤمن بيوم القيامة، ويقول: إن الدنيا هي النهاية ولا بعث ولا حساب.

والرجل الثاني: يؤمن بالحساب، وبيوم القيامة، وبأن الدنيا مجرد مرحلة من مراحل البشر، وبعد الموت سيبعثه الله تعالى ويحاسبه. إن الرجل الأول سيفعل كل ما يحلو له، وكل ما تسول له نفسه، وسيفسد في الأرض لأنه يريد أن يستفيد من كل لحظة في حياته، وطالما أنه لن يُحاسب فلن يخشى شيئاً من الله تعالى، وهنا ينتشر الفساد في الأرض. أما الرجل الثاني فإنه سيخاف من الله تعالى أن يحاسبه على ما قدم من خيرٍ أو شرٍّ، فيعمل جاهداً على أن يكون كل عمله الذي يقدمه في الدنيا عملاً صالحاً، ويجتنب العمل السيئ حتى لا يُحاسب به أمام الله تعالى به.

الدليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس من قبورهم بعد الموت:

أما من القرآن الكريم: فقد قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٧٨ - ٨٣).

وفي هذه الآية وضَّح الله تعالى قدرته على أن يعيد الخلق مرة أخرى وهو سبحانه الذي قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ (١) عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

فما علم الله تعالى هو الذي خلق أول مرة فهو القادر على إعادة الخلق مرة ثانية، ونحن في حياتنا نرى أن صانع الآلة هو القادر على تجميع أجزائها بعد أن تتكسر، فله المثل الأعلى هو سبحانه القادر على إعادة الخلق لأنه هو الذي خلقهم أول مرة. ثم هذا هو الشجر الأخضر الذي يتصف بالرطوبة والبرودة وقد رواه الماء تراه قد تحول إلى كتلة ملتهبة بعد أن يوضع في النار، والذي يفعل ذلك يستطيع أن يأتي بالحياة بعد الموت.

والله تعالى قد وصف نفسه بأنه الذي يُخرج الحي من الميت، ويُخرج الميت من الحي، فنرى النواة الميتة توضع في الأرض فتسقى بالماء حتى تصير شجرة كبيرة ثم من الشجرة الكبيرة تخرج النواة أو البذرة مرة ثانية، وهكذا خرج الحي من الميت، وخرج الميت من الحي.

إن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء، إذا أراد سبحانه شيئاً أمره فقال: كن، فإذا بالشيء يكون كما أراد الله تعالى.

إننا نعيش في كل يوم تجربة الموت والحياة، أو الموت والبعث تارة أخرى، فإننا ننام ونصحو، فالنوم شبيه بالموت، فإذا استيقظ الإنسان من نومه فكأنما عاد إلى الحياة مرة أخرى.

فلا غرابة في أن يعود الإنسان من الموت الحقيقي إلى البعث، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِقَاضِي أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ ثُمَّ يُبْعَثُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦١) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ (الأنعام: ٦٠، ٦١)

ومن أجل الارتباط بين النوم والموت كان الرسول ﷺ يقول إذا أراد النوم: «باسمك اللهم أحيأ وأموت» وكان إذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»

إن الإيمان باليوم الآخر واحد من أهم الأمور التي تضبط الحياة وتسعدها، فإن الإنسان إذا آمن بالبعث والحساب عمل جاهداً على أن يكون عمله عملاً صالحاً بعيداً عن الفساد والمعاصي، وساعتها تسعد الحياة ويسعد الإنسان.

قصص الإيمان باليوم الآخر

علم الساعة^(١)

جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وسأله عن الإيمان وعن الإسلام وعن الإحسان، والرسول ﷺ يجيبه وجبريل عليه السلام يصدقه فيما يقول، والصحابة يعجبون؟ كيف يسأله ويصدقه، وهم لا يعرفونه، ثم قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال النبي ﷺ: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أسرارها -علاماتها-؛ إذا ولدت المرأة ربتها- سيدتها- فذاك من أسرارها، وإذا كان الحفاة العزاة رءوس الناس فذاك من أسرارها، خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

ثم انصرف جبريل عليه السلام، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «ردُّوه عليَّ». فقاموا ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال النبي ﷺ لهم: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»^(٢).



متى الساعة^(٣)

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وسأله: متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما أعددت لها؟». قال: حب الله ورسوله. فقال الرسول ﷺ: «أنت مع من أحببت». فقال الأعرابي: فانا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم. فالأعرابي آمن أن عبادته قليلة في جنب ما لله عليه من حق، وإن كانت كثيرة في ذاتها إذا قورنت بعبادة غيره، وهذا من قبيل الاعتراف بعجزه عن عبادة ربه

(١) لا أحد غير الله يعلم متى تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الاحزاب: ٦٣).

(٢) البخاري.

(٣) قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (الاعراف: ١٨٧).

حق عبادته، وشكره حق شكوه، لذلك أخبر الأعرابي النبي ﷺ أنه ما أعد لليوم الآخر كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة، ولكنه يحب الله ورسوله، ففرح المسلمون فرحاً شديداً بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» (١).



العلامات العشر (٢)

خرج النبي ﷺ على عدته من الصحابة وهم يتحدثون ويتذكرون يوم القيامة، فقال لهم النبي ﷺ: «ما تذكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. فقال ﷺ: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» وذكر النبي ﷺ الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسوفاً بالمشوف، وخسوفاً بالمغرب، وخسوفاً بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم (٣).



الأمانة والساعة (٤)

كان النبي ﷺ في مجلس يحدث أصحابه، فجاءه أعرابي وسأله: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال. حتى إذا قضى النبي ﷺ حديثه، فقال: «أين السائل عن الساعة؟» قال الأعرابي: ها أنا ذا يا رسول الله. قال النبي ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة» قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (٥).

(١) البخاري ومسلم.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر الذي وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله البخاري.

(٥) البخاري.



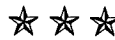
أول من يفيق^(١)

في عهد النبي ﷺ وفي سوق المدينة قال رجل يهودي: والذي اصطفى موسى على البشر. فغضب أحد الأنصار، ولطم اليهودي على وجهه وقال له: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ فلما علم النبي ﷺ بما حدث غضب، وقال: «قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨)، فأكون أول من يرفع رأسه فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان فيمن استثنى الله»^(٢)



اقترب الشمس^(٣)

كان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه، فقال لهم: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل». قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟ قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه -»^(٤)



(١) قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(الجنات: ٢٦)

(٢) لترمذي.

(٣) أحدث ﷺ عن عذاب الناس يوم الحشر، فقال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته مسلم.

(٤) مسلم.

خلود بلا موت^(١)

بينما كان النبي ﷺ يخطب في أصحابه قال: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح - أبيض - فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون يرفعون رؤوسهم إلى المنادي - وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ويقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذَرُهم يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهم فِي غَفْلَةٍ وَهم لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩). وأشار بيده إلى الدنيا^(٢).



دموع وبكاء^(٣)

كان النبي ﷺ عند زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها، فنفس وأخذ النوم، فذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها يوم الآخرة، فبكت حتى سال دمعها، فنقط على خد رسول الله ﷺ، فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة؟». قالت: ذكرت الآخرة، هل تذكرون أهلكم يوم القيامة؟ قال: «والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه: إذا وضعت الموازين، ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيضينه يأخذ كتابه أم بشماله، وعند الصراط»^(٤).



(١) قال ﷺ: «يُدْخِلُ الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل فيما هو فيه» مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) قرأت السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، ثم قالت: يا رسول الله أين يكون الناس؟ قال: «على الصراط» مسلم والترمذي.

(٤) أبو داود.

الصراط^(١)

أخبر النبي ﷺ أصحابه بصفة الصراط، وكيف يمر عليه الناس يوم القيامة، قال: «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكراليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً، وعلى جانبيه ملائكة يقولون: اللهم سلم.. اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبوا حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً ثم يؤذن في الشفاعة»^(٢)



مسكن أهل الجنة^(٣)

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً»^(٤)
وقال: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»^(٥)

وسأل الصحابة النبي ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ (التوبة: ٧٢) فقال: «قصر في الجنة من لؤلؤة فيها سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من طعام، في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة، يعطى المؤمن بقوة ما تأتي على ذلك كله في غداة واحدة»^(٦)

(١) قال ﷺ: «الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل عليه السلام يأخذ بحجزتي وإنني لأقول: يا رب سلم سلم» البيهقي.

(٢) متفق عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» مسلم.

(٤) الطبراني.

(٥) متفق عليه.

(٦) مسلم.

شهادة الأعضاء^(١)

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرؤن مم أضحك؟». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول العبد: يا رب ألم تجرنني من الظلم؟ يقول الله: بلى. فيقول العبد: إني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني. فيقول الله تعالى: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً». قال ﷺ: «فيختم على فيه - فمه - فيقال لأركانه: انطقي. فتنتطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل»^(٢)

وفي رواية أخرى: «ثم يقال له: الآن نبعث شاهداً عليك. ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي. فتنتطق بفخذه ولحمه وعظامه، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط عليه»^(٣)



الجنة^(٤)

كان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه، ويصف لهم الجنة والنعيم الذي يلاقه أهلها ويخبرهم بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والجنة جزاء الصالحين المؤمنين يوم القيامة، قال ﷺ لأصحابه: «إن أهل الجنة ليرثون - ليرثون - أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر - الذهاب في السماء - في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٥)

(١) قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥).

(٢) (٣) مسلم.

(٤) الإيمان باليوم الآخر يتطلب منا أن نؤمن بوجود الجنة وما أعدّه الله فيها من نعيم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

(٥) متفق عليه.



وأخبرنا النبي ﷺ أنه : «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب - يرفعه الله عنه - فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»^(١)



تعليم الصغار الإيمان بالقضاء والقدر

ونحن نؤمن بأن الله تعالى قَدَّرَ الأقدار، وهو سبحانه الحكيم أي: الذي في كل أفعاله وأقواله حكمة، فخلق بعض الناس أغنياء، وخلق آخرين فقراء، وجعل هؤلاء مرضى، ورزق آخرين الصحة، وجعل من الناس أصحاب بشرة بيضاء، وآخرين أصحاب بشرة سمراء، وأعطى هذا الولد، وأعطى ذلك البنت، أو منع آخرين من الأطفال.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩). فنحن نؤمن أن الله تعالى خلق كل هذا وقدره حسب إرادته، لأنه سبحانه علم أن بعض الناس لا يصلح لهم إلا الغنى، وبعضهم لا يصلح له إلا الفقر، وبعضهم لو كان سليماً صحيحاً من كل مرضٍ لطنى في الأرض وأفسد فيها، وبعضهم لو رزقه الله المال والغنى لاستخدمه في غير ما ينفع ولا يرتكب به المعاصي.

وقد علمنا الله تعالى أن ندعوه في كل بلاء ينزل بنا فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠). لأن الدعاء يرد البلاء إن كان صالحاً من قلب سليم، فنحن نؤمن بقضاء الله، ونعمل بجد واجتهاد، ونسأله سبحانه العون والمساعدة على الخير.

فمثلاً: يذاكر الإنسان لكي ينجح، ومع المذاكرة يدعو الله تعالى بالتوفيق، ثم يتوكل على الله تعالى.

بعض أسئلة الصغار المتعلقة بالقدر:

على المربي أن يتحرى الابتعاد عن التعقيدات التي قد تحار عقول الصغار فيها، وأن يوجز لهم عقيدة القضاء والقدر كما أوجزناها له، وقد تدور بعض الأسئلة في هذه السن الحرجة، وتتعلق هذه الأسئلة بمسألة (الجبر والاختيار)، والسؤال تأتي صيغه قريبة من هذه الصيغة: إذا كان الله تعالى قد كتب أن فلاناً ضالاً، وفلاناً مهدياً، فلماذا يعذبنا؟ وماذا ارتكب الشخص ليكون أعمى أو أعرج أو غير ذلك؟



يقول الدكتور عدنان باصالح^(١): «ولعل أكثر الأسئلة في هذا الجانب تكون حول مسألة (الجبر) طالما أن الرب سبحانه وتعالى قد كتب في الأزل أن شخصاً ما يخطئ ويضل - وهذا لابد واقع - فإنه لا ذنب لهذا الشخص فقد كتب عليه الضلال والضياع، فلماذا يعاقب على ذنب قد أجبر عليه؟ ورد هذه الشبهة عن ذهن الولد تحصل بطريقة عملية، كأن يضع الأب بين يدي الولد كأساً زجاجياً، ويقول له: هل تستطيع أن تلقي بهذا الكأس على الأرض فتكسره؟ فيجيب الولد بنعم، فيقول له الأب: وما الذي يمنعك من ذلك؟ فيرد عليه بأن هذا خطأ لا ينبغي فعله، فيعلق الأب على هذا الموقف: إن الله علم في الأزل البعيد أنك لن تكسر هذا الكأس، وعلم أيضاً أن الولد الشقي سوف يكسر الكأس، فكتب سبحانه وتعالى كل هذا عنده، فهل منعك أحد يا بني عن إلقاء الكأس على الأرض، وهل أجبر أحد ذلك الولد الشقي على أن يكسر الكأس؟ وقطعاً سوف يكون جواب الولد (بلا)، فيعقب الأب بقوله: وكذلك يا ولدي الهداية والضلال، والخير والشر، كل إنسان يختار لنفسه أحد الطريقتين، والله سبحانه وتعالى يعلم بالتفصيل كل شخص ماذا يختار، وأي طريق يسلك، فييسر لكل طريقه وما خلق له».

وهذه بعض القصص لمعالجة قضية القضاء والقدر في نفوس الصغار:



قصص الإيمان بالقضاء والقدر

سؤال النفس^(٢)

دارت في نفس «ابن الديلمي» بعض التساؤلات عن القدر، فذهب إلى أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال له: قد وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني لعل الله أن يذهب من قلبي. فقال أبي: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت

(١) مسئولية الأب المسلم (ص ١٣٩).

(٢) يصل المؤمن إلى حقيقة الإيمان حينما يؤمن بالقدر، قال ﷺ: «لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه» أحمد.

مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار.

وسمع ابن الديلمى هذا الكلام، فوجد فيه إجابة عن تساؤلاته، لكنه أحب أن يطمئن أكثر وأكثر، فذهب إلى عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهم فحدثوه عن النبي ﷺ بمثل ذلك (١).



عدل الله (٢)

في يوم من الأيام ذهب عمرو بن العاص إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقال له: وددت أنني وجدت من أخاصم إليه ربي - أحاكمه - . فقال أبو موسى: أنا - أي: أجيبك عما تريد السؤال عنه - فقال عمرو: أيقدر الله علي شيئاً يعذبني به؟ فقال أبو موسى: نعم. قال عمرو: ولم؟ قال أبو موسى: لأنه سبحانه لا يظلمك. فقال عمرو: صدقت.



حقيقة الفرار (٣)

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة متجهًا إلى الشام، وفي الطريق قابله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأصحابه فأخبروه أن وباء الطاعون قد وقع بأرض الشام، فاستشار عمر رضي الله عنه من معه في الأمر، ثم عزم على الرجوع، ونادى في الناس بذلك، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ قال عمر: لو قالها

(١) أبو داود.

(٢) القدر: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والقواعد والأسباب التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها.

(٣) الإيمان بالقضاء والقدر له آثار طيبة، منها: الشجاعة والجرأة والإقدام، والصبر، والتسليم، والرضا، والتوكل.



غيرك يا أبا عبيدة- أي: لأدبته وقيل: تعجبت منه- نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطت وأدياً له عدوتان- جانبان- إحداهما مخصصة والأخرى مجدبة، أليس إن رعيت الخصة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟^(١)



حقيقة الأسباب^(٢)

ذهب الصحابي الجليل «أبو خزيمة» رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت رقي نسترقها، ودواء ينتلوي به، وثقاة نقيها- أي: أن المسلم يسترق بالرقى الشرعية، ويتداوى بما أحله الله، ويتقي المصائب بما شرع الله-، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال ﷺ: «هي من قدر الله»^(٣) (ذلك من الأسباب التي أمر الله عباده أن يأخذوا بها).



الكلمات النافعة^(٤)

ذات يوم ركب عبد الله بن عباس رضي الله عنه خلف النبي ﷺ على دابته، وكان عبد الله غلاماً صغيراً، فقال له النبي ﷺ: «يا غلام! إني أعلمك كلمات». فانتبه عبد الله وأصغى إلى ما يقوله النبي ﷺ، فقال: «احفظ الله- التزم أوامره واجتنب ما نهى عنه- يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك- تجده معك يحفظك ويعينك-، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف- أي: أن

(١) مسلم.

(٢) القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، وإنما يوجب الجهد والاجتهاد، والحرص على العمل الصالح.

(٣) الترمذي وابن ماجه.

(٤) إذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» أبو داود.

المقادير قد تم الانتهاء من كتابتها منذ زمن بعيد-»^(١).



اختبار الله^(٢)

في يوم من الأيام تنكَّر الشيطان في صورة إنسان، وذهب إلى نبي الله عيسى عليه السلام ليوسوس له، فقال له: أأست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال عيسى عليه الصلاة والسلام: بلى. فقال إبليس لعنه الله: إذا كان الأمر كذلك، فاقفز من فوق هذا الجبل، فإنه إن قدر الله لك السلامة فسوف تسلم. فأدرك عيسى عليه السلام أن الذي يكلمه هو الشيطان، فقال له: يا ملعون! إن الله عز وجل يختبر عباده كيف يشاء، وليس للعبد أن يختبر مولاه عز وجل^(٣).



الجميل الأجرب^(٤)

حكى الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «لا عدوى - أي: لا يعتقد أحد في أن المرض ينتقل إليه بالعدوى من مريض آخر-». وكان من بين الحاضرين رجل أعرابي، فقام ليذكر دليلاً يثبت به أن المرض يمكن أن ينتقل بالعدوى، فقال: أرأيت الإبل في الرمال أمثال الطباء، فيأتيها البعير الأجرب فتجرب. فقال له ﷺ: «فمن أعدى الأول؟»^(٥). بهذا يؤكد النبي ﷺ أن النفع والضرر من الله عز وجل وحده، فإذا انتقل المرض من جسد لآخر، فإنما يكون بإذن الله وقدرته، وليس لأن المرض انتقل من تلقاء نفسه.

(١) الترمذي.

(٢) كان النبي ﷺ يذكر ربه بعد الصلاة بقوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجند منك الجد» البخاري.

(٣) ابن كثير - قصص الأنبياء.

(٤) قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة» مسلم.

والطيرة: هي التشاؤم.

(٥) البخاري.

غضب النبي ﷺ (١)

في يوم من الأيام جلس بعض الصحابة يتناقشون، ويتنازعون في موضوع القدر، فحضر رسول الله ﷺ. وهم كذلك، فغضب غضباً شديداً حتى احمر وجهه وقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه» (٢)



السلام المردود (٣)

في يوم من الأيام أتى رجل إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلغيه السلام من أحد الناس، فقال له: إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال عبد الله: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان أحدث فلا تقرئه مني السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في هذه الأمة - أو في أمتي - خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر» (٤).



كل شيء بقدر (٥)

حكى عبد الواحد بن سليم - وهو أحد التابعين - فقال: قدمت مكة فلقيت عطاء ابن أبي رباح، قلت له: يا أبا محمد! إن أهل البصرة يقولون في القدر. قال: يا

(١) القدر يرد بالدعاء، قال ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» الترمذي، لذلك يستحب للمسلم أن يكثر من الدعاء والتضرع لله.

(٢) الترمذي.

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله بقسطه (بعده) وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

(٤) الترمذي.

(٥) قال الله تعالى في الكافرين المكذبين بالقدر: «يَوْمَ يَصْحَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِنْ سُقَرٍ إِنَّ

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (القمر: ٤٨، ٤٩).

بني! أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قلته: فاقراً للزخرف. فقرأت: ﴿حَمَّ ۝۱﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝۲ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝۳ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝۴﴾ (الزخرف: ١-٤). فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السموات وقبل أن يخلق الأرض، فيه أن فرعون من أهل النار، وفيه ثبت يدا أبي لهب وتب.



كلمة الرضا^(١)

يحكى أن رجلاً من الأجانب كان يدرس علم الاجتماع، ويطبقه على المجتمع الشرقي خاصة، فقرر الذهاب إلى إحدى القبائل المسلمة، لدراسة سلوك وأنماط حياتهم، ولكنه لاحظ شيئاً مهماً، فإذا أصيب أحدهم بأذى قال كلمة فاستراح بعدها وهذا، وكان هذا المشهد يتكرر أمامه باستمرار، وفي كل مرة يقول المصاب نفس الكلمة، سألهم: ماذا تقولون في وقت المصائب؟ فقالوا: إنا قوم مؤمنون، رضينا بالله رباً، ورضيناه بما قدره علينا، ولذلك نقول: قدر الله وما شاء فعل. فاندعش الرجل لهذه الكلمة السحرية التي يخضع لها الجميع، ولما تدبرها علم أنها تحقق للإنسان الرضا الكامل، وأحس أنه عثر على شيء كان مفقوداً منه، فأعلن إسلامه على الفور.



المكان المعلوم^(٢)

في يوم من الأيام كان ملك الموت عند نبي الله سليمان عليه السلام وهو في الشام فشاهد معه رجلاً، فتعجب ملك الموت تعجباً شديداً، لأن الله عز وجل قدر على

(١) قال ابن عون: «إن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاء عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء.

(٢) الإيمان بالقدر لا يمنع أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

هذا الرجل الموت بعد قليل، وقد طلب الله عز وجل منه أن يقبض روحه في الهند، ولكن الملك امتثل لأمر الله عز وجل وذهب إلى الهند، وفي هذا لوقت كان الرجل قد أصابه الرعب والفرع من شكل ملك الموت، فطلب من نبي الله سليمان عليه السلام أن يحمله إلى مكان بعيد، فأمر الرياح فحملته إلى الهند، وهناك في المكان المحدد والموعد المحدد وجد ملك الموت في انتظاره، فقبض روحه حيث قدر الله عز وجل.



الصبر الجميل^(١)

عندما انتهى المسلمون من القتال في غزوة أحد، عادوا إلى المدينة، وكانت بهم جراح كثيرة، كما استشهد كثير من المسلمين في هذه المعركة، وفي طريق عودتهم قابل النبي ﷺ السيدة حمزة بنت جحش رضي الله عنها فقال لها: «احتسبي». فقالت: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «خالك حمزة». قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئًا له الشهادة. ثم قال لها: «احتسبي». فقالت: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «زوجك مضعب بن عمير». فقالت: واحزنانه، وصاحت وولولت، فسألها ﷺ: «لِمَ فعلت ذلك؟». قالت: تذكرت يتم بنيه فراعني-أفرعني-. فدعا لها رسول الله ﷺ.



ثمرة الفؤاد^(٢)

إذا مات ولد الإنسان، وقبضت الملائكة روحه، سأل الله عز وجل ملائكته- وهو أعلم بالجواب-: «قبضتم ولد عبدي؟». فيقولون: نعم. فيقول: «قبضتم ثمرة فؤاده؟». فيقولون: نعم. فيقول: «وماذا قال عبدي؟». فيقولون: حمدك واسترجع-

(١) حث النبي ﷺ على الرضا بالقدر، فقال: «... وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» مسلم.

(٢) للصابرين على قضاء الله أجر كبير. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

أي: قال: الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون-. فيقول الله تعالى: «ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد»^(١). وهكذا استحق الإنسان أن يفوز ببيت في الجنة، لأنه صبر عند الابتلاء، ورضي بقضاء الله.



الحجة الساطعة^(٢)

ذات يوم اجتمع المشركون لمناقشة قضيتي الإيمان والشرك، فقال أحدهم: إن الله هو الذي قدر علينا الشرك. فقال آخر: وكيف ذلك؟ قال: لأن الله لو لم يشأ أن نكون مشركين لما كنا كذلك. وكان الله عز وجل قد أنزل آية تنبئ بما سيكون من هؤلاء المشركين، وتبطل حجته في نفس الوقت، قال تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ (الأنعام: ١٤٨، ١٤٩)



القول المفزع^(٣)

ذات يوم تحدث «عمران بن حصين» رضي الله عنه مع «أبي الأسود الدؤلي» رحمه الله، فقال عمران: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال أبو الأسود: بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم. قال عمران: أفلا يكون ظلماً؟ ففزع أبو الأسود من قوله فزعاً شديداً وقال: كل شيء خلق الله ومملك يده، فلا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون. فقال عمران: يرحمك الله، إنني لم

(١) الترمذي وأحمد.

(٢) سخر الله من المشركين، فقال تعالى: «وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿١٤٩﴾ (الزخرف: ٢٠، ٢١).

(٣) خلق الله عز وجل الإنسان وزوده بقوى وملكات، يمكنه أن يوجهها إلى الخير، كما يمكن أن يوجهها إلى الشر، وهو محاسب على توجيهه إياها في الخير أو الشر.

أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك - أختبرك وأمتحنك - إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ، فسألاه هذا السؤال، فأجابهم رسول الله ﷺ بقوله: «لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧، ٨)»^(١).



أعمال الناس^(٢)

جلس سراقه بن مالك رضي الله عنه يتفكر في أعمال الناس؛ أهي قديمة مما كتبه الله عز وجل عليهم سابقاً، أم أنها جديدة مما يعملونه في الحاضر والمستقبل؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله! بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم: أفيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيم نستقبل؟ فقال ﷺ: «لا، بل فيم جفت به الأقلام، وجرت به المقادير». قال سراقه: ففيم العمل؟ فقال ﷺ: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، وكل عامل لعمله»^(٣).



مقاعد الجنة والنار^(٤)

خرج الصحابة رضوان الله عليهم في جنازة في بقيع الغرقد، فأتاهم النبي ﷺ ففقد وقعدوا حوله، وكان معه عصا، فجعل ينكت - يخط - بها في الأرض، وكأنه يفكر في شيء، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة،

(١) رواه مسلم.

(٢) كل الأشياء مقدرة قبل وجود الخلق، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

(٣) مسلم.

(٤) الله عز وجل عالم بما سيعمل الناس في الدنيا، وما يصيرون إليه في الآخرة من ثواب أو عقاب.

ومن كان من أهل الشقاء فيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة». ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ (الليل: ٥ - ١٠) (١)



الصحة الطويلة (٢)

يحكي أنه كان هناك رجل خبيث ساحر، يشعوذ على الناس، يزعم أنه يعلم الغيب، ويغير القدر، فتنبه له رجل كان يتحضر مجالس الذكر، ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالقرآن والحديث، فذهب إليه ليبين للناس كذبه، فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة، ما ترى فيها، هل هي سعد لي أو نحس علي؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية، ثم قال له: دعها، فإنك إن أخذتها لا تبلي معها ثوباً - أي: يموت سريعاً، ولا تطول معها صحبة - وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته، وقد طالت صحبته معها، وله منها خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا، فقال له: هؤلاء أولادي منها. فبين الرجل للناس أنه لا يستطيع أحد أن يرد شيئاً مما قدره الله، ولا يعلم الغيب إلا الله (٣).

وبعد: فلقد كانت هذه كلمات أرجو الله أن تكون نافعات في مسألة العقيدة التي يجب أن نبدأ تعليمها للصغار، فإن أول أصوات الهزيمة الإيمانية على الإطلاق وأول نذر الكوارث هو تنحية العقيدة عن مناهج التربية حتى صار الصغار والكبار جسداً خواء لا روح فيه، أجوف بلا قلب، وهكذا رأينا الإيمان قبل القرآن حتى يتهاى الصغير لحفظ القرآن فيكون عليه سهلاً يسيراً، يشعر بما فيه من معان سامية راقية فيؤمن بحكمه ومتشابهه، شاعراً بعظمته وبنعمة ربه تبارك وتعالى عليه في إنزال القرآن.

(١) متفق عليه.

(٢) المسلم لا يحزن على ما فات، ويشكر الله على ما أوتي قال تعالى: ﴿لَيْسَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٣).

(٣) معارج القبول.

تعليم الصغار القرآن الكريم

ماذا كان سيحدث لو لم ينزل هذا القرآن؟

كثيراً ما يلح هذا السؤال عليّ، فلا أجد الإجابة إلا مختلطة بشكر الله تعالى على هذه النعمة التي لا تضاهيها نعمة أخرى في هذا الكون الفسيح الرحيب، ولقد امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة فقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (الرحمن: ١-٣). فقدّم سبحانه نعمة تعليم القرآن على منة خلق الإنسان وإيجاده من العدم، وعلم: أي: سهّل ويسرّ، فلم تقتصر النعمة على إنزال القرآن وبلاغه فحسب، وإنما في تعليمه.

يقول الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: «الرحمن أيها الناس برحمته إياكم، علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بصّرکم ما فيه رضا ربكم، وعرفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجو به من اليم عقابه»^(١).

يقول الأستاذ/ سيد قطب: «القرآن.. هذه النعمة الكبرى التي تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان... القرآن.. الترجمة الصادقة الكاملة لنواميس هذا الوجود، ومنهج السماء للأرض الذي يصل أهلها بناموس الوجود، ويقيم عقيدتهم وتصوراتهم وموازينهم وقيمهم ونظمهم وأحوالهم على الأساس الثابت الذي يقوم عليه الوجود، فيمنحهم اليسر والطمأنينة والتفاهم والتجاوب مع الناموس».

القرآن الذي يفتح حواسهم ومشاعرهم على هذا الكون الجميل، كأنما يطالعهم أول مرة، فيجدد إحساسهم بوجودهم الذاتي، كما يجدد إحساسهم بالكون من حولهم، ويزيد فيمنح كل شيء من حولهم حياة نابضة تتجاوب وتتعاطف مع البشر، فإذا هم بين أصدقاء ورفاق أحياء حيثما ساروا أو أقاموا طوال رحلتهم على هذا الكوكب.

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ١٢٠).

القرآن الذي يقر في أخلادهم أنهم خلفاء في الأرض، أنهم كرام على الله، وأنهم حملة الأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، فيشعرهم بقيمتهم التي يستمدونها من تحقيق إنسانيتهم العليا بوسيلتها الوحيدة.. الإيمان.. الذي يُحيي في أرواحهم نفخة الله، ويحقق نعمته الكبرى على الإنسان، ومن ثم قدّم تعليم القرآن على خلق الإنسان، فبه يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان»^(١).

لقد اتضح أن القرآن نعمة كبرى، فلولاها لضاعت أمة الإسلام سُدى، وصارت مجرد أقاصيص تحكى، وروايات تُقص على المسامع، شأنها في ذلك شأن كثير من الأمم التي لم يكن لها كتاب رباني جامع يتحركون من خلاله، ويشهد التاريخ أن أمتي الهند الحمر والزنوج قد ضاعتا وذابتا، لكن بقيت هذه الأمة يحميها القرآن بسياج الإيمان حتى تعافت من مصائب كثيرة.

إن القرآن هو كلام الله، وكتاب الله الذي يصل الأرض بالسماء، تتضح فيه معالم العقيدة التي يجب أن نسير عليها، كتاب لا يعتريه النقصان محفوظ بحفظ الله تعالى، يحيي به موت الأفئدة المتحجرة، وهو العاصم من الزلل، المجمع من بعد الفُرقة، شرفت به الأيام والليالي، فعظم به رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٥). وصارت به ليلة القدر مباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣). ليعلم الجميع أن القرآن سر وجود هذه الأمة، وعنصر بقائها، ولولا القرآن لحدثت فضائب لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

ومن هنا كان تربية الصغار على حفظ القرآن منذ الصغر أحد شعائر الإسلام التي درج المسلمون عليها منذ بدء الإسلام، ولذا قالوا: «وتعليم الولدان القرآن الكريم شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الإسلام ودرجوا عليه من جميع أمصارهم لأن آياته ترسخ الإيمان وعقائده، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبنى عليه»^(٢).

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٤٥، ٣٤٤٦) للأستاذ/ سيد قطب رحمه الله..

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٢٥) ط - دار الفجر للتراث.

وتنقل كتب السنة أن هذا- يعني تحفيظ القرآن- كان دأب النبي ﷺ وصحابته، وقد رأينا هذا في قول جندب رضي الله عنه حيث قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حذاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم»^(٢).

وحفظ الطفل للقرآن في الصغر أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده كما يقال: «التعلم في الصغر كالنقش في الحجر».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضممني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب»^(٣). وكان ابن عباس إذ ذاك غلاماً مميزاً، وفيه الحضر والتدغيب في تعليم الغلمان كتاب الله عز وجل وفيه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة^(٤).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(٥).

ولقد قدّم القرآن الصغار حتى صاروا أئمة، فعن عمرو بن سلمة أن النبي ﷺ قال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا...، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنًا». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني؛ لما كنت أتلقي من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلبصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا- يعني

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل القرآن باب تعليم الصبيان القرآن (٧٠١/٨) (٥٠٣٥)، وأحمد برقم (٢٢٨٣) شاكر.

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب» (٢٠٤/١) (٧٥)، وابن ماجه في المقدمة (٥٨/١) (١٦٦) بلفظ: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب»، وأحمد (٣٥٩/١).

(٤) قاله الحافظ في الفتح (٢٠٤/١) بتصرف.

(٥) أخرجه مسلم في المساجد (٤١٣/١) (٥٩٠/١٣٤)، وأبو داود في الصلاة (١٩٠/٢) (١٥٤٢).

ثوبًا-، فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص^(١).

وفي هذا الحديث نرى كيف أمهم الصغير فقدمه القرآن رغم صغر سنه، وقدم الأشعث بن قيس غلامًا، فعابوا عليه، فقال: ما قدمته ولكن قدمه القرآن^(٢).

فهذه كلها أسباب لتعليم الصغار القرآن الكريم، لكن كيف نعلم الصغار القرآن الكريم؟ وكيف نحفزه على ذلك؟ وما هي آداب تلاوة القرآن، والأسباب المعينة على حفظه؟

هذه دراسة بسيطة مستلة من كتاب «من وصايا الرسول ﷺ للأطفال» من تأليفي:



كيف تحفظ القرآن الكريم؟

قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً^(٣) لأصحابه»^(٤)
وقال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٥).

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي نزل على رسوله ﷺ، ويقرؤه المسلمون في صلاتهم، ويرونه مكتوباً في المصحف، وهو الكتاب الصادق الذي ينطق بالحق، وحفظه القرآن هم أحباب الله تعالى، يدخلهم الجنة، ويقربهم منه، وهم الفائزون.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾
(الحشر: ٢١). فلو نزل القرآن على الجبل وهو الحجر الكبير بل هو الحجارة الكبيرة لأصبح خاشعاً من جمال كلام الله تعالى، وشدته عليه، فلا بد للمؤمن حين يقرأ القرآن أن يخشع قلبه، وأن يبكي من خشية الله تعالى، فلن يكون الجبل أرق من قلب الإنسان.

(١) صحيح: البخاري (٤٣٠٢) في المغازي.

(٢) الفتح (٧٢/٨) وعزاه لابن أبي داود وصححه.

(٣) شفيعاً: مانعاً من دخول النار.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

القرآن يؤثر في قلوب الكافرين:

لقد ذهب أحد المشركين وهو عتبة بن ربيعة فقال: يا محمد اقرأ عليّ القرآن. فقرأ رسول الله ﷺ القرآن وهو من قول الله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ١-٣).

وطلب الكافر من رسول الله ﷺ أن يعيد عليه الآيات مرة أخرى، فقد أعجبه الآيات، ودُهِش من روعتها وجمالها، وانتبه قلبه إليها، فلم يستطع أن يقاومها، فقال الكافر عن القرآن: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة^(١)، وإن أسفله لمورق^(٢)، وإن أعلاه لمثمر^(٣)، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وما هذا بقول البشر.

وكان الكفار يستمعون إلى القرآن، فيسدوا آذانهم حتى لا يستمعوا إلى القرآن، ولكن في الليل كانوا يذهبون سرّاً لسماع الآيات التي يقرؤها النبي ﷺ، فإذا قابل بعضهم بعضاً قالوا: لن نعود للاستماع إلى القرآن مرة أخرى، فإذا كان اليوم التالي رأى بعضهم بعضاً وهم يذهبون سرّاً لسماع آيات الله عز وجل، وكثيراً ما آمن بعض الناس من سماع الآيات حتى ولو لم يفهموها، لأنه كلام الله، وهل هناك أحلى من كلام الله عز وجل؟!

لماذا الخشوع في قراءة القرآن؟!

والخشوع في قراءة القرآن أمرٌ هام، فلو أننا افترضنا أن صديقاً أرسل إليك رسالة، وأنت تحب صديقك هذا، إنك ستقرأ الرسالة أكثر من مرة، وستقرأها بعناية شديدة، فكيف إذا كان الذي بعث إليك الرسالة هو الله عز وجل؟! لابد أن تخشع قلوبنا لآيات الله تعالى، ولا تقرأ القرآن كما تقرأ الجرائد أو المجلات.

وقد كان رجل من الصالحين يقول: «من أراد أن يكلم الله عز وجل فليصل، ومن أراد أن يسمع الله تعالى فليقرأ القرآن». وكان رجل آخر من الصالحين إذا قرأ القرآن يَصْفَرُ وجهه ويخاف، ف قيل له: لماذا يحدث لك هذا؟ قال: إنني أقرأ كلام الله عز

(١) طلاوة: حسن وجمال.

(٢) مورق: كثير الورق كالشجرة الطيبة.

(٣) مثمر: كثير الثمر.

وجل، فكيف لا أخاف منه سبحانه ولا أخشع، وقد خشعت الجبال التي ليس لها قلب مثلي؟!

وصايا النبي ﷺ بالقرآن:

وقد وصانا النبي ﷺ بقراءة القرآن الكريم، وعرفنا جزاء قارئ القرآن، ومن هذه الأحاديث التي يوصينا فيها النبي ﷺ بالقرآن:

١- قال ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

فإن النبي ﷺ يعلمنا أن كل حرف من القرآن بحسنة، والحسنة عند الله تعالى بعشرة حسنات، فإذا قرأنا كلمة (الم) ليست حرفاً واحداً، ولكن (ا) = حسنة و(ل) = حسنة و(م) = حسنة، ويصبح المجموع = ٣ حسنات، والحسنة عند الله عز وجل = ١٠ حسنات، فيكون ٣ × ١٠ = ٣٠ حسنة في كلمة واحدة، فكيف لو قرأنا آيات الله عز وجل كلها، أو الكثير منها؟! سوف تكون حصيلة الحسنات كثيرة إن شاء الله تعالى.

٢- وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه». فإن القرآن يأتي يوم القيامة على هيئة مخلوق حسن الصورة، جميل المنظر، ويعرفه أصحابه الذين كانوا يحفظونه في الدنيا، فيشفع لهم عند الله عز وجل، فلا يدخلون النار، ويغفر لهم ربنا عز وجل.

٣- وقال ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة»^(١)، والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه^(٢) وهو عليه شاق له أجران». والحديث السابق يوضح لنا فيه النبي ﷺ أجر قارئ القرآن، فإذا كان من أصحاب المهارة في قراءته، يعرف أحكامه، وضبط كلماته فهو مع الملائكة الأبرار يوم القيامة، وإذا كان من الذين لا يستطيعون قراءته جيداً فيعطيه الله عز وجل أجرين، فالكل رابح في هذه التجارة مع الله عز وجل.

(١) أي الملائكة الأبرار الأطهار.

(٢) أي: يقرؤه بصعوبة.

المسلمون والقرآن الكريم:

وقد قسّم النبي ﷺ المسلمين بالنسبة لقراءة القرآن أربعة أقسام فقال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة^(١) ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة ليس لها ريح وطعمها مرٌّ». وهكذا نرى أن النبي ﷺ قد قسّم المسلمين بالنسبة للقرآن أربعة أقسام، وهم:

القسم	قراءة القرآن	التشبيه	هل يحبه الله؟
مؤمن	يقرأ القرآن بخشوع	مثل الأترجة (نبات يشبه التفاح) لها ريح وطعم	نعم
ومؤمن	لا يقرأ القرآن	مثل التمرة ليس لها ريح وطعمها حلو	نعم
منافق	يقرأ القرآن بغير تدبر وخشوع	مثل الريحانة وهي زهرة طيبة الرائحة مرة الطعم	لا
منافق	لا يقرأ القرآن ولا يتدبره	كأنه الخنظل وهو نبات سيئ الرائحة ومر الطعم	لا

آداب تلاوة القرآن الكريم:

وقد علمنا أيضاً النبي ﷺ آداب تلاوة القرآن الكريم، وهي:

١- أن يقرأ المسلم وهو على وضوء أو طهارة، فالمصحف ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩).

٢- أن نستقبل القبلة، يعني يكون وجهنا ناحية القبلة كما نكون في الصلاة.

(١) الأترجة: فاكهة تشبه التفاح.

- ٣- نجلس في أدب وسكينة ووقار، ولا يشغلنا شيء كالمذياع أو التلفاز مثلاً.
- ٤- لا نقرأ القرآن سريعاً كما نقرأ الجريدة، ولكن نخشع في قراءته ونتدبر معانيه، ونسأل الكبار عن المعنى الذي لا نفهمه، أو نسأل العلماء عما لا نعرفه من الآيات.
- ٥- أن نُحَسِّن الصوت بالقرآن، فقد قال النبي ﷺ «زَيَّنُوا أصواتكم بالقرآن» وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»
- ٦- إذا كان أحد الناس يصلي، ونحن نقرأ القرآن، فلنخفض أصواتنا حتى لا نبشوش على المصلي.
- ٧- نتعلم أحكام التلاوة والتجويد على أيدي المشايخ والعلماء.
- ٨- لا يقرأ القرآن في الأماكن النجسة كالحمام مثلاً، فلا يصح ذلك، لأن القرآن طاهر، وهو كلام الله عز وجل، فلا ينبغي أن نقرأه إلا في مكان نظيف طاهر.
- ٩- أن نحفظ من القرآن ما استطعنا حتى يحبنا الله عز وجل ويرضى عنا.
- وصية لحفظ القرآن الكريم:
- وكثيراً منا يحفظ آيات القرآن الكريم، بل ويحفظها سريعاً، ولكن ربما نسينا في بعض الأوقات ما حفظناه، فلماذا ننسى؟ يُخبرنا رسول الله ﷺ فيقول: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلناً من الإبل في عُقلها» ويقول أيضاً: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعَقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»
- فإن النبي ﷺ يُشَبِّه حافظ القرآن الكريم مثل الجمل الذي يكون مشدوداً بالعقال وهو الحبل الذي يُربط به، فإذا ترك صاحب الجمل الحبل؛ هرب الجمل؛ بل هرب بسرعة.
- وهكذا القرآن إن راجعته ثبت في ذهنك، وإن تركته ولم تقرأه هرب كما تهرب الجمال والإبل، وننصح حفظه الكتاب الكريم بتعاهد القرآن ومراجعته، فإن القرآن يفتح الأبواب المغلقة، ويعين على الحياة، ويبارك الله تعالى صاحبه، ويزيد له في رزقه، ويرضى عنه، بل إن الناس لنتظر إلى حامل القرآن أنه ثروة، والتعليم في

الصغر كالنقش على الحجر، فبادروا للتعلم والحفظ قبل الانشغال عند الكبر وساعتها لا تنفع الندامة.

من قصص أهل القرآن:

- وقرأ رجل من الصحابة القرآن ذات مرة، وكانت قراءته جميلة رائعة، فإذا به يرى نوراً من السماء، ثم رأى سحابة في السماء تدنو من فرسه، فلما ذهب إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، قال له النبي ﷺ: «تلك السحابة تنزلت للقرآن». فقد خشع الكون كله لله عز وجل بصوت هذا الرجل الطيب الصوت، والذي كان يقرؤه بخشوع وتدبر.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة للمسلمين يسير في الطرقات فاستمع إلى رجل يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (الطور: ٧، ٨). فوق عمر رضي الله عنه مغشياً عليه، وظل مريضاً شهراً كاملاً، يزوره المسلمون في مرضه وهم لا يعلمون ما به، وهو الذي سمع القرآن فخشع قلبه له.

فضائل بعض سور القرآن:

١- سورة الفاتحة هي السبع المثاني، وهي التي يحبها الله عز وجل فيرد على عبده فيها، فإذا قال العبد: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قال الله عز وجل: حمدني عبدي. فإذا قال: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قال: أثنى عليّ عبدي - أي: مدحني -. وإذا قال: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قال: مجدني عبدي. فإذا قرأ بقية السورة قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل.

٢- سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقد أحبها أحد الصحابة فقال رسول الله ﷺ: «إن حبها أدخلك الجنة»

٣- سورة البقرة من قرأها لم يدخل الشيطان بيته أربعين يوماً.

٤- سورة الملوك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من قرأها نجته من عذاب القبر.

٥- سورة الواقعة من قرأها لم يصبه الفقر أبداً.

٦- سورة الدُّخان مَنْ قرأها استغفر له سبعون ألف ملك.

٧- آية الكرسي تعصم من الشيطان وتطرده.

جزاء قارئ القرآن:

* وقد جعل الله عز وجل لقارئ القرآن جزاءً عظيماً عند الله تعالى، كما أخبرنا النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتيق^(١) ورتل^(٢) كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك^(٣) عند آخر آية تقرؤها». فهذه منزلة صاحب القرآن وحافظه، يظل يقرأ أمام الله عز وجل حتى يبلغ أعلى منزلة وأعلى مقام في الجنة، وما أجمل القراءة أمام الله عز وجل.

* ويؤتى بأهل القرآن يوم القيامة وأمامهم سيورتا البقرة وآل عمران تدافعان عنهم أمام الله تبارك وتعالى.

* يرفع الله تعالى صاحب القرآن في الدنيا وفي الآخرة، فخير الناس من تعلم القرآن وعلمه.



(١) ارتقى: اصعد.

(٢) ورتل: اقرأ.

(٣) منزلة: مكانة.

تعليم الصغار شعائر الإسلام وعبادته الصلاة أولاً

«الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(١). هكذا كانت صيحة النبي ﷺ في آخر كلماته التي ودّع المسلمين بها تاركاً في عقبه الوصية بالصلاة لتكون أمانة في عنق الأمة خاب وخسر من ضيعها، وهي عمود الإسلام كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة...»^(٢).

وقد جاء الأمر صريحاً في القرآن بالمحافظة على الصلاة، فقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨). وبقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣).

وشدّد سبحانه التكبير على من فرط في الصلاة وهدد من ضيعها فقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (مريم: ٥٩). وقال سبحانه: ﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤، ٥).

وللصلاة فضائل لا تعدلها فضائل^(٣)، فترى الصلاة تحتل مكانة عالية سامية بين العبادات، لا ترقى إليها عبادة أخرى، فإنما فرضها سبحانه على عباده ليتمتعوا بطاعته، ويظفروا بمناجاته؛ بل هي أعظم الفروض وأولها، جاء الأمر بها بلا واسطة، تاركها إما منافق وإما كافر، فالصلاة حد فاصل بين المؤمن والكافر، والصالح والفاقد، وعلامة على الإيمان الصادق.

ولن نستفيض هنا في حشد الأدلة على فضل الصلاة، أو كفر تاركها أو نفاقه فهذا موضعه كتب الفقه، لكن ما نعني به هنا هو ضرورة تعليم الصغار الصلاة،

(١) صحيح: أحمد (١١٧/٣) في المسند، ابن ماجه (٢٦٩٧) في الوصايا عن أنس رضي الله عنه وصححه الألباني.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٦١٦) في الإيمان.

(٣) انظر كتابي الوصايا النبوية (من ص ١٠٢ - ١٢٧) ففيه هذا التفصيل.

والعمر الذي ينبغي فيه البدء في هذه المهمة التي ستظل سهلة إلا إذا كبر الصغير فإنها ستصعب، وربما استحالت.

والبداية: مع ملاحظة، ألا وهي: كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟ فكيف يصلي الصغير وأبواه لا يصليان، أو أحدهما لا يفعل؟! وكيف يستقيم تعليم الصغير الصلاة وهو لا يواظب عليها منذ الصغر، والأم معول هدم يعينه على ذلك - أو الأب - فيتكاسل في تعليمه الصلاة، أو يتهاون في ذلك، أو يضرب عنه صفحاً؟! لا بد من الاقتناع أولاً بأن تعليم الصلاة للصغار ليست مجرد توريث عبادة، أو

تعويد جيل جديد على شعيرة من الشعائر أو الطقوس، فالأمر يتجاوز ذلك بكثير إلى ما هو أكثر أهمية، فنحن بتعليمنا للصغير الصلاة نغرس العبادة التي تعمل على صياغة قلبه وتقويم نفسه، وربطه بربه تبارك وتعالى، وتظهر شعائر الإسلام ونحيبها بدلاً من تضييعها وإذهابها سدى حتى تغيب، فيغيب بغيابها كل معنى حسن: تغيب القلوب الطاهرة، والنفوس السليمة، والعلاقة الطيبة بالله تعالى، يغيب الإيمان إذ العبادات دليل الإيمان وعنوانه، يغيب الوجدان المستقيم الذي لا يعرف الخلق السيء، وإنما يعرف النصاعة والطهارة.

إننا نريد منزلة عالية، ومن أراد المنزلة العليا في الآخرة فليتبوأها في الدنيا، فالأمر يحتاج إلى قناعة ذاتية منذ البداية بهذه الأهمية القصوى لنوليها الصلاة وبقيّة العبادات.

فإذا ما قرّر ذلك في نفس المربين سهل علينا إدراك النجاح في إخراج جيل مسلم صحيح العقيدة، ولو بعد فترة طويلة، فإنما أعمار الأمم تقاس بالسنوات الطوال لا بسنة أو سنتين.

متى يبدأ تعليم الصغير الصلاة؟

جاء في حديث سبرة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشرة»^(١). وفي بعض رواياته: «مروا الصبي...».

(١) صحيح: أحمد (٩٩/٢، ١٧٧) في المسند، وصححه الألباني (٤٠٢٥) في صحيح الجامع.

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرة، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١).

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

فعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا، فمن احتلم أو حاض أو استكمل خمس عشرة سنة لزمه الفرض^(٣).

فمنذ السابعة يبدأ تعويد الطفل على الصلاة مع أنهم لم يكلفوا بها إلا بعد سنوات لتكون هناك فسحة طويلة لإنشاء هذه العادة وترسيخها حتى إذا بلغ الطفل العاشرة وصار على مقربة من موعد التكليف فقد وجب أن يكون قد تعودها بالفعل فإن لم يكن قد تعودها من تلقاء نفسه خلال سنوات التعويد الثلاث فلا بد من إجراء حاسم يضمن إنشاء هذه العادة وترسيخها^(٤).

نفهم إذن من مجموع هذه النصوص أن:

* البدء بتعليم الصلاة للصغار يبدأ مع السابعة، ولا بأس به قبل ذلك.

* أن فترة الثلاث سنوات للتعليم دون ضرب فترة طويلة، إذا ما استنفدت دون تعليم وجب على المربي أن يقسو على صغيره بالضرب.

ومن يك ذا رأي فليـقـسُ ★ أحياناً على من يحب ويحزم

* عظم أمر الصلاة التي تفرق بين المسلم وغيره ولذا اختصها ﷺ بالذكر والتعليم.

* أن تعليم الصلاة يأتي بعد إدراك الصغار معنى الإيمان، وحفظهم لبعض آي

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (٤٠٢٦)، وعزاه للبزار.

(٢) حسن: أبو داود (٤٩٥)، أحمد (١٨٧/٢)، وحسنه الألباني (٥٨٦٨) في صحيح الجامع.

(٣) معالم السنن (٣٣٤/١) للخطابي.

(٤) الإبراهيمي: منهج التربية الإسلامية (١٤٧/٢، ١٤٨).

القرآن مما يتيح لنا فرصة أفضل لترسيخ معنى الصلاة وإقامتها وأدائها داخل نفوس الصغار.

ما هي العوائق التي تواجهنا عند تعليم الصغير الصلاة؟ وكيف نتغلب عليها؟

تمثل هذه العوائق في بعض الأمور وهي:

- (١) حب الصغير للهو واللعب، وعدم حبه للانضباط.
- (٢) التكاسل الذي يبدو من الصغار تجاه التكاليفات والمسئوليات.
- (٣) النفس الأمارة بالسوء، والشیطان الذي يتلاعب بالصغار.

وهذه الأمور على صعوبتها الظاهرة إلا أنه من السهل التغلب عليها بخطوة واحدة نشبهها بحجر واحد يُصاد به ألف عصفور، وهذه الخطوة هي: أداء بعض الصلوات في المنزل، وهذا ما يسمونه «أسلوب التربية بالعادة»، فلا بأس أن يصلي الأب بعض الصلوات في المنزل - وهي النوافل دون الفريضة - فإذا بالصغير - وقد غرس فيه عادة التقليد - يندفع ليشابه أباه فيما يقوم به دون وعي ودون إدراك منه، ويكفيه ساعتها أنه عرف أن هناك أمراً اسمه: الصلاة. وهذه العادة لا بد أن تبدأ مبكراً، يعني قبل السابعة، كعملية تمهيد طويلة المدى لتعليم أركان الصلاة وفرائضها وواجباتها وشروطها، وهو ما سيوفر علينا جهداً كبيراً عند أمرنا الصغار وتعليمنا لهم الصلاة، لأنهم قد بدؤوا الأمر مبكراً.

فما هي فوائد صلاة النوافل في المنزل؟

الفائدة الأولى: محبة الله عز وجل: فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...»^(١).

الفائدة الثانية: طرد الشياطين من البيت: لأن الشيطان لا يقر في المكان الذي يُذكر فيه الله تعالى.

الفائدة الثالثة: امتثال أمر النبي ﷺ ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢) في الرقاق.

أنه ﷺ قال: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً»^(١). وفي معنى هذا الحديث قال الخطابي رحمه الله: «يحتمل أن المراد: لا تجعلوا بيوتكم وطناً للنوم فقط، لا تصلوا فيها، فإن النوم أخو الموت، والميت لا يصلي». وقال التوريشتي: «يحتمل أن يكون المراد: من لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت وبيته كالقبر».

قال ابن حجر: ويؤيدها ما رواه مسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت...»^(٢). وحمل رحمه الله المعنى على صلاة النوافل طبقاً لحديث مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته».

قلت: وقد يكون المعنى: أن الصلاة في القبر محرمة، والبيت الذي لا يصلي فيه كالقبر، والله أعلم.

الفائدة الرابعة: ما يختص بالصغير الذي سيأتي إلى أبيه يقلده بوعي وبدون وعي فيتعرف على الصلاة مبكراً، ثم يعتاد الأمر ويألفه، وربما حفظ الأوقات بالفطرة، وكلما سمع صوت الأذان اندفع إلى أبيه يحركه ليصلي، ذلك أنه اعتاد الصلاة فأراد أن يؤديها فلا زالت نفسه على الفطرة لم تتلوث بعد.

ونفس الصغير عجيبة فقد يلاحظ ما لا نلاحظه، فإنه يصمت بفطرته عند سماع الأذان وتلاوة القرآن، ثم ينظر إلى وجه أبيه فإذا ما رآه خاشعاً مقبلاً على الله تعالى لا يلتفت يمنة ولا يسرة، أقبل هو الآخر على الله يقلد أباه في كل صغيرة وكبيرة، إذ نفسه بعد لم تشتغل أو تمتلأ بما امتلأت به قلوب الكبار، فملاحظة الصغير في العادة أقوى من الكبار.

النبي ﷺ وتعليم الصغار الصلاة:

قال أبو معذورة: «خرجت في عشرة فتان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذّنوا، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي ﷺ: «اتنوني بهؤلاء الفتان». فقال: «أذّنوا». فأذّنوا فكنت أحدهم، فقال النبي ﷺ: «نعم هذا الذي سمعت مسوته، اذهب

(١) صحيح: البخاري (١١٨٧) في التهجد، مسلم (٢٠٨/٧٧٧، ٢٠٩) في صلاة المسافرين.

(٢) الفتح (٥٢٩/١).

فأذن لأهل مكة». فمسح على ناصيته، ثم علّمه الأذان وقال له: «أسمعت؟». قال: وكان أبو محذورة لا يجز ناصيته ولا يفرقها لأن رسول الله ﷺ مسح عليها^(١).
أما الصلاة فقد أمر ﷺ الآباء بتعليمها للأبناء عند سبع سنين، وضربهم على تركها عند عشر، قال ﷺ: «علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»^(٢).

وكان ﷺ يأمرهم بتسوية الصفوف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»^(٣).
وكان يحذرهم ﷺ من الالتفات في الصلاة فيقول: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»^(٤).

وكذلك يعلمهم ما يحتاجونه في الصلاة، كما قال الحسن رضي الله عنه: علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضي عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلى الله على النبي محمد»^(٥).

وكان ﷺ يصحبهم للصلاة ويمسح خدودهم رحمة وإعجاباً بهم، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى - الظهر - ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولذان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأماً أنا فمسح خدي، فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها ﷺ من جؤنة عطار»^(٦).

(١) صحيح: أصله عند مسلم في الصلاة، ورواه ابن خزيمة (١/٣٨٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري (٧٠٩).

(٥) صحيح: الترمذي، وابن ماجه عن الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٦) صحيح: مسلم في كتاب الفضائل.

بل كان يصفهم ﷺ عن يمينه بجواره في الصلاة رغم صغر سنهم، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: دخلت على النبي ﷺ وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، إذ دخل علينا النبي ﷺ قال: «ألا أصلي بكم؟». وذلك في غير وقت صلاة، فقال رجل من القوم: فأين جعل أنساً منه؟ فقال: جعله عن يمينه، ثم صلى بنا، ثم دعا لنا- أهل البيت- بكل خير من خير الدنيا والآخرة، فقالت أمي: يا رسول الله! خويدمك؛ ادع الله له. فدعا لي بكل خير، كان في آخر دعائه أن قال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له» (١).

فالنبي ﷺ لا يقتصر على تعليم الصغار الصلاة فحسب؛ بل الأذان، وتسوية الصفوف، ويشني عليهم خيراً، وهذا كله امثال لأمر الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢). وهذا ما نجعله في بعض الخطوات كالآتي:

(١) تعليم الصغير الطهارة والوضوء:

ولا شك أن عملية التربية ترتبط بعضها ببعض لا تنفصل خطوة عن الأخرى، فنحن حين نربي في الصغير معرفة الله، ورقابته سبحانه، لا زلنا نخبره أن من حق الله تعالى علينا: الصلاة، ولا يصح الدخول على الله تعالى إلا والإنسان طاهر: طاهر القلب، وطاهر الجسد.

فيدربه بدءاً على الاستنجاء، والاستبراء من بولته ومن خُرثه، ويعلمه ذلك مباشرة، وبصورة عملية مباشرة، فيجلسه أمامه ويقول: امسح كذا، ونظف كذا بطريقة كذا، موجهاً إياه لاستخدام يده اليسرى في التنظيف لا اليمنى، موضحاً له تفوق الإسلام والمسلمين في هذا الجانب على غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى الذين يتقربون إلى الله بالقذارة.

ويرشد المربي ولده إلى آداب دخول الحمام وقضاء الحاجة ليشب على ذلك منذ نعومة أظافره، وهكذا نكون قد أرشدنا الصغير إلى أمرين: طاعة ربه تعالى، والنظافة الشخصية له.

ثم نعلم الصغير (الوضوء) ويراعى عدة أمور:
(أ) الفرق واللين.

(ب) التعلم بعيداً عن مكان قضاء الحاجة.

(ج) استخدام ماء مناسب، فلا يستخدم الماء المتجمد في الشتاء البارد، ولا الماء الساخن في الصيف الحار.

(د) استخدام النصوص القرآنية والنبوية في تعليم الصغير الوضوء كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: ٦). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢). وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وحديثه ﷺ عن عثمان رضي الله عنه: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضْئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَحْدُثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).
(هـ) مجانبة البدع والمنكرات ومخالفة السنة، لأن تعلم الصغير للبدعة يصعب محوه بعد ذلك، إذ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

(و) تعليق الملصقات والصور - بدون رأس؛ حتى لا تمتنع الملائكة من دخول البيت - التي تعلم الصلاة، ولا بأس من الاستعانة ببعض شرائط الفيديو، أو أسطوانات الحاسب الآلي (الكمبيوتر).

(ز) تكرار الوضوء أمام الصغير وتشجيعه على ذلك.

(ح) معالجة الخطأ المتكرر برفق وتأن حتى يقرر في نفس الصغير ما نريده، فإنه عنيد بطبعه^(٢).

(٢) تعليم الصغير الصلاة:

(أ) مرحلة التعليم: إذا كان الأب مسئولاً عن إطعام أطفاله وتغذيتهم، فإنه مسئول

(١) صحيح: مسلم (٢٣٤) في الطهارة.

(٢) انظر كتاب (تعليم الصلاة) ط - دار الفجر للتراث فهو مبسط جمع مسائل الوضوء والصلاة.

بالضرورة عن تربيتهم تربية روحانية تشبع حاجة القلب التي أودعها الله تعالى فيه، ولا أفضل من تعليم الصلاة من بعد الإيمان وتحفيظ القرآن، وقد عرضنا لصورة من الصور التي ينبغي على الأب أو المربي بوجه عام أن يعمل بها في تعليم الصغار الصلاة، وهي طريقة التربية بالعادة من خلال تكرار الصلاة - صلاة النوافل - داخل البيوت، فيعتمد الصغير إلى محاكاة الكبار فيها حتى يخرج بعد رجلاً يعرف للصلاة قدرها وقيمتها فيوافظ عليها، وهذه الطريقة تبدأ مبكراً، وقبل السنة السابعة، وهذه مرحلة التعليم التي تمتد إلى ما قبل السابعة، فإذا بلغ الصغير السابعة تحولت الطريقة إلى الأمر لا التعليم.

(ب) مرحلة الأمر: وتبدأ هذه المرحلة عند بلوغ الصغير السابعة وحتى ما قبل العاشرة، وفي الحديث: «مروا الصبي» وفي رواية: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين»^(١).

يقول ابن قدامة رحمه الله: «يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها، ويلزمه أن يؤدبه عليها إذا بلغ عشر سنين»^(٢). وهنا يبدأ المربي في تحري ما لم يكن قد تحراه من ذي قبل:

* فيستر عورة الولد عند الصلاة وعند الوضوء، فقد صار الصغير الآن مميزاً.

* فلا صلاة بلا استنجاء وبلا وضوء، وإلا بطلت الصلاة، وتعود الصغير على الصلاة بلا وضوء، كأن الأمر لا حرج فيه، حتى إن ابن قدامة رحمه الله ليقول: «ويعتبر لصلاة الصبي من الشروط ما يعتبر في صلاة البالغ»^(٣). ثم عقب قائلاً: «إلا أن قول النبي ﷺ «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» يدل على عدم صحة صلاة الحائض بغير خمار»^(٤).

إن ما سنجنه بعد تعليم الصغير الصلاة بشروطها أننا ستعافي من مرض (من صلى لكنه لم يصل) على وزن حديث: «أذهب فصل فإنك لم تصل» كما هو حديث

(١) سبق تخريجه بسند صحيح.

(٢) المغني (٣٥٧/١) لابن قدامة وعزاه للقاضي - ط دار الفكر.

(٣، ٤) السابق نفسه.

المسيء صلاته^(١) الذي صلى وأمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة رغم قيامه وركوعه وسجوده.

والصغير طالما كان صغيراً سهل تعليمه وجبر كسره، فإذا ما اشتد عوده قوي، وصعب التعامل معه، وأمر الصغير بالصلاة يحتاج إلى تضافر وتعاون بين جميع أفراد الأسرة، فنحن الآن نعد الصبي ليتجاوز مرحلة الطفولة إلى ما بعدها، فلا يمكن أن يواظب على الصلاة مع رؤيته أفراد الأسرة لا يصلون، أو أحدهم لا يصلي، إلى جانب كسله بالطبع والجبلة، فيحتاج الأمر إلى أم حازمة تلاحظ طفلها في فترة غياب الأب عن البيت فتخبره بتقصير الصغير إن لم تكن قد أدبته وذكرته وخوفته بالله تعالى. ولا بد من تعاون الإخوة والأعمام والأخوال وبقية القربات في هذا الأمر، فتجتمع كلمتهم على: ضرورة أداء الصلاة، والتحذير من التهاون فيها.

طرق تعليم الصلاة والأمر بها:

يقول الأستاذ/ أحمد القطان: «الصلاة أهم حدث ديني واجتماعي وأخلاقي وتربوي؛ بل وتاريخي في حياة الطفل، فيجب أن لا ندعها تمر في حياة الطفل مروراً عابراً^(٢)، لهذا يقترح تعميق هذا الحدث الهام في نفس الولد من خلال إعلامه بقرب موعد تكليفه بالصلاة، فإذا أتم السابعة وصلى أول فرض؛ جمع له أبوه بعض أصدقائه وإخوته، وعمل حفلاً صغيراً ابتهاجاً بهذه المناسبة الطيبة، ويقدم له ساعة يد هدية بهذه المناسبة الهامة، فهي أفضل هدية تقدم للطفل في هذا السن، لتكون حافزاً له على أداء الصلاة في أوقاتها^(٣).

ولعل هذا النص التربوي يجعلنا نحصر خطوات تعليم الصلاة في الأمور التالية:

* أداء الأب للصلاة- صلاة النوافل- في البيت كما سبق.

* الترغيب عن طريق التحفيز بالهدايا والمكافآت، والثناء على الصغير في الملاء، وإغرائه برضا الله تعالى، وبمكافأة قيمة.

(١) متفق عليه.

(٢، ٣) واجبات الآباء نحو الأبناء (ص ٣٠).

* ربط الصلاة بما يحبه الطفل، والأطفال يحبون اللعب واللهو، فلا لعب إلا بعد أداء الصلاة على وجهها الكامل، ولا فسحة أو نزهة إلا بعد أداء الصلاة أو تؤدي الصلاة أثناء ذلك.

* وتعطى الصلاة الأهمية القصوى، فيترك الأب ما في يده، وكذا الأم لأداء الصلاة ليستشعر الجميع أهمية هذه العبادة التي يفرغ الناس لها ومن أجلها، ولا يضيعونها.

* وقد يعتمد الأب إلى إمامة أهل البيت في صلاة نافلة كنافلة الوتر مثلاً ليكون قدوة للصغار.

* استخدام وسيلة الشريط لتعليم الصغار أهمية الصلاة.

* تزويد الصغار بالآيات والأحاديث والقصص التي تحث على أداء الصلاة، والتنفير من تركها يستخدم في ذلك كتب (الكبائر للذهبي - الترغيب والترهيب للمنذري - الزواجر لابن حجر).

* ولا يشترك الأب ولده نائماً ساعة الصلاة؛ بل يوقظه فليس في ذلك حرج، ناهيك عن عدم نوم الأب أو الأم عن الصلاة.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه قصة قيام الليل مع رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فيذكر ابن عباس أنه قام إلى جانب رسول الله ﷺ قال: «فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها»^(١). وفي رواية: «... ثم وضع يده على رأسي كأنه يمس أذني، كأنه يوقظني...»^(٢).

فابن عباس رضي الله عنهما كان في نفس المرحلة السنية التي نتحدث عنها - ما بين السابعة إلى العاشرة - ومع ذلك يوقظه ﷺ لقيام الليل والتهجد، وفي رواية أنه ﷺ صلى بـ «يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ» (سورة: المزمل)^(٣). تخفيفاً منه ﷺ، وبذلك ينصح الآباء بالتخفيف حتى لا تثقل الصلاة على الصغار.

(١) صحيح: البخاري (٦٣١٦)، مسلم (٧٦٣).

(٢) صحيح: أبو داود (١٣٦٤) في الصلاة.

(٣) هي عند أبي داود (١٣٦٥) في الصلاة.

لكن ماذا إذا تكاسل الصغار عن الصلاة في هذه السن؟

هنا لم يأت الأمر بالضرب بعد، فيكون التأديب كالاتي:
(أ) لوم وتوبيخ.

(ب) عقاب بعدم الكلام، والهجران.

(ج) تغليظ المعاملة بترك المداعبة والمزاح.

(د) ولا يُخرج الصغير أمام أقرانه.

(هـ) ويجتمع أهل الدار على العقاب دون اختلاف.

(و) والتخويف بالضرب، فإن شهد العصا وحده كفيل بإخافة الصغير، ولا ضرب قبل العاشرة.

وهذه أساليب لا بد من الصبر على الصغير فيها، لأنه إن لم يستجب الآن، فلن يستجيب بعد إلا بشق الأنفس.

ولاحظ هنا أمرين:

الأول: الصبر على الصغير لأنه كسول.

الثاني: كون البيت كله يداً واحدة في الأمر بالصلاة وعدم السكوت على تركها. فعلى الأم أن تبلغ عن كل تقصير يقع من الصغير، ولا تستر عليه لأن هذا إفساد لإصلاح، وهذه هي الحماقة بعينها، وقد أعتت الحماقة من يداويها.

نقول لكل أم مسلمة: الله الله في أولادك، كوني معلمة للخير لا عوناً للشيطان، إن نسي ولدك فذكره، وإن ضعف فأدبيه وقويه، وإن تكاسل فشدي من أزره وحمسه، فإن لم تقدري فالأب أولى بذلك.

وليعلم الجميع أننا نصلح ما أفسده الآخرون، فلا بد من حزم وقوة، وما أروع الساعة التي يدق الصغير فيها الباب ليوقظ الجميع للصلاة، فتلك لعمرى قرة العين.

وقد يفاجئك الصغير بسؤال مثل: لماذا نتوضأ لكل صلاة مع أننا لم نتسخ ملابسنا؟ أو مثل: ولماذا نصلي هذه الاوقات بعينها وبعدها وبهذا الترتيب؟

وهذه أسئلة لو علمنا الصغير الإيمان أولاً لتعافى منها مبكراً، لأنه سيعلم أن الأمر

أمر الله، وهنا أجبه بالآيات السالف ذكرها، وبأنه ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١)، وهذا كله بابتسامة ورقة لا عنف أو قسوة.

اصطحاب الصغير إلى المسجد:

وهذا داخل في تعليم الصغير صلاة الجماعة، وبدءاً نعرض الحكم الشرعي لدخول الصغار إلى المسجد: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يضان المسجد عما يؤذيه، ويؤذي المصلين فيه، حتى رفع الصبيان أصواتهم فيه، وكذلك توسيخهم لحصره، ونحو ذلك، لاسيما إن كان وقت الصلاة، فإن ذلك من عظيم المنكرات»^(٢).

حديث موضوع:

وفي هذا الحديث عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «جئبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم». والحديث عند ابن ماجه (٧٥٠) في المساجد والجماعة، وقال صاحب مصباح الزجاجة (٩٥/١): «هذا إسناد ضعيف: أبو سعيد هو: محمد بن سعيد، قال أحمد: عمداً كان يضع الحديث. وقال البخاري: تركوه. وقال النسائي: كذاب. قال الكثاني صاحب مصباح الزجاجة: والحارث بن نبهان ضعيف. (اهـ). وقال البيهقي (١٠٣/١٠) في السنن: ولا يصح. وضعفه المنذري (١٢٣/١) في الترغيب والترهيب، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في مواضع عدة، منها تخريجه على سنن ابن ماجه.

وللأسف الشديد فإن كثيراً من خريجي المعاهد والكلليات الشرعية يحتجون بهذا الحديث على ضرورة إخراج الصغار من المساجد، وكنت أتوسم في أحدهم خيراً حتى بادر بهذا الحديث بعد رؤيته صغيراً يرتقي المنبر ساعة الصلاة، فلما بادرناه بأن الحديث لا يجوز الاحتجاج به هاج وماج - يهديه الله -.

إن هذا الحديث صراحة يخالف ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يصحب الحسن أو الحسين إلى المسجد، وفي حديث أبي بكره نافع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أنه

(١) صحيح: البخاري (٦٣١) في الأذان، ويعضه عند مسلم (٦٧٤) في المساجد عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٤/٢٢).

قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١).

وفي حديثه ﷺ عن ابن مسعود قال: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم - ثلاثاً»^(٢). وعن قيس بن عباد - وكان من التابعين - قال: «بيننا أنا في المسجد في الصف المقدم فجبذني رجلٌ من خلفي جبذة فنحاني - أي: شدني وأعادني إلى الخلف - وقام مقامي، فوالله ما عقلت صلاتي، فلما انصرف فإذا هو أبي بن كعب فقال: يا فتى لا يسؤك الله، إن هذا عهد من النبي ﷺ إلينا أن نليه...»^(٣).

وفي الحديث دليل على أن الصغار في عهد النبي ﷺ كانوا يصلون لكن خلف الرجال كما جاء في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه فقال: «... ويجعل الرجال قدام الغلمان، والغلمان خلفهم، والنساء خلف الغلمان»^(٤).

فهذا عهد رسول الله ﷺ إلينا بجواز دخول الصغار إلى المسجد إلا للمفاسد التي قد تترتب على ذلك كما وضّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتواه التي ذكرناها.

ولكن متى نحفر الصغير ليدخل إلى المسجد؟

بعد أن نكون قد مهدنا الطريق لذلك تماماً عن طريق الخطوات التالية:

(أ) أن نكون قد أحسنا تربيته بحيث يجلس مؤدباً في المسجد لا يؤذي المصلين، ويلتزم بأداب المسجد، هذا عادة ما يكون في السابعة أو قبلها بقليل حتى يتزجر إن زجرناه، وينتهي إن نهيناه.

(ب) أن يكون عارفاً بالصلاة على وجهها الصحيح حتى لا يثير ضحك من حوله وسخريتهم.

(١) صحيح: البخاري (٢٧٠٤) في الصلح.

(٢) صحيح: مسلم (٧٠٩).

(٣) صحيح: النسائي (٨٨/٢).

(٤) حسن: أحمد (٢٨٨٠٩) في المسند.



(ج) عن طريق التشويق بإخباره أنباء سارة عن المسجد، وعمّا فيه، وعمّن فيه، حتى تكون أمنية الصغير: الذهاب إلى المسجد ورؤيته، والصلاة فيه، والتشويق أيضاً قد يكون عن طريق:

* رؤية المسجد من الخارج فتطمع نفس الصغير وتطمح بطبعها إلى رؤية ما بداخله.

* الحديث الدائم عن المساجد وقصصها كما في قصة بناء الكعبة، أو المسجد الأقصى، أو المسجد النبوي.

* عن طريق ترديد الأب: أنا ذاهب إلى المسجد، وهنا سيخرج من إطارنا من لا يحافظون على صلاة الجماعة، وننصح بقراءة كتاب (الكبائر) للذهبي رحمه الله.

أو: أنا اشتريت هذه اللعبة من محل بجوار المسجد.

(د) أو إذا سمع الأذان قال: هذا الصوت منبعث من المسجد.

(هـ) ويلمح علماء النفس إلى أن ما يساعد على تقبل الصغير لفكرة المسجد أنه «يميل إلى مشاركة الكبار في أداء الشعائر التعبدية، ويجب مرافقتهم إلى دور العبادة»^(١).

وهنا نهى الصغير لدخول المسجد، فإذا ما أردنا إدخاله المسجد نراعي التالي:

(أ) ابتعد يرحمك الله عن مساجد الأوقاف أو الزوايا التي يحتلها الجهلة، والجهلة قد يكون منهم مشايخ الأزهر الذين قد يدخن أحدهم في المسجد أو في حجرة داخل المسجد. والجاهل: كثير من الكبار والعجائز الذين يحتلون أماكن معينة، ولا يحلو لهم غيبة الناس أو مضغ لحومهم إلا في المساجد، ولا يطيب لهم (قلة الأدب) إلا هناك.

والجاهل: إمام عصبي غضوب لا يعرف للصغير حقه.

والجاهل: إمام لا يراعي وجود طفل صغير وراءه فيطيل في الصلاة حتى تتكسر قدمه، وفي الحديث: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمّ قوماً فليوجز؛ فإن خلفه

(١) النمو من الطفولة إلى المراهقة (ص ٤١٠) محمد جميل منصور.

الضعيف والكبير وذا الحاجة»^(١). وفي رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أم أحدكم فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليُصل كيف شاء»^(٢).

والجاهل: إمام غليظ الصوت لا يسمح لمن آتاه الله علماً وحفظاً وصوتاً حسناً أن يؤم الناس. فاحذر هؤلاء تماماً، لأن الصغير سيتقزز من المسجد وسيطلب عدم الذهاب إليه، ولكن تحرى المسجد الذي يعلو أهله البسمة والاعتدال، وعدم التنفير، وحسن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ب) واجعل من يوم ذهاب صغيرك إلى المسجد احتفالاً بباركة أصدقائك من الجيران أو الأقارب أو الأصحاب، فيعملون على استقباله في المسجد لتحضر هذه الذكرى الطيبة في ذهن صغيرك.

(ج) مع التسليم على المؤذن أو الإمام، وطلب الدعاء منهما حتى يفرح الصغير بذلك.

(د) ولعل الإمام أن يدرك أنه بحسن تعامله مع الصغار قد أهدى لنا نفساً تحافظ على الصلاة.

(هـ) ويكتسب الأب لصغيره أصدقاء من المسجد ليكونوا عوناً له على أداء صلاة الجماعة.

(و) وربما كانت هناك بعض المسابقات أو اللقاءات أو الندوات من نشاطات المسجد فيحضرها الصغير ليعتاد جو المسجد أيضاً، ويدخل في هذا أيضاً صلاة الجمعة التي يجب حضورها.

يقول الدكتور عدنان باصالح: «ولابد للأب من الحكمة وتقدير طبيعة الطفل، فلا يشتد مع الولد دون سن العاشرة، بل يسلك معه أسلوب الترغيب والتشويق، ويحاول أن يعرف سبب إحجامه عن الذهاب إلى الجمعة، فإن كان بسبب طول

(١) صحيح: البخاري (٧٠٤)، مسلم (١٨٢/٤٦٦) في الصلاة عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) صحيح: مسلم (١٨٣/٤٦٧) في الصلاة.

الخطبة وعدم قدرته على امتلاك نفسه، وحاجته إلى قضاء الحاجة، حاول الأب اختيار مسجد آخر يوجز إمامه في خطبته، ولا بأس أن يتعاهد ولده في المسجد قبل الخطبة إن كان محتاجاً إلى قضاء الحاجة أم لا؟ أما إن كان سبب زهد الولد في حضور الجمعة راجعاً إلى التكبر في الخروج إليها، فلا بأس أن يتأخر الأب، فيذهب قبل الخطبة بقليل، أو يخرج الأب من المسجد ليأتي به قبل الخطبة إن كان المسجد قريباً، فإن كان الولد قادراً على الخروج بنفسه تركه وشأنه في اختيار الوقت والحضور للصلاة.

ماذا لو أن الصغير رفض حضور صلاة الجمعة؟

أما إذا أبدى الولد عدم رغبته في حضور الجمعة لغير سبب معروف سوى الميل إلى اللعب أو نحو ذلك، فليس على الأب محذور في تركه مرفهاً حتى يكبر ويبلغ للعاشرة، ويدرك فضل الجمعة، ويقدم بنفسه عليها راغباً فيها، وهذا ما ذهب إليه أبو هريرة رضي الله عنه إذ كان يميل إلى ترك الولد الصغير وشأنه، فلا يشتد معه في حضور صلاة الجمعة، فقد روي أنه دخل مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلاماً فقال له: يا غلام اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: يا غلام اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: فتقعد حتى يخرج الإمام؟ قال: نعم^(١). ففي هذه الرواية فقه لأبي هريرة وبعد نظر، حيث لا يرى تحميل الولد ما لا يطيق من الضبر على الطهارة، والجلوس طويلاً دون لعب حتى يخرج الإمام، ثم الاستماع إلى الخطبة وأداء الصلاة، فالولد الصغير غير مكلف بهذا شرعاً، والقسوة عليه وإلزامه بها وهو عنها عاجز يُكرِّه فيها، فإذا كبر صعب عليه أداؤها على الوجه المطلوب، فالأب يقتدي بعلماء السلف في هذا، فلا يوجب صلاة الجمعة على ولده دون سن العاشرة؛ بل ينتهج معه أسلوب الترغيب دون التهيب، فإن أقبل وإلا تركه وشأنه مرفهاً حتى يبلغ العاشرة أو ما قبلها بقليل فيبدأ معه بالإلزام^(٢).

(١) رواه أحمد (٤٨٣/٢) في المسند.

(٢) مشولية الأب المسلم (١٣٣، ١٣٤). وهذا مع الالتزام بأداب الجمعة كالاغتسال، والتبكير في الحضور، والإنصات، وفهم الخطبة ومناقشتها.

هل يجوز للصبي الأذان والإقامة؟

إمامة الصبي جائزة كما سبق في قصة عمرو بن سلمة رضي الله عنه، أما الأذان فهو جائز أيضاً للصبي المميز؛ يعني الذي يدرك الوقت كما وضع ابن قدامة^(١).

(٣) مرحلة التأديب:

تبقى هذه المرحلة كسراً لعناد الصغير إذا صمم على عدم الصلاة، والضرب هنا ضرب عقوبة الذي يصلح الحال، لا ضرب الأذى، وفي أغلب الأحوال تكون وسيلة الضرب دلالة على أحد أمرين: عجز الأب عن التعامل الصحيح مع طفله، أو إهماله في تعليم الصلاة واستفادته متأخراً جداً.

وقليل من الحالات التي يكون سببها عناد الصغير، والضرب هنا ضرب مندرج من الضعف إلى القوة، دون ضرب للوجه كما سبق مع إخلاص النية لله واحتساب هذه الضربات التي توجع الأب في قلبه قبل أن توجع الصغير في جسده، احتسابها لله تعالى امتثالاً لمنهج الأنبياء في التعامل مع صغارهم، وكذا فعل لقمان عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (لقمان: ١٧).

يقول ابن قدامة رحمه الله: «وهذا التأديب المشروع في حق الصبي لتمرينه على الصلاة كي يألّفها ويعتادها ولا يتركها عند البلوغ، وهذا التأديب للتمرين والتعويد كالضرب على تعلم الخط والقرآن والصناعة وأشباهها»^(٢). فالضرب كالكي آخر الدواء، هو آخر المطاف، إذا انتهت كل أساليب التعليم والتأديب للصغير.

تعليم الصيام:

وقد قاسه العلماء على الصلاة^(٣)، فيبدأ من السابعة ويضرب عليه من العاشرة، وفي ذلك نصوص: عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: مَنْ أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم». قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا

(١) المغني: (٢/ ٥٤ - ٥٦).

(٢) المغني (١/ ٣٥٧).

(٣) انظر الفتح (٤/ ٢٠٠، ٢٠١).

ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار»^(١). وفي رواية: «فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم»^(٢).

هل يجوز للصغير الحج؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: «من القوم؟». قالوا: مسلمين. فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله». فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر». وإنما فعلوه تمريناً له ليعتاده فيفعله إذا بلغ»^(٣). وفي الحديث دليل على أن الصبي له حج من ناحية الفضيلة وإن لم يحسب عن الفرض»^(٤).

وأما الزكاة فيعلم الصغير أنها أمر الله الذي افترضه لصيانة حقوق الفقراء، فالمال مال الله، والناس عبيد الله، ولا بد من الائتمار بأمره سبحانه وتعالى في ذلك، مع تدزيب الصغير على الإحسان إلى الفقراء بإعطائه صدقة يعطيها لفقير، أو زيارته لإحدى الدور التي يسكنها الأيتام أو الفقراء، ليتعلم شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه، ويحمده سبحانه على فضله، ثم ليعلم أن حقاً لله في ماله يجب إخراجه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤، ٢٥).



(١) صحيح: البخاري (١٩٦٠) في الصوم، مسلم (١١٣٦ / ١٣٦، ١٣٧) في الصيام.

(٢) صحيح: مسلم (١١٣٦ / ١٣٧).

(٣) صحيح: مسلم (١١٣٦ / ٤١٠) في الحج.

(٤) النووي (٩٩ / ٩) في شرحه على صحيح مسلم.

آداب يجب أن يتعلمها الصغير

يقول الغزالي رحمه الله: «ويعلم الطفل آداب الأكل والشرب مثل ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه: «بسم الله» عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، وألا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه»^(١).

وهذا النص واضح في ضرورة تعليم الصغار عدة آداب طالما كانوا صغاراً، وهي آداب طالما حرص الإسلام على تبيانها وتعليمها لأصحابها منذ نعومة أظفارهم ليخرج الفرد المسلم فرداً مقبولاً داخل أوساط المجتمعات الإسلامية بدلاً من أن يكون شخصاً غير مرغوب في صحبته لعدم التزامه بآداب لطالما نادى المتأدبون بتربيتها في الصغار والكبار.

لقد بعث النبي ﷺ في بيئة لم تكن تعرف إلهاً إلا الهوى، فتجردت من عبودية الله تعالى، فكانت النفوس جامحة لا تعرف أدنى مراتب الأدب لجهلها بالعقيدة الصحيحة، مما ملأها بالآفات والردائل، فبعث الله فيهم رسولاً منهم ﷺ كانت وظيفته بجوار الدعوة إلى التوحيد: تطهير النفس وتزكيتها داخلياً وخارجياً، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٢).

ومن هنا كانت الآداب الخارجية: (آداب الطعام- الشرب- النوم- اللبس...) وغيرها نتيجة طبيعية لطهارة النفس والقلب وحساسيتهما، وقل أن تجد غير مسلم نظيفاً أو مراعيًا الآداب الشرعية التي حددها القرآن، وبينتها السنة المطهرة.

يروى الشيخ على القرني حفظه الله في شريط (همسات للسراة) قصة طالب سوداني مسلم كان يدرس في إحدى الجامعات الغربية في بلاد غير المسلمين، فرآه أحد الأساتذة يتوضأ في حوض من أحواض المياه هناك، فقال الأستاذ الكافر: كيف

تغسل قدميك في حوض أغسل فيه وجهي؟ فقال الطالب السوداني المسلم: كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟ فقال: مرة أو مرتين. فقال السوداني المسلم: وأنا أغسل قدمي كل يوم خمس مرات، فلا جرم أن قدمي أنظف من وجهك. فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

هذه إذن هي الطهارة الخارجية التي تنم عن طهارة القلب والنفس، وإلا كان الإنسان كجيفة مُرغت في مسك لا جرم أنه سينفك عنها.

وتنقل المصادر التاريخية التي سجلت الحقبة الطويلة التي قضاها المسلمون في الأندلس أن أحد المؤرخين النصارى كتب عن تأثير المسلمين في قومه، وكيف أنهم- يعني النصارى- كانوا يتقربون إلى الله بالقذارة، قبل دخول المسلمين الأندلس، فلما دخلوها علموا الأندلسيين دخول الحمام!!

إن طهارة المسلم الداخلية والخارجية نابعة من طهارة التوحيد ونقائه، ومن إيمان المسلم بربه، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً. قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(١). وهذا الجمال: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء^(٢).

وقال ابن قيم الجوزية: «والجمال يتناول جمال الثياب المسئول عنه في نفس الحديث، ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء، فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم فقال: «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير» (الأعراف: ٣٦). فهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة»^(٣).

(١) صحيح: مسلم (١٤٧/٩١) في الإيمان.

(٢) بدائع الفوائد (١/١٩٩) لابن قيم الجوزية.

(٣) الفوائد (ص ٢٠١) لابن قيم الجوزية.

إنه جمال إذن منبثق عن التوحيد، ومن هنا كانت نفس الموحد جميلة الباطن، ففعله وهيئته وصورته جميلة الظاهر أيضاً، فالله تعالى افترض على العباد النية كركن في كل عمل ليكون العمل خالصاً له، ثم افترض الطهارة للصلاة، وغسل الإحرام، وغسل الجمعة، وسنَّ ﷺ غسل العيدين، وكل هذا دالٌّ على الحال الظاهر والباطن سوياً.

إنها إذن آداب ترتبط بالعقيدة ينال المؤمن ثوابها إذا فعلها، وإذا احتقرها في قلوب الصغار ونفوسهم، ليخرج للمسلمين فرداً جميل الباطن، جميل الظاهر ترتاح العين إلى رؤياه كما يرتاح القلب إلى معرفته.

وهناك عدة أساسيات لا بد من مراعاتها في الآداب عموماً وهي:

(١) أن تكون النية لله تعالى: والنية في كل عمل فرض وركن، حتى إنها لتحول العبادة أو المباح إلى عبادة كما سبق، فإذا ما كانت النية خالصة لله تعالى في إخراج مسلم موحد مؤدب نظيف كان ذلك أدعى لاستجلاب توفيق الله تعالى، ليسهل الأمر العسير، ويهون الأمر الوعر.

(٢) تعليم الصغير الخشونة منذ صغره: فعن أبي عثمان النهدي قال: «أنا كتاب عمر بن الخطاب: اخشوشنوا، واحشوشبوا، واخلولقوا، وتمعددوا، وإياكم والتنعّم وزى العجم». قال الطحاوي في شرح هذا الأثر بعد إيراده: «أفلا ترى أنه ينهاهم عن زي العجم، وأمرهم بالتعدد وهو: العيش الخشن الذي تعرفه العرب»^(١).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «واخشوشبوا واخشوشنوا: بمعنى واحد من الخشونة في الملبس والمطعم، وكل شيء غليظ خشن فهو أخشب وخشب، وهو من الغلظ، وابتذل النفس في العمل وامتهانها ليغلظ الجسد ويخشن»^(٢).

هذا ما كان يتغيه سلفنا: الخشونة منذ الصغر، وهو ما رباه النبي ﷺ حين قال فيما يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه: «إياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعّمين»^(٣).

(١) شرح معاني الآثار (٢٧٥/٤) للطحاوي. وبعض الأثر عند مسلم (٢٠٦٩) في اللباس.

(٢) ابن عبد البر (٢٥٣/١٤) في التمهيد ط - وزارة الأوقاف المغربية.

(٣) رجاله ثقات: الهيثمي (٢٥٠/١٠) وعزاه لأحمد ورجاله ثقات.

إن التمتع والإسراف فيه لا يخرجان إلا إنساناً كسولاً متواكلاً يعتمد على غيره في شئونه كلها، كما يؤدي إلى طول الأمل، ومن هنا أمر النبي ﷺ أمته بترك هذا التمتع، وتربية الصغار وغيرهم على الخشونة لأنهم أمة كتب الله عليها الجهاد والقتال، فكيف يقاتل عدوه من لا يستغني عن عدوه؟ ولا ما يصدره إليه من (شيكولاتات، وملابس حريرية، وأجهزة كهربائية، وألعاب ترفيهية، وفرش وثيرة)؟ أم كيف يقوى على الصمود في ساحة الوغى من تعود أن تُجاب مطالبه ولو كان ما يطلبه مقيماً في جناح طائر؟ أو بين أنفاس الضرر- يعني الوحوش الضارية-؟

إن ما نرجوه حقاً هو ألا يفرط الآباء في شراء الملابس مثلاً للصغار بأثمان باهظة لنعومة ملمسها كالحرير مثلاً، أو لجمال مظهرها حتى لا يعتاد الصغير ذلك في حياته كلها، فيستخشن ما نعلم، ولا يقبل إلا بالتمتع منهجاً في الملبس والطعام والشراب، وفي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ﷺ: «إن البذاذة من الإيمان»^(١). والبذاذة: التقحل؛ يعني التقشف كما قال أبو داود وابن ماجه رحمهم الله عقب الحديث.

فالملبس والمطعم والمشرب فيهما الاعتدال دون الإسراف أو التقثير ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧). ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١).

وبذلك يستقيم الصغير فيتعلم ما نريد، فإن أجنبناه إلى كل ما أراد ليتمتع فلن يطيع أمراً إلا بالرشوة، ومعلوم أن سن (الرشوة) من بعد ثلاث سنوات، فالصغير صارت له إرادة، وهو يريد أن يستخدمها، فلا يطيع بعض الأمور، فنضطر إلى رشوته بمال أو طعام أو غيرهما، حتى إن الأطباء ليجعلون من هذه السن (ما بعد ثلاث سنوات) سن التخمة والسمنة، لكثرة ما يعطاه الصغير من رشا!! وأطعمة يحبها فيلتهمها وهو لا يدري أنه بعد فترة سيصبح (فيلاً صغيراً) من كثرة ما يلتهمه من الأطعمة التي تُغري بحلاوتها الصخور، ويتفنن أهل الإعلام في الدعاية لها والإعلان عنها.

(١) صحيح: أبو داود (٤١٦١) في الترجل.

وعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»^(١). فهذا هو التقسيم الذي يعطي الاعتدال في الحياة كلها؛ لا في الطعام فقط، وبه نضمن إن شاء الله خيراً للصغار.

(٣) معرفة فوائد الآداب التي أتت بها السنة المطهرة: حتى يكون الاقتناع من داخلنا نحن، فنصدره إلى الصغار سريعاً، وهذا بالطبع لن يكون إلا بعد الطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (الحشر: ٧).

فلماذا اليمنى دائماً هي المستخدمة في الطعام والشراب، ولماذا اليسرى في الاستنجاء؟ هذا لأنه ﷺ قال: «... وإذا أتى أحدكم الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسح بيمينه»^(٢). وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لظهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى»^(٣).

ومعروف أن اليمنى من اليمين إذا استنجى بها الإنسان خلطها بالقدر والنجاسة، ثم أكل بها فكان ذلك مظنة وقوعه سريعاً للمرض، فحفظ الإسلام صحة أتباعه منذ البداية.

ولماذا نشرب على ثلاث مرات؟

وفي الشرب على السنة ثلاثاً حكم جملة وفوائد مهمة، وقد نبه ﷺ على مجامعها بقوله: «إنه أروى وأبرأ وأمرأ». فأروى: أشد رياً وأبلغه وأنفعه، وأبرأ: أفعل من البرء وهو الشفاء، أي: يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه، وأيضاً فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة. وأمرأ: هو أفعل من مرئ الطعام والشراب في بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع.

(١) صحيح الإسناد: الترمذي (٢٤٨٦)، ابن ماجه (٣٣٤٩)، أحمد (١٣٢/٤).

(٢) صحيح: البخاري (١٥٣) في الوضوء، مسلم (٦٣/٢٦٧) في الطهارة.

(٣) صحيح: البخاري (١٦٨) في الوضوء، مسلم (٦٧/٢٦٨) في الطهارة.

ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يخاف منه الشرب بأن ينسد مجرى الشرب لكثرة الوارد عليه فيغص به فإذا تنفس رويداً ثم شرب أمن من ذلك^(١).

ولماذا نهى ﷺ عن التنفس في الإناء؟

ونهى ﷺ عن التنفس في الإناء والنفخ فيه لأنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها ولا سيما إن كان متغير الفم، فأنفاس النافخ تخالطه^(٢)، ولأنه ربما حصل له تغير من النفس إما لكون المتنفس كان متغير الفم بأكول مثلاً أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس^(٣).

ولماذا أمر ﷺ بالنوم على الجانب الأيمن لا الأيسر؟

لأنه أنفع النوم لاستقرار الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقراراً حسناً فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلاً وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضرة بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه فتصب إليه المواد^(٤).

وهذه الأمور لا بد من وصولها للصغير حتى يكون عالماً منذ صغره أن دينه قام على حفظ (النفس - النسل - المال - الدين - العقل)، وجاء لدفع المفساد ودرئها، وجلب المنافع، فيعلم أن دينه لا يضاهيه في الوجود دين، فيزداد يقيناً وإيماناً فلا يزحزحه عنه أحد.

(٤) الصبر على الصغير في مرحلة تعليمه هذه الأمور: فالطفل كما سبق كسول، يحب اللهو، والنفس بطبعها لا تحب الانضباط، وهي أمارة بالسوء، فيجب الصبر على الصغير مع استخدام أساليب الترغيب والترهيب والتأديب، مع عدم امتداد الأيادي للضرب قبل سن العاشرة.



(١) زاد المعاد (٤/ ٢٣٠)، وما بعدها.

(٢) السابق (٤/ ٢٣٥).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٩٥).

(٤) زاد المعاد (٤/ ٢٤٠).

آداب الاستئذان

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»^(١). وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن...»، منها: «لا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن، فإن فعل فقد دخل»^(٢). وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإذن من أجل الإبصار»^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفتقروا عينه»^(٤).

وعن عطاء قال: «سألت ابن عباس: أستاذن على أختي؟ فقال: نعم. فأعدت فقلت: أختان في حجري، وأنا أؤمنونهما وأنفق عليهما، أستاذن عليهما؟ قال: نعم، أحب أن تراهما عريانتين؟ ثم قرأ الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبِسُوا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: ٥٨)^(٥). قال ابن عباس: فالإذن واجب - زاد ابن جريج: على الناس كلهم -»^(٦).

(١) صحيح: البخاري (٦٢٤٥) في الاستئذان، مسلم (٣٣/٢١٥٣) في الآداب.

(٢) رواه أبو داود (٩٠) في الطهارة، الترمذي (٣٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في اللباس (٣٧٩/١٠) (٥٩٢٤)، ومسلم في الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره (١٦٩٨/٣) (٢١٥٦/٤٠)، والترمذي في الاستئذان (٤٤٨/٧) (٢٨٥٢)، والنسائي في القسامة (٦١/٨)، والدارمي (١٩٨/٢)، وأحمد (٣٣٠/٥).

(٤) أخرجه مسلم في الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره (١٦٩٩/٣) (٢١٥٨/٤٣)، وأبو داود في الأدب (٣٦٦/٥) (٥١٧٢) بنحوه، والنسائي (٦١/٨)، والدارمي (١٩٨/٢)، وأحمد (٢٤٣/٢) - (٢٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٣٨/٨)، والبخاري في شرح السنة (٢٦٧/٥)، والدارقطني في السنن (١٩٩/٣).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد فضل الله الصمد، برقم (٣٠٦٣)، والآية من سورة النور (٥٨).

(٦) نفسه.

وذلك لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأى بعض ما يكره من يدخل إليه أن يطلع عليه، فيشرع الاستئذان على كل أحد حتى المحارم لثلاث تكون منكشفة العورة^(١). ومعنى الآية: أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يغطوا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما يستأذن الرجال الكبار، الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن^(٢).

عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا بلغ بعض ولده الحلم عزله فلم يدخل عليه إلا بإذن^(٣). وعن موسى بن طلحة قال: «دخلت مع أبي على أمي فدخل فاتبعته فالتفت فدفع في صدري حتى أقعدني على استي ثم قال: أتدخل بغير إذن؟!«^(٤). وعن جابر رضي الله عنه قال: «يستأذن الرجل على ولده وأمه وإن كانت عجوزاً وأخيه وأخته وأبيه»^(٥). وعن علقمة قال: «جاء رجل إلى عبد الله قال: أأستأذن على أمي؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها»^(٦). وسأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال: «أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره»^(٧). إن مما ذكرناه أن (الجنس في مأمن ما دام في مكن)، فلا يطلع الصغير على ما يجري بين الأبوين ولا يسمعه، ومن أجل ذلك شرع الاستئذان لثلاث تغتال براءة الصغار باطلاعهم على أمور تحوله من بريء نظيف النفس إلى شيطان يدري عن أمور الجنس ما يعجز عن فهمه الكبار ولا يدرون عنه خيراً.

(١) قاله الحافظ في الفتح (٢٦/١١، ٢٧) بتصرف.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٢/٤٥٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد فضل الله الصمد (٢/٥٠٠) (١٠٥٨).

(٤) نفسه برقم (١٠٦١).

(٥) نفسه برقم (١٠٦٢).

(٦) نفسه برقم (١٠٥٩).

(٧) نفسه برقم (١٠٦٠) ولقد ذكر الحافظ ابن حجر في هذه الآثار في الفتح (٢٦/١١، ٢٧) وقال

عنها: «وأسانيد هذه الآثار كلها صحيحة».

وإذا كان الإسلام حريصاً على عدم اطلاع الصغار على هذه الأمور، فكيف بمن يدير تلفازه ليل نهار ليطلع الصغير على مشاهد جنسية فاضحة، لي طرح جلباب الحياء، ويظل طيلة الليل والنهار لا يفكر إلا في تكرار الفعل الفاضح الذي رآه أمام عينه بمباركة الوالدين!! ليت الحياء إذن يسكن قلوبنا وديارنا.



وهذا نموذج لتعليم آداب الطعام من كتاب (وصايا الرسول ﷺ للأطفال)

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاماً في حجر^(١) رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش^(٢) في الصَّحْفَة^(٣)، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سَمِ الله^(٤)، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك^(٥)»^(٦).

لم يكن النبي ﷺ يترك مجالاً إلا ويُعلم المسلمين فيه أدباً من الآداب، أو أمراً من الأمور التي يتفعلون بها، وكثيراً ما يجتمع الناس على الطعام، وهنا لابد من مراعاة آداب الطعام، وقد وضحها النبي ﷺ في هذا الحديث وغيره من الأحاديث.

آداب الطعام:

- (١) أن نقول قبل البدء في الطعام: «بسم الله الرحمن الرحيم».
- (٢) وقبل الطعام أيضاً يُعلمنا النبي ﷺ دُعَاء آخر وهو: «بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار». أو يقول: «بسم الله» فقط.
- ولكن ماذا يفعل مَنْ نسي أن يذكر اسم الله تعالى؟ يُخبرنا بذلك النبي ﷺ فيقول: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره». فنقول: بسم الله أوله وآخره.
- والسر أننا نقول: بسم الله قبل الطعام هو أننا نريد إبعاد الشيطان عن الطعام حتى تكون البركة في الطعام ويشبع منه كُلٌّ من أكل منه.

(١) في حجر النبي ﷺ: أي أن النبي ﷺ رباه بعد موت أبيه لما تزوج أمه أم المؤمنين أم سلمة.

(٢) تطيش: تتحرك وتمتد.

(٣) الصَّحْفَة: الطبق أو إناء الطعام.

(٤) سَمِ الله: أي قُلْ بسم الله الرحمن الرحيم.

(٥) مما يليك: من أمامك.

(٦) متفق عليه.

(٣) أن يكون الأكل باليمين لا بالشمال لأن الشيطان هو الذي يأكل بشماله، بينما الله تعالى يحب أصحاب اليمين، ولأن اليد اليمين دائماً هي الأقوى.

(٤) الأكل بثلاثة أصابع فقط.

(٥) الأكل من حافة الطعام، وليس من وسطه، وقد قال رسول الله ﷺ: «البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه»^(١) ولا تأكلوا من وسطه.

(٦) أن يأكل الإنسان مما يليه، يعني من أمامه، فلا يمد يده إلى ما هو أمام غيره من الطعام، حتى لا يُخرج صاحبه، أو يجعله يتقزز منه.

(٧) لا يعيب الإنسان الطعام فيقول: هذا الطعام غير جيد، أو نيء^(٢)، أو يقول: أنا لا أحب هذا الطعام.

(٨) فإذا وجد طعاماً لا يحبه يتركه، ويأكل من غيره، وقد كان النبي ﷺ إذا وُضع الطعام أمامه أكل منه، فإذا كرهه لم يأكل منه، ولم يذكر عيباً للطعام أبداً.

(٩) ولا يأكل المسلم متكئاً، يعني وهو نائم على جنبه، فهذا ضار بصحة الإنسان أولاً، ثم هذه من صفات المتكبرين.

(١٠) ويُستحب للإنسان أن يأكل في جماعة، ولا يبخل بطعامه، فقد ذهب رجل يشتكي إلى رسول الله ﷺ فقال: نحن نأكل ولا نشبع. فقال رسول الله ﷺ: «فلعلكم تفترقون- يعني يأكل كل واحد منكم منفرداً-؟». فقال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يُبارك لكم فيه». فالاجتماع على الطعام يُشبع، ويُبارك الله تعالى فيه خاصة إذا ذُكر اسم الله تعالى عليه.

(١١) حمد الله تعالى بعد الطعام فنقول: «الحمد لله». أو نقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين». وبذلك يبارك الله تعالى لنا في الطعام، ويرضى عنا.

ونُضيف إلى هذه الآداب: غسل اليد قبل الطعام وبعده.

(١) حافتيه: مُنى حافة- وهي جانب الطبق.

(٢) نيئ: غير مطبوخ جيداً.

أمور مكروه فعلها عند الطعام:

- (١) نسيان التسمية، فيأكل الإنسان دون أن يذكر الله تعالى، فيشاركه الشيطان طعامه.
- (٢) الأكل باليد اليسرى - الشمال - وقد نهانا الله عز وجل ورسوله عن ذلك.
- (٣) الأكل من أي جانب من الطباق، فيتقرز من يأكل معك.
- (٤) بعض الناس يأكل دون أن يغسل يده، فيسبب التقزز لمن أمامه.
- (٥) وبعضهم يعيب الطعام، ويسبب الحرج لأصحاب الدار، وربما لا يكون عندهم سوى هذا الطعام فيقدمونه له.
- (٦) وبعض الصغار يبصقون أو يتنخمون أو يلعب أحدهم في أسنانه وفمه فيدخل يده ويخرجها، ويتقرز من أمامه.
- (٧) وآخرون يتجشئون^(١) فيزعجون من معهم.
- (٨) وآخرون لا يحمدون الله عز وجل على ما رزقهم من الطعام، وعلى الجميع تعلم هذه الآداب وتعليمها لمن حوله.

آفات يجب أن يتجنبها المربي، وينبه إلى عدم ارتكابها عند الطعام:

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «ومن سوء التدبير للأطفال أن يكتنوا من الامتلاء من الطعام وكثرة الأكل والشرب، ومن أنفع التدابير لهم أن يُعطوا دون شبعهم ليجود هضمهم وتعتدل أخلاطهم، وتقل الفضول في أبدانهم، وتصح أجسامهم، وتقل أمراضهم لقلة الفضلات في المواد الغذائية.

قال بعض الأطباء: وأنا أمدح - قومًا ذكرهم - حيث لا يُطعمون الصبيان إلا دون شبعهم، ولذلك ترتفع قاماتهم، وتعتدل أجسامهم، ويقل فيهم ما يعرض لغيرهم من الكزاز - التيتانوس - ووجع القلب وغير ذلك.

قال: فإن أحببت أن يكون الصبي حسن الجسد، مستقيم القامة، غير منحذب، فقه كثرة الشبع، فإن الصبي إذا امتلأ وشبع، فإنه يكثر النوم من ساعته ويسترخي

(١) التجشأ: خروج الصوت من البلعوم (الحنق).

ويعرض له نفخة في بطنه ورياح غليظة»^(١). فهذه الأمور ينبغي العمل على تحقيقها- يعني الأمور النافعة- وهي متلخصة في: تقليل الطعام.

كما ينبغي تدارك الشره والشبع عند الصغار قبل استفحال هذا الأمر في أنفسهم، لئلا يصابوا بداء البطنة أو السمنة، ويتعود أحدهم الكسل، غير ما يترتب من نتائج سلبية على البطن والمعدة من كثرة الريح، وظهور الكرش أو كثرة الدهن خاصة فوق منطقة الحوض بالنسبة للأطفال مما يؤثر سلباً على طول العضو الذكري.

وجدير بالذكر أن الطفل البدين عادة ما يسخر منه أقرانه، ويعيرونه بالسمنة، فيقل أصحابه فيؤثر ذلك في نفسه سلباً لا إيجاباً، كما تمنعه السمنة من ممارسة الرياضة بشكل طبيعي فيجعله ذلك عرضة للحقد على أقرانه والشعور بالنقص، وربما كانت البدانة أيضاً سبباً رئيسياً في الإصابة بأمراض القلب والجهاز الصدري.

لكن ما هو سبب إكثار الصغير من الطعام وشرائه؟

السبب نفسي بحت، فالطفل يشعر بالقلق لكن ممن؟ تقول الدكتورة سامية حمام: «وتعود بعض أسباب الشره وكثرة تناول الطعام عند الطفل إلى قلق نفسي يؤرقه، أو وجود من ينافس من إخوته الصغار، أو فقدان أحد الوالدين، فإن شعور الطفل بهذا القلق يزيد من تناوله للطعام، لعدم شعوره بالطمأنينة والراحة النفسية»^(٢).

ونضيف سبباً آخر وهو: ترغيب بعض الآباء والأمهات أو الجدات على وجه الخصوص الصغار في الأكل بشرائه، وهذا ملاحظ في أن بعض الجدات تظن خطأ أن علامة صحة الصغير إقباله على الطعام، وأن الصحة في السمنة لا الاعتدال دون نحافة أو بدانة، وهذا مرجعه الجهل بفوائد الطعام والتربية الخاطئة، فقد ظنت خطأ أن الإنسان يعيش ليأكل، وأن الطعام الكثير يغنيه عن الجوع.

وخطأ ظنت فالإنسان يكفيه جزء معين يسد جوعه، وكثرة الطعام تضره، وما الأكل والشرب إلا جزء من الحياة، لا الحياة كلها، فنحن نأكل لنعيش وليس العكس، نقول: والبهائم وحدها هي التي تكثر من الطعام لا الإنسان.

(١) تحفة المودود (ص ١٩١).

(٢) مجلة التربية العدد (٧٤) (ص ١٣٨) مقال بعنوان: سمنة الاطفال تسبب التعاسة والمرض.

فكيف نعالج هذه السلبية؟

نعالجها بإشعار الصغير بالاطمئنان، مع إظهار العطف عليه، وتجنبيه الأماكن التي يُظن فيه إكثاره الطعام فيها، فيأكل قبل الذهاب لجدته، مع نشر المفاهيم الطبية الصحيحة، ولوم الصغير المكثّر من الطعام، وتقديم كميات معينة للصغير يتعود عليها.

ولكن لماذا يمتنع بعض الصغار عن الطعام أو يقللون كميته؟

هذا بسبب مشكلة عارضة، أو محاولة من الصغير للمضغظ على والديه، أو تقليده للوالد أو الوالدة أو أحد الإخوة حين يجده ممتنعاً عن الطعام لسبب أو آخر، وعلاج هذه النقطة يكون بترغيب الصغير في الطعام، وتعريفه فوائده، وعرض شيء من سيرة النبي ﷺ الذي كان يحب بعض الأطعمة كما ثبت في الصحيح كـ (الدباء) وهي القرع، والذراع من الشاة، وثبت أكله اللحم والدجاج والحبارى والحلوى والخبز وغيرها من الأطعمة التي جاءت بها السنة المطهرة، ويُنصح باستخدام كتاب (الشماثل المحمدية) للترمذي في هذا المضمار، ففيه عرض لهذا الجانب من حياة النبي ﷺ ويمكن الاستعانة به.

كما يقال للصغير عن فوائد الطعام، ومضار التقليل أو الامتناع عنه كالإصابة بالأنيميا وغيرها من الأمراض، مع مكافأته بالترهة واللعب عند أكله بمقدار معين لا إفراط فيه ولا تفريط، ويُنصح هنا بالأطعمة المحببة إلى النفس كالحلوى والفواكه والأطعمة السريعة التي لا نحتاج إلى الوقت الكثير في هضمها، ومع ذلك تحقق النفع والفائدة سريعاً.

وننصح الآباء والأمهات بإشاعة جو البهجة لفتح الشهية على الطعام، فإذا ما امتنع الصغير عن الطعام وزاد امتناعه، فالمسألة مرضية يستشار فيها الطبيب إذن.

الجو الذي يجب أن يسود الطعام:

وهذا مثال له عن طريق هذه الخطوات:

(١) اجتماع الأسرة على الطعام دون انفراد أحدهم لتسود البركة.

(٢) عدم الاتكاء لقوله ﷺ كما في صحيح البخاري: «لا أكل مُتَكئاً» وإنما

تكون جلسة الطعام بطي القدم اليسرى، ورفع اليمنى، أو بإقامة الركبتين معاً، لأن ذلك تصغير لحجم المعدة، ولا يأكل الصغير نائماً أو منبطحاً على وجهه.

(٣) والأكل على الأرض، أو المائدة غير المرتفعة كالحوان (المنضدة) أفضل، وهذا يعني انضباط الأب والأم أولاً بهذه الأمور.

(٤) ويحبذ مشاركة الجميع في تحضير الطعام.

(٥) ويحاول المربي لفت الانتباه إلى أن هذا الطعام رزق من الله، وهو مدخل آخر للتوحيد ومعرفة اسم الله تعالى (الرزاق)، كما ينبههم إلى نية المؤمن في طعامه: ليتقوى على الطاعة والعبادة.

(٦) ثم يقال الدعاء المأثور كما سبق.

(٧) ويوجه الأب الصغير إلى آداب الطعام المذكورة آنفاً كما فعل ﷺ مع عمرو ابن أبي سلمة.

(٨) ولا يعيب الوالد طعاماً حتى لا يفعل الصغير مثله، وإن كان ولا بد فليتظاهر بأنه يأكل ثم ليعاتب الزوجة فيما بعد.

(٩) ويقول الغزالي رحمه الله في الإحياء: «وأن يُعوّد الخبز القفار (بغير إدام) في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتماً، وأن يقبّح عنده كثرة الأكل، بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهايم، وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل، ويُمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وأن يُحبب إليه قلة المبالاة بالطعام، والقناعة بالطعام الحشن».

(١٠) وإذا وجد المربي امتناعاً من الصغير عن الطعام فليتلطف في ترغيب الصغير حتى لا يتخذها الصغير أسلوباً للضغط على الوالدين، ويعالج الأمر كما ذكرنا آنفاً.

(١١) وبعد الطعام يحمدون الله على ما أعطاهم من النعم.



وهذا نموذج لتعليم آداب الشرب من كتاب (وصايا الرسول ﷺ للأطفال)

وقال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا واحداً كُشْرَ البعير^(١)، ولكن اشربوا مثنى^(٢) وثلاث^(٣) واحمدوا^(٤) إذا أنتم رفعتكم^(٥)»^(٦).

ومن الآداب التي علمنا النبي ﷺ إياها آداب الشرب أيضاً حرصاً منه ﷺ على المسلم وصحته، ورغبةً منه في الثواب والخير للمسلم ولو كان في الطعام أو الشراب.
ومن آداب الشرب:

وعلمنا النبي ﷺ هذه الآداب ومنها:

(١) تسمية الله عز وجل فنقول: «بسم الله»، أو: «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٢) الشُّرب على مرتين أو ثلاثة، فيكون الشُّرب هكذا: غمسك الإناء ورفعه ونقول: «بسم الله»، ثم ننزله ونقول: «الحمد لله»، ونفعل هكذا مرتين أو ثلاثة، ويكون الشُّرب أول مرة كمية بسيطة ثم نزيدها في المرة الثانية ثم نزيدها في المرة الثالثة.
ولكن ما السر في ذلك؟

إن السر في ذلك هو أن الإنسان إذا شرب مرة واحدة أصابه ذلك بآلم في بطنه، وما لبث أن عطش مرة أخرى، ولكن إذا شرب على مرتين أو ثلاثة تكون المرة الأولى هي التي تروي ظمأه^(٧)، وتجهز معدته وحلقه لاستقبال الماء، ويبرد المعدة والحلق، وبذلك يرتوي الإنسان ولا يعطش سريعاً.

(١) البعير: الجمل وهي تشرب مرة واحدة.

(٢) مثنى: مرتين.

(٣) ثلاث: ثلاث مرات.

(٤) احمدا: قولوا الحمد لله.

(٥) رفعتكم: وضعت الإناء عند فمكم.

(٦) حديث حسن: رواه الترمذي.

(٧) أي: عطشه.

وهذه آداب النوم من الكتاب السابق

قال رسول الله ﷺ لأحد الصحابة: «إذا أتيت إلى مضجعك^(١)، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّك الأيمن وقُل: اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وأجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك^(٢) الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت»^(٣).

وهذا أدب جديد من رسول الله ﷺ يُعلمنا إياه عند النوم فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَاسْكَيْتُ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). فكل ما في حياتنا من أقوال وأفعال يجب أن تكون خالصة لوجه الله عز وجل: الصلاة- الصوم- الزكاة- الحج- الحياة، وحتى بعد الموت كل هذه الأمور يجب أن تكون لوجه الله تعالى.

ولقد كان الرسول ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه كل شيء، حتى قال أحد اليهود: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى دخول الخلاء. وقد علمنا النبي ﷺ أن للنوم أيضاً آداباً يجب اتباعها كما في هذا الحديث الذي ذكرناه في البداية، ومن هذه الآداب:

- (١) أن نتوضأ وضوءنا للصلاة، يعني نتوضأ كما نفعل قبل الصلاة، وذلك ليكون المسلم قد نام على نظافة، ويمكننا استخدام فرشاة الأسنان أو السواك.
- (٢) يجب علينا أن نمسك بثوب أو أي قُماشة ونبدأ بنفض السرير أو مكان النوم ثلاث مرات بحيث إذا كان هناك تراب أو بعض القذارة على السرير ينظف منها.

(١) مضجعك: سريرك أو مكان نومك. ثم اضطجع: أي نم.

(٢) لا ملجأ ولا منجى: لا مفر.

(٣) كتابك: يقصد القرآن.

(٤) متفق عليه.

(٣) ننام على الشق الأيمن؛ أي: الجانب الأيمن، وفي هذا معجزة لرسول الله ﷺ لأن الطب الحديث أثبت أن النوم على الشق الأيمن أفضل من النوم على الشق الأيسر، أو على الظهر.

(٤) وقد نهانا النبي ﷺ عن النوم على البطن لأنها نومة أهل النار.

(٥) ويجب على المسلم أن يقرأ آية الكرسي قبل النوم فيقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

(٦) ونقرأ سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. وسورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، وسورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، كل سورة ثلاث مرات، ثم نضم كفينا وننفخ فيهما، ثم نمسح بقية جسمنا ووجهنا بهذه اليد التي نفخ فيها هواء طيب قرئت فيه آيات الله.

(٧) ومن الدعاء الذي يمكننا أن نذكره عند النوم: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، أو نقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك - ثلاث مرات-»، أو نقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»، أو نقول: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه».

وآخر دعائنا عند النوم ما ذكرناه في الحديث أولاً: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت».

(٨) وإذا استيقظ أحدنا أثناء الليل يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق».

(٩) وعند الاستيقاظ في الصباح نقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه

النشور». ثم يصلي الصبح بعد الوضوء.

(١٠) وإذا لم يكن أحدنا يحفظ هذه الآيات أو الأذكار يطلب من والديه أو من يكبره في السن أن يقول هذه الآيات والأذكار، ويردها وراءه حتى يحفظها بعد ذلك. كما أننا يجب أن نطلب من والدينا الدعاء، ونقبلهما.

بعض الأخطاء التي ترتكب قبل النوم:

١- بعض الصغار ينام دون وضوء، أو غسل أسنانه، فيكون عرضة للمرض والميكروبات.

٢- وبعض الصغار ينام دون تنظيف سريره، فيتسخ السرير أكثر.

٣- وآخرون ينامون بدون الدعاء أو قراءة القرآن.

٤- والبعض حين يستيقظ يقول: صباح الخير. وهذا خطأ فنحن نقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». كذلك إذا نام قال: «تصبحون على خير». والأفضل أن نقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». لأن السلام والرحمة والبركة هي تحيئتنا، ولسنا نقلد غيرنا في تحيته أبداً.

جزاء من تأدب بآداب النوم:

ومن قال الآيات والأذكار، واتبع ما علمنا رسول الله ﷺ كان الجزاء رائعاً، فلقد قال النبي ﷺ: «من أوى^(١) إلى فراشه - سريره - طاهراً، وذكر الله حتى يدركه النعاس^(٢)، لم يستيقظ في ساعة من الليل يدعو الله إلا أعطاه الله خير الدنيا والآخرة» يعني يستجيب الله تعالى له إذا دعاه.



(١) أوى: أي ذهب.

(٢) النعاس: النوم.

ضرورة ترك وقت يلعب فيه الصغار

ساعة وساعة:

ومن حديث حنظلة الأسدي (كان من كتاب رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين^(١) فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا^(٢) الأزواج والأولاد والضيعات^(٣) فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. قال: «وما ذاك؟». قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات-»^(٤).

وفي رواية عن حنظلة أيضاً قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فوعظنا فذكر النار. قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة. قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر. فلقينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة! فقال: «مه؟». فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل. فقال: «يا حنظلة ساعة وساعة، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق»^(٥).

هكذا وضع النبي ﷺ القاعدة: ساعة يستروح فيها القلب بالعبادة، وساعة يستريح فيها من عناء الدنيا وكدها ونصبها وسط أولاده وأهله، فإن القلب سريع

(١) كأننا نراها بعيننا.

(٢) عافسنا: اشتغلنا.

(٣) الضيعات: الضيعة: عمل الرجل وحرفته أو زرعه.

(٤، ٥) رواه مسلم (٢٧٥٠).

التقلب، يجب هذا وذاك، فيجب إشباع رغباته المتنوعة، وفي حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «لقلب ابن آدم أشدُّ تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً»^(١).

وهذا صريح في أن قلب الإنسان في قلبه أشد من قدرٍ قد اشتد غليانها، فحافظ الإسلام على إشباع رغبة القلب في بعض اللهو البريء الذي يمحو ملل الحياة، ويُعدِّ الإنسان للعبادة من جديد، فلا إفراط ولا تفريط، ولا لهث وراء اللعب على حساب العبادة، ولا عبادة يمل القلب منها، وإنما هي حاجات إنسانية يقضيها المسلم دون أن يكون لها الأثر السيئ على نفسه وقلبه.

وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة بالنسبة للكبار، فإن الصغار لهم الحق في اللعب البريء الذي يشبع حاجاتهم؛ بل تتجاوز ذلك لنقول: اللعب للصغار كالعمل للكبار، لا عيش بدونه.

ويثبت القرآن الكريم ذلك حين يقول تعالى على لسان إخوة يوسف بن يعقوب عليهما السلام: ﴿أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١٢).

فلم يكن لدى يعقوب عليه السلام ما يمنعه عن ذلك إلا خوفه المنبعث من الطريقة التي جاء الإخوة يطلبون بها أخاهم ليلعب معهم فقال: ﴿إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف: ١٣).

فالأنبياء كان لهم القدرة على فهم رغبة الصغار في اللعب، فكانوا يشبعونها. وغملك نصاً آخر في هذه المسألة، فالنبي عليه السلام رغم إعداد الله تعالى له للنبوّة، كان يلعب صغيراً في ديار بني سعد، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله عليه السلام أناه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست^(٢) من ذهب بماء زمزم ثم لأمه^(٣) ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى

(١) صحيح: أحمد والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٥١٤٧).

(٢) طست: بفتح الطاء هي إناء معروف.

(٣) لأمه: جمعه وضمه.

أمه - يعني ظنره^(١) - فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون^(٢)، قال أنس: وقد كنت أرى ذلك المخيط^(٣) في صدره^(٤). وهذه القصة تعطي انطباعاً قوياً بأن للعب أثره الطيب على الصغار دون شك، لكن مع انضباط هذا اللعب بما شرعه الله تعالى، وبأوقاته، ودون خروج على الأطر الشرعية.

المضار المترتبة على منع الصغار من اللعب، وفوائد اللعب:

غملك هنا نصاً عن الإمام الغزالي رحمه الله يقول فيه: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يسترّيح إليه من تعب المكتب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائماً يمت قلبه، ويطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً». وقال: «ويعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل»^(٥) اهـ.

ورحم الله الغزالي، فقد أجاد في هذه المسألة، فوضّح المضار المترتبة على منع الصغير من اللعب، وهي:

- الإراحة من جهد الدراسة.
- إماتة القلب.
- إبطال الذكاء.
- تنغيص العيش حتى يحتال في التخلص من الدراسة ليميل إلى اللعب.
- ثم ميله إلى التكاسل بوجه عام.

فإذا ما نال الصغير القسط المعقول من اللعب كان ذلك أدعى إلى تحويل هذه المضار إلى فوائد ينعم بها في حياته، وفي دراسته، وقد لوحظ أن كثيراً من الرياضيين الناجحين هم المتفوقون في دراستهم بشكل كبير، وإن لم تكن هذه هي

(١) ظنره: المرضعة أو زوجها.

(٢) منتقع: من امتقع أو ابتقع أو انتقع ومعناه كله: تغير اللون من حزن أو فزع.

(٣) المخيط: بكسر الميم وسكون الخاء: الإبرة.

(٤) صحيح: مسلم (١٦٢ - ٢٦١) في الإيمان.

(٥) إحياء علوم الدين (٣/١٦٣).

القاعدة، ولكن علاقة الجسم والعقل علاقة وثيقة لا تُغفل، فما يؤثر في الجسد يؤثر في العقل، فمثلاً: نوم الجسد يفيد العقل، وجرح الإصبع يجعل العقل يفكر في الألم دون غيره، وكثرة الطعام تبعث على انشغال العقل بالهضم أو غيره، وكذلك اللعب الذي إن نال الصغير منه حظه كان سليم العقل، وكثيراً ما نسمع: الجسم السليم في العقل السليم.

النبي صلى الله عليه وسلم يسمح للصغار باللعب:

(١) النبي ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وقد كانت رضي الله عنها يومئذ صغيرة، ولم تكن قد نالت حظها الوافر من اللعب أو اللهو، فإذا بالنبي ﷺ يعلم هذا فيها، فيعمد إلى إشباع هذه الرغبة الملحة في نفسها بما يتوافق مع كونها أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ، وبما يتناسب مع كونها أنثى.

تقول عائشة رضي الله عنها: «كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو»^(١). ومعنى كلامها: القرية العهد بالصغر راعوا فيها حبها للهو واللعب.

وفي رواية أخرى لهذه القصة تقول رضي الله عنها: «دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي - أي: رسول الله ﷺ -: «يا حُميراء! أتحنن أن تنظري إليهم؟». فقلت: نعم. فقام بالباب وجتته فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده. قالت: ومن قولهم يومئذ - يعني من غنائهم -: أبا القاسم طيباً. فقال رسول الله ﷺ: «حسبك». فقلت: يا رسول الله! لا تعجل...» الحديث^(٢).

هذه مراعاة منه ﷺ إذن لحب أم المؤمنين للعب، وهي يومئذ قرية العهد بالصغر، ويتجاوز الأمر ما هو أكبر من ذلك حين تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كنت أَلعب بالبنات - يعني العرائس - عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن - يعني يختفين - منه فيسربهن

(١) صحيح: البخاري (٥١٩٠) في النكاح، مسلم (٨٩٢) في العيدين.

(٢) صحيح: عزاه الحافظ (٤٤٤/٢) في الفتح للنسائي وصححه.



إليَّ- يعني يرسلهن- فيلعبن معي»^(١).

وفي هذا الحديث أمور منها:

- (١) جواز اتخاذ العرائس للعب- على شكل البنات- وجواز بيعها للبنات^(٢).
- ونقل النووي رحمه الله أن مذهب جمهور العلماء: اللعب بهن^(٣).
- (٢) أن الفائدة من ذلك تدريب البنات من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن^(٤).
- (٣) جواز لعب الزوجة صغيرة السن مع صواحبها في دارها، والفسحة في ذلك.
- والصواحب: على وزن (فواعل) هن البنات من أقرانها، وصيغة فواعل هي للمؤنث دائماً.

ويسابق رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعيداً عن أعين الناس، فتقول رضي الله عنها: إنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، فقالت: فسابقته فسبقته علي رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: «هذه بتلك السبقة».

وفي رواية قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالى حتى أسابقك»، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت، ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالى حتى أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك»^(٥).

النبي صلى الله عليه وسلم يلاعب أبا عمير:

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟!»^(٦).

(١) البخاري (٦١٣٠) في الأدب، مسلم (٨١/٢٤٤٠) في فضائل الصحابة.

(٢) الفتح (٥٢٧/١٠) لابن حجر.

(٣) النووي (٢٩٥/٥) على شرح مسلم.

(٤) صحيح: أبو داود (٢٥٧٨) في الجهاد.

(٥) صحيح: النسائي (٣٤/٥) في الكبرى.

(٦) صحيح: وقد سبق.

إن هذا النص والنصوص السابقة إقرار نبوي بحاجة الصغار إلى اللعب والترفيه، واحترام هذه الرغبة بإشباعها بما يتوافق مع الشرع حتى لا يشب الصغير وفي نفسه شيء من أهله.

النبي ﷺ وعدم التفرقة بين الصغار وقت اللعب:

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: لا والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال أنس: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس! أذهبت حيث أمرتك؟». فقلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله! (١).

وهنا عمد رسول الله ﷺ إلى أنس دون أن يمنعه من اللعب، ودون أن يفرق جماعة الصغار وهم يلعبون، وفي رواية أخرى: يقول أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ يوماً حتى إذا رأيت أنني قد فرغت من خدمتي قلت: يقيل (٢) رسول الله ﷺ، فخرجت إلى صبيان يلعبون، فجئت أنظر إلى لعبهم، فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون، فدعاني فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها وجلس ﷺ في فيء (٣) حتى أتته» (٤).

فالمسألة تعدى كونه ﷺ يسمح للصغار باللعب إلى احترام لعبهم ذاته، وعدم تفريق جماعة الصغار وهم يلعبون لأن ذلك يؤثر في أنفسهم سلباً، ويجعلهم يمتنون ذلك الشخص الذي يخرج عليهم طارداً لهم، ومفرقاً لألفتهم، ومنادياً فيهم: عودوا إلى دياركم.

إلا أن الصحابة الصغار - كما في رواية أنس - كانوا يتخيرون المتسع من الأماكن للعب فيها كالسوق، لأنه واسع المساحة، وفيه متسع للعبهم، وفي هذا إرشاد للكبار

(١) صحيح: مسلم (٨/٢٣٠) في الفضائل.

(٢) يقيل: ينام وقت القيلولة.

(٣) في ظل.

(٤) صحيح: أحمد (٣/١٧٤) في المسند.

لتعليم الصغار اللعب في الأماكن التي لا يتأذى فيها الآخرون بسبب لعبهم، فمن غير المعقول مثلاً أن يأوي الناس إلى بيوتهم في يوم الجمعة يطلبون الراحة في شارع ضيق، ليلعب الصغار في هذا الوقت، فلا يجد التعب راحته، ولا يجد المريض إلا ضوضاء توقظه طاردة النوم عن عينيه، فليراعى مثل ذلك.

إن النبي ﷺ في قصة أنس الماضية علمنا أموراً وهي:

(١) أن إبعاد الصغير عن اللعب، وتفريق جماعته سيؤدي إلى كراهية الصغير لمن فعل ذلك.

(٢) ووضح حق الصغير في التنفيس عن طاقاته المخزونة التي إن لم تفرغ تحولت إلى كبت يوشك أن ينفجر.

(٣) احترام الصغار بالتسليم عليهم لزيادة المودة.

(٤) بل جلس ﷺ في الظل يلاحظ لعبهم، فما ازدادوا له إلا حباً، فكن مثلما كان ﷺ.

اختيار وقت اللعب:

وقد تقدم أن الحياة: ساعة وساعة، فلا لعب وقت الصلاة عامة، ووقت الجمعة خاصة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩).

وهناك أوقات أخرى نهى الشرع عن اللعب فيها، فقد تقدم أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكَفُّوا صَبِيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ»

وللحديث روايات أخرى يفيد ذكرها: قال ﷺ: «إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ^(١) أَوْ قَالَ: كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكَفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَاباً مُغْلَقاً، وَأَطْفِئْ مَصْبَاحَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكُ سِقَاكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنْءَاكَ^(٢) وَلَوْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ شَيْئًا^(٣)»

(١) استجبح: دخل وأظلم.

(٢) خَمَّرْ إِنْءَاكَ: غطّه.

(٣) صحيح: وقد سبق.

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «كفوا صبيانكم حتى تذهب فحمة أو فورة العشاء ساعة تهب الشياطين»^(١). وفي رواية عنه أيضاً ﷺ: «اكفوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشاراً وخطفة»^(٢). واكفوا صبيانكم: أي: ضمومهم، وفورة العشاء أو فوعة العشاء: هي شدة سوادها وظلمتها، ولذلك قال في الرواية الأخرى: «فحمة العشاء»، وهي شدة السواد، والمراد هنا أول الليل، فإنها «ساعة تخترق فيها الشياطين»، وتنتشر، وهي مرده الجن، فإن أول الليل محل تصرفهم، وحركتهم في أول انتشارهم أشد اضطراباً.

وقال ابن الجوزي: «إنما خيف على الصبيان منهم تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة فيهم غالباً، والذكر الذي يحترز به منهم مفقود من الصبيان غالباً، والسواد أجمع للقسوة الشيطانية من غيره، والجن تكره النور وتتشاءم به، وإن كانت خلقت من نار- وهي الضياء-، لكن الله تعالى أظلم قلوبها، وخلق الأدمي من طين ونور قلبه، فهو محب للنور بالطبع، وعبر بالاحتراق عن الانتشار لأنه إشارة إلى أنه انتشار لابتغاء الفساد، فإن الخرق في الأصل- كما قال الراغب- قطع الشيء على سبيل الفساد بغير تفكير وتدبر»^(٣).

كما نصح ﷺ بعدم اللعب عند هدوء الليل، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إياكم والسمر بعد هدأة الليل، فإنكم لا تدرون ما يأتي الله من خلقه»^(٤). والهدأة: السكون عن الحركات، أي: بعدما يسكن الناس عن المشي، والاختلاف في الطرقات^(٥).

الألعاب المسموح بها شرعاً، والأخرى المحرمة:

(١) الرماية: وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

(١، ٢) سبق تجريجهما بسند صحيح.

(٣) فيض القدير (١/ ١٨٠) للمناوي.

(٤) حسن: الحاكم (٤/ ٢٨٤) وصححه.

(٥) الصحيحة (٤/ ٣٤٦) للالباني رحمه الله.

في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» (الأنفال: ٦).

ومن حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي^(١). وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون^(٢)، فقال النبي ﷺ: «ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان». قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟». قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ: «ارموا فأنا معكم كلكم»^(٣).

(٢) السباق والعدو: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وأمدّها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر - قصد نفسه - كان فيمن سابق بها. وفي رواية مسلم: «فجئت سابقاً فطفف بي الفرس المسجد - أي: علا ووثب لأن الجدار كان قصيراً».

والحفياء: موضع بينه وبين ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة، وبين الثنية إلى مسجد بني زريق ميل. وبنو زريق: بطن من الأنصار من الخزرج. والخيل التي أضمرت: يعني قُلِّلَ علفها لمدة، حتى يجف عرقها، فيجف لحمها وتقوى على الجري.

قال النووي رحمه الله: «وأجمع العلماء على جواز المسابقة بغير عوض بين أنواع الخيل، قويتها مع ضعفها، وسابقها مع غيره، سواء كان معها ثالث أم لا، فأما المسابقة بعوض فجائزة بالإجماع، لكن يشترط أن يكون العوض من غير المتسابقين، أو يكون بينهما ويكون معهما محلل، وهو ثالث على فرس مكافئ لفرسيهما، ولا يخرج المحلل من عنده شيئاً ليُخرج هذا العقد عن صورة القمار»^(٤).

(١) صحيح: مسلم (١٩١٧) في الإمارة.

(٢) ينتضلون، ويتناضلون: يترامون للسباق.

(٣) صحيح: البخاري (٣٥٠٧) في المناقب.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/٧) ط - دار الفجر للتراث.

فالمستفاد هنا جواز لعب الطفل الألعاب المتاحة التي ليس فيها إثم ولا محرم؛ بل يلعب ما يفيده، ويفيد جسده وعقله، وهذا متوافر في أنواع الرياضة كالسباحة، والرماية، وركوب الخيل، والعدو- يعني الجري-، على أن يُجنب الصغير كل ما يؤذيه مادياً ومعنوياً.

فالمعنوي: هو لعب الكرة بالهوس الموجود الآن، وقد سبق التعرض له، وسبق الحديث في الجزء السابق عن مضاره ونتائجه التي تعود بالوبال على الأمة كلها. وأما الأذى المادي: فهو ما نهى عنه ﷺ؛ لأنه يسبب أذى للصغير في جسده، يظهر هذا من خلال طائفة من الأحاديث، ومنها:

حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا- أو في سوقنا- ومعه نبلٌ فليُمسك على نصالها- أو قال: فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء»^(١).

فلا يلعب الصغير بشيء مدبب له نصل أو حد أو سن كالألعاب المعدنية، وإنما يشتري له الألعاب المصنوعة من القماش أو البلاستيك، أو الألعاب الأخرى التي تحتوي على مواد آمنة، ويتعد عن الألعاب التي تحتوي على مواد كيماوية ضارة. حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فيقع في حفرة النار»^(٢). فلا يعطى الصغير سلاحاً أو يمكن منه أبداً لأنه لا يدري ما يسببه هذا السلاح، وقد يتلاعب به الشيطان، فيؤذي قرينه به.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»^(٣).

فلا يلعب الصغار تلك الألعاب التي تؤذيهم، أو تفزعهم وتروعهم وتجعلهم في

(١) صحيح: البخاري (٧٠٧٥)، مسلم (٢٦١٥).

(٢) صحيح: البخاري (٧٠٧٢)، مسلم (٢٦١٧).

(٣) صحيح: أبو داود (٥٠٠٤) في الأدب.

اضطراب وخوف شديدين، خاصة الألعاب التي تصدر أصواتاً مخيفة، أو بيوت الرعب فيما يعرف بـ (مدينة الملاهي) أو أشكال العفاريت والشياطين وغيرها مما حرم الله تعالى تصويره وصناعته.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١).

وهذا نص صريح في تحريم الميسر وهو (القمار) وله أشكال كثيرة منها (الأوراق (الكوتشينة) - الدومينو - الطاولة) وغيرها مما يندرج تحت (التردشير) وهذا مما حرّمته السّنة المطهرة، ففي حديث بريدة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من لعب بالتردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»^(١). ومعلوم أن التردشير هو: النرد أو ما يعرف الآن باسم (الزّهر)، ولا يجوز اللعب به ولو على سبيل الدعابة، لأن بعض الحمقى يقول: طالما لم يلهني عن ذكر الله، ولم أَلعب قماراً فهو حلال.

لقد عقب النووي رحمه الله على هذا الحديث السابق فقال عنه: «وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا: يكره ولا يحرم. وأما الشطنرنج فمذهبنا أنه مكروه ليس بحرام، وهو مروى عن جماعة من التابعين، وقال مالك وأحمد: حرام، قال مالك: هو شر من النرد وألهى عن الخير، وقاسوه على النرد، وأصحابنا يمتنعون القياس ويقولون: هو دونه»^(٢).

فهذا فيه شر كبير على الصغار فيمنعون منه، واللعب كثيرة والحمد لله، فلا يغلظن جلدك، ولا تعاندين ربك، واتق الله، وأبعد عن صغارك مقدمات القمار والميسر التي ستجري في دمائهم حباً وعشفاً فلا يستطيعون فراقها.

ويُجنب الصغار الألعاب التي تعتمد على ضرب الوجه كالملاكمة فقد سبق حديث: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه»^(٣). وهذا نص صريح في حرمة الملاكمة التي

(١) صحيح: مسلم (٢٢٦٠) في كتاب الشعر.

(٢) شرح النووي على مسلم (٤٥/٨) ط ٢ دار الفجر للتراث.

(٣) وقد سبق تخريجه.

يصاب لاعبوها فيما بعد بـ(الشلل الرعاش) أو أمراض عصبية، أو ضربات قاتلة داخل الحلبة، ناهيك عن أن معظم مشجعيها من المخبولين أو المعقدين نفسياً، ويلحق بذلك المصارعة التي يركب الصغار فيها فوق بعضهم البعض فتثار شهواتهم!!

ويجنبون اللعب بما حُرِّم كالأجراس التي لا تصحب الملائكة أصحابها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس»^(١). وعنه أيضاً: «الجرس مزامير الشيطان»^(٢). يلحق بذلك الموسيقى التي نعتقد حرمتها، والتماثيل، والألعاب التي تحتوي على صلبان أو على هيئة خنازير وغيرها، ومعلوم أن الملائكة تمتنع عن دخول البيوت التي تحتوي على تماثيل أو كلاب.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: اشتريت غمقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت؟ قال: «ما بال هذه النمركة؟». فقالت: اشتريتها لتقعدها عليها وتوسدها. فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصورة يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وقال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»^(٣).

ومن حديث ابن عباس قال: أخبرني ميمونة أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيتبك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان واعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أما والله ما أخلفني». قال: فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماءً فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: «قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة». قال: أجل ولكننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة...»^(٤).

(١) صحيح: مسلم (٢١١٣).

(٢) صحيح: مسلم (٢١١٤).

(٣) صحيح: البخاري (٥٩٥٤)، مسلم (٢١٠٧) في اللباس.

(٤) صحيح: مسلم (٢١٠٥) في اللباس.



ومن حديث أبي طلحة أنه ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(١). وهذا فيه فائدة: فلا تعلق الصور الفوتوغرافية في البيوت إذ تمنع دخول الملائكة.

ويجنب الصغير اللعب بما يترتب عليه أذى للملعوب به، فقد سبق حديث (البُغَيْر) وجواز لعب الصبي المميز بالطير إن كان ذلك مأموناً، لكن إن ترتب عليه الأذى فهو غير جائز، فلا يعذب حيواناً وهو يلعب به أو يجعله غرضاً لرميته، وقد مرَّ ابن عمر يقوم نصبوا دجاجة يرمونها، فقال ابن عمر: مَنْ فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا^(٢). وسوف يأتي الحديث موسعاً عن هذا عما قريب إن شاء الله تعالى.

وعليه أيضاً يجنب الصغير كل ما فيه أذى كألعاب العنف، وألعاب اللهو التي قد تصيب قلبه باضطراب وترويع وخوف كألعاب الملاهي التي تُهدر فيها الأموال والجهود بلا فائدة إلا تخويف الناس وسماع صرخاتهم، ويبعد أيضاً عن ألعاب العنف (الكمبيوترية) وغيرها، ولا يلعب إلا ما فيه صلاح له ولأتمته.



(١) صحيح: البخاري (٥٩٥٨)، مسلم (٢١٠٦) في اللباس.

(٢) صحيح: البخاري (٥٥/٥)، مسلم (١٩٥٨) في الصيد.

أسئلة طفلك المخرجة وكيفية الرد عليها أربعون (٤٠) سؤالاً والإجابة عنها الأسئلة المخرجة للصغار كيف نجيب عنها؟

في أحيان كثيرة يفاجئنا الصغار بأسئلة بريئة، تصيبنا بالدهشة والحيرة وأحياناً الجمود وعدم القدرة على الرد، لتناولها أموراً اعتدنا على مواجهتها بالخشع الشديد وحده، وقد يلجأ بعضنا إلى إجابات خالية من الصحة لتفادي إحراج نفسه أمام الصغير، وقد يلجأ البعض إلى الهروب منه بطرق شتى، وقد يلجأ هذا البعض الآخر إلى نهر الطفل وحثه على التزام حدود الأدب.

ويؤكد الأطباء الاختصاصيون أنه للمحافظة على الصحة النفسية للطفل وعلى صيانة نموه الصحي مستقبلاً يجب أن نتعلم كيفية إجراء الحوار (الصحي) و(الصحيح) مع الصغار حتى لو كانت أسئلتهم من وجهة نظرنا (مبتذلة) أو (سخيفة)، فهم لا يعرفون ولا يقدرّون على جهل ما لا يعرفون أصلاً.

إذن هذه الأسئلة ظاهرة صحية للغاية ولا خوف ولا ضرر على الصغير منها؛ بل هي إثبات قوي على قوة ملاحظته، ودقة تفكيره، وصحة عقله.

الأطفال لا يريدون معرفة كل شيء كما نظن:

وهذه حقيقة فالصغار لا يريدون معرفة كل شيء عما يسألون فيه؛ بل يكفهم أن تجيب بعض الإجابة لا كل الإجابة، وربما تحتاج الإجابة إلى تميع للقضية لا صراحة مباشرة.

فمثلاً الأم الحامل في الشهر السابع قد تتعرض لسؤال من صغيرتها التي تبلغ الثالثة من عمرها فقط تقول فيه: لماذا تبدين سميكة بهذه الصورة؟ ويقول الاختصاصيون: إن الحوار يجب أن يتم بالصورة الآتية:

- إن أخاك لك ينمو في داخلي وخلال شهرين سوف يكبر وينزل ليكون بيننا، فأنا لست سميكة ولكنني فقدت رشاقتي مؤقتاً.

- هل أستطيع الحصول أنا الأخرى على طفل، من فضلك؟

- ليس الآن يا عزيزتي، عليك الانتظار حتى تكبري وتستقري في منزل مستقل حيث تستطيعين رعاية طفلك بصورة مناسبة، وعلى كل سوف تجربين معي طريقة تربية أخيك والعناية به.

وبهذه الطريقة تعرف الصغيرة هذه الحقائق عن الحياة والحمل ومسئولية تربية الأطفال والسن المناسبة لذلك وإمكانية المشاركة وتعلم المسئولية.

هذا على سبيل المثال، وهناك بعض الإرشادات التي يجب اتباعها كالاتي:

أولاً: لا تُثر طفلك بنفسك، فيحدثك بما تكره:

فلماذا تعلق صورة عارية داخل حجرة الوالدين؟ ولماذا يُقبل الوالد الوالدة أمام الصغير؟ ولماذا لا يتعلم آداب الاستئذان حتى لا تقع عينه على ما يكره؟ ولماذا تُغتال براءته بمشاهدة مقاطع جنسية فاضحة في ظل هجوم الفضائيات؟

النتيجة الطبيعية لكل هذه الأسئلة أن الطفل سيسأل: لماذا يقبلها؟ لماذا خلعت ملابسها؟ ما هذا الشيء الضخم في صدر المرأة؟ هل هما زوجان؟... إلخ.

فلماذا نثير نحن أطفالنا إلى هذه الناحية المدمرة؟ إن الأخرى بنا أن نبعد نحن قبل الصغير عن هذه الأمور التي تدمر حياتنا، وتجعل المرء حيواناً شبقياً همه لبس وكسا، وعُري ونسا لا أكثر ولا أقل، إننا سنوجه الطفل تجاه الأسئلة الجنسية مباشرة إن تركنا شهواتنا تتحكم فينا وتقودنا، والأولى بنا أن نعمل على عدم إثارة هذه الأمور قولاً أو فعلاً أو صورة، حتى لا نكون كمن زرع ثمراً ويجواره رعى آفة لتقتل هذا الزرع، واجعل البلاء يأتيك من الخارج لا من الداخل الذي يجب أن تحصنه تماماً كما سبق.

وفي ظل الهجمات المتتالية على الشرع والعقيدة يجب علينا أن نبعد الصغار عن سماع الشبهات المثارة ضد الدين والصحابة الكرام وليكن شغلنا الشاغل زرع العقيدة الصحيحة لا بالدفاع عنها في هذه المرحلة السنية.

كذلك يجب عدم إثارة مسائل الخلاف بيننا وبين المغايرين لنا في الأديان حتى يعي الصغير عقيدته تماماً ويفهمها ويعلم أن ما سواها باطل لا محالة.

ثانياً: لتكن إثارتك للأسئلة نحو ما ينفع الصغير دائماً:

وكذا يجب إثارة ما يعود على الصغير بالنفع، فمثلاً تسأله: لماذا خلق الله الإنسان؟ ثم تجيب عن هذا السؤال وأمثاله كثير، كـ(من خلق هذه الشجرة وهذا النهر؟) حتى تكون إثارتك دافعاً لزيادة إيمانه وترسيخ العقيدة السليمة الصحيحة فيه، وعلى شاكلة هذا السؤال المسائل العلمية التي قد ينتفع بها الصغير، كتعريفه الفوارق بين السائل والمتجمد، أو التاريخ الإسلامي وهكذا.

ثالثاً: لا تبد قلقاً أو تغييراً أو عنفاً تجاه الأسئلة المطروحة من الصغار:

فكما سبق أسئلة الطفل ظاهرة صحيحة فيجب ألا تثير قلقاً أو انزعاجاً في نفسك، فلا تتلعثم أو يتغير لون وجهك، أو تبدي عنفاً تجاه السؤال بزجر الصغير وضده لأنه لن يكف أبداً عن البحث عن بغيته في إجابة السؤال المطروح عليك، فاغتنم أنت الفرصة وأسمعه الإجابة بدلاً من سماعه إياها من طرف آخر قد يعطيه معلومة خاطئة تكون مسماراً يذق في نعش التربية الإسلامية، وجرثومة فيها تسبب متاعب كثيرة في المستقبل.

والأطفال كما يقول علماء النفس يحبون السماع من الآباء من بعد سن الرابعة والخامسة، فيكثر من الأسئلة لاستفزاز آبائهم، أو يطلبون سماع الحكايات، لأنهم كوعاء فارغ لا بد من ملئه، فاملأه بالخير ولا تتركه عرضة ليملاً بالسموم، أو مجرد هواء فارغ.

لاطف طفلك وداعبه وتبسم له وأنت تجيب عن السؤال، لتكون مصدر الإجابة والمعرفة الدائم له، وحتى لا يتطلع إلى غيرك طالباً منه الإجابة.

رابعاً: وسّع دائرة معرفتك: عن طريق القراءة والسؤال وكثرة السماع، والحوارات مع الأصدقاء، واستشارة المأمونين من العلماء والشيوخ.

خامساً: إذا جهلت الإجابة فتهرب بلطف: حتى لا يفقد طفلك الثقة فيك، ولا تتعلل بعدم المعرفة (الجهل)، لأنه حتماً سيفقد ثقته فيك، ويلجأ لمن يظن أن لديه المعرفة.

سادساً: بادر طفلك بالمعرفة قبل أن يبادرك هو بالسؤال: وذلك عن طريق جلسات

علمية ودينية وتاريخية وقصصية، لتحد من جموح الطفل ناحية المعرفة، وتجعله يسير في درب أنت رسمت خطاه قبل أن تحتوشه أسئلة كثيرة لا طائل من ورائها إلا تضييع الوقت والفضول وحسب.

سابعاً: ابتعد عن كل ما يجعل الطفل يفكر بطريقة خاطئة: كأفلام الكارتون التي تعرض لفكرة الزندقة، والأفلام الجنسية وغيرها، وقد سبق الحديث عنها قبل ذلك.



نماذج من الأسئلة المخرجة للصغار وكيفية الإجابة عنها

(١) لماذا لا نرى الله تعالى؟

فالصغير قد ييغتك سؤال لا تتوقعه، فتكون على مائدة الطعام وتقول له: احمد الله تعالى أو ادعه، فيقول: أنا أريد رؤية الله تعالى، لماذا لا أراه؟ وهنا تكون الإجابة كالآتي: إن في الكون أشياء كثيرة نؤمن بوجودها ولا نراها، فنحن نؤمن بوجود الهواء ونشعر به، لكننا لا نراه، كما نؤمن بوجود الكهرباء لكننا لا نراها، ونؤمن بوجود ذبذبات الإرسال التليفزيوني والتليفوني ولا نراها، ونؤمن بأن أحداً يكلمنا من بلاد بعيدة من خلال الهاتف مع أننا لا نراه، والله تعالى - على أن تكون قد آتيت بأدلة وجوده سبحانه - لا نستطيع أن نراه، لكننا نستدل على وجوده سبحانه، فالخالق يرى المخلوق، والمخلوق لا يرى الخالق كقوله سبحانه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

كما أن عيوننا الآن في الدنيا لا تتحمل النظر إلى الله تعالى، فقد طلب نبي الله موسى عليه السلام من ربه سبحانه أن يراه فلم يستطع وقال تعالى له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣).

ويوم القيامة يعطينا الله تعالى عيوناً قوية تراه سبحانه، ويكون هذا للمؤمنين فقط كما قال سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴿القيامة: ٢٢، ٢٣﴾. وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). وهو سبحانه يختبرنا بهذا فمن آمن فله الجنة، ومن كفر فله النار.

(٢) أخي الصغير في بطن أمي كيف دخل إليها؟

ولا داعي للقلق من مثل هذه الأسئلة، فالطفل يسأل لمجرد فضوله وتنمية معارفه، لكنه لا يعي ولا يدرك شيئاً مما يدركه الكبار، فلا يريد معرفة كل شيء كما سبق، فالهدوء مطلوب تماماً قبل الإجابة، ثم تبدأ فتقول: كل إنسان لا يستطيع الإتيان وحده إلى الدنيا؛ بل لابد له من فترة يعيشها في بطن أمه أولاً لكي يقوى ويقدر على تحمل الحياة بما فيها من (شمس وحرارة، وقمر وضوء، وبرد وحر)، كما أن النبات يعيش بذرة تحت الأرض، وكل الناس خلقهم الله تعالى في بطون أمهاتهم أولاً مدة تسعة أشهر، ثم يأذن بعد ذلك في نزولهم وقدمهم إلى الحياة، ولو قدم إلى الحياة قبل ذلك لمات ولما استطاع أن يعيش، وتضرب له الأمثال بالكتكوت الذي يظل جنيئاً في البيضة، والزرع الذي يظل بذرة حتى يظهر وهكذا، فكما رأيت أنت تميع القضية وتعطيه طرفاً من الإجابة لا كل الإجابة.

(٣) لماذا لا تحمل أنت يا أبي بدلاً من أمي؟

قل له: خلق الله تعالى كل شيء وقسمه بقدره، فالرجل يعمل ويتحمل المشاق الخارجية، ويأتي بالنقود، والمرأة تحمل وتلد، ولا يمكن أن تنبادل الأدوار، والله تعالى خلق الكون كله هكذا: الذكر للعمل والكبد، والأنثى للحمل والرضاعة والتربية، وأعطى لكل واحد القدرة على ذلك.

(٤) فلماذا لا تحمل أختي الصغيرة بدلاً من أمي؟

حين تكبر أختك وتتزوج كما تزوجت أمك سيعطيها الله إن شاء سبحانه الطفل، فالله تعالى لا يعطي الولد إلا للزوج والزوجة اللذين تزوجا بشرع الله تعالى بعقد صحيح سليم، وكذلك أنت حين تكبر سيعطيك الله زوجة وولداً إن شاء.

(٥) ولماذا لا أتزوج أختي يا أبي؟

ابدأ هنا في ترسيخ القواعد المتعارف عليها بين الناس عن طريق المشاهدات، فقل له: لا يمكن لأحد في العالم كله أن يتزوج أخته، فأنت ليست أختي، وزوج خالتك ليس بأخيها، وعمك فلان ليس شقيق خالتك فلانة، كما أن الله تعالى حرم علينا أن نتزوج بالأمهات والأخوات فقال سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣)

(٦) عمي حامد متزوج بامرأتين، لماذا؟ ولماذا لا تفعل مثله يا أبي؟

وأسلم الإجابات هنا أن تقول له: أسألك أمك!! فهي سر التوقف عن الزواج بثانية، وهي التي أقرت ذلك!! هذه بالطبع إجابات معظم الرجال على ما أعتقد في قرارة نفسي، لكن للأمر إجابات أخرى كالآتي:

إن الله تعالى جعل الرجل محباً للمسئولية، والمرأة ضعيفة تحتاج إلى من يرهاها ويكفلها فجعل الله تعالى الرجل سبباً في حماية المرأة فأباح له الزواج حتى أربع نساء لبعض الأسباب، فالرجال يحاربون والنساء لا تحارب، فيسقط القتلى من الرجال ويزيد عدد النساء، وتحتاج المرأة إلى من يدير لها شئونها ولا أفضل ساعتها من الزوج. أو تكون المرأة يتيمة ولا عائل لها فيتزوجها الرجل وعنده امرأة أخرى (زوجة أخرى). أو تكون أرملة وعندها يتامى فيكفلها وأولادها كما كان النبي ﷺ يفعل. ويمتدح هذا الجانب في حياة الرسول ﷺ والصحابه تحديداً بعد الهجمات الشرسة المتتالية من العلمانيين وأذئاب الغرب.

ونضيف سبباً آخر وهو: قد تكون المرأة لا تلد، والرجل يتمنى على ربه الولد فيتزوج بأخرى، أو تكون الزوجة مريضة تحتاج إلى الخدمة والرعاية فتكون الزوجة الثانية عوناً لها على ذلك.

ولياك أيها الذي تُسفه شرع الله تعالى أنت والأخرى، إياكما من الطعن في شرع الله تعالى بتسفيه من تزوج بامرأة ثانية، فهذا شرع ربنا والله الحمد والمنة، واسألوا أوزوبيا التي تعاني تفككاً اسرياً بسبب خيانة الرجل للمرأة، لأنه لا يكتفي بواحدة، فيزني ويزني لماذا؟ لأنه يؤمن بشرع لا يجيز له الزواج بأخرى، ولو كان غير ذلك لتقلصت فرص وقوعه في الزنا.

(٧) إذا كان الأمر هكذا فلماذا لا تتزوج المرأة بأربعة رجال؟

هذا شرع الله تعالى أولاً، وهذا خلق الله، والرجل عنده القدرة والقوة على حكم أربع نساء، لكن المرأة لن تستطيع ذلك، لأنها لو تزوجت بأكثر من رجل وولدت لن نعرف والدًا للطفل، وسيحدث نسبة الولد إلى غير أبيه.

والمرأة يا بني تحمل والرجل لا يحمل، وحين تحمل المرأة تحتاج للمساعدة حتى إن الله تعالى رفع عنها الصيام، فهي ضعيفة طيلة حياتها، ومن هنا كان الزواج بأكثر من امرأة للرجل لا للمرأة.

(٨) لماذا نتوضأ قبل كل صلاة رغم أننا قد نكون على طهارة ونظافة؟

يجب يا صغيري أن نفرق بين أمرين هامين:

- النظافة العادية وهي نظافة جسد الإنسان، وملبسه، ومنزله.

- والنظافة الأخرى التي جعلها الشرع من أجل العبادة كالوضوء.

فالوضوء ليس مجرد نظافة الجسد وأعضائه، وإنما له فوائد أخرى:

أولاً: أنه أمرٌ من الله تعالى الذي قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: ٦). ولا يقبل الله تعالى صلاةً بغير طهور، فلا بد من الوضوء.

ثانياً: أن الوضوء شرط من شروط الصلاة بأمر الله تعالى، والإنسان قد يفعل أمر أبيه دون أن يفهمه لأنه يحبه، وينفق عليه، ونحن نحب الله الذي يرزقنا جميعاً فنطيع أمره حتى ولو كان هذا الأمر بغير سبب.

ثالثاً: أن الوضوء تصحبه نية العبادة، وهذا هو الفرق بينه وبين النظافة العادية التي يشترك فيها مع المسلمين الناس جميعاً.

رابعاً: لا يقتصر الوضوء على النظافة الظاهرية للجسد فحسب، وإنما يحو الله تعالى به الذنوب، ففي حديث مسلم (٣٢/٢٤٤) في الطهارة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب». فالوضوء ذو فوائد عدة، وأول فوائده وأعظمها طاعة الله تعالى.

(٩، ١٠) الصلاة لماذا هي واجبة؟ ولماذا تكرر في كل صلاة ما سبق وإن قلناه في الصلاة السابقة؟

كلام للآباء: الصلاة وغيرها من الأمور الشرعية بهذا الترتيب وهذا الشكل ليست من وضع البشر، وإنما هي وحي من الله تعالى الذي أمر نبيه ﷺ بذلك.

وهناك أمور لا يستطيع العقل أن يصل إليها، والدين بالنص لا بالرأي ولا بالعقل، وقد نُقل عن السلف رحمهم الله ذمهم هذه الأسئلة التي تبحث عن أمور أصولية غير عقلية، وغير عقلية: لا تعني الجنون، بل تعني عجز العقل عن إدراك فهمها وكنهها، ولو كان الدين بالرأي لكان المسح على الخف أسفله لا أعلاه كما أثر عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ومن هنا فطاعة هذه الأمور غير مشروطة بالاقتناع أو الفهم العقلي لها لأنها اختبار وامتحان من الله تعالى لعباده، ثم هي إعلان من العبد عن حبه لربه تعالى وطاعته مهما كانت التكاليف، يضاف إلى ذلك أن الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

وقد تكون الحكمة خافية، والمسلم يؤمن بطبعه أن الله تعالى (حكيم) قد تبدو الحكمة فنفهمها وقد تخفى علينا فلا نلاحظها.

هذا ما ينبغي أن يقر أولاً في أذهان الآباء والأمهات لأن كثيراً منهم يُعمل عقله بلا داع داخل نصوص شرعية لا تحتل أعمال العقل متهمين الفقهاء وغيرهم بالجمود والتقليد وتعطيل العقل، وهذا وهم منهم، فالطبيب يسخر عن يحاول ممارسة العمليات الجراحية وهو غير حاصل على شهادة عليا في الطب ويجرم ذلك، ويُحوّل ملفه إلى القضاء حتى ولو كان (صيدلياً أو ممرضاً)، ولا تقبل الدولة منح التراخيص للأفراد إلا مشفوعة برسم هندسي على يد أحد المهندسين، فكيف يسمح الناس لأنفسهم بالتعدي على شرع الله تعالى لمجرد فكرة في رأسه وهو غير عالم ببقية الأحكام الشرعية؟! ولمجرد أنه (عاقل) لو كان هذا كذا فلماذا نرى العقل ضعيفاً كلما صغر الإنسان ويكبر معه كلما كبر، ويغيب بالنوم والإغماءات والغضب والسكر والجنون؟

إن العقل قوة بشرية محدودة، ولو كان كاملاً لُعبد من دون الله تعالى، ولاستبد كل إنسان بعقله وما احتجنا الرسل، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ

يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنُزَلِّنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ (الإسراء: ٩٥). فهم ملائكة لا تفارقهم طبيعتهم، يمشون باطمئنان، ولكن تبقى حاجتهم للرسالة والشرعية موجودة ملحة حتى ولو كانوا ملائكة!! فما بال البشر؟

لقد نجح الغرب في عملية (رضاعة) التشكيك، فراحوا يرضعون الناس لمحات التشكيك والريبة في دينهم من بعيد، ثم زادت الكمية، حتى فُطِمَ الكثير على محاجة الشرع والاعتراض عليه، وإبداء الأسئلة التي تحمل طابع الطعن لا طابع السؤال المستزيد الباحث عن الإجابة، وللأسف الشديد أن أصحاب هذه الأسئلة هم أجهل الناس بدينهم.

جلست مع أحد الأطباء ذات مرة فقال: إن القرآن يحمل تناقضاً مع الحديث النبوي أو العكس. فقلت: كيف؟ قال: كيف يأمر الله تعالى بأن يمسك الكلب صيداً وتأكله ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ (المائدة: ٦). ثم يأتي النبي ﷺ فيقول: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب»؟! والتمعت في عين الحضور بوادر الشك، وظن أنه قد وصل إلى بغيته، فقلت له: هل تشتري كل يوم آلات طبية جديدة؟ فقال لي: لا، بل هناك أدوات أعمل بها، أعيد تعقيمها كلما أردت استخدامها. قلت: وبماذا تعقم؟ قال: بالماء المغلي أو بعض الأدوات التي تقتل الميكروب والجراثيم. قلت: وهكذا ما يمسك الكلب. قال: كيف؟ قلت له: هل يأكل الإنسان صيداً (طائراً) مثلاً بريشه أم ينتفه؟ قال: بل ينتف ريشه. قلت: والحيوانات يأكلها بجلدها؟ قال: لا، بل يسلخها. قلت: هذه هي عملية التعقيم وقتل الميكروب والجراثيم عن طريق السلخ ونف الريش بشي الصيد أو سلخه، فالبار كفيلة بقتل الجراثيم التي تركها الكلب على الفريسة التي صادها.

ولا فائدة، لقد هاج وماج وقال: فلسفوا الدين كما تشاءون!! ثم تركني وانصرف بعد أن أثبت أن العقل أعجز ما يكون عن فهم الشرع إذا ما استبد به الإنسان.

وما سبق لابد أن يقر في نفوس الآباء ليكون واقفاً على أرض صلبة وهو يحاور صغيره في هذه الأمور العقلية التي لابد فيها من جواب صريح ليزداد إيمان الصغير



بالله تعالى ولا يتزعزع أو يتزحزح، نقول للصغير كما قلنا في الوضوء: الصلاة أمر من عند الله تعالى، والمسلم يفرح بأمر ربه، وينتظره ويعمل من أجله، ويجب الصلاة التي كان النبي ﷺ يقول عنها: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

فكانت راحته ﷺ في الصلاة التي يراها المسلم صلة بينه وبين ربه، ويدعوه فيها ويتقرب منه خمس مرات كحد أدنى للضعفاء، فمن أراد الزيادة فليُصلِّ في الليل أو النوافل أو الرواتب ليدخل على ربه تعالى في أي وقت شاء، فالصلاة حديث العبد لربه تعالى.

ثم إن الصلاة فرصة لتوحيد كلمة المسلمين وجمعهم في المسجد لتداول شئونهم وأمورهم، وهي طريق لمحبة الله تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، وهي سبب في زيادة الصبر: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» (البقرة: ٤٥).

وهي - الصلاة - تعلم الثبات والكرم: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (العنكبوت: ٤٥).

وتكفر الذنوب، وترفع الدرجات، وهي أحب الأعمال إلى الله، وفي السجود قرب من الله تعالى: «وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» (العلق: ١٩). وهي مفتاح الجنة، وبها النجاة من النار، ومن صلى كان في ذمة الله؛ يعني في عهده سبحانه، وهي خير من كل شيء.

كل هذه الفوائد توجد داخل الصلاة، وقد توعدَّ الله تاركها والمتكاسل عنها بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، فما من عبد ترك الصلاة إلا ولقي ربه وهو عليه غضبان.

ثم لماذا نكرر في كل صلاة ما نفعله في الصلاة الأخرى؟ إن الصلاة هدية السماء إلى الأرض نزلت بهذه الكيفية على رسول الله ﷺ كما علمها الله تعالى له، وكما أمه فيها جبريل عليه السلام، ونحن نسمع ونطيع في هذه الناحية لأن الله تعالى قال: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (الحشر: ٧).

وقال سبحانه: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (آل عمران: ٣١). فنحن

نفعل ما فعله ﷺ، ونحن لا نكرر إلا الفاتحة والركوع والسجود، لكننا نقرأ آيات أخرى من القرآن، ثم ندعو بأدعية مختلفة داخل الصلاة، فقد أدعو اليوم بالفلاح وغداً بالفوز بالجنة، وبعد غدٍ بالرحمة لي والشفاء من الأمراض، وتكرار الحركات في الصلاة دليل على سهولة الإسلام ويسره، ورفع الحرج عن المسلمين، فلو كانت كل صلاة تخالف الأخرى لاجتار الناس واختلط الأمر عليهم، ولحاروا: ماذا نفعل في كل صلاة؟ ولقد علم الله ولم يزل عالماً سبحانه أن هناك ضعفاء لا يقدرُونَ إلا على هذا الشكل من الصلاة فيجعلها كذلك.

(١١) لماذا نصوم في رمضان، ونعرض أنفسنا للجوع والعطش والحرمان؟

الصيام كالصلاة أمر إلهي يجب اتباعه، فقد قال سبحانه: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٤). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٢). فالصيام فريضة كتبها الله تعالى على الأمم كلها؛ لا على أمة الإسلام فحسب، وشرع من قبلنا شرع لنا، ثم الصيام له عدة فوائد، منها:

(أ) تأديب النفس وإشعارها برقابة الله تعالى لها، فالصائم يكون أمامه الطعام والشراب لكنه لا يأكل شيئاً خشية من الله تعالى، وإحساساً برقابته سبحانه له.

(ب) الإحساس بالفقراء الذين يعيشون طيلة العام بلا طعام ولا شراب أو القليل منهم، وهنا تسود روح المحبة بين المسلمين، فمن شعر بالجوع يعرفه، فيتصدق على غيره ويعطيه من مال الله الذي جعله مؤتمناً عليه.

(ج) وفي الصيام راحة من شره الأكل والشرب طيلة العام فترتاح المعدة وتتخلص من أمراض كثيرة.

(د) وللصائمين عند الله أجرٌ عظيم:

- يدخلون من باب الريان في الجنة.

- ويضاعف لهم عملهم.

- وتُغفر لهم ذنوبهم.

- ويتدربون على الصبر ومواجهة النفس إلى غير هذا الثواب العظيم والأجر

الوفير.

(١٢) هل توجد ملائكة؟ وأين هي؟ نرجو الرجوع إلى ما أثبتناه في وجود الله تعالى.

(١٣) هل توجد عفاريت؟ انظر السابق.

(١٤) أين الجنة يا أبي؟ فقد حدثتني عنها كثيراً، فهلها نزورها!!

الجنة موجودة يا ولدي بحمد الله لكنها جائزة للمتقين لا يعلم مكانها إلا الله سبحانه، ولو أراها الله للناس لما اشتاقوا إليها وما أحبوها ولزهدوا فيها لأنهم رأوها، فأراد الله تعالى أن يشوقهم إليها بالحديث عنها وإخفائها عن عيونهم.

والله المثل الأعلى نقول: ماذا لو أنني أردت منك أن تنجح في الاختبار؟ أقول لك: ذاكر ولك عندي جائزة عظيمة لم تر مثلها قبل الآن. ساعتها ستشتاق لها، وتفكر في جمالها وتمناها، وتعمل من أجل الحصول عليها.

لكن إذا قلت لك: ذاكر وسأعطيك هذا القلم - وتشير إليه -، تقول لي يا ولدي: لقد رأيت القلم وتشبعت منه، ولا داعي للعمل فالقلم أمامي كلما أردت النظر إليه نظرت. فإخفاء الجنة أمر جميل يعود بالنفع على الناس، ولا يعلم مكان الجنة إلا الله تعالى الذي خلقها وجعلها للصالحين المؤمنين لا غير ذلك. ثم يا ولدي يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣). فهذا حجم كبير عظيم، فعرضها ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢١).

فلا تسعها الأرض ولا يستطيع الإنسان الوصول إليها أو رؤيتها كاملة، وربما مات قبل أن يراها، أو ربما مات من شدة الفرح بما فيها، ففي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، وإذا كان الظل هكذا فكيف بالشجرة؟! وفي الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماوات والأرض، فمتى يقطع الإنسان هذه المسافة؟!

ويحرص الأب على تشويق أولاده للجنة وعرض نعيمها كما في كتب (التذكرة) للقرطبي محققاً ط دار الفجر للتراث، أو (البحر الرائق من الزهد والرقائق) للشيخ/ أحمد فريد.

(١٥) أين النار، لماذا لا نراها؟

انظر السؤال السابق، واعمد إلى التخويف لا إلى التشويق هذه المرة لكن لا تسترسل كثيراً في هذا الأمر حتى لا ينقلب الأمر إلى بغض وكراهية.

وزد على ما في السؤال السابق بقولك: انظر إلى نار الدنيا إنها جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة، ومع ذلك لا يتحملها أحد ولا يطيقها، وهي تحرق كل شيء وتدمره، فكيف لو كانت نار الآخرة وهي مفضلة على نار الدنيا بسبعين جزءاً؟ كيف بها لو كانت في الدنيا؟ لا شك كانت ستحرقنا وتقتلنا.

(١٦) لماذا يوجد ناس أغنياء وفقراء؟

هذه حكمة عظيمة لله تعالى في خلقه، فلو كان الجميع أغنياء لما احتاج أحد إلى أحد، ولا استغنى الإنسان بنفسه وطفى في الأرض، ولكن بحكمته سبحانه جعل بعضهم فقراء ليرى هل سيصبرون أم لا؟ وجعل بعضهم أغنياء ليرى هل يشكرون أم لا؟

ولم يخلقهم فقراء ويتركهم؛ بل جعل لهم رزقاً، وحقاً في أموال الزكاة، وجعل الغني في حاجة إلى الفقير، فالغني يحتاج للفقير أكثر من حاجة الفقير إلى الغني، لأن الغني لا يستطيع أن يقوم بكل أعماله وأشغاله؛ بل يحتاج إلى فقير يعمل له، ومن هنا يزيد دخل الفقير الذي يحصل على المال.

وقد حكوا قديماً أن رجلاً وجد بعض الذهب في جبل من الجبال في إحدى الجزر، فعلم الناس بخبر الذهب، فراحوا جميعاً فوجدوا ذهباً كثيراً يكفي الجزيرة كلها، وأصبح أهل الجزيرة جميعاً أغنياء، وفي الصباح ذهب أحدهم إلى فرن الخبز لم يجد خبزاً لأن الخباز صار غنياً صاحب ذهب، فلماذا يعمل؟ واحتاج الصغار إلى اللبن، فذهبت الأم تشتريه فوجدت الفلاح نائماً قد تكاسل عن حلب بقرة، فقد صار صاحب ذهب، فلماذا يعمل؟ ونظر أحدهم فوجد الطريق قد امتلأت عفاً وقمامة، لأن العامل صار غنياً صاحب ذهب، فلماذا يعمل؟

وهكذا تعطلت المصالح وزادت المفاسد، وهو ما سيحدث لو اغتنى الناس جميعاً، أو افتقروا جميعاً، فهذه حكمة بالغة.

ومن الناس من إذا اغتنى كان مفسداً في الأرض، فالفقر له دواء، ومنهم من إذا افتقر اعترض على أمر ربه، فالغنى له علاج.

وعباد الله لا يصلحهم إلا ما قدر الله تعالى لهم، والمؤمن راضٍ بقضاء الله وقدره لا يعترض عليه، والغنى غنى النفس، وليس علينا إلا العمل والسعي والله تعالى هو الرزاق.

(١٧) لماذا رأينا القمر كبيراً في الأقصر ولما جئنا إلى القاهرة وجدناه كما هو؟

أنت تعتقد يا ولدي أن المسافة التي قطعناها من الأقصر إلى القاهرة كبيرة، وهذا صحيح، ولكن بالنسبة لأحجامنا الصغيرة، لكن هناك مساحات أوسع وأحجام أكبر، وحجم الكرة الأرضية كبير للغاية، فالمسافة بين الأقصر والقاهرة فيها صغيرة جداً ولا تكاد تذكر، كما أن القمر عبارة عن كوكب على شكل كرة يدور حول الأرض - ونوضح له معنى الدائرة -، فالمسافة التي دارها القمر من الأقصر حتى القاهرة قليلة جداً، وكل ما حدث أننا نسير في مواجهة القمر فهو ثابت ونحن نتحرك فتتحيل أنه يتقل معنا.

(١٨) زميلي أسود الوجه، وأنا أبيض الوجه، فلماذا؟

تتغير ألوان البشر وفقاً لما أراده الله تعالى، ففي قصة الخلق عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك»^(١). وإذا كنا قد خلقنا من التراب، فالتراب يتغير لونه، فهناك تربة سوداء، وأخرى حمراء، وثالثة بيضاء، فاختلقت الوجوه والألوان على قدر ذلك.

ونحن نرى طائراً فيه ريش أبيض وبعض الريش الأسود، فإذا ما باض وخرج الأفراخ من البيض وجدنا أن هناك طائراً أسود تماماً، والآخر أبيض تماماً، والثالث فيه بياض وسواد، فجاءوا بنفس ألوان الأم أو الأب.

وكذلك كان آدم عليه السلام خلقه الله تعالى بيده فكان فيه الحمرة والبياض والسواد، فمن أولاده - ممن جاء بعده - الأبيض الذي يشبهه تماماً، والأسود الذي

(١) صحيح: أحمد (٤/ ٤٠٠) في مسنده.

حمل السواد كله، ومن هو بين البياض والسواد وهكذا.

ويقول علماء الجولوجيا إنه قد حدث في وقت ما (يسميه العلماء بالزمن الجيولوجي الرابع) أن غطت الأرض كتل ضخمة من الثلوج فهلك معظم النباتات وهربت الحيوانات متفرقين في جهات شتى، وكذلك اضطرت الجماعة الإنسانية إلى التفرق هي أيضاً بحثاً عن الأمان وعن الغذاء، وانتشروا في اتجاهات مختلفة، ونتج عن ذلك انعزال جماعات منهم في بعض المناطق وراء سلاسل الجبال العالية، أو المحيطات الواسعة، أو الصحاري الممتدة، أو الغابات الكثيفة، ولم يكن في وسع هذه الجماعات التغلب على هذه الموانع والحواجز الطبيعية، فانعزلت كل مجموعة عن الأخرى ولم يكن بينها أي اتصال أو اختلاط أو تزاوج.

ونتيجة لهذه العزلة التامة أخذت صفات كل مجموعة تتكيف مع البيئة التي تواجدت بها، وعبر مئات الألوف من السنين تحددت الصفات الجسمانية الخاصة بكل مجموعة، وتوارثتها الأجيال وكونت بذلك جنساً من أجناس البشر.

ولشرح أثر البيئة التي يعيش فيها جنس من الأجناس البشرية على لون البشرة ينبغي أولاً معرفة السبب في تلون جسم الإنسان بلون معين.

إن جلد الإنسان يتلون بفعل خلايا صابغة تحت الجلد تسمى الميلانين أو الفيامين، وهي مادة صبغية معقدة التركيب لونها بني قاتم جداً، ويحتوي كل ملليمتر مربع من الجلد على ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ ذرة من المادة الملونة، ويعتمد لون جلد الإنسان على كمية المادة الملونة التي تفرزها خلايا الأصباغ، وعلى معدل توزيعها في الجلد.

وهناك عوامل مهيجة لخلايا الأصباغ تدفعها إلى إفراز كمية أكبر من المادة الملونة، وبالتالي تؤثر على لون البشرة، وأهم هذه العوامل أشعة الشمس، أو بالتحديد الأشعة فوق البنفسجية التي تساعد على تهيج خلايا الأصباغ، حتى إن السكان المعرضين لأشعة الشمس بشكل دائم يكتسب جلدهم هذا اللون الأسود دائماً، وهذا ما حدث لسكان المناطق الحارة كالأفارقة مثلاً.

ونتيجة دوام هذا الحال عبر مئات من السنين سجلت صفة السواد في ذاكرة الخلايا الوراثية التي لا يعلم سرها إلا الله تعالى، وأصبح هؤلاء جنساً أسود البشرة منذ

الميلاد، وقبل تعرض الطفل الوليد منهم لأي أشعة شمسية.

أما سكان المناطق الأخرى التي لا تتعرض كثيراً لأشعة الشمس فقد أخذت بشرتهم لوناً أفتح، واختلفت الأجناس حسب درجات تأثيرهم بالمناخ أو الطقس أو البيئة الطبيعية حولهم، ولهذا يوجد من الناس البيض والسممر والصفير والسود، مع أنهم جميعاً أبناء أب واحد كما تعلم. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١). ويقول عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (البقرة: ٢١٣).

وتنقسم الأجناس البشرية الآن إلى ثلاث مجموعات إنسانية كبرى هي:

١- المجموعة السوداء (أو الزنجية).

٢- المجموعة البيضاء.

٣- المجموعة الصفراء.

ومن الناحية العلمية لا توجد فروق أو تمايز بين هذه الأجناس في التشريح بل كلها واحدة.

(١٩) لماذا نذبح كل عام خروفاً للعيد؟

خروف العيد الذي نذبحه في عيد الأضحى له قصة عظيمة سأكملها لك:

فقد رأى سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل الذي كان صبيّاً على عتبات مرحلة الفتوة والشباب، وكانت هذه الرؤيا التي رآها سيدنا إبراهيم اختباراً من الله لأبي الأنبياء ولابنه إسماعيل ولأمه هاجر عليهم جميعاً السلام.

وقرر إبراهيم تنفيذ أمر الله، لأن أوامر الله واجبة الطاعة مهما كانت، وأخبر إسماعيل الصغير بما رآه في المنام وقال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات: ١٠٢). وهنا نطق إسماعيل بصوت الإيمان الكامل ووجوب طاعة الله فقال له: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

وفعلًا تهيأ إبراهيم لنذبح ولده الغالي إسماعيل وقيده لينفذ أمر الله، وفي اللحظة

التي هم فيها بذبحه أنزل الله سبحانه من السماء خروفاً عظيماً فداء لإسماعيل عليه السلام، وفهم إبراهيم أن الله لا يريد ذبح إسماعيل في الحقيقة، وأن المنام كان اختباراً لهما من الله، وفرح فرحاً كبيراً وذبح الخروف وفك القيود من حول إسماعيل عليه السلام، وناداه الله تعالى أن يا إبراهيم: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (الصفات: ١٠٥ - ١٠٧). وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى تذكر هذه الواقعة العظيمة بذبح خروف الأضحية كل عام، لنأكل منها ونطعم منها الفقراء والمحتاجين ونهدي منها للأقارب والأصدقاء.

(٢٠) لماذا يدخن بعض الناس، رغم أن علبة السجائر مكتوب عليها: التدخين ضار بالصحة؟

هؤلاء الناس يا عزيزي ضعاف الإرادة، استسلموا لعادة التدخين، حتى أصبح من الصعب عليهم ترك السجائر من أيديهم مع علمهم التام بأنها ضارة جداً بالصحة.

والحقيقة يا عزيزي أن السبب في استمرارهم على عادة التدخين السيئة لا يرجع فقط إلى ضعف إرادتهم، بل يرجع أيضاً إلى ضعف الإيمان، فالمؤمن القوي لا يستسلم لعادة سيئة كالتدخين الذي كان علماء الدين يظنون أنه مكروه شرعاً قبل أن تتضح بالكامل أضراره الشديدة وخطورته البالغة على الصحة، ولكن مع ازدياد وضوح هذه المخاطر مع الأيام أيقن العلماء حرمة التدخين قطعاً وصرح كثيرون منهم بذلك، مما يوجب على المسلم الامتناع عن التدخين فوراً.

ولكن الناس يستمرون مع ذلك في التدخين تحت تأثير العادة والأفكار الخاطئة عن مساعدة السجائر لهم على التركيز الذهني والهدوء النفسي، وتحت تأثير حملات الدعاية والإعلانات المغرضة، وتقليداً لقدامى المدخنين في الأسرة أو في الشارع أو في العمل، وظناً أن التدخين يعطي المدخن وجاهة اجتماعية موهومة.

يا بني العزيز لتعلم أن التدخين عادة ضارة جداً بالصحة، كما هو مكتوب على علبة السجائر نفسها، وعادة التدخين منافية للنظافة، وخادشة في دين المدخن، ومضیعة لأمواله وأموال أولاده، ومضرة بالبيئة وبغير المدخنين أيضاً، فكلها شرور لا خير فيها من أي نوع.

ولقد ثبت أن التدخين من أكبر العوامل المتسببة في حدوث العجز المبكر والوفاة، وثبت أن معدل الوفيات بين مدخني علبة أو علبتين من السجائر يعادل ضعف المعدل بين غير المدخنين، وكذلك يمكن القول بأن خطر الموت على المدخن من سرطان الرئة يعادل عشرة أضعاف الخطر على غير المدخن، وبالأرقام يبلغ عدد الوفيات سنوياً بسبب التدخين ما يصل إلى ٤٨٥٠٠٠ شخص في العالم، والثابت أنه يوجد حوالي ١٢٠٠ مادة كيميائية سامة على الأقل في الدخان الناتج من تدخين التبغ.

(٢١) لماذا يصغر القمر بعدما يصير كبيراً؟

القمر ليس مثل الكائنات الحية (الإنسان والحيوان والنباتات) التي تكبر وتنمو باستمرار حتى تصل إلى حجمها النهائي، ثم تبدأ في الضمور والصغر، ثم تموت. فالقمر هو مجرد كرة معتمة (أو كوكب) تدور حول الأرض، ولا يشع القمر بنفسه أي ضوء، ولكنه يعكس أشعة الشمس الساقطة عليه، فنراها نحن حين ننظر إليه كأنها آتية من القمر ذاته، ولذلك بينما نعرف أن الشمس كرة نارية ملتهبة فإن القمر على العكس من ذلك بارد، ولهذا تمكن الإنسان مؤخراً من الصعود إلى القمر ومن المشي فوقه عن طريق سفن فضائية متقدمة.

والقمر كما نعلم يدور حول الأرض، والأرض هي الأخرى تدور حول الشمس، وينتج عن ذلك أن موقع القمر يتغير باستمرار بالنسبة للشمس، ويسمى كل تغير في موقع القمر بالنسبة للشمس في دورانه حولها مرحلة.

إن كل مرحلة من مراحل القمر تتغير فيها مساحة الجزء المعرض للضوء منه، والتي تبدو لنا مضيئة، وتعتمد المساحة المضيئة التي نراها من القمر على موقعه بالنسبة للشمس وبالنسبة للناظر إليه من الأرض.

ويبرز القمر الوليد (الذي هو الهلال) حينما يكون القمر واقعاً بين الأرض والشمس فلا يظهر منه شيء في أول الأمر، ثم يبدأ ظهور الهلال كلما تحول القمر في مداره وانكشف طرف هذه الكرة (القمر) لأشعة الشمس.

وحين يكتمل القمر (ويكون بدرًا) تكون الأرض هي الواقعة بين الشمس والقمر، وباستمرار دوران القمر والأرض يعود القمر تدريجياً إلى الدخول بين الأرض

والشمس، وبالتالي يبقى الجزء العاكس لأشعة الشمس آمناً، ويسمى القمر في هذه الحالة (محاقاً) وهو يشبه الهلال المعكوس، ووقت ظهوره أواخر الشهور الهجرية.

إن الفترة ما بين ميلادي هلالين متتاليين تبلغ ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة وتسمى شهراً قمرياً، وهو أساس حساب الشهور الهجرية الاثني عشر: محرم- صفر- ربيع الأول- ربيع الثاني- جمادى الأولى- جمادى الآخرة- رجب- شعبان- رمضان- شوال- ذو القعدة- ذو الحجة.

وهكذا تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد ألهم الناس أيضاً استعمال الأهلة (جمع هلال) في حساب الشهور والأيام، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)

(٢٢) من أين يأتي المطر؟

تتبخر المياه عند تلامس الهواء الجوي، فكل المياه المعرضة للهواء فوق سطح الأرض تفقد جزءاً منها باستمرار عن طريق التبخر، والتبخر هو سبب جفاف الملابس المغسولة التي نعلقها فوق حبال الغسيل مثلاً، وجفاف البرك ومياه الرش التي يرشها الناس أمام البيوت، وغير ذلك، سببه تبخر جزئيات الماء وصعودها إلى الجو.

ليس هذا فحسب، بل إن كل المسطحات المائية الكبيرة والصغيرة الموجودة فوق سطح الأرض تتعرض أيضاً لظاهرة تبخر الماء، فالبهار والمحيطات والأنهار والبحيرات يتبخر منها جميعاً كمية كبيرة من الماء، ويتصاعد البخار (الرطوبة) إلى الجو، وكلما ارتفعت درجة حرارة الجو ازدادت عملية التبخر حتى يتشبع الهواء ببخار الماء، وعندما يصل الهواء إلى درجة التشبع يتحول البخار إلى قطرات دقيقة جداً من الماء أو رقائق صغيرة من الثلج هي السحاب، ولذلك يمكن القول بأن السحاب يتكون من أعداد كبيرة جداً جداً من قطرات الماء الصغيرة جداً والتي يبلغ حجم القطرة منها جزءاً من خمسة وعشرين ألف جزء من المليمتر معلقة في الهواء.

ومع ازدياد تجمع هذه القطرات مع بعضها البعض تزداد كتلتها، ويحدث المطر عندما تبلغ كتلة هذه القطرات درجة كافية لسقوطها دون أن تتبخر قبل وصولها إلى الأرض.

وقد يسقط المطر أيضًا لأسباب أخرى كازدياد برودة الجو إلى درجة تزيد من تكثف البخار أو تكون بلورات ثلجية، وعندئذ تتساقط قطرات الماء، أو البلورات الثلجية المتكونة، وغالبًا ما تذوب بلورات الثلج قبل وصولها إلى الأرض، فتصل إلى الأرض على هيئة قطرات ماء أيضًا أي: أمطارًا.

ولكن في بعض الأحيان يكون حجم البلورات كبيرًا، ويكون الجو باردًا فلا تذوب هذه البلورات قبل وصولها إلى الأرض، وتسقط على هيئة حبات شبيهة بحبات الملح الأبيض، ويفرح باللهو بها الأطفال كثيرًا.

إن سقوط المطر بهذه الكيفية نعمة كبيرة من الله تعالى على البشر، وعلى كل الكائنات، فبواسطة هذا النظام تكفل الله سبحانه بتوفير المياه اللازمة للشرب والري، ولولا المياه لما قامت على الأرض حياة، فالماء هو أصل كل كائن حي، كما أخبرنا الله تعالى في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

(٢٣) لماذا تختفي النجوم في النهار؟

أولاً: إن النجوم لا تختفي فهي دائماً موجودة هناك في الفضاء، وتشع ضوءها بنفس المقدار الذي تشعه في الليل، ولكن في الليل لا يكون ضوء الشمس ظاهراً لنا، فيظهر ضوء النجم واضحاً جلياً لا يطمسه شيء، لأنه يكون هو الساطع وحده. أما في النهار فإن الشمس حين تبرز في الصباح يصلنا ضوءها القوي جداً بالنسبة لضوء النجوم، وهو أقوى بسبب أن الشمس أقرب إلينا من النجوم بكثير جداً، لأننا نرى الضوء الأقوى ولا نرى الضوء الأقل، فنحن نرى ضوء الشمس ولا نرى ضوء النجوم، ويمكنك أن تقول على سبيل المجاز إن نور الشمس يغلب نور النجوم فلا نراها في النهار ويمكن إجراء تجربة بسيطة جداً لتوضيح ذلك:

أحضّر شمعة أو حتى عود ثقاب، وادخل غرفتك، وأغلق الشباك جيداً وكذلك الباب، بحيث لا يصل إليها أي ضوء غير ضوء المصباح الكهربائي، أنت ممسك الآن بالشمعة وعلبة الثقاب في يدك، أطفئ الآن المصباح الكهربائي فسيحل الظلام تماماً بالغرفة، ثم أشعل عود الثقاب وأشعل به الشمعة فستجد أن نور الشمعة قوي وأنه قد أنار الغرفة بالفعل، والآن أشعل المصباح الكهربائي مرة أخرى فستجد أن نور

الشمعة لم يعد في نفس شدة ظهوره بسبب الضوء الغامر الذي أصدره المصباح رغم أن الشمعة نفسها لا زالت موجودة ولم يتغير فيها شيء، كل ما هنالك أن ضوء المصباح الأشد من ضوء الشمعة قد طغى عليه أو غلبه، فالمصباح هنا كأنه الشمس، والشمعة نشبهها بإحدى النجوم.

وطبعًا تحصل على نفس النتيجة بوضوح أكثر لو استعملت عود ثقاب بدلاً من الشمعة، ولكن في كل الأحوال ينبغي توخي الحذر التام حتى لا تتسبب يا عزيزي في نشوب حريق، ومن الأفضل ألا تقوم بهذه التجربة إلا في وجود الأب أو الأم أو أحد الكبار لضمان السلامة والأمان.

(٢٤) كيف يأتي الليل، وكيف يأتي النهار؟

أنت تعرف يا عزيزي أن الأرض التي نعيش عليها هي كرة كبيرة جدًا تدور في الفضاء، ولأنها بالنسبة لنا كبيرة جدًا فنحن لا نحس بكرويتها تمامًا كما لا نحس غلّة صغيرة تمشي فوق بطيخة كبيرة جدًا بأن البطيخة كروية.

ولكنك تستطيع أن تتأكد من كروية الأرض إذا راقبت سفينة في الميناء عند إبحارها، فإن الجزء السفلي منها هو الذي يختفي أولاً، وتستمر في الاختفاء من الأسفل حتى تختفي كلها كأنها (تغطس) تمامًا في النهاية وراء الأفق، إنها بهذا تصبح خلف الحافة المنحنية لسطح الأرض الكروي.

وإذا كنت مسافرًا في البراري المنبسطة فإنك ترى الأشجار البعيدة جدًا بالتدريج، وأول ما يظهر منها أطرافها العليا وذلك قبل أن تظهر الأغصان التي تحتها، وبعد ذلك جذوع الشجر ثم تظهر الأرض نفسها أخيرًا، وهذا دليل آخر على كروية الأرض يشبه تمامًا الدليل السابق.

والآن تعال نعرف كيف يأتي الليل والنهار: إن هذه الكرة الكبيرة التي نعيش عليها تدور حول كرة أكبر منها بكثير هي الشمس، وتدور الأرض حول محورها أيضًا، وعندما يكون الجزء الذي نعيش عليه من الأرض مواجهًا للشمس يكون هذا الجزء مغمورًا بالنور الصادر من الشمس، ويكون الوقت نهارًا، في نفس الوقت يكون الجزء الآخر المقابل لنا من الناحية الأخرى لكرة الأرض محرومًا من النور،

أي: غارقاً في الظلام، فيكون الوقت ليلاً بالنسبة لمن يعيشون فيه.

ويمكن أن نجرب ما نقوله إذا أحضرنا مصباحاً من المصابيح التي تعمل بالبطارية، وسلطناه على كرة أو برتقالة مثلاً، فإن نصف الكرة أو البرتقالة المواجه للمصباح والذي تسقط عليه أشعة الضوء الصادرة من المصباح يكون منيراً، بينما الجهة الأخرى البعيدة عن ضوء المصباح تكون مظلمة فيكون لدينا نهراً في مواجهة المصباح وليلاً في الجزء البعيد عنه، وهذا بالنسبة للكرة أو البرتقالة التي تجري عليها التجربة.

نعود إلى ما يحدث بالنسبة لكوكب الأرض، وقد فهمنا أن النهار عندنا معناه أن الجزء الذي نعيش فيه مواجه للشمس، والليل عند الآخرين معناه أن الجزء الذي يعيشون فيه بعيداً عن الشمس، ولو استمر هذا الوضع ثابتاً أثناء دوران الأرض حول الشمس لبقى النهار عندنا دائماً، ولبقى الليل عندهم دائماً، ولكن هذا لا يحدث.

فالأرض كما سبق أن قلت لك تتحرك حركتين لا حركة واحدة، الحركة الأولى هي التي فهمتها أنت جيداً الآن، وهي حركة دورانها حول الشمس، أما الحركة الثانية فهي حركة دوران الأرض حول محورها، والتي بسببها ينتقل الجزء المواجه للشمس تدريجياً إلى الجهة البعيدة عن الشمس، بينما يتجه في نفس الوقت الجزء البعيد عن الشمس تدريجياً باتجاهها، وهكذا بسبب دوران الأرض حول محورها يدور الجزء الذي نعيش فيه مبتعداً عن النور، أي: يحل الظلام عليه، أي: يدخل الليل علينا، لأن الشمس لم تغرب أبداً، إنها باقية دائماً ولكننا نحن الذين ابتعدنا عن جهتها بسبب دوران الأرض حول محورها، كما أن الذين كانوا في الظلام فإنهم يدخلون بسبب دوران الأرض حول محورها إلى منطقة الإنارة الشمسية، ويتم الصباح، وأول رؤيتهم للشمس هو ما نقول عنه: الشمس قد بزغت أو أشرقت. ويظل هؤلاء في نهار حتى يأتي عليهم الدور مرة أخرى للدخول في الجهة المظلمة البعيدة عن الشمس فيدخلون في الليل.

وهكذا يتوالى الليل والنهار على جميع سكان الأرض ليتناوب عليهم وقت العمل اللازم لمعيشتهم، ووقت النوم اللازم لراحة أجسادهم، وهذا من تقدير الله الحكيم الذي يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَدُوْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ



وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ (غافر: ٦١). ويقول أيضاً عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ (١) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١٠، ١١)

وهل تلاحظ يا عزيزي أن المساحة المعرضة لضوء النهار من الكرة الأرضية تأخذ شكل نصف الكرة، وأن المساحة المعرضة لظلام الليل تأخذ شكل نصف الكرة أيضاً، وتتعاقب المساحتان على سطح الأرض، فكان الليل يتكور على النهار، والنهار يتكور على الليل، وهذا مصداقاً لما صوره الله أدق التصوير في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (الزمر: ٥).

ولولا خلق الله سبحانه وتعالى لليل والنهار لما أمكننا حساب الأيام والليالي والسنين، فهذا النظام الإلهي الدقيق البديع من فضل الله علينا.

ويقول عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَهُ تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء: ١٢)

(٢٥) كيف يُصدر الهواء خارج المنزل هذا الصفير الذي نسمعه؟

الهواء وحده ليس له صوت، كما ليس له صفير، ولكن التيار الهوائي الشديد عندما يغمر المكان كله، فإنه يمر من كل الشقوق والشقوق والفتحات التي يصادفها، ومن بين أوراق الأشجار وأغصانها، وبين البنايات والشرفات، وحتى من فتحات المفاتيح في الأبواب، ومن تحت عقب الباب أيضاً، إن تيار الهواء الشديد يعبر من كل فتحة تصادفه في طريقه يا عزيزي، وكلما مر الهواء من هذه الفتحات نسمع الصوت الذي تسأل عنه، لأن مرور الهواء من مكان ضيق فجأة يحدث عنه اهتزازات قوية (أي: أصوات) تنتقل بدورها على هيئة موجات حتى تصل إلى آذاننا.

ألا ترى أن مرور الهواء الذي تنفخه في الصفارة هو الذي يتسبب في مصدر الصفير؟ وهل تتذكر البالونة عندما تفتح فوهتها فجأة فيندفع الهواء من داخلها إلى الخارج؟ إن اندفاعه بهذا الشكل هو الذي يسبب الصوت الذي نسمعه حيثئذ.

حتى أصواتنا التي نتكلم بها، فإن مصدرها اهتزاز حبال رقيقة خلقها الله سبحانه داخل الحنجرة وتسمى بالأحبال الصوتية والسبب في اهتزازها مرور الهواء بينها،



فنحن نتكلم بواسطة التحكم في الهواء المار بهذه الأحبال الصوتية، مع التحكم في الهواء المار في تجويف الفم كله.

ونعود إلى بداية السؤال: كيف يكون للهواء صفير؟ فنقول: عندما تهب العاصفة فإن كل شق أو كل فتحة تتعرض لمرور الهواء العاصف تقوم بعمل صفارة من نوع مختلف طبعاً عن صفارتك الصغيرة، وبالتالي يختلف الصوت الصادر عنها عن صفيرك في الصفارة، وعندما تختلط هذه الأصوات الصادرة من شتى الفتحات والشقوق والثغرات ينتج عنها الصوت النهائي المميز للرياح، ذلك الصوت الذي تسمعه الآن آتياً من خارج المنزل.

(٢٦) كيف نبتت هذه النخلة الصغيرة من نواة البلح الميتة هذه؟

لا تنس يا عزيزي أن الله تعالى قادر على أن يُخرج الحي من الميت، وأن يخرج الميت من الحي، وهو الذي يحيينا مرة أخرى يوم القيامة للحساب.

سبحانه القائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ال عمران: ٢٦، ٢٧).

ومع ذلكم يا عزيزي فإن نواة البلحة الجافة - على غير ما تعتقد - ليست ميتة، فبالرغم من أن لها تقريباً كل مظاهر الجماد الميت، إلا أن الحياة كامنة فيها، ولا يبيدها الله سبحانه وتعالى إلا عندما تتوفر للنبات الظروف المناسبة لنموه، أي: تتوفر احتياجاته من الماء والأكسجين ودرجة الحرارة الملائمة للإنبات، وإلى أن تتوفر هذه الظروف تظل النواة - ككل بذور النباتات - في حالة خمول لفترات تمتد لا تعجب يا عزيزي، فإن زهرة اللوتس المصرية قد أمكن استنباتها بعد ألف عام تقريباً، وتستطيع حبة الفاصوليا احتمال حالة الخمول ثلاث سنوات على الأقل، والفاول ست سنوات، والشيكوريا عشر سنوات، وهناك نبات الكاسيا الذي أمكن استنبات بذوره بعد كمون مائة وخمسين عاماً.

إن حالة الخمول هذه هي حالة تكيف مع الجفاف يهيئ الله البذرة لتحملها عن

طريق تخفيض وظائفها الحيوية إلى أدنى حد ممكن، وبالتالي تستطيع الانتظار طويلاً طويلاً حتى تنهياً الظروف البيئية المناسبة للإنبات فتخرج إلى ممارسة الحياة مرة أخرى بإذن ربها.

سبحانه القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥).

(٢٧) لماذا تختلف أشكال أوراق الشجر والنباتات؟

تنوع أوراق النباتات جداً في أشكالها وأحجامها بسبب اختلاف طبيعة البيئات الأصلية للنباتات أو اختلاف نوعية الوظائف الحيوية التي تقوم بها الورقة، أو الاثنين معاً.

وهكذا فإن المناخ البارد الثلجي الذي تعصف فيه الرياح أوقاتاً طويلة على مدار العام تناسبه أكثر الأوراق ذات الشكل الإبري، كما تكون أوراق النباتات في المناخ الجاف أكثر استدارة حتى تكون مساحة سطح التعرق أقل ما يمكن ويقل فقد الماء.

وفي المناخ الجاف توجد أيضاً الأوراق المترابكة والحشافية كأوراق الصنوبريات وغيرها، ولأن هذا الشكل المترابك يقلل خسارة الماء عن طريق التعرق إلى الحد الأدنى، كما أن الصباريات التي تنمو في الأصل في البيئات الصحراوية الجافة يكون لها أوراق سميكة عادة لتكون قادرة على اختزان كميات كبيرة من الماء الذي تحتاجه لفترات الجفاف الطويلة إذا تعرضت لها.

ولعلك تلاحظ يا عزيزي أن أوراق نباتات الظل عندنا أغلبها عريض وذات سطح واسع، وما ذلك إلا للاستفادة بأكبر قدر ممكن من الضوء في الظل، حيث يقل الضوء عن الجو الطبيعي المعرض لضوء الشمس المباشر.

(٢٨) لماذا كان الكذب حراماً؟

أولاً: إن الذي يحدد ما هو الحرام وما هو الحلال هو الله وحده، ولم يعط الله هذه السلطة لأحد من خلقه، حتى رسول الله ﷺ حين أراد أن يحرم على نفسه شيئاً قال الله تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (التحریم: ١).

ولذلك فعندما يقول الله تعالى إن الكذب حرام، فلا نقاش في ذلك الأمر ونحاذر من أن نكذب على الله فنحل الحرام أو نُحرّم الحلال. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦). وقد أخبرنا الله تعالى أن الكذب لا يصلح أن يكون من صفات المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذْبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥).

وصرّح رسول الله ﷺ أن الكذب من الصفات التي يُعرف بها المنافق حين قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

وحذرنا من الكذب كما حثنا على الصدق، فقال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً».

ولكن يا عزيزي بعد كل هذا: لماذا نكذب؟ الذي يكذب هو الذي يخاف من الناس، والمؤمن لا يخاف إلا الله، والذي يكذب يداري على خطأ ارتكبه، والمؤمن لا يرتكب خطأ، وإذا ارتكبه استغفر. وندم وتاب.

ولا يمكن أن تستقيم الحياة مع الكذب، فالعلاقات تنهار بين الناس إذا انهارت الثقة، ولتخيل أنت أن زميلك الكذاب أخبرك بأن الامتحان يوم الإثنين وإذا به يوم الأحد، وألف مثال من هذا القبيل يمكن ضربه.

أنت يا عزيزي لا تكذب لأنك لا تحب أن يكذب الآخرون عليك، ولو كذبت أنت وكذب الآخرون جميعاً لتحولت حياة الناس إلى جحيم، ولذلك حرّم الله تعالى الكذب والخيانة، وحث على الصدق والأمانة، وكان رسول الله ﷺ الصادق الأمين، وإن لنا فيه ﷺ لأسوة حسنة.

(٢٩) لماذا تجري الأشجار إلى الخلف في حين يجري القطار إلى الأمام؟

طبعاً الأشجار ثابتة في مكانها لا تتحرك، وإنما (تبدو) كأنها تتحرك، ويأتي إحساسنا بحركتها ونحن نركب قطاراً أو سيارة مثلاً، من وجود فرق بين سرعتنا

(التي تكتسبها أجسامنا نتيجة ركوبنا في شيء متحرك) وسرعة هذه الأشياء الثابتة التي نراها من نافذة القطار أو السيارة كالأشجار والبيوت وأعمدة الإنارة.

عندما نكون وقوفًا على الأرض لا يأتينا الإحساس بالحركة، لأن أجسامنا تكون ثابتة كالثبات الأرض، أي: لا فرق بين سرعة أجسامنا وسرعة الأرض.

وعندما نكون وقوفًا ونمر بنا سيارة مسرعة فلنأنا نحس بحركة السيارة نتيجة الفرق بين سرعتنا (نعتبرها صفرًا) لأننا وقوف، وحالة الثبات هي حالة سرعة تقدر بصفر) وسرعة السيارة المتحركة.

أما عندما نركب السيارة أو القطار، فنصير كأننا جزء منه، ولا يكون هناك فرق بين سرعتنا وسرعة القطار، ولهذا نستطيع أن نقرأ الجريدة أو نشرب فنجانًا من الشاي، وأن نمسك الأشياء بسهولة، رغم أن أجسامنا تتحرك بهذه السرعة الكبيرة.

إن إحساسنا في هذه الحالة يكون أننا ثابتون، وأن الأشياء الخارجية التي نراها من نافذة القطار هي التي تتحرك، فالفارق بين سرعتنا وسرعة هذه الأشياء الواقفة في مكانها يعطينا الإحساس بالحركة، ولأننا لا نحس بحركتنا كما أوضحت لك فإن هذه الأشياء (تبدو) متحركة في الاتجاه المخالف لاتجاه القطار، ولهذا نرى الأشجار والبيوت وغيرها تجري كلها للخلف بسرعة كبيرة عند النظر إليها من نافذة القطار.

(٣٠) إذا كانت الأرض تدور، فلماذا لا نشعر بدورانها؟

نحن لا نشعر بدوران الأرض لأن كل ما عليها بما في ذلك نحن أنفسنا يدور معها، فالبيوت والشوارع والأنهار والأشجار تبقى جميعها في أماكنها على الأرض وتدور معها، ولهذا لا يمكن أن نحس بدورانها لأنها بالنسبة لنا لم تتحرك من مكانها.

ويمكن لتوضيح ذلك أن نضرب المثل السابق عن حركة النملة فوق بطيخة كبيرة، إذا كانت النملة تقف في مكان معين قرب علامة معينة فوق سطح البطيخة، فإنك تستطيع أن تلف البطيخة الكبيرة بما فوقها، ولكن النملة لا تشعر بدوران البطيخة لأن موقعها بالنسبة للعلامة المعينة لم يتغير.

وهكذا نحن لا نشعر بدوران الأرض حول محورها لأننا ندور معها، ومعنا كل ما حولنا من علامات، كالجبال والأنهار والشوارع والبنائيات، كل ذلك معنا ندور جميعاً بدوران الأرض، أما إذا دُرنا حول موقع ثابت فوقها- جبل مثلاً- فإننا نشعر بذلك لأن الجبل لم يَدُر معنا.

مثال آخر: إذا ركبت السيارة أو القطار أو الطائرة، فأنت تعرف أنها تتحرك بسرعة كبيرة جداً، ولكنك داخلها لا تشعر بذلك لأنك تبدو حينذاك كأنك جزء منها، تتحرك بنفس سرعتها، ولهذا لا نحس بحركتها مع أنها تتحرك بسرعة كبيرة جداً تستطيع اكتشافها إذا نظرت من النافذة للأشياء الخارجية كالبيوت التي لا تتحرك معها مثلاً.

(٣١) ولماذا لا نقع من فوق هذه الكرة في الفضاء الواسع؟

لأن الأرض تجذب الأشياء نحوها ولا تتركها تنفصل عنها، وتسمى القوة التي تمسك بالأشياء فوق الأرض كي لا تهوي في الفضاء الواسع: بقوة الجاذبية الأرضية. وبسبب هذه القوة تسقط الأشياء التي نقذفها إلى أعلى وتعود مرة أخرى إلى الأرض، وبسببها تسقط الثمار إذا انفصلت عن الشجرة، وبسبب قوة الجاذبية إذا قفزت أنت من فوق هذا المقعد تجد نفسك ملقى على الأرض، هكذا ترى يا عزيزي أن الأرض تشد كل شيء نحوها، ولهذا لا نقع من فوقها، أما الطيور فلكي تبقى طائفة ولا تسقط يجب عليها أن تحرك أجنحتها باستمرار ليحملها الهواء، وأحياناً لا يحرك الطائر جناحيه إذا كانا كبيرين بحيث يستطيع تيار الهواء أن يحمله، وكذلك الطائرة لا بد وأن تبقى آلتها في حالة تشغيل دائم حتى لا تسقط من الجو.

(٣٢) إذا كانت الأرض لديها خاصية الجاذبية، التي تجذب بها الأشياء نحوها، فلماذا لا تجذب القمر والشمس والنجوم أيضاً؟

قلنا: إن الأرض تتميز بقوة الجاذبية الأرضية، التي بها تجذب كل الأشياء الموجودة فوقها، إلا أن تلك القوة تقل كلما ابتعدنا عنها، وبما أن النجوم بعيدة جداً عن الأرض، فإن الأرض لا تستطيع جذبها.

أما القمر فإن الأرض تجذبه نحوها، ولكنه يدور حول الأرض باستمرار، فينشأ من دورانه حول الأرض قوة تبعده عنها، وتسمى بقوة الطرد، وقد ثبتَّ القمر في

مساره المعين حول الأرض، لأنه في هذا المسار بالذات تتعادل قوة جذب الأرض للقمر مع قوة طرده عنها.

وقوة الطرد هذه يمكنك ملاحظتها بنفسك إذا ربطت كتلة ثقيلة في حبل ربطاً محكماً، ثم أمسكت طرف الحبل، وقمت بتدوير هذه الكتلة بسرعة في الهواء، إنك تحس عند ذلك أن الكتلة تشد نفسها كأنها تريد أن تفلت من يدك، وأن الحبل مشدود جداً كأن هناك أحداً يجذبه. وفي الحقيقة فإن الذي يجذبه هو قوة الطرد الناشئة عن تدويرك للكتلة، وهي قوة كبيرة لأنك إذا تركت الحبل فجأة فستجد أن هذه الكتلة قد ابتعدت عنك مسافة كبيرة، فالقمر محكوم في حركته بتأثير قوتين: قوة جذب الأرض له، وقوة الطرد الناشئة من دورانه حولها.

وكذلك الأرض محكومة في حركتها حول الشمس بتأثير قوتين: قوة جذب الشمس لها، وقوة الطرد الناشئة من دورانها حول الشمس، وكل النجوم والكواكب تتخذ مسارات معينة حول بعضها البعض في هذا الفضاء الواسع نتيجة تأثير قوى الجذب والطرد فيما بينها.

(٣٣) من أين تأتي الرياح؟

الرياح ما هي إلا كمية كبيرة من الهواء مندفعة في اتجاه معين، أليس من المناسب أن نسمي ذلك تياراً هوائياً كما يقول مقدم النشرة الجوية في التليفزيون؟ فالرياح إذن هي تيار هوائي يهب فوق سطح الأرض، لكن ما السبب في هذا الهبوب؟ إن الأرض محاطة كلها كما تعلم بالهواء له ضغط معين، وقد يحدث انخفاض في ضغط الهواء في منطقة معينة نتيجة حرارة الشمس التي تسخن الهواء وترفعه إلى أعلى مثلاً، وعند ذلك يتحرك الهواء المجاور لهذه المنطقة مندفعاً إليها ليعوض الانخفاض في ضغط الهواء فيها، وحركة الهواء هذه هي ما نسميه الرياح، ونتيجة تفاوت الاختلافات في الضغط الجوي تختلف سرعة الرياح من مكان إلى آخر، فأحياناً تكون مجرد نسمة بسيطة رقيقة، وأحياناً تصل سرعتها في بعض الأماكن إلى حد أن تصبح عاصفة أو رياحاً مدمرة، بل قد تصبح أحياناً إعصاراً يقتلع ما يقابله من أشجار وبنيات.

(٣٤) كيف يمشي الثعبان دون أرجل؟

الصحيح أن نقول: يزحف، ولا نقول: يمشي، لأن المشي يلزمه أقدام أو أرجل، والثعبان ليس له من ذلك شيء، فالثعبان من فصيلة الزواحف عديمة الأرجل، وتتم حركته بالزحف على الأرض عن طريق التواءات جسمه، وتفيده في هذا الزحف قوة عضلاته، وعند الزحف يركز الثعبان بواسطة إحدى عضلات جسمه على الأرض ثم يلتوي قليلاً ويضغط على جزء آخر من الجسم فيندفع بسهولة وانسيابية إلى الأمام.

ويختلف الثعبان بذلك عن بعض أنواع الزواحف كالسحالي التي تساعد قدامان جانبيتان على الحركة إلى الأمام، وإن كانت بعض السحالي تكون قدمها من الضعف بحيث لا تغنيها عن الزحف ببطنها على الأرض، فتفعل مثلما يفعل الثعبان: تزحف لا تمشي، مستخدمة الحركة الملتوية للجسم.

(٣٥) لماذا لا يموت الثعبان بالسم الموجود في فمه؟

أولاً يا عزيزي يجب أن تعرف أن الثعابين ليست كلها سامة، وأن سم الثعبان لا يكون له تأثير إلا إذا دخل جسم الضحية من خلال جرح غائر يحدثه الثعبان بأنياه، ومن لحظة اللدغ يحقن الثعبان السم في هذا الجرح، فيختلط بدم الملدوغ ويصاب بالتسمم. وسم الثعبان إفراز سائل لا يوجد بشكل دائم في فم الثعبان، بل تفرزه الغدد الخاصة بذلك - وهما غدتان في فم كل ثعبان - لحظة اللدغ نفسها، لأن ضغط الثعبان بأنياه على لحم الملدوغ يسبب ضغطاً عكسياً على الغدد السمية فتفرز السم الذي يدخل إلى لحم الملدوغ في هذه الحالة مباشرة.

وتستطيع بعض الثعابين بخر سمها في وجه من يهاجمها، ولا خطر في ذلك إلا عيون المهاجم، لأن العيون تتأثر بهذه السموم التي قد تصيبها بالعمى، وكثيراً ما فقد كلاب الرعاة نظرها من جراء ذلك عند مهاجمتها لهذه الأنواع من الثعابين.

وسم الثعابين يمكن استخلاصه من الثعابين بالضغط على الغدد السمية بطرق خاصة ويستعمل في صناعة بعض الأدوية والعقاقير الطبية، وفي صنع مصل واقٍ من لدغة الثعبان.

وفائدة السم للشعبان تنحصر تقريباً في مساعدته في تحصيل غذائه فكثيراً ما يلدغ الشعبان فأراً مثلاً، فيهرب الفأر الملدوغ مسرعاً، ولكنه ما يلبث بعد فترة أن يموت بفعل السم، وحينئذ يظهر الشعبان الذي كان يتابعه من بعيد ليلتهمه بأكمله مرة واحدة، وهذه هي الفائدة الأساسية للشعبان من سمّه.

وليس لسم الشعبان فائدة كبيرة في الدفاع عن نفسه، فإذا هاجم أي حيوان كالكلب مثلاً الشعبان، فلا مفر من هلاك الشعبان حتى وإن قام بلدغ الكلب لأن السم لا يظهر أثره إلا بعد فترة تكون كافية تقريباً لقتل الشعبان، ثم ما يلبث الكلب بعدها أن يموت متأثراً بالسم إذا كانت جرعته كافية.

وفي كثير من الحالات لا تكون كمية السم كافية لقتل حيوان كبير أو إنسان، ولكن ينبغي مع ذلك الحذر من لدغة الشعبان لأن خطرهما يساوي خطر الموت، ومن أجل هذا أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الشعبان في أي وقت نراه وحيثما وجدناه، قال ﷺ: «اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة».

(٣٦) ما هذه النجوم الكثيرة التي نراها في السماء؟

ربما لا تعلم يا عزيزي أن هذه النقاط الصغيرة المضيئة التي تتناثر في السماء ونسميها (النجوم) هي في حقيقتها شمس كبيرة جداً مثل شمسنا، وربما أكبر حجماً بكثير، ولكن لأنها بعيدة جداً عنا، تبدو صغيرة كما تراها، لأننا نرى كل شيء بعيد أصغر من حجمه الحقيقي، وكلما زاد بعده عنا بدا أصغر وأصغر.

إن إحدى هذه الشمس - التي نسميها النجوم - يبلغ قطرها ثلاثمائة ضعف قطر شمسنا، وتسمى يد الجوزاء، ومع ذلك لا نستطيع التأكد من أنها أكبر الشمس في الفضاء.

هل جربت يا عزيزي أن تعد النجوم؟ لا شك أنها فكرة مجنونة، لأنك لن تستطيع عدّها أبداً لكثرتها، ومع ذلك يبلغ عدد النجوم الممكن رؤيتها بالعين المجردة - في رأي بعض العلماء - حوالي ستة آلاف نجم، فهل تستطيع أن تحصر مثل هذا العدد بالعين المجردة إذا نظرت إلى السماء؟

ولكن النجوم في السماء أكثر بكثير من هذا العدد، وتستطيع التأكد من ذلك إذا

استخدمت التلسكوب المقرب حيث ستجد أن عدد النجوم يتضاعف كلما كان التلسكوب أقوى، ولن تفاجأ إذا علمت أن السماء تحتوي على آلاف الملايين من النجوم التي لا يمكن رؤية معظمها إلا بتلسكوب قوي، والحقيقة أنه من المستحيل الادعاء بمعرفة عدد النجوم في السماء على سبيل الحصر، وبالتالي معرفة مواقع هذه النجوم.

والى هذا المعنى أشار الله تعالى في قوله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٥، ٧٦).

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى هذه النجوم بحكمته، وجعل لنا منها فوائد كالتي أشار إليها عز وجل في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الانعام: ٩٧). وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: ٥). فسبحان الله أحسن الخالقين!

(٣٧) كيف يحدث قوس قزح؟

قوس قزح عبارة عن انعكاس أشعة الشمس في جو ممطر من خلال قطرات المطر، حيث يتكسر ضوء الشمس ويتحلل إلى ألوانه الرئيسية التي نشاهدها في السماء على هيئة قوس ملون يلف الأفق، وتكون ألوان هذا القوس مرتبة بترتيب معين سبق أن تحدثنا عنه في سؤال آخر قبل الآن، وهو: الأحمر، والبرتقالي، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والبنفسجي.

وكلما كان حجم قطرات المطر كبيراً كان قوس قزح كبيراً واضحاً، بينما حييات المطر الصغيرة الحجم ينكسر الضوء خلالها فيعطي قوس قزح رفيعاً لا يسهل أن تتبين ألوان الطيف كلها خلاله، وقد يحدث أحياناً أن ينكسر الضوء مرة أخرى من خلال قطرات مائية أخرى، فيرى عندئذٍ قوس قزح آخر، وتكون ألوانه في ترتيب معكوس بالنسبة لقوس قزح الأصلي.

(٣٨) لماذا يختلف منقار كل طائر عن غيره من الطيور؟

إن الله الخالق يعطي كل كائن حي من الأعضاء ما يساعده على البقاء، وعلى تناول طعامه الضروري لاستبقاء حياته، ومنافير الطيور هي العضو الذي منحه الله

سبحانه للطيور ليساعدها في الحصول على غذائها، وكان منطقياً أن تتنوع أشكال هذه المناقير حسب احتياج الطائر في بيئته الأصلية التي نشأ فيها. ﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

فمثلاً: تكون مناقير الطيور التي تعيش في المياه الضحلة والمستنقعات طويلة دقيقة لتساعدها على البحث عن طعامها من الديدان في الطين والوحل.

وللطيور البحرية كالنورس مثلاً مناقير تشبه شكل الملاقط لتساعدها على إحكام الإمساك بالأسماك التي تغامر بالصعود قريباً من سطح الماء.

وبعض مناقير الطيور البحرية مزود بأسنان حادة كالمنشار حتى لا تنزلق الأسماك فتفلت إلى الماء مرة أخرى.

ويوجد تحت منقار طائر الرخمة المعروف كيس كبير، أو حويصلة تسع جالونين من الماء، وحين يفتح هذا الطائر منقاره، فإنه يستطيع أن يغرف من الماء بما فيه من أحياء داخل هذه الحويصلة ليحصل على صيد حافل من الأسماك.

أما الطيور الجارحة كالنسر والصقور فالجزء العلوي من منقارها قوي مقوس يشبه الخطاف ليساعدها في تمزيق الفريسة، وطائر الببغاء يستطيع بمنقاره تكسير البندق وتقشير قلب البندق بمساعدة لسانه، ومنقار الدجاجة ملائم لتناول الحبوب ونقر أغلفتها، والبحث في الأرض عما يلائمها من غذاء، مثلها مثل العصافير تماماً.

ومنقار البط عريض لأن البط في الأصل طائر يعيش قريباً من المياه الضحلة والمستنقعات، ويتغذى إلى جانب ما يستطيع اصطياده من أسماك على الطحالب والنباتات المائية الدقيقة الطافية فوق السطح، فأناسب أشكال المناقير لأسلوب تغذيته هو هذا المنقار العريض المزود ببعض الأسنان الدقيقة.

(٣٩) إذا كان الببغاء يتكلم مثلما نتكلم، فهل يفهم كلامنا؟

الببغاء طائر جميل ويتميز عن كل أبناء جنسه من الطيور بتقليد الأصوات التي يسمعها تقليداً جيداً، يقلد الأصوات، ولكن لا يتكلم بالمعنى المفهوم للكلام الذي هو لغة البشر، ولقد بُهر الإنسان بالببغاء من زمان بعيد، بسبب قدرته على تقليد الأصوات، ويمكن تدريب بعض أنواع الببغاء على نطق جمل قصيرة فتتجح في ذلك

دون أن تفهم من معناها شيئاً بطبيعة الحال، ولكن بعض المدربين ينجحون في تدريبه على نطق كلمة معينة عند إشارة معينة فيتخيل المتفرج أن البيغاء قد فهم الإشارة، وهذا غير صحيح، فالموكد أن البيغاء لا يفهم كلامنا ولا يعرف لغتنا، ولحسن الحظ فإن البيغاوات من أكثر الطيور تكيفاً مع حياة الأسرة والعيش في الأقفاص، ولذلك يسهل تربيتها في البيوت وفي الحدائق والاستمتاع بتقليدها للأصوات.

والمعروف عن البيغاء أنه يحب الأشخاص الذين يقدمون إليه الطعام ويتعاطف معهم، غير أنه يكون عصبي المزاج في تعامله مع الأغراب الذين لم يعرفهم من قبل.

(٤٠) ما سبب هذا الضوء الخاطف في السماء (البرق)؟

وما هذا الصوت القوي الذي نسمعه بعده (الرعد)؟

لكي تعرف يا عزيزي ما هو البرق، وما هو الرعد، لابد أن أشرح لك معنى التفريغ الكهربى، فالكهرباء تنقسم إلى نوعين: كهرباء موجبة، وأخرى سالبة، وعند حدوث اتصال بين سلك به كهرباء موجبة وآخر به كهرباء سالبة يحدث ما نسميه (التفريغ الكهربائى)، ونشاهده على هيئة شرارة منبعثة من نقطة الاتصال.

وسوف أريك مثلاً لهذا التفريغ الكهربائى عندما أضع سلكاً ما بين القطب الموجب والقطب السالب لبطارية السيارة، على ألا تُجري هذه العملية إلا في حضوري حتى لا تُعرض نفسك لأخطار الكهرباء.

والبرق يا عزيزي ما هو إلا تفريغ كهربائى كبير بين الشحنة الكهربائية الموجبة التي تحملها السحابة والشحنة السالبة التي تحملها الأجزاء المتساقطة على هيئة مطر.

ومصدر هذه الكهرباء على السحابة يرجع إلى تكسير قطرات الماء في تيار الهواء القوي العالى الذي يحول دون هبوط قطرات الماء إلى الأرض، فهذا التصادم العنيف بين قطرات الماء وتيار الهواء العاصف ينتج عنه شحنة كهربية موجبة على السحابة، وشحنة كهربية سالبة على الهواء المحيط بها، وعندما يزيد فرق الجهد بين الشحنة الموجبة والشحنة السالبة عن حد معين، يحدث هذا التفريغ الذي يكون له وميض شديد جداً هو (البرق).

ولاحظ يا عزيزي أن فرق الجهد الذي يحدث عنده البرق لا يقل عن ١٠٠ مليون فولت، وفي لحظة التفريغ الكهربائي الكبير يحدث مع الوميض الشديد صوت قوي جداً هو (الرعد) الذي سألت عنه أيضاً، وسبب هذا الصوت التمدد المفاجئ في الهواء عندما يُسخَّن بفعل التفريغ الكهربائي، ويحل محله تيار قوي من الهواء البارد، فهذه الحركات المفاجئة تحدث اهتزازات قوية يصدر عنها تلك الفرقة الكبيرة التي نسميها (الرعد).

ويتنقل صوت الرعد من مكان حدوث التفريغ الكهربائي عبر الهواء الجوي على هيئة اهتزازات شبيهة بما ينتج عن إلقاء حجر في الماء الراكد، وتظل تنتقل هذه الاهتزازات أو الموجات الصوتية حتى تصل إلينا، ولكن بما أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت فإننا نرى البرق قبل أن نسمع الرعد.

(٤١) لماذا يكون ماء البحر مالحاً؟

تعرف يا عزيزي أن الأنهار تصب في البحار باستمرار، وهذه المياه التي يصبها النهر في البحر كانت أمطاراً ساقطة على مساحات واسعة من الأراضي والجبال قبل أن تتجمع في مجرى النهر، وتقوم مياه الأمطار بإذابة الأملاح التي تصادفها في مناطق سقوطها وتحملها إلى النهر الذي يحملها بدوره إلى البحر، وفي البحر تستقر هذه الأملاح، ولكن حين يتبخر الماء من البحر بكميات كبيرة -لأن سطح الماء فيه كبير وواسع- فإن الأملاح تظل في البحر ولا تصعد مع جزئيات البخار إلى الجو، ثم يتكون السحاب من البخار الكثير المتجمع، وتدفع الرياح هذا السحاب بعيداً، وحين يثقل وزن السحاب وينزل منه المطر، يتكون من هذه الأمطار أنهار، أو تمتلئ الأنهار مرة أخرى بالمياه الجديدة التي أذابت عند سقوطها ما صادفها من أملاح الجبال والوديان والأراضي التي سقطت عليها.

وهكذا حين تصب الأنهار المياه الجديدة في البحر فإنها تحمل إليه من خلالها كمية جديدة من الأملاح، ويتكرر هذه العملية تزداد ملوحة البحار باستمرار، وقد وصلت مياه البحر إلى ملوحتها الحالية نتيجة تكرار عملية نقاء الأمطار للأملاح عن طريق الأنهار إلى البحار، وذلك عبر مئات الألوف من السنين.

(٤٢) كيف يتمكن الثعبان من ابتلاع فريسة حجمها أكبر من حجم جسمه؟

والسر فيها أن الفك العلوي للثعبان غير ملتحم بالجمجمة، كما أن الفك السفلي مكون من جزئين متصلين بأربطة مطاطة، ولذلك يستطيع الثعبان أن يفتح فمه إلى درجة يصعب تخيلها، ويستطيع أن يتلع فرائسه التي تظن استحالة قدرته على ابتلاعها.

وللمساعدة في هذه العملية فإن جلد الثعبان أيضاً يستطيع أن يتمدد بصورة كبيرة، فسبحان الله ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠).



قواعد تُراعى عند ضرب الصغير

والضرب لا يبدأ قبل العاشرة، وهو آخر الدواء كما سبق ووضحنا، وهذه بعض القواعد التي تُراعى عند ضرب الصغير:

عن أبي أمامة قال: أقبل النبي ﷺ معه غلامان، فوهب أحدهما لعلي، صلوات الله عليه، وقال: «لا تضربه فإنني نهيت عن ضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا...»^(١).

إن الغرض من العقوبة في التربية الإسلامية إنما هو الإرشاد والإصلاح، لا الانتقام والتشفي، ولهذا ينبغي أن يراعى طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، ويُشجع على أن يشترك بنفسه في تفهّم وإصلاح الخطأ الذي أخطأه، وتغفر أخطأه وهفواته بعد إصلاحها.

مضار القسوة في الضرب:

ذكر ابن خلدون رحمه الله في مقدمته ما يفيد أنه ضد استعمال الشدة والقسوة في تربية الأطفال، يقول: «مَنْ كَانَ مُرَبًّا (أي: تربيته) بالعسف والقهر من المتعلمين والمماليك أو الخدم، سطا (أي: سيطر) به القهر، وضيق القهر على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاها إلى الكسل، وحمله على الكذب والخُبث خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه القهر المكر والخديعة، فصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له» اهـ.

«كما يجب ألا يمس نوع العقوبة كرامة الطفل، وألا يكون فيها إهانة له، كأن يُضرب أمام الناس، أو يُعلن عندهم أنه سرق أو نحو هذا، فإن للطفل شخصية يجب أن تُراعى، وكرامة يجب أن تُصان، كثيراً ما أخطأ المربون الغرض من العقوبة فضلو السيل، وظنوا مخلصين أن الشدة على البنين والبنات قد تأتي في ظنهم بخير ما يرجون، وذلك لقلّة يقظتهم للحقيقة المؤلمة، فقد أدت الشدة إلى كثير من البلايا

التي ولدت بعض المشاكل الاجتماعية التي يتألم منها المجتمع الإنساني، فجعلت الطفل كائنًا ميت النفس، ضعيف الإرادة، نحيف الجسم، مضطرب الأعصاب خائر العزيمة، قليل الشايط والحيوية. وإن كثرة الضرب وشدته لا تزيد الطفل إلا بلاءة وجمودًا، على أن الطفل إذا وجد بجانبه من يُبصره بالواجب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويستميله دائمًا إلى العمل، لم تكن هناك حاجة إلى هذه العقوبات القاسية، وإذا كان الغرض من العقوبة الإصلاح فالضرب ليس بوسيلة للإصلاح، وإن التفاهم على انفراد يؤدي إلى نتيجة أحسن من نتيجة السوط والعصا، ومن الخطأ أن تهدد الطفل بعقاب لن تقوم بتنفيذه، أو لا يمكنك تنفيذه، فقد يعود الطفل إلى الخطأ، فتزداد الخطورة والمشكلة^(١).

أقول: وإن هدي النبي ﷺ في ذلك هو أكمل الهدي، ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ (النور: ٥٤).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله»^(٢).

وهذا شيء لا يفعله إلا أولو العزم وأولو الصبر، فلكي يكظم الإنسان غيظه عن ولده أو خادمه أو امرأته، فهذا لا يقدر عليه إلا الأقوياء الأشداء الذين قال عنهم النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة»^(٣)، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٤).
أما عن قواعد الضرب:

١- ألا يكون قبل سن العاشرة، وهذا في شأن الصلاة التي هي الركن الأعظم بعد الشهادتين، فلا شك أن ما هو دون الصلاة من الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية فلا يضرب الطفل عليها قبل ذلك السن، إلا ضربًا هو أيضًا دون الضرب

(١) التربية الإسلامية، لمحمد عطية الإبراشي (ص ١٥٤، ١٥٥) بتصرف.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل (٤٢٦٩).

(٣) الذي يصرع الناس بقوته.

(٤) البخاري، كتاب الأدب (٥٦٤٩)، ومسلم كتاب البر والصلة (٤٧٢٤)، وأحمد، باقي مسند

المكثرين (٦٩٢١)، ومالك في الموطأ، كتاب الجامع (١٤٠٩).

من أجل الصلاة، من باب التهذيب حتى لا يترك الطفل يبيع إلى سن العاشرة ويراعى الاعتدال قدر الإمكان.

٢- أن يقلل منه ما أمكن بحيث يكون كالمالح في الطعام، وهو قليل، لكنه يصلح الطعام، فإذا كثر أفسد، وكذلك فإن كثرة الضرب تقلل من هيئته ومفعوله، وتعود الطفل عليه ثم على البلادة، قال ﷺ: «لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله»^(١). وعليه فإن أقصى الضرب عشر ضربات، وهذا في حق البالغ المكلف، فما بالنابئ لم يبلغ سن التكليف؟ لا شك أنه لن يُضرب إلى العاشرة، وقد كان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله يكتب إلى الأمصار: لا يَقْرَن المعلم (معلم القرآن) فوق ثلاث، فإنها مخافة للطفل^(٢). والضرب هنا يسمى تأديباً وليس عقوبة.

ورأى القاضي شريح ألا يُضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثاً، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمداً ﷺ ثلاثاً.

٣- علماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغي أن يصيب الجلد فقط، ولا يعدوه إلى اللحم، فكل ضرب يقطع اللحم أو ينزع الجلد أو يجرح اللحم فهو مخالف لحكم القرآن، والمقصود من قوله: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ (النور: ٢). وهو ظاهر البشرة من جسم الإنسان، وهو أن يُجلد، أي: يُضرب على جلده مائة جلدة عقوبة لما صنع^(٣). وهذا العدد بخصوص البالغين عند إقامة الحد عليهم.

٤- ألا يكون السوط غليظاً أو به عقد لورود النهي عن ذلك، فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأتي بسوط مكسور، فقال: «فوق هذا». فأتي بسوط جديد لم تُقطع ثمرته (عقدة طرفه) فقال: «دون هذا». فأتي بسوط قد رُكب به (ذهبت عقدة طرفه) ولان (أي: صار ليناً)، فأمر به رسول الله ﷺ فجلد ثم قال ﷺ: «أيها

(١) البخاري، كتاب الحدود (٦٣٤٢)، والترمذي كتاب الحدود (١٣٨٣)، وأبو داود كتاب الحدود (٣٨٤٩)، وأحمد مسند المدنيين (١٥٨٩٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، كتاب العيال (٥٣١/١).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (سورة النور) (ص ٢٤٩).

الناس! قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله، فإنه من يُبد لنا صفحته^(١)، نُقم عليه كتاب الله^(٢). (أي: نقيم عليه الحد).

٥- ألا يرفع الضارب يده رفعاً عالياً كما قال عمر رضي الله عنه للضارب: «لا ترفع إبطك»^(٣). والمقصود في هذا ألا يكون الضرب مبرحاً أي: قوياً وشديداً، لنهي النبي ﷺ عن ذلك كما سيأتي.

ويأمر ﷺ بوقف الضرب عن الطفل إذا استغاث بالله:

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، ينبغي على عباده إذا ذُكر اسم الله عندهم أن يخشعوا ويهجعوا، ويستحيوا ويرجعوا، فإذا ضُرب الطفل فاستغاث بالله، فينبغي لمؤدبه ومربيه أن يستجيب، وأن يوقف الضرب؛ تقدسياً لاسم الله وتعظيماً لشأنه جل وعلا، ورحمةً بالطفل. قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه»^(٤).

قال المباركفوري: قال الطيبي: «هذا إذا كان الضرب لتأديبه، وأما إذا كان حداً فلا، وكذا إذا استغاث مكرراً» اهـ^(٥). ولا عبرة بقول أهل الجدل أن الطفل سيتخذها حيلة ومخرجاً من العقوبة في كل مرة، لأن البركة والتوفيق والهداية كلها في طاعة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤). وصحيح أنه يمكن أن يحتال بذلك بعض الأطفال، لكن من الذي أوصلهم إلى

(١) يعترف على نفسه بما استتر من أمره، ومعنى القاذورات هنا: الفواحش.

(٢) صحيح: موطأ مالك، كتاب الحدود (٢١٩٩)، والحاكم في المستدرک (ج ٤/ ٧٦١٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وانظر صحيح الجامع (ج ١٤٩)، عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال المصطفى ﷺ بعد رجم الأسلمي: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله، فإنه من يبد لنا صفحته، نُقم عليه كتاب الله».

(٣) التمهيد لابن عبد البر (ج ٥/ ٣٣٤)، سنن البيهقي الكبرى (ج ٨/ ٣٢٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (ج ٥/ ٥٢٩).

(٤) صحيح: انظر صحيح الجامع (ج ٦٠٢١) عن ابن عمر.

(٥) تحفة الأحوذى (ج ٦/ ٦٨).

هذه الدرجة واضطربهم إلى الدهاء والمكر؟ فلا بد من التراجع من المربي، ومراجعة الأخطاء، والانطلاق من قاعدة شرعية تربوية علمية صحيحة، حتى لا يحدث التعارض والتصادم في الجانب التربوي.

وأعود فأقول: إنه لا ينبغي الإكثار من العقوبة لما يترتب على ذلك من الآثار السيئة، «فالشدة المستمرة مع الأطفال مضرّة بهم جسمياً وخلقياً ووجدانياً، ولا بد إذاً من الأخذ بالحكمة القائلة: الوقاية خير من العلاج. فالمربي الحازم هو الذي يبعد الطفل عن البيئة التي تشجعه على الأخطاء»^(١).

ويمنع ﷺ من ضربه في الأماكن الحساسة وعند الغضب:

لا شك أن الذي يعاقب طفله وهو غضبان ستكون العقوبة أولاً غير مجدية، ثانياً منفرة وستورث في الطفل الكراهية، ثالثاً يكون الضرب ساعتهما ليس للتربية وإنما للتشفي وإخراج غل الصدر كله على الطفل المسكين، رابعاً فإن الغاضب بهذا الوصف في الغالب أنه لن يراعي حدود الله تعالى في ضوابط الضرب، فربما ضرب الوجه، أو ضرب أماكن حساسة كالرأس والرقبة والفرج، فإنها أماكن لا يجوز ضربها، وربما سببت ضربة أليمة عاهة مستديمة، بل ربما أودت بحياة الطفل أو الطفلة، والأمثلة كثيرة، والمآسي مثيرة، وقد أتى علي رضي الله عنه برجل سكران أو في حد، فقال: «اضرب وأعط كل عضو حقه، واتق الوجه والمذاكير»^(٢).

وقال ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه»^(٣). ومن هنا ندرك قيمة تكرار النبي ﷺ الوصية لرجل كلما قال: أوصني، قال: «لا تغضب». قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله»^(٤).

(١) كتاب: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام (ص ١٦٤)، ينقله عن كتاب: الطفل في الشريعة الإسلامية لمحمد صالح.

(٢) أحكام القرآن، للجصاص (٣/٣٢٢)، وابن أبي شيبة (ج ٥/ص ٥٢٩).

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٤٧٢٩)، وأبو داود كتاب الحدود (٣٨٩٥)، وأحمد باقي مسند المكثرين (١٠٣١٤)، بلفظ: «إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتق الوجه، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته».

(٤) البخاري، كتاب الأدب (٥٦٥١)، وأحمد (٢٢٠٨٨)، وهذا لفظه.

ما بعد العاشرة

المراهقة والشباب

نصائح ووصايا

لقد قدمت السنة المطهرة إلى الشباب أفضل المقومات وأرقى المؤهلات وأقوم السبل لإيجاد شباب سوي، مؤمن جلد، قوي جاد، له شخصيته المتميزة، أهل لحمل الرسالة وتأدية الأمانة وقيادة سفينة النجاة لإنقاذ الإنسانية من حيرتها والوصول بها إلى طريق النور والهداية والرشاد والأمن والاستقرار والسعادة^(١).

قال تعالى: ﴿الرَّكَّابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١). وقال جل شأنه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿طه: ١٢٣، ١٢٤﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠).

وأهم تلك المقومات ما يأتي:

أولاً: تربيته على الجلد والرجولة والخشونة.

ثانياً: تربيته على الرياضة والفروسية.

ثالثاً: تربيته على التنافس والتسابق في الخير.

رابعاً: تربيته على الاستقامة.

خامساً: حسن تصريف طاقاتهم.

سادساً: حسن استثمار الوقت.

سابعاً: الابتعاد عن المثيرات الجنسية.

ثامناً: تزويجهم.

تاسعاً: نبذ التقليد.

(١) انظر: منهج السنة النبوية (ص ٩٣ - ١٢٥).

أولاً: تربيتهم على الجلد والرجولة والخشونة^(١):

١- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليمن قال: «إياك والتنعيم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»^(٢). وقال سبحانه: ﴿أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ﴾ (الزخرف: ١٨). أي: يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم^(٣) ومجازاة الرجال كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحتاج به على من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهم عن فطرة الرجال، يقال: قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، وفيها أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعاييب والمذام، وأنه من صفات ربات الحجال^(٤)، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه: «اخشوشنوا واخلشوشبوا وتمعددوا»^(٥). وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى^(٦).

٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان»^(٧).

(١) الجلد: القوة والشدة والصبر، والجلد الصلابة، والجلادة والتجلد تكلف الجلادة، وتجلد أظهر الجلد - لسان العرب (ص ٦٥٤) بتصرف. والرجولة: الشدة والكمال، وإذا قلت هذا أرجل الرجلين، أي أشدهما: أو فيه رجولية ليست في الآخر - لسان العرب (ص ١٥٩٦، ١٥٩٧) بتصرف. والخشونة: ضد اللين، وتخشن واخلشوشن الرجل: لبس الخشن وتمعده، أو أكله أو تكلم به، أو عاش عيشاً خشناً، وقال قولاً فيه خشونة - لسان العرب (ص ١١٦٨) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣/٥، ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٥٥/٥)، وأورده المنذري في الترغيب (١٥٥/٣)، والهشمي في المجمع (٢٥٠/١٠) وقالوا: رجاله ثقات.

(٣) مجاثاة الخصوم: من جثا يثجثا: جلس على ركبتيه للخصومة. لسان العرب (ص ٥٤٦).

(٤) ربات الحجال: أي النساء ومنه أعروا النساء يلزمن الحجال والحجل مشي المقيد (اللسان ٧٨٨).

(٥) واخلشوشب في عيشه: شظف وقالوا تمعددوا واخلشوشبوا: أي اصبروا على جهد العيش، وقيل تكلفوا ذلك ليكون أجمل لكم، ويقال: اخلشوشب الرجل: إذا كان صلباً خشناً في دينه وملبسه ومطعمه وجميع أحواله. لسان العرب (ص ١١٦١) بتصرف.

(٦) الكشف للزمخشري (٢٤٣/٤)، والالوسي (٧١/٢٥) في روح المعاني.

(٧) أخرجه أبو داود (٣٩٣/٤) (٤١٦١)، وابن ماجه (١٣٧٩/٢) (٤١١٨)، وقال: البذاذة: القشافة

يعني التقشف، والحاكم (٩/١)، وذكر في هامشه: البذاذة: هي رثاء الهيئة: أراد التواضع في اللباس.

٣- وعن عبيد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه فقال: أما إني لم آتَكَ زائراً ولكني سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعثاً وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه^(١).

والإرفاه: الاستكثار من الزينة وألا يزال يهيم نفسه، وكره رسول الله ﷺ الإفراط في التمتع والمثدلك والتدهن والترجيل في نحو ذلك من أمر الناس، فأمر بالقصد في ذلك وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف، فإن الطهارة والنظافة من الدين^(٢).

ولا تعارض بين هذه الأحاديث الداعية إلى التقشف والتواضع في اللباس وعدم الغلو في التطهر والتنظيف، وبين الأحاديث الكثيرة الداعية إلى إظهار نعم الله وتجنب كتمانها وإلى التجميل والتطهر والتنظيف، إنما المقصود من هذا هو خلوص القلب لله عز وجل وتصفيته من كل العلائق والشهوات فإن الغلو في التزين وما إلى ذلك، والاستمرارية عليه بدون انقطاع قد يصير في وقت عبودية، شعر الإنسان بذلك أم لم يشعر.

فيستحب التحلي عن ذلك بعض الوقت بين الحين والحين لله عز وجل كمسا يستحسن التطهر والتنظيف والتجمل في معظم الأوقات لله أيضاً لا للمفاخرة ولا للمباهاة وكسر قلوب الضعفاء الفقراء، هذه ناحية.

والمقصود الآخر: هو ترويض النفس وتدريبها على تحمل المشقات والتجمل عند الشدائد قبل أن تأتي الفتنة^(٣)، فإذا جاءت كان الإنسان قد تهيأ لاستقبالها، وتروض على تحملها.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٢/٤)، (٣٩٣)، (١٤٦٠)، والنسائي في الزينة باب «الترجل غباً» (١٣٢/٨)، وفي روايته «قلنا وما الإرفاه؟ قال: الترجل كل يوم»، وأحمد (٢٢/٦).

(٢) قاله الخطابي في معالم السنن (٣٩٣/٤).

(٣) والفتنة آتية لأن طريق الإيمان لا بد لسالكه من الاختبار والابتلاء والامتحان قال سبحانه: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» أخرجه البخاري في الرقاق باب حجب النار بالشهوات (٣٢٧/١١) (٦٤٨٧)، ومسلم في الجنة (٢١٧٤/٤) (١) (٢٨٢٢) واللفظ له.

٤- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشرب قلبه حب الدنيا، التاط بثلاث: شقاء لا ينفد، وحرص لا يبلغ عناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، والدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا، حتى يستوفي منها رزقه»^(١).

٥- وعن فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدقون بالكلام»^(٢). وفي رواية: «إن من شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، ونبتت عليه أجسامهم»^(٣).

وقال قتادة: «وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرثهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون»^(٤).

فطالبت السنة المطهرة بالتعود على التقشف لأن المتقلب في الترف والنعيم عندما يكبر يسترسل في الترف والملذات، فيختار دائماً الطريق السهل، ولا يمكن أن يركب الصعاب، وقد يهرب من المسئولية، ويجبن عند لقاء الأعداء، بل قد يفر في معارك الرجال وذلك لأنه نشأ نشأة لينة طرية، لا رجولة فيها ولا خشونة، لا صبر فيها ولا مصابرة، وقد يشعر دائماً بالعجز عن القيام بالأهداف العظام ومعالي الأمور، لأن ذلك يحتاج إلى بذل وجهد وتضحية لا طاقة له بها، وقد اعتاد الأخذ فقط، ولم يتعود على العطاء، وقد يتعرض للفشل تلو الآخر، لأنه لا طاقة له للعمل الدؤب الجاد، وإذا تزوج أصيبت قريته بخيبة الأمل، إذ لا يمكن الاعتماد عليه، وقد تفشل الحياة الزوجية، وكذلك الزوجة المدللة المترفة لا يمكن لها أن تجابه الحياة بما فيها من

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٠) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٦) رواه الطبراني بإسناد حسن، ومعنى التاط: أي التصدق به النهاية (٤/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٧٧)، وابن أبي الدنيا في الجوع (١/ ٩)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢٤٩)، وابن عساكر في التاريخ (٩/ ٦٠).

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٥٣) رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وقد وثق والجمهور على تضعيفه.

(٤) أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٣٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

بلاء وكبد ومشقات، والأمة التي تنشئ شبابها على الترف الزائد تنشئ جيلاً ناعماً لا يصلح لشدائد الحياة.

مر النسيم يجرح خديه ★ ولمس الحرير يدمي بنانه
ولقد حرصت السنة على المظاهر الجسمية والنفسية في مجال الجنس، إنها تحب أن يكون الرجل واضح الرجولة، والأنثى واضحة الأنوثة، وتكره التخثث والميوع، وتكره التشبهين بالنساء، والمتشبهات بالرجال، لأنها تحترم الطاقة الجنسية على فطرتها السليمة، تحترمها احتراماً جاداً لا على أنها وسيلة للفحش ولا على أنها وسيلة للتميع والانحلال، إنها لا تحتقر الجسم ولا تستقذره ولا تستنكره وأبلغ دليل على ذلك أن العبادات الإسلامية تشرك الجسم في العبادة ولا تسقطه من الحساب.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»^(١).

٧- وعنه رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المترجلات من النساء والمختثين من الرجال، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم». قال: فأخرج رسول الله ﷺ فلاناً وأخرج عمر فلاناً»^(٢).

٨- وعن أبي مليكة قال: «قيل لعائشة رضي الله عنها: إن امرأة تلبس النعل. فقالت: لعن رسول الله ﷺ الرجلة من النساء»^(٣).

٩- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فرسة لا يدخلون الجنة - منهم - المرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال (٣٤٥/١٠) (٥٨٨٥) وأبو داود في اللباس (٣٥٥/٤) (٤٠٩٧)، والترمذي في الأدب باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء (٦٩/٨) (٢٩٣٥)، وابن ماجه في النكاح باب في المختثين (٦١٤/١) (١٩٠٤)، وأحمد (٢٥٤/١) (٣٢٠)، (٢/٢٠٠/٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣١٤/٣) (٢٠٠٦) شاكر وقال: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس باب في لباس النساء (٣٥٥/٤) (٤٠٩٩). والرجلة: يقال امرأة رجلة، إذا تشبهت بالرجال في زيهم وهيئاتهم.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (١٨٧٦)، وأحمد (١٣٤/٢) - (٦١٨٠ شاكر) وقال: إسناده صحيح، =

ثانياً: تربيتهم على الرياضة والفروسية:

حثت السنة المطهرة الشباب على فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك سائر أنواع استعمال السلاح والمسابقة بالخيول وغيرها، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك.

١- فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»^(١).

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيول التي أضمرت^(٢) من الحفياء، وكان أمدّها ثنية الوداع^(٣)، وسابق بين الخيل التي لم تُضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق^(٤).

وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك وتدريب الخيل ورياضتها وتمرينها على الجري وإعدادها لذلك لينتفع بها عند الحاجة في القتال كراً وقرأ^(٥).

٣- وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم»^(٦).

= وفي رواية: «ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة منها المرأة المترجلة والديوث» أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٣٥)، وابن حبان (٥٦)، والنسائي (٣٥٧/١).

(١) أخرجه مسلم في الإمامة باب فضل الرمي والحث عليه وضم من علمه ثم نسيه (١٥٢٢/٣) (١٦٧) (١٩١٧)، وأبو داود في الجهاد باب في الرمي (٣٠/٣) (٢٥١٤)، والترمذي في التفسير (٤٧٣/٨) (٥٠٧٨)، وابن ماجه في الجهاد باب الرمي في سبيل الله (٩٤٠/٢) (٢٨١٣)، والدارمي في الجهاد باب فضل الرمي والأمر به (٢٠٤/٢)، وأحمد (١٥٧/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣/١٠).

(٢) أضمرت: وهو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيتاً كثيراً وتحمل فيه لتعرف ويجفف عرقها فيجف لحمها وتقوى على الجري، قاله النووي في شرح مسلم (١٤/١٣).

(٣) وأما ثنية الوداع فهي عند المدينة، سميت بذلك، لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها المصدر السابق (١٤/١٣).

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٧٠)، ومسلم (١٨٧٠)، ومالك في الموطأ (٤٦٧/٢).

(٥) قاله النووي في شرح مسلم (١٤/١٣).

(٦) أخرجه الطبري في الأوسط والبرار كما في الترغيب للمنزري (١٧٠/٢)، وقال: وإسنادها جيد =

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ وأسلم يرمون فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع ابن الأدرع». فأمسك القوم قسيهم قالوا: من كنت معه غلب. قال: «ارموا وأنا معكم كلكم»^(١).

٥- وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله»^(٢)، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها- أو قال: كفرها-^(٣).

وفي رواية: «كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة»^(٤).

وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة وإنما استثنى رسول الله ﷺ هذه الخلال من جملة ما حرم منها لأن كل واحد منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق أو ذريعة إليه، ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة^(٥) بالسلاح والشد على الأقدام

= قوي، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٦٩/٦) وقال رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبخاري والطبراني رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت وهو ثقة.

(١) أخرجه ابن حبان (١٦٤٦)، والحاكم (٩٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد عند البخاري (١٠٧/٦) (٢٨٩٩)، وأحمد في المسند (٥٠/٤)، وابن ماجه في الجهاد (٩٤١/٢) (٢٨١٥) وقال في الزوائد إسناده صحيح.

(٢) وهو الذي يناول الرامي النبل، وقد يكون ذلك على وجهين أحدهما أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناولوه واحد بعد واحد، والوجه الآخر أن يرد عنه النبل المرمى به، ذكره الخطابي في معالم السنن (٢٨/٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨/٣)، (٢٩)، (٢٥١٣)، والترمذي (٢٦٥/٥) (١٦٨٧)، وابن ماجه (٩٤٠/٢) (٢٨١١)، والنسائي (٢٢٣/٦)، والدارمي (٢٠٥/٢)، وأحمد (١٤٤/٤).

(٤) أخرجه النسائي كتاب عشرة النساء (٧٤/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩/١)، وذكره المنذري في الترغيب (١٧٠/٢)، والهيثمي في المجمع (٢٦٩/٦)، وقال رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبخاري ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت وهو ثقة.

(٥) والثقاف: حديدية تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج اللسان (ص ٤٩٢)، والثقاف العمل بالسيف يقال: فلان من أهل المثاقفة وهو مثاقف حسن الثقافة بالسيف. نفسه.

ونحوهما مما يرتاض به الإنسان فيتوقع^(١) بذلك بدنه ويتقوى به على مجالدة العدو، فأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام، وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق، ولا يستجمل به لدرك واجب فمحظور كله^(٢).
وقال عمر رضي الله عنه: «علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليشربوا على الخيل وثباً»^(٣).

وقال رضي الله عنه: «لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتهم؛ نزعتم في القسي، ونزوتهم على ظهور الخيل»^(٤). وقال رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية»^(٥).

زد على ذلك أن الرياضة والحركة من أقوى الأسباب في حفظ الصحة، فإنها تسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها، فلا تجتمع على طول الزمان، وتعود البدن الخفة والنشاط وتجعله قابلاً للغذاء، وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته، وكان باقي التدبير صواباً، ووقت الرياضة انحدار الغذاء وكمال الهضم، والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة وتربو ويتندى بها البدن، وأي عضو كثرت رياضته قوي، وخصوصاً على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها، فإن استكثر من الحفاظ قويت حافظته، ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة، ولكل عضو رياضة تخصه فللصدر القراءة، فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدرج، ورياضة السمع بسمع الأصوات والكلام بالتدرج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل، وكذلك رياضة اللسان في الكلام، وكذلك رياضة البصر وكذلك رياضة المشي بالتدرج شيئاً فشيئاً،

(١) يتوقع: أي يصلب ويقوي لسان العرب (ص ٤٨٨٨).

(٢) قاله الخطابي في معالم السنن (٣/ ٢٨، ٢٩).

(٣) نثر الدر (٢/ ٢٦ - ٣٩)، وابن الجوزي في مناقب عمر (ص ٢٨).

(٤) نثر الدر (٢/ ٣٩)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٦/ ٢٧١)، وقسي جمع قوس لسان العرب

(٣٧٧٣)، والقوس معروف وهي التي يرمى بها، والنزو: الوثبان لسان العرب (٢/ ٤٤٠)، يقال نزوت

على الشيء أنزوت نزواً إذا وثبت عليه، وانتزع الرمح: اقتلعه ثم حمل. لسان العرب (٤٣٩٥).

(٥) ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ١٦٨).

وأما ركوب الخيل ورمي الشباب والصراع والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله، وهي قالة لأمراض مزمنة كالجلذام والاستسقاء والقولنج (١).

وتهدف التربية الرياضية إلى تنمية اللياقة البدنية، والنمو الجسمي للشباب بما يكسبهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل، ومقاومة الإجهاد والتعب وكذلك استثمار أوقات الفراغ فيما يوظف طاقات الشباب، ويعمق في نفوسهم معاني الشجاعة والإقدام، فيكونوا قادرين على حماية مجتمعهم من الفساد والتحلل ووطنهم من الغزو بأنواعه، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجساد الشباب، وتزيدها قوة ومتانة على هدي أوامر الإسلام في أوقات الرياضة، وتعلم أنواع الرمي المختلف، واستعمال أنواع الأسلحة المتعددة، وقيادة الطائرات والسفن الحربية، وكل أمر يتعلق بالإعداد الجسمي والنفسي والميداني للشباب.

إن الإسلام في حاجة إلى كيان سليم قوي فياض متحرك متمكن من الحياة، إن رسالته هي رسالة القوة في الحق، القوة في البناء والتعمير، القوة في حمل الأمانة، القوة في القيام بمقتضياتها، القوة في الجهاد في سبيلها، والمسلم المجاهد القوي من أزهذ الناس في متاع الحياة الدنيا وزينتها إنما هي زهادة القوة لا زهادة اللامبالاة.

ثالثاً: تربيتهم على التنافس والتسابق في الخير:

المنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه، ونافست في الشيء منافسة: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم (٢).

ولقد كان النبي ﷺ يأمر بالمبادرة إلى العمل الصالح قبل حلول العوائق والفتن.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» (٣). والحديث يحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل

(١) ابن القيم في زاد المعاد (٤/٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) لسان العرب (٣/٤٥٠) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/١١٠) (١٨٦).

(١٠١٨)، والترمذي (٦/٤٣٨) (٢٢٩١)، وأحمد (٣/٣٠٤)، والبغوي في شرح السنة (١٥/١٥) (٤٢٢٣).

تعذرهما والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كترامك الليل المظلم لا المقمر^(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً، هل ينظرون إلا إلى فقر منسٍ أو غنى مطعٍ أو مرض مفسدٍ أو هرمٌ مُفندٍ، أو موتٌ مجهزٌ أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر»^(٢). وهذا الحديث خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم، أي: متى تعبدون ربكم، فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن، فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى^(٣). والقصد الحث على البدار بالعمل الصالح قبل حلول شيء من ذلك.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»^(٤).

٤- وعن عابس الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستاً: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم، ما يقدمونه إلا ليغنيهم»^(٥).

٥- وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»^(٦).

(١) قاله النووي في شرح مسلم (١٣٣/٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٩٢/٦) (٢٤٠٨)، وابن المبارك في الزهد (٧/٣)، وأورده النووي في رياض الصالحين (ص ٥٨)، وقال رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) المباركفوري في تحفة الاحوذى (٥٩٢/٦، ٥٩٣).

(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (٢٢٦٧/٤) (١٢٨) (٢٩٤٧)، وابن ماجه (١٣٤٨/٢) (٤٠٥٦)، وأبو داود الطيالسي (٢٧٧٠)، وأحمد (٣٠٤/٢، ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (٤٩٤/١)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٤/٢)، وابن أبي الدنيا في العقوبات (٧٨/١)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٩).

(٦) أخرجه أبو داود (١٥٧/٥) (٤٨١٠)، والبيهقي في الزهد (٨٨/١)، والحاكم (٦٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

٦- وعن الفضل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرُضُ الْحَاجَةُ»^(١). وكان رسول الله ﷺ أسبق الناس إلى الخير وأسرعهم إلى فعل المعروف.

٧- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرِّي في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا». قال: وجدناه بحراً أو إنه لبحر وكان فرساً يبطاً»^(٢). والمعنى: لما سمعوا صوتاً في الليل خافوا أن يهجم عليهم عدو فاستقبلهم النبي ﷺ بعد أن سبق إلى الصوت واستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منه فرجع يسكنهم ويهدئ من روعهم^(٣).

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون إلى فعل الخيرات، ومن ذلك:

٨- ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك ما لا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟». قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟». قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً»^(٤).

وحث السنة المطهرة على التنافس في طاعة الله عز وجل:

(١) أخرجه أحمد (٢١٤/١)، أبو داود (١٧٣٢)، وابن ماجه (٢٨٨٣)، والحاكم (٤٨٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (٣٣٩/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠/١٠) (٦٠٣٣) في الأدب، ومسلم في الفضائل باب شجاعة النبي عليه الصلاة والسلام وتقدمه للحرب (٤/١٨٠٢) (٤٨) (٢٣٧)، والترمذي (٣٣٣/٥) (١٧٣٧)، وابن ماجه (٩٢٦/٢) (٢٧٧٢)، والبحر: الفرس الكثير العدو، قاله القاضي عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢١٤/١).

(٣) قاله الحافظ في الفتح (٤٧٢/١٠) بتصرف.

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٣/٢) (١٦٧٨)، والترمذي (١٦١/١٠) (٣٧٥٧)، وقال حسن صحيح والحاكم (٤١٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

٩- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في الهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»^(١).

والمراد الاستباق معنى لا حساً لأن المسابقة على الأقدام حساً مقتضى السرعة في المشي وهو ممنوع منه^(٢).

١٠- وعن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»^(٣). والمراد خلق وإيجاد روح التنافس والغبطة في فعل الخير وبذل المعروف بين أبناء المسلمين، وهذا شحذٌ للهيم وتربية للعزائم على استمرار الطاعة لله عز وجل وملء ميدان المسلمين بذكر الله ومن والاه.

وقال جل شأنه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨). والآية تتضمن الحث على المبادرة والاستعجال بذكر الله ومن والاه^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣). أي: بادروا أو سابقوا إلى أسبابهما من الأعمال الصالحة، والظاهر العموم، ويدخل فيه سائر الأنواع^(٥) من أداء الفرائض إلى الجهاد إلى التوبة إلى سائر أنواع البر.

ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات فكان هذا أمراً بالمسارعة إلى فعل المأمورات وترك المنهيات، ثم إنه تعالى بين أنه كما تجب

(١) أخرج البخاري في الأذان (١١٤/٢) (٦١٥)، ومسلم في الصلاة (٣٢٥/١) (١٢٩) (٤٣٧)، والترمذي (١٦/٢) (٢٢٥)، والنسائي (٢٦٩/١)، وأحمد (٣٠٣/٢ - ٥٣٣).

(٢) شرح السيوطي على سنن النسائي (٢٦٩/١)، ونقله الحافظ في الفتح (١١٥/٢).

(٣) أخرجه البخاري في العلم (٦٩٠/٨) (٥٠٢٥)، ومسلم في صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٥٥٨/١) (٢٢٦) (٨١٥)، وابن ماجه (١٤٠٧/٢) (٤٢٠٨) في الزهد، وأحمد (٩/٢)، والبيهقي في شرح السنة (١١٥/١٣) (٣٥٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٩٥/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٨/٤).

(٤) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/٢).

(٥) الألويسي في روح المعاني (٥٦/٤) بتصرف.

المسارعة إلى المغفرة، وكذلك تحب المسارعة إلى الجنة، وإنما فصل بينهما لأن الغفران معناه إزالة العقاب والجنة معناها إيصال الثواب^(١). وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦). أي: الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله تعالى^(٢). وقد أنشئ الله عز وجل على بعض أنبيائه المصطفين الأخيار بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠). وذم المنافقين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ (النساء: ١٤٢). وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٥٤).

١١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»^(٣). كما كان الشح غالباً في الصحة، فالسماح فيه بالصدقة أصدق في النية وأعظم للأجر بخلاف من يش من الحياة ورأى مصير المال لغيره^(٤).

رابعاً: تربيتهم على الاستقامة:

والاستقامة: الاعتدال، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى^(٥).

١- عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»^(٦). وهذا من جوامع

(١) الرازي في تفسيره (٥/٩).

(٢) الألوسي في روح المعاني (٩٧/٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة (٣٣٤/٣) (١٤١٩)، ومسلم في الزكاة باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (٧١٦/٢) (٩٢) (١٠٣٢)، والنسائي في الوصايا باب الكراهة في تأخير الوصية (٢٣٧/٦)، وابن ماجه في الوصايا (٩٠٣/٢) (٢٧٠٦)، وأحمد (٢٣١/٢)، (٢٥٠).

(٤) قاله الحافظ في الفتح (٣٣٥/٣).

(٥) اللسان (٣٧٨٢) بتصرف.

(٦) أخرجه مسلم في الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام (٦٥/١) (٦٢) (٣٨)، والترمذي (٩١/٧) (٢٥٢٢)، وابن ماجه (١٣١٤/٢) (٣٩٧٢)، والدارمي (٢٩٨/٢)، والطيالسي (٦٤/٢) (٢٢٠٥)، وابن حبان في الزهد (٢٥٤٣)، وعبد الرزاق في كتاب جامع الإيمان والإسلام (١٢٨/١١) (٢٠١١)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٥/١).

كلمه ﷺ، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (نصلت: ٣٠). أي: وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك.

والاستقامة لا يطبقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعتادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق^(١).

وبينت السنة المطهرة أن الشباب الذي ينشأ في عبادة الله وطاعته، ويستقيم على أمره، ويجاهد نفسه وشهواته في ذات الله عز وجل سيكون في ظل الله عز وجل في يوم تكون أرض المحشر كلها ناراً، وليس فيها إلا ظله سبحانه وتعالى.

٢- فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله،... منها: وشاب نشأ بعبادة الله»^(٢).

والله سبحانه وتعالى لم يرض لنبيه ﷺ أن يقضي فترة شبابه وقوته قبل البعثة في اللهو والعبث، إنما أراد له حياة الجد والاستقامة، فكيف بعد بعثته ﷺ واختياره من بين العالمين رسولا أسوة لهم؟!

٣- فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهيمون به إلا مرتين من الدهر كلاهما يعصمني الله تعالى منهما: قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها تُرعى: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان. قال: نعم. فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناءً وصوت دفوف وزمر فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلاناً تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة، فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت فسمعت مثل ذلك فقيّل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت، وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت:

(١) النووي في شرح مسلم (٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة (٣/٣٤٤) (١٤٢٣)، ومسلم في الزكاة (٧١٥/٢) (٩١) (١٠٣١)، ومالك في الموطأ (٩٥٢/٢) في الشعر، والبغوي في شرح السنة (٣٥٤/٢) (٤٧٠) والبيهقي (٨٧/١٠) (١٩٠/٤).

ما فعلت شيئاً». قال رسول الله ﷺ: «فوالله ما هممت بعدها أبداً بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته»^(١).

٤- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يعجب من الشاب ليست له صبرة»^(٢). وشاب ليست له صبرة: أي: ميل إلى الهوى وهي المرة منه، وذلك لأنه إذا تاب وارعوى كان أشد لاجتهاده في الطاعة وأكثر لندمه على ما فرط منه، وأبعد له من أن يعجب بعمله أو يتكل عليه^(٣).

٥- وعن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه»^(٤).

٦- وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»^(٥). وقد رخص بعض العلماء في اللعب بالشطرنج، وزعم أنه قد يتبصر به في أمر الحرب ومكيدة العدو، فأما من قامر به فهو فاسق، ومَنْ لعب به على غير قمار وحمله الولوع بذلك على تأخير الصلاة عن وقتها، أو جرى على لسانه الخنا والفحش إذا عالج شيئاً منه، فهو ساقط المروءة، مردود الشهادة^(٦).

خامساً: حسن تصريف طاقاتهم:

من المعلوم أن الشباب عنده طاقات هائلة، لو أحسن تصريفها وأجيد إنفاقها،

(١) أخرجه الحاكم (٢٤٥/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأشار ابن كثير إلى غرابته في البداية والنهاية، وضعفه الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص ٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٥١/٤)، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٧٠/١٠)، وقال رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن.

(٣) لسان العرب (٢٣٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الشعر باب تحريم اللعب بالنردشير (١٧٧٠/٤) (١٠) (٢٢٦٠)، وأحمد (٣٥٢/٥)، وأبو داود (٢٣٠/٥)، (٢٣١) (٤٩٣٩) في الأدب، وابن ماجه (١٢٣٨/٢) (٣٧٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٤/١٠).

(٥) أخرجه أحمد (٣٦١/٥)، وأبو داود (٢٣٠/٥) (٤٩٣٨)، وابن ماجه (١٢٣٧/٢) (٣٧٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٤/١٠)، والمراد بالنارد: الطاولة.

(٦) الخطابي في معالم السنن (٢٩/٣).

ووجهت إلى أبواب الخير وميادين الصلاح كانت سبباً في إيجاد حضارة راشدة، وحياة آمنة سعيدة مستقرة، وعلى العكس لو أسيء تصريفها كانت سبباً في التدمير والهدم، وإيجاد جو كله قلق وتوتر، وجهل وتخلف، وفقر ومرض.

والإنسان مجبول على أن غرائزه لا ترضى ولا تشبع، ومن هنا فلا بد من مجاهدتها وتوجيهها الوجهة الرشيدة.

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال، لا ينفق لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١). والمعنى: أن الآدمي مجبول على حب المال، وأنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم^(٢).

وفي ذكر التراب إشارة إلى أن الآدمي خلق من التراب، ومن طبعه القبض واليأس، وأن إزالته ممكنة، بأن يمطر الله عليه ما يصلحه، حتى يثمر الخلال الزكية والخصال المرضية، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرَجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ (الأعراف: ٥٨). أي: إن ذلك العسر الصعب يمكن أن يكون يسيراً على من يسره الله تعالى عليه^(٣).

ويفهم من الحديث: أن الغرائز لا ترضى ولا تشبع ولا تقف عند حد، وأنه لا نجاة منها ولا حل أمثل من ضبطها وتحجيمها وتهذيبها وتوجيهها الوجهة القويمة الرشيدة، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ۖ وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُم مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَاهُم صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (النساء: ٦٦-٦٨). أي: لو أنهم فعلوا ما كلفوا به وأمروا به، لحصلت لهم أنواع من المنافع تشمل خير الدنيا والآخرة^(٤)، ولدامت لهم هذه النعم وزادت لأنهم أنفقوا هبات الله وقوته وآلاءه في

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٢٥٧/١١) (٦٤٣٦)، ومسلم في الزكاة (٧٢٥/٢) (١١٦) (١٠٤٨)، والترمذي في الزهد (٦٣٠/٦) (٢٤٤٠)، والبخاري في شرح السنة (٢٨٤/١٤) (٤٠٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٦٨/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣٣٧/١).

(٢) فتح الباري (٢٦١/١١).

(٣) فتح الباري (٢٦١/١١).

(٤) الرازي في تفسيره (١٧٣/١٠) بتصرف.

سبل مرضيه وطرق طاعته سبحانه وتعالى، فعلى الشباب أن يحافظوا على طاقاتهم ولا ينفقوها إلا في الطاعات، ويجنبوها المعاصي المهلكات.

إن هذه الطاقات التي يفرزها الكيان الإنساني هي طاقات حيوية تصلح للخير وتصلح للشر، تصلح للبناء وتصلح للهدم، والإسلام يوجهها وجهتها الصحيحة في سبيل الخير، وبذلك يقي النفس من كثير من أنواع الانحراف، فيفرغ طاقة الكره في كره الشيطان وأتباعه، والشر الذي ينشئه وأتباعه على وجه الأرض، وبهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقة سامة لنشاط الإنسان وكيانه، ويفرغ طاقة الحب في حب الله والناس والخير بوجه عام، لأنه إن لم يفرغ، حوله الإنسان إلى نفسه وذاته، فيعشق نفسه ويعبدها وينشأ الحب الفاسد من الناس والأفكار والأشياء، وعلى هذا النحو يفرغ الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والتعمير والإنتاج تفريغاً بنائياً إنشائياً، يهد الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض، ويملا فراغ الإنسان بالعبادة ويذكر الله حتى لا يوجد في حياة الإنسان فراغ لا يشغله شيء، أو فراغ يشغله الشر والفساد والتافه^(١).

إن التعايش مع الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني، وحسن توجيهها، ووضعها في مسارها الصحيح له دوره الإيجابي وأثره الفعال في النفس البشرية وفي واقع الحياة، أما إذا أهملت أو انحرفت عن مسارها الصحيح فإنها تؤدي إلى التناقض والقلق في داخل النفس، والخلل والاضطراب في واقع الحياة.

سادساً: حسن استثمار الوقت:

١- عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»^(٢).

(١) محمد قطب في منهج التربية الإسلامية (١/٢٥١، ٢٥٢) بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة (١٠١/٧) (٢٥٣٢)، وأبو يعلى في المسند (٢/٢٥٤)، والخطيب (١٢/٤٤٠)، وابن عدي في الكامل (١/٩٥)، وابن عساكر (٥/١٨٢)، والمذري في الترغيب (٤/٧٥٧)، وقال رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

وجاءت السنة النبوية تؤكد قيمة الوقت، وتقرر مسئولية الإنسان عنه أمام الله عز وجل يوم القيامة حتي إن الأسئلة الأربعة الأساسية التي توجه إلى المكلف يوم الحساب يخص الوقت منها سؤالان رئيسيان، وهكذا يسأل الإنسان عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة، والشباب جزء من العمر ولكن له قيمة متميزة باعتباره سن الحيوية الدافقة والعزيمة الماضية، ومرحلة القوة بين ضعفين.

٢- وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢).

فالزمن نعمة جلّى ومنحة كبرى، لا يدرىها ويستفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفاضل، كما أشار إلى ذلك لفظ الحديث الشريف فقال: «مغبون فيهما كثير من الناس»، فأفاد أن المستفيدين قلة وأن الكثير مُفَرِّط مغبون.

وقال الحسن: «أدركت قوماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه»^(٣).
وعن عبد الرحمن بن مهدي: «لو قيل لحماذ بن سلمة: إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً». وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي: «لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقت، كان مشغولاً، إما يحدث أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلي، وقد قسم النهار على ذلك». قال يونس المؤدّب: «مات حماد بن

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/١٤٨)، والخطيب في اقتضاء العلم والعمل (ص ١٠١)، والحاكم (٣٠٦/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، والبغوي في شرح السنة (٢٢٣/١٤) (٤٠٢١)، وابن المبارك في الزهد (ص ٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣/١١) (٦٤١٢)، وأحمد (١/٢٥٨)، والترمذي (٥٨٩/٦) (٢٤٠٥)، وابن ماجه (١٣٩٦/٢) (٤١٧٠)، والدارمي (٢/٢٩٧)، والبغوي في شرح السنة (٢٢١/١٤) (٤٠٢٠).

(٣) أورده البغوي في شرح السنة (١٤/٢٢٥).

سلمة وهو في الصلاة رحمة الله تعالى عليه» (١).

فالوقت هو الحياة، وهو رأس مال المسلم، ولا ينبغي أن ينفقه في غير طاعة، حتى لا يغبن فيه، لأنه إن ضاع رأسماله بلا ربح، عاد بالخسران المين، فيجب ملء الفراغ وشغل الوقت بكل ما هو نافع ومثمر يعود على المرء وعلى أهله ومجتمعه والإنسانية جمعاء بالخير في الدين والدنيا والآخرة.

والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وإن لم تشغله بالحق شغلك بالباطل، والليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ومن أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه، فطوبى لمن ملأه بالخير والصلاح، وويل لمن ملأه بالشر والفساد.

٤- ولذا كان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل» (٢). وأقسم الله تعالى بالعصر- الذي هو الزمن- لما فيه من الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، ولأن العمر لا يُقَوَّم بشيء نفاسة وغلاء. فلو ظلمت نفسك بتضييع كثير من عمرك فيما لا يعني، ثم تبت وثبتت لك السعادة في اللحظة الأخيرة من العمر، بقيت في الجنة أبد الأبدين، فعلمت أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللحظة، فكان الزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم الله به، ونبه سبحانه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها الإنسان، وأن الزمان أشرف من المكان فأقسم الله به، لكون الزمان نعمة خالصة لا عيب فيها إنما الخاسر الميعب هو الإنسان (٣). قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَبِي خَسِرٌ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿ (العصر: ١- ٣).

(١) تذكرة الحفاظ (٢٠٢/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٧/٧).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (١٨٠/١١) ومسلم في الذكر باب التعوذ من العجز والكسل وغيره (٢٠٧٩/٤) (٥٠) (٢٧٠٦)، والبخاري في شرح السنة (١٥٧/٥) (١٣٥٦).

(٣) الرازي في تفسيره (٨٤/٣٢) بتصرف.

سابعاً: الابتعاد عن المثيرات الجنسية:

وتتلخص هذه المثيرات الجنسية في ضوء السنة المطهرة في الآتي:

١- النظر الحرام.

٢- لمس المرأة الأجنبية.

٣- الخلوة.

٤- الاختلاط.

٥- التبرج.

٦- سفر المرأة وحدها.

١- النظر الحرام: إن عملية الاستشارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الشهواني المجنون، وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستشارة وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً، وبقوة الطبيعة دون استشارة مصطنعة.

عن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، يصدق ذلك الفرج ويكذبه»^(٢). وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «أصرف بصرك»^(٣). والنظرة الأولى إنما تكون له لا عليه إذا كانت فجأة من غير قصد أو تعمد، وليس له أن يكرر النظرة ثانية، ولا له أن يتعمد بدأ كان أو عوداً^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في النكاح (٦١٠/٢) (٢١٤٩)، والترمذي (٦١/٨) (٢٩٢٧) في الأدب، وقال: حديث حسن غريب، والدارمي (٢٩٨/٢)، وأحمد (٣٥١/٥).

(٢) أخرجه البخاري في الإستبذان باب زنا الجوارح دون الفرج (٢٨/١١) (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٠٤٧/٢) (٢١) (٢٦٥٧) واللفظ له، وأبو داود في النكاح (٦١٢/٢) (٢١٥٢)، وأحمد (٣٤٣/٢).

(٣) أخرجه مسلم في الإستبذان باب نظرة الفجأة (٣/١٦٩٩) (٤٥) (٢١٥٩)، والترمذي في الأدب (٦٠/٨) (٢٩٢٦)، وأحمد (٣٥٨/٤).

(٤) قاله الخطابي في معالم السنن (٦١٠/٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (النور: ٣٠، ٣١).

وبدأ سبحانه بالإرشاد إلى غض البصر، لما في ذلك من سد باب الشر، فإن النظر باب إلى كثير من الشرور، وهو بريد الزنا، ورائد الفجور، فلوقاية الإنسان مما قد يحرك غرائزه ويستثير شهواته أمرت السنة بغض البصر، وتجنب تتبع عورات الناس، فالنظرة هي النافذة التي تطل من خلالها عوامل الرغبة والميل، والبصر مرآة القلب، فإذا غض الإنسان بصره عف قلبه، والنظرة تفعل فعل السهم في الرمية إن لم تقتلها جرحتها، وهي بمنزلة الشرارة في الحطب، إن لم تحرقه كله أحرقت بعضه.

٢- لمس المرأة الأجنبية: إن رسول الله ﷺ لم يصافح أجنبية قط لا في البيعة ولا غيرها، وهو أملك لإربه وهو المعصوم ﷺ فما البال بغيره، وهو أبعد عصمة، إنه في حاجة إلى الكف عن لمس الأجنبية لما في ذلك من تهيج الغرائز وإثارة الكامن من الشهوات.

١- فعن ميمونة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه على الإسلام فقلن: يا رسول الله نبايعك على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنّي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله ﷺ: «فيما استطعتن وأطقتن». قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء، إنما قلتي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة»^(١).

٢- وقالت عائشة رضي الله عنها: ولا والله ما مست يده ﷺ امرأة قط في المبايع، ما بايعهن إلا بقوله: «قد بايعتكم على ذلك»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٠/٥) (١٦٤٥)، والنسائي في البيعة باب بيعة النساء (١٤٩/٧)، وابن ماجه (٩٥٩/٢) (٢٨٧٤)، وابن حبان (١٤)، ومالك في الموطأ (٩٨٢/٢)، وأحمد (٣٥٧/٦) - (٣٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٨/٨)، والدارقطني في السنن (١٤٧/٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤/٨) (٤٨٩١)، ومسلم في الإمامة باب كيفية بيعة النساء (١٤٨٩/٣) =

٣- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له»^(١).

٣- الخلوة:

١- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان»^(٢).

٢- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»^(٣).

والمعنى: أن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من البعداء^(٤)، لأن الشر يتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي^(٥)، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى.

وقيل: المراد أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها إذا

= (٨٨) (١٨٦٦)، وأبو داود في الإمامة (٣٥٢/٣) (٢٩٤١)، والترمذي (٢٠٢/٩) (٣٣٦١)، وابن ماجه (٩٦٠/٢) (٢٨٧٥)، وأحمد (١١٤/٦)، (١٥٣، ٢٧٠).

(١) أخرجه أبو نعيم في الطب (٣٣/٢)، (٣٤)، والرويانى في مسنده (٢٢٧/٢)، والطبرانى والبيهقى كما في الترغيب (٦٦/٣)، وقال المنذرى ورجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤/٦) (٢٢٥٤)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والطحاوي في شرح المعاني (٢/٢٨٤)، وابن حبان (٢٢٨٢)، والطيالسي (ص ٧ رقم ٣١)، وأحمد (١٨/١)، (٣٣٩/٣)، وعند شاكر برقم (١١٤)، وقال: إسناده صحيح، وأبو يعلى في مسنده (٤٥/١)، والحاكم (١١٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقى (٩١/٧).

(٣) أخرجه البخاري في النكاح (٩/٢٤٢) (٥٢٣٢)، ومسلم في السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (٤/١٧١١) (٢٠) (٢١٧٢)، والترمذي في الرضاع باب في كراهية الدخول على المغيبات (٤/٣٣٤) (١١٨١)، والدارمي (٢/٢٧٨)، وأحمد (٤/١٤٩ - ١٥٣)، والبغوي في شرح السنة (٩/٢٦) (٢٢٥٢)، والحمو: قال يحيى قرابة للزوج، سنن الدارمي (٢/٢٧٨).

(٤) قاله البغوي في شرح السنة (٩/٢٧).

(٥) أورده الحافظ في الفتح (٩/٢٤٣) نقلاً عن القرطبي.

حملته الغيرة على تطليقها^(١).

٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرّم»^(٢). وإذا نهى عن الثيب التي يتساهل الناس في الدخول عليها في العادة فالبكر أولى وفي الحديث تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها^(٣).

وقال ميمون: «ودعاني عمر فقال: إني أوصيك بوصية فاحفظها: إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرّم، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن»^(٤).

٤- الاختلاط:

إن الاختلاط لا يؤدي إلا لإثارة الشهوة، وإغراء الجنسين بالفاحشة، والتحلل تدرجياً من قيود الحياء والعفة، لذا حذرت السنة المطهرة منه.

١- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»^(٥). أما صفوف الرجال فهي على عمومها فخيرها أولها أبدأً، وشرها آخرها أبدأً، أما صفوف النساء فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال خير صفوفهن أولها وشرها آخرها.

والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثواباً وفضلاً، وأبعدا من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم

(١) قاله النووي في شرح مسلم (١٥٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (١٧١٠/٤) (١٩) (٢١٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٨/٧).

(٣) قاله النووي في شرح مسلم (١٥٣/١٤).

(٤) ابن الجوزي في سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (ص ٢١٩، ٢٢٠).

(٥) أخرجه مسلم في الصلاة (٣٢٦/١) (١٣٢) (٤٤٠)، وأبو داود (٤٣٨/١) (٦٧٨)، والترمذي (١٥/٢) (٢٢٤)، والنسائي (٩٣/٢)، وابن ماجه (٣١٩/١) (١٠٠٠)، والدارمي (٢٩١/١)، وأحمد (٢٤٧/٢، ٤٨٥)، (٣٩٨، ٢٩٣/٣).

ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك^(١). وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ...﴾ (القصص: ٢٣). أي: عادتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء، عجزاً عن مساجلتهم وحذراً من مخالطة الرجال^(٢). والاختلاط من وسائل الإفساد في تميع الشباب خلقياً، وإثارتة جنسياً وهو وسيلة مدمرة، وسبب من أسباب الهلكة، فقطعاً لدابر الفتنة، وسداً للذرائع حظرت السنة الاختلاط لغير مقاصده، ولا يخفى أن الاختلاط بين الجنسين كان الخطوة الأولى التي انتهت بالمجتمعات الغربية إلى ما هي عليه الآن من تهتك ومجون وسقوط في ميدان القيم، وإفلاس في ميدان سمو الروح والخلق، ولذا شددت السنة في تجنب الاختلاط، ولعل ذلك كان سبباً في قيام حضارة فاقت في عطائها الإنساني كل الحضارات.

٥- التبرج: التبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، وما يستدعي به شهوة الرجل. والتبرج: إظهار الزينة للناس الأجانب وهو مذموم فأما للزوج فلا^(٣)، وتجنباً لإثارة الغرائز وتهيج الشهوات وإشاعة الفاحشة، حذرت السنة معشر النسوة من التبرج والسفور عصمة للرجل والمرأة معاً.

١- عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا تسأل عنهم: ... منها: امرأة غاب عنها زوجها، وقد كفها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم»^(٤).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار

(١) قاله النووي في شرح مسلم (١٥٩/٤).

(٢) القاسمي في محاسن التأويل (١٣/٤٧٠)، والمساجلة: المفارقة، وساجل الرجل: باراه، بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي، وأصله أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحد منهما في سجله مثله ما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلاً للمفارقة- لسان العرب (ص ١٩٤٤)، (١٩٤٥) بتصرف.

(٣) لسان العرب (٢٤٣) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٥٩٠)، وابن حبان (٥٠)، والحاكم (١١٩/١)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (٨٩)، وابن عساكر في مدح التواضع وذم الكبير (٨٨/٥).

لم أرهما: أحدهما . . . ، ونساء كاسيات عاريات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

ومعناه: كاسيات من نعمة الله عز وجل عاريات من شكرها. وقيل: معناه: تستر بعض بدنهن وتكشف بعضه إظهاراً بحالهن ونحوه. وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن.

وأما مائلات: فقيل: معناه عن طاعة الله عز وجل وما يلزمهن حفظه. مميلات: أي: يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل: مائلات: يمشين متبخترات مميلات لاكتافهن، وقيل: مائلات: يمشطن المشطة المائلة، وهي مشطة البغايا، مميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة، ومعنى رءوسهن كأسنمة البخت أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصاية أو نحوها^(٢). وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب: ٣٢).

والله تعالى لما منعهن من الفاحشة، وهي الفعل القبيح، منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال، والانقياد في الكلام الفاسق^(٣).

وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣). أن تخرج من محاسنها ما تستدعي به شهوة الرجال، وأن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره، وأن تلقي خمارها على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها^(٤).

ففي سبيل درء المفاسد أوجبت السنة على المرأة لباساً يستر جسدها ومفاتنها وفي ذلك تكريم لها وارتقاء وسمو بها عن البدائية التي خلقت بها، ووقاية لها من

(١) أخرجه مسلم في اللباس والزينة باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٣/ ١٦٨٠) (١٢٥) (٢١٢٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٣، ٣٥٦)، والبغوي في شرح السنة (٢٧١١٠) (٢٥٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٤).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (١٤/ ١١٠)، والبغوي في شرح السنة بمعناه (١٠/ ٢٧٢).

(٣) تفسير الفخر الرازي (٢٥/ ٢٠٩).

(٤) الألويسي في روح المعاني (٢٢/ ٨) بتصرف.

النظرات العابثة، والسهام الطائشة، وبهذا تكون قد تعاونت مع الرجال على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وبها تستحق الأجر العظيم والثواب الجزيل من ربها سبحانه وتعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٦- سفر المرأة وحدها: إن سفر المرأة وحدها لعظيم المفسدة، التي تترتب على ذلك غالباً، وهي استيلاء الفجرة وفسوقهم بها، فهو وسيلة إلى الزنا، وللوسائل حكم المقاصد، وأما الحرمة فلا تنقيد بذلك، بل يحرم عليها السفر مع غير محرم.

١- فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم»^(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم»^(٢).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتبت في غزوة كذا وكذا. قال: «انطلق وحج مع امرأتك»^(٣).

ثامناً: تزويجهم:

حث السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب، فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة والاتصال بالحرام وتفشي

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩/٢) (١٠٨٦)، ومسلم في الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٩٧٥/٢) (٤١٣) (١٣٣٨)، وأبو داود (٣٤٨/٢) (١٧٢٦)، والترمذي في الرضاع باب كراهية أن تسافر المرأة وحدها (٣٣١/٤) (١١٧٩)، وابن ماجه (٩٦٨/٢) (٢٨٩٨)، وأورده البغوي في شرح السنة (١٧٢/٤).

(٢) أخرجه مسلم في الحج (٩٧٧/٢) (٤٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٧/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٢/٩) (٥٢٣٣)، ومسلم (٩٧٨/٢) (٤٢٤) (١٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٦/٥).

الأمراض الفتاكة بطاقة الشباب من التي تقضي على النسل وتوهي القوة، وتنشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء.

١- فعن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١). وفيه أن الصوم قاطع لشهوة النكاح، واعترض بأن الصوم يزيد في تهيج الحرارة وذلك مما يثير الشهوة، وأجيب بأن ذلك إنما يقع في مبدأ الأمر، فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك، وشهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل، فإنه يقوى بقوتها ويضعف بضعفها^(٢).

واختلف العلماء في المراد بالباء هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحها أن المراد معناها اللغوي، وهو الجماع، فتقديره: مَنْ استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه- وهي مؤن النكاح-، فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته، ويقطع شر منه كما يقطعه الوجاء، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء، ولا ينفكون عنها غالباً^(٣).

٢- وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباء وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: «تزوجوا الودود الولود إني مكاثركم الأنبياء يوم القيامة»^(٤).

٣- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تزوجوا إني مكاثركم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى»^(٥). واهتم الصحابة رضي الله عنهم

(١) أخرجه البخاري (١٤/٩) (٥٠٦٦)، ومسلم في النكاح (١٠١٨/٢) (١) (١٤٠٠)، وأبو داود (٥٣٩/٢) (٢٠٤٦)، والترمذي (١٩٩/٤) (١٠٨٧)، وابن ماجه (٥٩٢/١) (١٨٤٥)، والنسائي (٥٧/٦)، والدارمي (١٣٢/٢)، وأحمد (٣٧٨/١)، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٥٢/٤) وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال الطبراني ثقات.

(٢) قاله العيني في عمدة القاري (٣١/٩).

(٣) قاله النووي في شرح مسلم (١٧٣/٩)، ونقله الحافظ في الفتح (١٠/٩).

(٤) أخرجه أبو داود في النكاح (٥٤٢/٢) (٢٠٥٠)، والنسائي (٦٥/٦)، وأحمد (١٥٨/٣)،

وأورده الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٤) وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٨/٧)، وابن عدي في الكامل (٣٢٩/١)، وذكره الألباني

في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٨٢).

بتزويج الشباب، فكانوا يحثون الآباء على تزويج أبنائهم فيقول عمر رضي الله عنه: «زوجوا أولادكم إذا بلغوا، ولا تحملوا آثامهم»^(١). وعنه رضي الله عنه كان يقول: «تكثر من العيال»^(٢). وكان رضي الله عنه إذا أتاه مال العراق أو خمس العراق لم يدع رجلاً من بني هاشم عزباً إلا زوجه^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلمانه: «مَنْ أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زانٍ إلا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء أن يردّه رده، وإن شاء أن يمنع منه»^(٤). فلم يترك الإسلام فرصة إلا وحض فيها على الزواج، وحث على تيسيره وتسهيله دون قيود أو عراقيل، لأنه الحل العملي، والطريق السليم الفطري لصرف الغريزة.

٤- وقال شداد بن أوس: «زوجوني، فإن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عز وجل عزباً»^(٥). وقال الإمام أحمد رحمه الله: «فالعزوبة ليست من أمر الإسلام في شيء، والنبي ﷺ تزوج أربع عشرة ومات عن تسع لو كان بشر الحافي تزوج كان تم أمره كله، ولو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا، ولم يكن كذا، وقد كان رسول الله ﷺ يصبح وما عند أحد من أهله شيء، وقد كان يختار النكاح ويحث عليه، وينهى عن التبتل، فمن رغب عن فعل النبي ﷺ فهو على غير الحق، ويعقوب عليه السلام في حزنه تزوج وولد له»^(٦). ولروعة صاحب العيال أفضل من كذا وكذا، أين يلحق المتعبد العزب من صاحب العيال^(٧).

(١) ابن الجوزي في مناقب عمر (ص ٢٠٨).

(٢) التمثيل والمحاضر (ص ٢٩) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو.

(٣) الرياض النضرة (٢٨/٢).

(٤) أخرجه أحمد بسنده، وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢/٧، ٣٣).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص ٢٩٣)، وذكره السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن

الابتداع (ص ٢٠٨).

(٦) ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص ٢١٠).

(٧) السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص ٢١١)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي

(ص ٢٩٤) نقلاً عن الإمام أحمد، ونقله عنه إبراهيم بن أدهم.

إن أنفع علاج وأنجع دواء وأدومه للغريزة الفطرية هو الزواج، لأنه ليس وراء ذلك إلا أمرين، أحدهما: قضاء العمل كله في مراة الحرمان، وآخرهما: العبث بالشهوة في الحرام، وكلا الدواءين مر وإن كان الآخر أشد وأمر لتعدي ضرره، والحل العادل هو ما حكم به الإسلام، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

ولكن مع هذا يحدث أن يتنكب بعض الناس الطريق، فيقتربون جريمة الزنا ويقعون تحت طائلة العذاب، ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٧).
﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: ٣٣).

٨- نبذ التقليد: التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقية فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل^(١).

١- فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»^(٢).

والإمعة: هو الذي يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد: أنا معك، لأنه لا رأي له يرجع إليه، ومعناه المقلد الذي يجعل دينه تابعاً لدين غيره، بلا رؤية ولا تحصيل برهان، وفي الحديث إشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق، فضلاً عن الاعتقادات والعبادات^(٣). وبين الله تعالى في كتابه أن هذا التقليد الأعمى سبب من جملة أسباب حالت بين الناس وبين الإيمان، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (البقرة: ١٧٠).

(١) الجرجاني في التعريفات (ص ٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي في البر (١٤٥/٦، ١٤٦) (٢٠٠٧)، وأورده البغوي في شرح السنة (٣٢/١٣)، وقد صح عن ابن مسعود موقوفاً انظر جامع بيان العلم (١١٢/٢). وقوله: «وطنوا أنفسكم»: وطن نفسه على الأمر وللأمر هيأها لفعله وحملها عليه. توطئتها: تمهيدها تحفة الأحوزي (١٤٦/٦).

(٣) المباركفوري في تحفة الأحوزي (١٤٦/٦).

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِآهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (الزخرف: ٢٢ - ٢٥). ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤).

إن الله تعالى أمرهم بأن يتبعوا ما أنزل الله من الدلائل الباهرة، فهم قالوا: لا نتبع ذلك وإنما نتبع آبائنا وأسلافنا، فكأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد، فيقال للمقلد: هل تعترف بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يعلم كونه محققاً أم لا؟ فإن اعترف بذلك لم نعلم جواز تقليده، إلا بعد أن تعرف كونه محققاً، فكيف عرفت أنه محق؟ وإن عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل، وإن عرفته بالعقل فذاك كاف، فلا حاجة إلى التقليد، وإن قلت: ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محققاً، فإذا قد جوزت تقليده وإن كان مبطلاً، فإذا أنت على تقليدك لا تعلم أنك محق أو مبطل، هذا وجه.

والثاني: هب أن ذلك المتقدم كان عالماً بهذا الشيء، إلا أنا لو قدرنا أن ذلك المتقدم ما كان عالماً بذلك الشيء قط، وما اختار فيه البتة مذهباً، فأنت ماذا كنت تعمل؟ فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه، كان لابد من العدول إلى النظر فكذا هاهنا.

الثالث: أنك إذا قلدت من قبلك، فذلك المتقدم كيف عرفته؟ أعرفته بتقليد أم لا بتقليد؟ فإن عرفته بتقليد لزم إما الدور وإما التسلسل، وإن عرفته لا بتقليد بل بدليل، فإذا أوجبت تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد لأنك لو طلبت بالتقليد لا بالدليل، مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدليل لا بالتقليد كنت مخالفاً له، فثبت أن القول بالتقليد يفضي ثبوته إلى نفيه فيكون باطلاً^(١).

٢- عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار قال: اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقليل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رآوها أذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك. قال: فذكر له القُنْ - يعني الشبور -، قال زياد: شبور اليهود، فلم يعجبه ذلك، وقال: «هو من أمر اليهود». قال: فذكر له الناقوس فقال: «هو من أمر النصارى». فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه، وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ فأري الأذان في منامه قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره فقال له: يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوماً. قال: ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: «ما منعك أن تخبرني؟». فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت. فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله». قال: فأذن بلال. قال أبو بشر: فأخبرني أبو عمير أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد لولا أنه كان يومئذ مريضاً لجعله رسول الله ﷺ مؤذناً (١).

وفي الحديث أنه ينبغي أن يكون للمسلم شخصيته الفريدة المتميزة وأن لا يصيغ إلا بصيغة الله عز وجل ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨).

فلا يقلد المسلم في شعائره ولا في أخلاقه ولا في مظهره وعاداته وتقاليده غير المسلمين لا يقلد شرقياً ولا غربياً، لا يقلد يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً ولا هندوسياً أو غيرهم ممن على غير ملته ودينه.

وعلى الشباب دائماً إعمال الفكر والنظر في كل ما يلقي عليهم، ويروونه أمامهم،

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (٣٣٦/١، ٣٣٧) (٤٩٨)، وابن ماجه بنحوه (٢٢٣/١) (٧٠٦)، والدارمي بنحوه (٢٦٨/١، ٢٦٩)، وأحمد (٤٣/٤)، وأخرجه البخاري في الأذان (٩٣/٢) (٦٠٤)، من رواية ابن عمر: «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحننون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال: قم فناد بالصلاة» ورواه أيضاً مسلم في الصلاة (٢٨٥/١) (٣٧٧)، والترمذي (٥٦٧/١) (١٩٠)، والنسائي (٣٥٢/٢)، وأحمد (١٤٨/٢).

ويعرضونه على دينهم، فإن وافق فيها ونعمت، وإلا فينبغي عليهم اجتنابه والبعد عنه والتبري منه، وعليهم مخالفة أهل الباطل في أعمالهم.

٣- فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «... وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

فالسنة المطهرة هدفت إلى إيجاد الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم، وتريد أن تسود الفكرة الإسلامية، حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الإسلام وبدون ذلك لن نصل إلى شيء، نريد أن نفكر تفكيراً استقلالياً يعتمد على أساس الإسلام الحنيف المتمثل في كلمة الوحي الأخيرة المحفوظة المصونة لا على أساس الفكرة التقليدية التي تجعلنا نتقيد باتجاهات الغير في كل شيء، ولا نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة مجيدة عظيمة، تجر وراءها أفضل وأقدم ما عرف التاريخ من مظاهر ودلائل الفخار والمجد.



(١) أخرجه أحمد (٥٠/٢)، وقال شاكر (٥١١٤): إسناده صحيح، وأبو داود في اللباس (٣٤/٤) (٤٠٣١)، وقال ابن تيمية سنده جيد، وقال الحافظ في الفتح: سنده حسن، راجع معالم السنن للخطابي (٣١٤/٤).

الملحق الطبي

بعض الأسئلة حول الأمراض التي قد تصيب الطفل، والوقاية منها

بعض الأسئلة الطبية الخاصة بالأم والوليد^(١)

س: متى تبدأ العناية بالطفل؟ وما هو الوزن الطبيعي للطفل العادي؟ مع إعطائنا فكرة عن متى يبدأ النطق عند الأطفال؟ ومتى يبدأ في إخراج الضروس والأسنان؟

الجواب: نقول: إن وقاية الطفل من كل الأمراض التي تصيبه تبدأ من اللحظة التي يولد فيها عن طريق غسل عينيه بالماء والصابون وتقطير بعض قطرات من قطرة البنسلين أو مسحهما بمحلول نترات الفضة بنسبة ١ في المائة لوقايتهما من الأرماد الصديدية التي هي أكبر عوامل فقد البصر، وغسل جسمه بالماء الساخن والصابون وتبديره ببودرة البوريك والتلك، ومراعاة أن يكون رباط السرة معقماً وغير ضاغط عليها، ومراعاة أن تكون ملابسه ملائمة لفصل ولادته وواسعة لا تعوق حركته، ويحسن أن ينام الطفل في فراش خاص به، وأحسن أوقات الاستحمام بين الساعة العاشرة والثانية صباحاً وقبل الرضاعة لا بعدها، وعلى أن يكن الحمام دافئاً لا تزيد درجة حرارته على حرارة الجسم الطبيعية.

والطفل المولود حديثاً لا يحتاج إلى غذاء إلا بعد ١٢ ساعة من ولادته، والرضاعة في اليوم الأول يجب أن تكون كل ٦ ساعات و٤ ساعات في اليومين الثاني والثالث وبعد ذلك كل ٣ ساعات يومياً، ومراعاة هذه المواعيد بدقة وتعويد الطفل عليها، ولا تعطى بين الرضعات سوى سوائل دافئة مثل الينسون أو الكراوية أو الماء العادي.

والغذاء الطبيعي للطفل هو لبن الأم، وهو يناسب هضم الطفل ويسد حاجاته الغذائية، لذلك يجب على الأم أن ترضع طفلها بنفسها من يوم ولادته وأن تستمر

(١) هذا البحث مجموع من مجموعة كتب ورسائل طبية، ومجلات علمية، وبعض نصائح الأطباء ولا يفوتني أن أزجي شكري للأخوين الكريمين الدكتور/ سليمان عبد الدايم، طبيب أسنان، والدكتور/ أيمن شاشة طبيب أطفال.



على ذلك قدر طاقتها، ويوجه الأطباء نظر الأمهات إلى أن امتناعهن عن إرضاع أطفالهن من الثدي خوفاً من فقد رشاقتهن أمر له خطورته وفي إمكانهن المحافظة على رشاقتهن بتدليك الثدي ومزاولة بعض التمرينات الرياضية الخاصة.

إنما يجب أن يكون مفهوماً أن استمرار الرضاعة لا يمنع مطلقاً من إضافة الأغذية الخارجية المكملة للبن الأم عقب الشهر السادس.

وينصح بعض الأساتذة في أمراض الأطفال بالبدء في فطام الطفل بعد الشهر السادس تدريجياً بحيث يتم نهائياً بعد ستة أشهر، فسقط الأم رضعة ثدي ابتداءً من الشهر السابع وتستبدل بها أكلة خارجية مثل شوربة الخضراوات أو المهلبية وغيرها، المهم أن يحتوي الغذاء الخارجي على كمية من المواد الزلالية والدهنية والنشويات والفيتامينات والمعادن، ولا تضاف اللحوم إلا في العام الثاني، وينصح الأطباء بعدم إتمام الفطام في أشهر الصيف الحارة حيث تكثر التزلات المعوية التي تستوجب الاستمرار في الرضاعة الطبيعية لوقاية الطفل من خطرهما.

متى يقول الطفل: ماما... بابا؟

هذه مرحلة نمو الطفل سليماً صحيحاً من الوجهة الجسمانية والعقلية فإن لم يكن طفلك يسير على صراط هذه المرحلة، ففي الأمر شيء أو مرض يحتاجان إلى فحص وعلاج الطبيب.

في أول سنة:

الشهر الأول: يزن الطفل عند ولادته ٣ كيلوغرام في المعدل ويبلغ طوله حوالي ٥٠ سنتيمتراً.

الشهر الثاني: يزن الطفل ٤ كيلوغرام، ويبدأ الابتسام.

الشهر الثالث: يزن الطفل ٥ كيلوغرام، ويبلغ طوله ٦٠ سنتيمتراً.

الشهر الرابع: يزن الطفل ٦ كيلوغرام، ويبدأ الضحك ويلتفت إلى مصدر الصوت.

الشهر الخامس: يزن الطفل ٥ أو ٦ كيلوغرام.

الشهر السادس: يبلغ الوزن ٧ كيلوغرام، والطول ٦٥ سنتيمتراً، ويستطيع الطفل في هذا الشهر الجلوس غير مسنود، ويبدأ القاطعان والأوسطان الأسفلان من أسنانه في الظهور.

الشهر السابع: يبلغ الوزن ٥ أو ٧ كيلوغرام، ويبدأ الطفل الزحف على يديه ورجليه كما يبدأ في محاولة الكلام (ماما.. بابا).

الشهر الثامن: يبلغ الوزن ٨ كيلوغرام، ويبدأ قاطعا الأسنان الأوسطان العلويان في الظهور.

الشهر التاسع: يبلغ الوزن ٥ أو ٨ كيلوغرام، ويتم ظهور القواطع الأربع العليا. الشهر الحادي عشر: يبلغ من الوزن ٨ وثلاثة أرباع كيلوغرام، وقد يمشي الطفل بضع خطوات إذا أمسكنا بيده.

الشهر الثاني عشر: يبلغ الوزن ٩ كيلوغرام، والطول ٧٥ سنتيمتراً، ويتم ظهور القواطع الأربع السفلى، وبذلك يكون عند الطفل في نهاية العام الأول ٨ أسنان: ٤ للفك الأعلى، ومثلها في الفك الأسفل، ويستطيع معظم الأطفال البدء بالمشي بضع خطوات بدون مساعدة.

في السنة الثانية:

في بداية السنة الثانية من عمر الطفل السليم الصحيح تظهر الضروس الأمامية الأربع في فمه وفي منتصفها تظهر الأنياب الأربع وعند نهايتها يتم ظهور الضروس الأربع الخلفية وبذلك يستكمل بروز أسنان الطفل العشرين التي تسمى (الأسنان اللبنية)، وفي بداية السنة الثانية يمشي الطفل أيضاً بسهولة، وإذا تأخر حتى منتصفها دل ذلك على وجود حالة مرضية كالكساح، ويغلق يافوخ الطفل أيضاً في منتصف السنة الثانية من عمره فإن لم يغلق كان هذا دليل الإصابة بالكساح -عافاك الله وطفلك من شره-.

في السنة الثالثة:

ينطق الطفل أسماء كثيرة من الأشياء، ويغرم بالتقليد، ولذلك ينبغي على الوالدين

الحذر في أقوالهما وأفعالهما أمامه، ويكون ذا حركة دائمة، لا يعرف الهدوء، فإذا كان هادئاً ساكناً فذلك غير طبيعي فيه، ولا يمكن أن يكون سليماً معافى، فيُعرض على الطبيب، ويستمر نمو الطفل بعد ذلك سليماً صحيحاً مع استمرار الرعاية والعناية الصحية.



كيفية الوقاية من أمراض الكبد والكلى

نريد تعريفاً وتقسيماً للأمراض التي تصيب الكبد والكلى، وأعراضها، وكيف يؤثر ذلك على الجنين وهو في بطن أمه أو في الوليد بعد خروجه إلى الحياة، مع بعض النصائح.

الجواب: تنقسم الأمراض إلى: أمراض وراثية، وأمراض مكتسبة. أما أعراض الأمراض فهي كالآتي:

(١) أمراض وراثية تصيب الأم، وتؤثر على الجنين: وهي كالآتي:

أ- ارتفاع الحرارة، خاصة إذا استمرت أكثر من ثلاثة أيام، وظهر معها طفح جلدي، وهي الحصبة الألمانية، ويكون تأثيرها على الطفل كالآتي:

* ضمور في خلايا المخ - التخلف.

* التهاب في الكبد.

* أنيميا شديدة.

ب- التهاب الكبد الوبائي في الشهور الأخيرة من الحمل:

نوع (ب): يصبح الطفل حاملاً للفيروس مدة طويلة من عمره قد تؤدي إلى إحداث بعض السرطانات في الكبد. يمكن علاج هذه المشكلة بإعطاء المصل عند الولادة مباشرة.

ج- الامتناع كلية عن تناول الأدوية في شهور الحمل إلا في الضرورة القصوى وتحت إشراف الأطباء المتخصصين.

(٢) الأعراض التي يجب الاهتمام بها عند الولادة:

أ- عدم أخذ الشهيق الأول بعد الولادة مباشرة.

ب- ظهور اللون الأصفر في العين في اليوم الأول.

ج- ظهور شحوب شديد في الوجه.

د- التأكد أن عملية الإخراج سواء للبول أو البراز قد تمت بعد الميلاد أو على الأقصى في خلال أربع وعشرين ساعة من الميلاد.

هـ- القيء المستمر.

الأعراض ذات الأهمية في الشهور الأولى من العمر:

١- الصفراء: طبيعية- مرضية.

علامات الصفراء المرضية:

* البراز لون الجير.

* البول لون الشاي.

* قلق مستمر نتيجة أكلان في الجلد.

* تأخر النمو.

٢- البكاء الشديد مع الرضاعة الطبيعية:

* حساسية للبن الأم.

* ارتجاع الحامض من المعدة إلى المريء.

٣- الإسهال المستمر منذ الولادة- حساسية للبن الأم.

٤- حساسية الصدر أو توقف النفس بالكلية- ارتجاع الحامض من المعدة إلى المريء.

٥- معدلات النمو غير متناسبة مع السن:

* أمراض الغدد الصماء.

* أمراض سوء التغذية- نقص في كمية اللبن.

٦- تأخر المشي- الكلام- أمراض الجهاز العصبي.

٧- النزلات المعوية:

* علامات خطرة- نقص في كمية البول.

* الحرارة.

* صديد مع البراز.

* قيء مستمر.

٨- آلام البطن المستمر:

قد تكون بسبب عضوي أو غير عضوي. كيف نفرق؟

* هل توجد في كل الأوقات أم خاصة في الليل؟

* أيام الدراسة أم الإجازات.

* الشهية مفتوحة أم لا.

٩- أعراض التهاب المسالك البولية: غير مثالية:

* مرات البول مستمرة.

* مغص في البطن.

١٠- الالتهاب الكبدي الوبائي:

* أعراض ظاهرة ومستمرة.

* عادات سيئة بالنسبة للعلاج- الكورتيزون- التغذية.

* التطعيم ضد فيروس (ب).

محظورات في العام الأول من حياة الطفل:

١- عدم شرب اللبن الحليب.

٢- عدم إكراه الطفل على الأكل بصورة مستمرة.

٣- الإقلال من الحلوى الكثيرة.

٤- عدم المبالغة في تأريخ المرض للطبيب بل يجب وصف المرض بدقة.

٥- عدم الالتجاء إلى الصف الثاني في الطابور الطبي- الممرضين وأمثالهم.



س: ما هي النصايا التي توصون بها كل أب وأم على وجه العموم؟

الجواب: هذه عشر وصايا لكل أب وأم وهي:

(١) إن للطفل الحق في أن يتطلب من والديه وراثته نظيفة من الأمراض السرية والأمراض العقلية والعيوب الوراثية، لذلك ينبغي على الوالدين ألا يقدموا على الزواج أصلاً أو الإنجاب بعد الزواج إلا بعد التأكد من سلامتهما من هذه الأمراض والعيوب.

(٢) من الخطأ الشائع الاعتقاد بأن ارتفاع درجة حرارة الطفل وإصابته بالإسهال ينتجان عن ظهور الأسنان، والطبيب وحده هو الذي يشخص للأم الحالة ويقرر العلاج، فالخطر كل الخطر أن تُشخص الأم المرض وتتولى العلاج، وكل ما عليها أن تلم بأعراض كل مرض فإذا ما اشتبهت بمرض ما تلجأ إلى الطبيب وعليها التزام العلاج الذي يشير به وحسن تمرير الطفل.

(٣) إذا كان طفلك ما زال رضيعاً فتعلمي فن التغذية، لأن عدم اتباع النظام في إرضاع الطفل يؤدي إلى إصابته بتلبك معوي وإسهال، وحذار من أن تُسكتي صياح طفلك المستمر بإرضاعه، بل المفروض أن تبحثي عن سبب بكائه، فقد يكون بلل ملابسه أو أصابه مغص.

(٤) الفطام يجب أن يكون بإشراف الطبيب الذي يزن الطفل ويقرر ما إذا كان في حاجة إلى غذاء صناعي بجانب غذائه الطبيعي أم لا، ويرشد الأم إلى الوقت المناسب لفطام الطفل.

(٥) على كل أم ترضع أن تُكثر من شرب اللبن والحلبة، حتى تزيد كمية اللبن، وعليها الاعتناء بنظافة ثدييها وتلافي إصابتهما بتشققات حتى لا تعطل رضاعة الطفل.

(٦) الأمهات العاملات عليهن إرضاع أطفالهن في الصباح قبل الخروج إلى العمل، ويعتمد خلال فترة العمل على رضعة صناعية كمساعدة، ثم يرضعن أطفالهن من ثديهن مرة كل ثلاث ساعات بعد عودتهن من عملهن.

(٧) حذار من فطام الأطفال في فصل الصيف، لأن هذا يعرضهم لأكبر الأخطار وأسوأها عاقبة.

(٨) مقاومة الطفل الذي يعتمد على الرضاع الطبيعي توازي عشرة أضعاف مقاومة الطفل الذي يعتمد على الرضاع الصناعي.

(٩) تدل الإحصائيات على أن ٧٥ في المائة من نسبة الوفيات بين الأطفال تحدث في بداية فصل الصيف، وذلك بالنسبة للأطفال الذين لم يتجاوزوا عامهم الأول، وتنخفض هذه النسبة إلى ١٥ في المائة بين السنة الثانية والرابعة.

(١٠) أول ما يجب أن تقومي به إذا انتابك شك في أن طفلك مصاب بمرض معد، هو أن تجعليه يلازم الفراش فوراً، وتستدعي الطبيب لزيارته أو قومي أنت بزيارة الطبيب فوراً.



كيفية تنبيه الإدراك عند الصغار

س: كيف ننمي الإدراك عند الصغار؟
الجواب: يختلف إدراك الطفل عن إدراك الشخص الناضج، فإدراك الطفل يتعرف على عالم جديد كما أنه بمثابة تكوين مخزن من الذكريات، أما إدراك الناضج فيحمل جزءاً من استعادة ما سبق التعرف عليه لذلك فإن عنايتنا بعملية الإدراك عند الطفل شديدة الأهمية.

هذا ما يقوله أطباء وخبراء علم النفس والأمراض النفسية.

وأهم ما ينبغي الانتباه إليه هو:
- أن يكون كل شيء حول الطفل واضحاً والجمل المفيدة والنداء محدداً والاسم مميزاً وهكذا.

- كذلك بالنسبة للمرثيات والألوان المحددة والأماكن المميزة والأثاث الواضح.
ويضيف أطباء الخدمة الاجتماعية بقولهم: إن هناك علاقة بين ذكاء الطفل واعتكافه داخل البيت أو خروجه منه، لذلك يفضل ألا تترك الأم طفلها فترة طويلة داخل المنزل بمفرده.

- وعندما يكبر قليلاً تصطحبينه إلى رحلات خاصة في الحدائق والأماكن الآهلة

بالناس حتى يرى أعمالهم ويبدأ في استعمال ملاحظاته ويدقق بها. وعلى الأم والأب أن يذكر اسم كل شيء يقلب له من أشجار وورود وحيوانات، كما أنه من المفيد أن يسمع الطفل القرآن الكريم وبعض الأناشيد، وأن تقرأ له الأم أثناء النوم حتى تنمي لديه حاسة السمع.



كيفية الوقاية من أمراض المسالك البولية

س: يصاب صغيري ببعض الالتهابات البولية فما سببها؟ وكيف أتعامل معها؟
الجواب: هناك حالات التهاب بولي صديدي متكررة في الأطفال، وسبب أزمات الالتهاب وسبب تكرار الالتهاب هو وجود ارتجاع للبول من المثانة إلى الحالب لأنه في هذه الحالات يكون هناك بول مختزن في المثانة رغم نزول البول أكثر من اللازم، وهناك ضغط مرتفع للبول داخل المثانة، فهذا كله يدفع البول إلى الخلف إلى الحالب ثم إلى جيب الكلوة فيسبب الالتهاب المتكرر.

هذه الحالات تعالج بخفض البول داخل المثانة وطرده البول المختزن المتبقي بعد عملية التبول، وهناك طريقتان لذلك: الجراحة، وفيها يستكشف الجراح عنق المثانة ثم يعمل جرحاً في غشاء المثانة المخاطي دون أن يجرع العضلة وهذا الجرح على هيئة حرف Y الإنجليزي.

وهناك طريقة أخرى، وهي: أن نجعل الطفل يتبول كل ساعتين بحيث لا يتجمع بول داخل المثانة ويرفع ضغطها وبعد إتمام التبول بعشر دقائق نجعل الطفل يتبول مرة أخرى في هذه المرة الثانية ينزل البول المتجمع أو المختزن داخل المثانة وداخل الحالبين، الطفل الكبير يمكننا أن ندعوه ليعمل ذلك بنفسه، والطفل الصغير يمكننا أن نجعل الأم تضغط على عانة طفلها فيتبول.

والطريقة غير الجراحية (التبول مرتين متتاليتين كل ساعتين) تعطي تحسناً ضعفاً نسبة التحسن من عملية جراحية، ولا نلجأ إلى الجراحة إلا عند فشلها، ومتابعة الحالة لمدة سنوات (١٥ سنة) ومتابعتها بأشعة الصبغة تثبت أن التحسن البسيط -

التبول مرتين كل ساعتين - طريقة مثمرة جداً.

إذن في كل حالات التهاب البول الصديدي في الأطفال يمكن فرصة وجود هذا الارتجاع واستعمال هذه الطريقة وسيحقق المعالج بذلك نتائج باهرة بلا أية تكاليف ودون استعمال مبيدات ميكروبية، هذا الخطر الجديد هو الشائع بين الناس حالياً.



كيف أحافظ على قلب الصغير؟

س: أصاب بقلق مستمر سببه خشيتي من إصابة قلب ولدي بمرض - لا قدر الله - يفقدني إياه، فحدثوني: كيف يصل الصغير إلى سن الشباب دون متاعب مرضية في قلبه؟
الجواب:

أولاً: عليك الاهتمام بوزن طفلك لأن السمنة وزيادة الوزن تعني إمكانية الإصابة بمرض في أي جزء من الجسد، ويخطئ من يظن أن السمنة دليل على الصحة، فإذا ما حدثت سمنة بشكل غير صحي وجب علاجها عند الطبيب فوراً.

ثانياً: عليك علاج الصغير عند ارتفاع حرارته لئلا يكون الصغير مصاباً بحمى روماتيزمية تؤثر على القلب، أو على الأقل يصيبه ارتفاع الحرارة بإصابات في اللوزتين، أو التهاب المفاصل أو الحلق، مما يؤدي إلى مضاعفات خطيرة بالقلب.



التبول الليلي (البوالة الليلية)

مشكلة المشاكل

س: طفلي يتبول ليلاً، وهذه كبرى المشاكل التي تواجهني، فما الحل؟

الجواب: على مدى الطفولة توجد علامات على الطريق تحدد نمو الطفل: الضحك، الوقوف، المشي، النطق، هذه كلها لها سيرة تكاد تكون محددة في معظم الأطفال إلا علامة واحدة: التبول ليلاً بدون إرادة، ولا يمكن أن نحدد سنًا بينما نقول: إن الحالة أصبحت مرضاً أو عاهة فمثلاً لو لم يتكلم الطفل بعد سنتين

لشككنا في سماعه أو في أنه أخرس ولكن لو ظل إلى سن ١٥ سنة لا يسيطر على البول لا نستطيع أن ندعي بوجود عيب عضوي في جهازه البولي.

السّر في ذلك أن السيطرة على عضلة التبول مسألة صعبة فالتبول لا هو فعل إرادي بالكامل، ولا هو فعل لا إرادي بالكامل، وكلاً من الإرادة وعدم الإرادة ممكن تأثرها بعوامل عديدة طالما هو متيقظ، فإذا نام استراح من من هو المتعلم ويعكس القبول بما يتعلمه أثناء النوم وهو يتيقظ من غير أن يعلم كيف تعلم أو كيف تكلم أو كيف يمشي أي يتعلمه بنفس الوضوح والتقليد المباشر المنظور ثم هو في أثناء النوم وبالتالي غياب مدرسه يطلب منه أن يتعلم الدرس وهو فاهم بدون مدرس.

والفشل في السيطرة علي عضلة لا إرادية مثل عضلة حبس البول تسبب اضطراباً للشخصية وللجهاز العصبي اللاإرادي أكثر كثيراً مما يسببه غلط في نطق حرف بل أحياناً يقابل غلط نطق الحرف بالضحك والطبقة بينما تسبب إفلات عضلة البول دراما عنيفة وربما تكون تاريخية بالنسبة له.

والعجيب أن الطفل وهو في سن لا يطالب فيها بأن يعبر عن رغباته من حب أو كره أو انتقاد بالكلام مثلاً، مطلوب منه أن يتحكم في البول أي: يشعر بلذة التبول، لأنها لذة عضوية لدى الصغير والكبير والشيخ الفاني، يشعر بهذه اللذة قبل أن يشعر بلذة الحب والكره ثم أيضاً يكتم هذه اللذة ويسيطر عليها، لاحظ أن بعض الأطفال يشعرون بلذة شديدة من الإحساس «باللباس» المبلول حول فخذهم.

إذن بالأساس علاج البوالة الليلية هو التدريب المبكر للطفل بواسطة القصصية وعندما يحس الطفل بدائرة حافة القصصية يصدر فعل انعكاسي يؤدي إلى ارتخاء العضلة والتبول والتلذذ من هذا التبول إذن يجب استعمال القصصية بهذا الشكل قبل أن يتجمع لدى الطفل كمية كبيرة من البول تجعله يتبول أوتوماتيكياً بدون القصصية وبذلك ينسى عملية الفعل الانعكاسي، ولكن حذار من المغالاة في استعمال سلاح القصصية خصوصاً إذا كانت الظروف غير مساعدة مثل برودة حافتها التي تجعل الطفل يكره هذا السلاح ويسارع بالتبول قبل وصولها.

ما هو المطلوب من الأم؟

مطلوب من الأم أن تكون غير مبالغة وغير صارمة ودقيقة الملاحظة لطفلها من حيث موعد التبول وظروفه القصرية، وأن تتذكر أن العقاب لأي طفل حتى البلوغ أقل نتيجة من التدريب وإعطاء المثل، بل يقال: إن عصبية الأشخاص الكبار سببها قسوة الأم النشطة في تنظيف طفلها الرضيع من البول والبراز والقيء والاستحمام.

ويلاحظ أيضاً أن عقل الرضيع قد يكون أضعف من احتمال تدريب العضلة كأن يكون ذكاؤه متأخراً مثلاً، هنا قد يتأخر سن السيطرة على العضلة وأحياناً قد يستسهل مثل هذا المخ وأفكاره أو الذكاء وعدم النظافة بالكامل وإلى آخره.

كما يلاحظ أن البرد يجعل عضلة المثانة في الطفل والرجل الكبير لا تحتمل البول كثيراً وتريد طرده وبناء عليه فبعد أن يتدرب الطفل جيداً في الصيف قد تدخل موجة برد تضع ما تعلمه لأن البرد لا يسمح بتجمع نفس الحجم الذي اعتاد أن يتركه يتجمع قبل أن يتبوله كما أن السيطرة على العضلات فيها ناحية وراثية تحدد في العائلة تجعله لا يسيطر على البول، لا يسيطر على أمعائه... إلخ.

ويعاني الأطفال من البوالة ليلاً ولكن أحياناً أخرى ليلاً ونهاراً، ويعاني الذكور مثلما الإناث وإن كانت الإناث أسهل في التعلم والتدريب.

الأسباب العضوية للبوالة الليلية:

١- يجب الانتباه إلى سبب عضوي إذا كان هناك حرق أو كثرة في مرات التبول أو أعراض أعصاب في الساقين.

٢- نقص تكون فقرات الظهر التي كانت فيما مضى سبباً فقد تبين أنها شائعة في الذين يعانون من البوالة الليلية والذين لا يعانونها إطلاقاً.

٣- من الأسباب العضوية أيضاً التهابات مجاري البول خصوصاً إذا كان هناك عيب خلقي أو التهاب قديم في الكلى وكذلك ديدان الشرج وكذلك في الأعضاء التناسلية.

٤- عندما تكون البوالة متقطعة وفي الليل فقط يجب أن نتذكر الصرع وعلى

العموم عدم نظافة المنطقة من الأسباب الرئيسية أحياناً كثيرة وطبيعية بحيث إن الطفل لا يهتم بها بعد.

٥- أحياناً تسبب الحساسية بواله ولذلك نلاحظ كثرة البواله في أبناء الأمهات الذين يعانون من ربو شعبي أو إكزيميا أو أرتكاريا.
الأسباب النفسية للبواله:

قد تكون الغالبية العظمى من الحالات نفسية:

١- فقد تكون محاولة لجذب انتباه الأبوين بعيداً عن مولود جديد تعلقا به ونسيا ابنهما الأول.

٢- وقد تعطيه إحساساً بالتدليل والطفولة يفتقده من أهله.

٣- أي اضطراب نفسي للطفل قد يسبب تبولاً لا إرادياً سواء وهو نائم أو وهو يقظ.

٤- يلاحظ جيداً أن تحطم الثقة بالذات لدى الصغير السن تجعله يصاب بهذه البواله.

٥- كأن يلام الطفل باستمرار على أي شيء أو يوصف بالبلاهة أو الغباوة أو يذكر بعيب جسماني مثل السمعة... إلخ.

وأحياناً يؤدي مثل هذا إلى تثبيت حالة بواله حتى تتكون يومياً فتصبح شيئاً عادياً.

العلاج:

في الحالات العضوية تعالج الأسباب القائمة مثل حموضة البول أو قلوبته أو وجود أملاح أو حديد أو التهابات قديمة بالجهاز البولي، وكذلك تزال أي لحمية من الأنف أو ديدان من الشرج وأية التهابات بمنطقة الفرج، وتعالج إصابات الجهاز العصبي تبعاً للحالة، ويستلزم أحياناً علاج بعض الحالات على أنها صرع.

أما الحالات الهرمونية الواضحة الاضطراب الهرموني فتعالج إذا كان على وشك البلوغ بخلاصة الغدة النخامية والدرقية، ويعالج انقباض عضلة المثانة بالبلادونا والأقدرين اللذين يسببان لها ارتخاءً، وتعالج حساسية الغشاء المخاطي الزائدة بإدخال

مجسمات ويعالج انقباض حجم المشانة بالنفخ ليزداد حجمها ويعالج النوم العميق بالأفدين ٥٠ ملغرام يومياً لمدة ٣ شهور.

وهناك حالات رغم ذلك لا تتحسن إلا بإعادة تدريب المشانة وذلك بأن يتبول المصاب بالنهار في موعد ثابت محدد كل ٣ ساعات مثلاً، ويعتمد أن يقطع البول أثناء نزوله، ويعمل الوالدان على إيقاظ الطفل بعد استغراقه في النوم بساعة ليتبول على أن يوقظ تمام الإيقاظ لأن أطفالاً كثيرين يمكن أن يمشوا أو يتبولوا وهم نائمون، ويجب أن ينام الطفل على فراش لا هو لين ولا هو صلب، وأن تكون الأغذية لا هي ثقيلة ولا هي خفيفة.



كيف نحافظ على لثة الصغير وأسنانه؟

صحة الفم والأسنان مرآة لصحة الإنسان:

وجه الإنسان هو أول ما يجذب الأنظار إليه، ونظراً لأن الفم وما يحويه من أسنان يشغل مركز الوجه لذا فهو أكثر الأشياء جذباً للانتباه، وكما نعلم فإن مختلف الأحاسيس والمشاعر التي تختلج داخل الإنسان يعبر عنها بحركات الفم والعضلات المتصلة به، وقد تعكس هذه الحركات الحالة النفسية التي يمر بها الإنسان من فرح أو حزن أو غضب، كما قد تنقل معاناته من علة مرضية عضوية.

فعلى سبيل المثال رائحة الأسنان الكريهة (البخر) والتي تسبب إزعاجاً كبيراً لمن يعانون منها قد تكون نتيجة التهاب الأغشية المخاطية حول الأسنان (جيوب اللثة) وقد تكون في الأطفال على شكل التهاب تقرحي في اللثة وقد تكون نتيجة لشيء آخر مثل التهاب اللوزتين أو التهابات وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الجهاز الهضمي ومنها على سبيل المثال الإمساك المزمن أو قد تكون نتيجة لارتفاع نسبة السكر في الدم.

ومثال آخر ظهور طبقة مبطنة للسان (مكونة من الخلايا غير الحية لسطح اللسان وكذلك بعض فضلات الطعام وميكروبات مختلفة) من العلامات المميزة للإصابة

بعض الأمراض وخاصة تلك التي تسبب ارتفاعاً حاداً في درجة حرارة الجسم .
أيضاً قروح الفم التي تظهر على الأغشية المخاطية المبطنة للفم أو على جانبي
اللسان أو طرفه وتكون عادة إما نتيجة للتوترات العصبية والنفسية، أو نتيجة
اضطرابات الهرمونات في الجسم وخاصة في النساء أو نتيجة الإصابة بفقر الدم أو
اللوكميا أو بعض الأمراض الجلدية والمناعية .

وكما أن صحة الفم والأسنان تتأثر في كثير من الأحيان بالحالة العامة للإنسان سواء من الناحية النفسية أو العضوية فإن أمراض الفم والأسنان بدورها تؤثر عضوياً ونفسياً في الإنسان.

فعلى سبيل المثال: إصابة الأسنان والفك بمرض «البيوريا» الذي يسبب تآكل عظام الفك بدرجات متفاوتة مما يسبب تخلخل الأسنان وترك الأسنان المخلخلة في مكانها يمكن أن يؤثر على الأسنان الملاصقة لها ويسبب فقدانها كما أن هذه الأسنان المخلخلة تكون عادة محاطة بجيوب صديدية تحتوي على ميكروبات وجراثيم كثيرة مما يحدث ضرراً بالغاً بأجهزة الجسم المختلفة.

تركيب الأسنان في سنوات العمر المختلفة:

يختلف عدد الأسنان تبعاً لمرحلة العمر التي يمر بها الإنسان، وهي تكتمل عادة في سن الحادية والعشرين بعد بزوغ ضرس العقل في الفم ليصبح عددها ٣٢ (ست عشرة بالفك العلوي وست عشرة بالفك السفلي) ويطلق عليها في هذه الحالة بالأسنان الدائمة.

ويسبق الأسنان الدائمة ظهور الأسنان اللبنية أو الأولية ابتداءً من عمر ستة شهور ويكتمل عددها عند بلوغ الطفل عمر سنتين (عشرون سنة لبنية: عشر في الفك العلوي وعشر في الفك السفلي) وتستمر هذه الأسنان اللبنية في فم الطفل حتى عمر السادسة حيث يبدأ تبديل القواطع الأمامية وعادة السفلية قبل العلوية ويصحبها بزوغ أول ضرس دائم أو قبلها بقليل وهنا يجب أن نشير أن الضروس الدائمة تظهر في الفم ولم يسبقها ضروس لبنية حيث إن الأسنان الدائمة أكثر باثني عشر من الأسنان اللبنية.

وهناك خطأ شائع فعند ظهور أول ضرس دائم ويكون الطفل في عمر السادسة ولم تر الأم تبديل ضروس ودائماً يبدأ فيه التسوس في عمر مبكر نتيجة لعوامل كثيرة الخطأ الشائع أن معظم الأمهات تعتقد أنه ضرس لبنني وتصر على خلعه وهذا له ضرر بالغ في ترتيب الأسنان الدائمة وانتظامها بعد ذلك.

فالنقطة الهامة التي يجب أن نشير إليها هو ضرورة الحفاظ على الأسنان اللبنية وعدم خلعها إلا في وقت تبديلها المحدد الذي يعرفه طبيب الأسنان المعالج، إذ إنها فضلاً عن أهميتها في مساعدة الطفل على المضغ الجيد للطعام ومساعدته على النطق السليم فإن فقد هذه الأسنان مبكراً قبل الموعد المحدد لها يؤدي إلى ميل الأسنان المجاورة نحوها فتضيق المسافة المخصصة للسنة الدائمة التي سوف تظهر في مرحلة لاحقة مما يؤثر على شكل الفك ووضع الأسنان الدائمة فتكون في أوضاع معوجة وغير سليمة أو تظل مدفونة في الفك وتسبب أعراضاً وأمراضاً عديدة.

وكثيراً ما يتعرض الطفل لمتاعب عند التسنين وتفاجأ الأم بصراخ طفلها وبكائه المستمر عندما يبلغ ستة شهور من العمر وقد ترتفع درجة حرارته أو يصيبه الإسهال، وقد يكون التسنين بالفعل مسئولاً عن جميع الأعراض التي يعاني منها الطفل ويمكن تفسير ذلك إذا علمنا أن مناطق التحكم في أجزاء الجسم المختلفة تكون متداخلة ومتشابكة داخل مخ الطفل ثم تتحدد وتتمايز عن بعضها البعض مع تقدم العمر، فقد تتأثر مستقبلات آلام الفم بمخ الطفل أثناء بزوغ الأسنان اللبنية ثم يتقل الإحساس بالألم في المناطق المجاورة بالمخ، فإذا لمس الإحساس منطقة الأذن بالمخ شعر الطفل بالألم في أذنه وظل يداوم على وضع يده على أذنه مما يوحى بإصابتها، وإذا ما تشعب الإحساس بالألم في منطقة البطن مثلاً شعر الطفل بالمغص وهكذا.

أما الاحتمال الآخر فهو أن يكون الطفل مصاباً بالفعل بعلّة مرضية في أذنه أو أمعائه وصادف ذلك بداية ظهور الأسنان اللبنية، ومن هنا نشير إلى خطورة اعتبار التسنين مسئولاً عن أي آفة مرضية، وإنما ينبغي فحص الطفل لمعرفة السبب الحقيقي للمرض.

وينصح بعرض الطفل على طبيب الأسنان أولاً ليتأكد من أن عمر الطفل مطابق

لتاريخ بزوغ السنة اللبنية، ثم يقوم بفحص منطقة السنة، فإذا وجد ورماً أو احمراراً فيمكنه بتخدير سطحي أن يشق هذا الثورم، وعندئذ يزول الضغط المسبب للألم عند الطفل وينقطع صراخه وتنخفض حرارته وتظهر السنة اللبنية بعد ذلك بيوم أو أكثر دون أي مشاكل.

أما إذا لم يوجد تورم أو احمرار بمنطقة بزوغ الأسنان فمعنى ذلك أن هناك سبباً آخر للألم لا علاقة له بالتسنين وفي هذه الحالة يلزم استشارة طبيب الأطفال.

الحفاظ على صحة الفم:

لا شك أن صحة الفم هي المدخل الطبيعي لصحة الإنسان وعدم تعرضها لأية إصابات مرضية، والعناية بصحة الفم لها شقان أساسيان أحدهما يعتمد على الشخص نفسه ونعني بذلك استخدام الفرشاة والمعجون أو المسواك الاستخدام الصحيح، وينصح باستخدام فرشاة الأسنان بعد الأكل مباشرة كلما أمكن ذلك، فإذا تعذر ذلك فلا أقل من تنظيف الأسنان بالفرشاة بعد وجبة العشاء لما لذلك من أهمية كبيرة في إزالة الترسبات المتراكمة طوال اليوم وبالتالي الحد من التأثيرات الجرثومية على الأسنان خلال فترة النوم الطويلة بالليل.

والشق الثاني هو الاكتشاف المبكر لأمراض الفم والأسنان، فبالرغم من أهمية العناية الشخصية السابق ذكرها فإنها لا تكفي وحدها، فإذا كنا نقول إن «الوقاية خير من العلاج»، فإن السبيل إلى تحقيق ذلك هو الاكتشاف المبكر لأمراض الفم والأسنان قبل استفحالها، خاصة لأن غالبية هذه الأمراض لا تسبب أعراضاً واضحة في مراحلها الأولى، فكثير من أمراض الأسنان الشائعة مثل تسوس الأسنان (وهو أكثر أمراض الأسنان شيوعاً في الإنسان) والتهابات اللثة لا تصاحبها عادة أعراض ظاهرة ومنحوسة خاصة في بدايتها، ولا يشعر المريض بالألم وأعراض شديدة إلا في المراحل المتأخرة من المرض عندما يصبح العلاج إما معقداً أو جذرياً يؤثر على صحة المريض العامة فيما بعد.

وقد يندهش القارئ إذا علم أن الزيارة الدورية للطبيب يجب أن تبدأ مع تكون الجنين في بطن أمه، وتستمر مرة واحد كل ستة أشهر أو على الأقل مرة واحدة سنوياً.

فالسيدة الحامل عندما تذهب إلى عيادة الأسنان للكشف الدوري المعتاد، فإن الطبيب يبدي اهتماماً خاصاً بحالة اللثة التي قد تلتهب بسبب تغير نسب الهرمونات في الدم أثناء الحمل، كذلك فإن لعاب السيدة الحامل يكون مخاطي القوام أكثر منه في الظروف العادية وهذا من شأنه أن يشجع على تكوين طبقة البلاك وبالتالي يساعد على حدوث التهابات وزيادة نسبة تسوس الأسنان، بل قد يسبب الحمل ظهور بعض الأورام باللثة وتحتاج هذه الحالات عناية طبية خاصة وغالباً ما تشفى مع انتهاء الحمل، فإذا أضفنا إلى ذلك بعض العوامل المرضية الأخرى مثل الترسبات الجيرية وتراكم فضلات الطعام وتكون طبقة البلاك (اللطة الجرثومية) فإن الحالة تزداد سوءاً حيث قد تتأثر عظام الفك المثبتة للأسنان وتعرض للتآكل.

ودائماً ينصح طبيب الأسنان مريضته الحامل بعدم تعاطي أي أدوية دون استشارة طبية ويحذرها من مخاطر ذلك على الجنين، فعلى سبيل المثال تناول عقار التتراسيكلين كمضاد حيوي أثناء الحمل يؤدي إلى إصابة الأجنة بمرض الأسنان المبقعة.

نأتي بعد ذلك للعناية بالطفل أثناء فترة التسنين وكما أسلفنا فإن شرط جراح الأسنان عندما يفتح طريقاً لبزوغ السنة اللبنية فإنه يقضي تماماً على الأعراض والآلام المزعجة التي يعاني منها الطفل.

وتكتسب الزيارة الدورية للأطفال إلى طبيب الأسنان أهمية خاصة حيث يمكن للطبيب ملاحظة مواعيد تساقط الأسنان اللبنية، وقد يزيل الطبيب السنة اللبنية عندما يحين موعد سقوطها حتى يفسح الطريق لظهور السنة الدائمة التالية في مكانها الصحيح بالفك، وفي حالة اضطراب الطبيب إلى خلع سنة لبنية قبل الموعد المحدد لسقوطها فإنه يلجأ إلى وضع جهاز صغير في فم الطفل للحفاظ على مكان السنة المخلوعة من أجل استيعاب السنة الدائمة التالية عند ظهورها، كذلك فإن طبيب الأسنان يمكنه اكتشاف أي تسوس مبكر في الأسنان وعلاجه قبل أن يستفحل ويكون خراجاً قد يسبب تدمير السنة التالية في الفك.

الوقاية من العدوى في عيادات الأسنان:

يتعرض جسم الإنسان للإصابة بأمراض مختلفة تسببها أنواع عديدة من الفيروسات والميكروبات ويطلق على هذه الأمراض اسم «الأمراض المعدية»، حيث تنتقل من شخص لآخر إما عن طريق رذاذ الفم أو استخدام أي مواد ملوثة بإفرازات المريض المختلفة أو استنشاق الهواء المحمل بجراثيم المرض، أو نتيجة تناول أطعمة أو مشروبات ملوثة أو نقل دم ملوث بالمرض.

وبطبيعة الحال فإن عيادات الأطباء من مختلف التخصصات بمن فيهم أطباء الأسنان يمكن أن يكون مصدراً مهماً من مصادر العدوى بهذه الأمراض، حيث يقصدها مئات المرضى من مختلف المستويات منهم المرضى بأمراض ظاهرة ومنهم من يحملون ميكروب المرض دون أن تظهر عليهم أعراض المرض (حامل الميكروب).

وقد تركزت الأضواء مؤخراً وبوجه خاص على عيادات الأسنان لأسباب كثيرة منها أنها تستقبل أعداداً من المرضى أكبر من العيادات التخصصية الأخرى نظراً للانتشار الكبير لأمراض الأسنان كذلك فإن معظم التدخلات العلاجية في طب الأسنان هي تدخلات جراحية صغرى أو كبرى.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نستعرض مرضين كثر الحديث عنهما في الفترة القصيرة الماضية، وهما: مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، ومرض التهاب الكبد الوبائي، وكلا المرضين من الأمراض الفيروسية، والفيروسان المسببان لهما مختلفان.

فمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) يسببه فيروس يعيش في دم الشخص المصاب فإذا تلوث دم شخص سليم بهذا الدم الملوث انتقل إليه المرض.

ومن رحمة الله عز وجل فإنه بالرغم من أن مرض الإيدز من الأمراض الخطيرة القاتلة، فإن الفيروس المسبب له يعتبر من الفيروسات الضعيفة التي لا تستطيع العيش لفترة طويلة خارج الوسط الذي تعود عليه وهو الدم، وبالتالي يسهل القضاء عليه باستعمال طرق التعقيم المختلفة المتعارف عليها.

أما الفيروس المسبب للالتهاب الكبدي الوبائي، فهو من الفيروسات التي يمكن أن تعيش لفترة أطول نسبياً خارج الوسط الذي تعودت عليه، ومع ذلك يمكن القضاء

عليها باستعمال طرق تعقيم معروفة ومحددة لتنظيف وتجهيز وتعقيم الأجهزة والأدوات والمواد المستخدمة في طب الأسنان لضمان عدم انتقال العدوى. مما سبق يتضح أن احتمالات العدوى واردة في أي مجال من المجالات الطبية بما فيها طب الأسنان، إذا لم يتخذ الطبيب كافة الاحتياطات الوقائية والضرورية بالنسبة للأجهزة والمعدات والمواد المستخدمة سواء في التشخيص أو العلاج.



س: نرجو إعطاءنا بعض النصائح والمعلومات حول الأمراض الجلدية التي قد تصيب الأطفال وأعراضها وكيفية علاجها مبكراً أو عند حدوثها.

الجواب: على كل الأمهات أن تفعل الآتي:

أولاً: الاهتمام بصحة الأم الجسمانية والنفسية هو البداية الحقيقية للاهتمام بصحة الطفل الجسمانية والنفسية بصفة عامة وبصحة جلده وشعره بصفة خاصة قبل وبعد ولادته.

جلد الطفل وملحقاته من الشعر والأظافر هو المرآة تعكس حالة جسمه وصحته فجدير بالأم متابعة وملاحظة أي تغيرات في الجلد والشعر والأظافر.

نظافة الطفل:

* يجب على الأم الاهتمام باستحمام الطفل بصفة دورية للحفاظ على جلده وأعضائه بصحة جيدة والأفضل دائماً استعمال الماء الفاتر، وليس الاستحمام في حذ ذاته هو سبب إصابة الطفل بالبرد، ولكن السبب الحقيقي هو: عدم تجفيف جلد وشعر الطفل جيداً، أو التعرض لتيازات الهواء.

وأنسب المواعيد لاستحمام الطفل هو منتصف النهار أو في المساء ويُستحسن أن يكون في حجرة نومه، ويكون الحمام قبل الرضاعة حتى لا تتأثر معدة الطفل بحركته خلال الحمام فيتقيأ الرضاعة إذا كان الاستحمام بعدها، ويمكن استعمال بعض الشامبوهات الخاصة التي لا تؤذي العين عند التسرب إليها حتى لا يكره الطفل الحمام.

* كذلك على الأم المحافظة على ملابس الطفل جافة ونظيفة باستمرار حتى تتجنب حدوث التهابات بالجلد.
التهاب منطقة الكافولة:

واللوقاية من ذلك يجب تجنب استعمال الملابس الداخلية المصنوعة من الألياف الصناعية أو أي شيء آخر يمنع جفاف البلل أو يمنع التهوية، لأنها قد تضر الجلد ضرراً مباشراً كأن يحدث منها حساسية لمسية من مكوناتها الصناعية، أو أنها تسبب في قلة تهوية المكان وصعوبة التبخر مع وجود البكتيريا والفطريات، فتحدث الالتهابات في هذه المنطقة.

لهذا من المستحب استعمال الكافولة (اللفة) القطنية وتغييرها باستمرار عندما تبتل، ويمكن استعمال غسول البرمنجنات المخفف عند استبدال الملابس المبللة.
الطفح الجلدي:

هناك طفح جلدي مصحوب بارتفاع درجة الحرارة مثل: الجدري أو الجدري الكاذب أو الجدري المائي: يظهر فيه الطفح من أول بدء ارتفاع الحرارة، ويظهر ثم يمتد إلى الرأس والأطراف، ويظهر في أشكال متعددة: حبوب حمراء وحويصلات مائية وبثور، وتستمر حوالي أسبوعين أو ثلاثة لتتمام الشفاء.
الحصى القرمزية:

يظهر فيه الطفح في اليوم التالي من بدء ارتفاع الحرارة، ويتميز الطفح بيهتان اللون حول الفم وأرنبه الأنف مع تورم واحمرار اللسان الذي يصبح شبيهاً بالفراولة ويتميز أيضاً بوجود خطوط حمراء على ثنايا الركبة والمرفق، وهذه الحالة تحدث بسبب الإصابة بالميكروبات السبحية - أي: تشبه السبحة - وهي تفرز سموم كيميائية تسبب هذا الطفح المميز.
الحصبة:

يظهر الطفح غالباً في اليوم الرابع من بدء ارتفاع الحرارة، ويكون في صورة بقع حمراء، ويظهر أولاً في السوجه عند منابت الرأس، يبدأ خلف الأذن ثم ينزل إلى

الرقبة، ثم يمتد إلى باقي الجسم خلال ثلاثة أيام، ويكون مصحوباً بارتفاع شديد في درجة الحرارة يُصاحبه زكام ورشح وسعال وعطس والتهاب العينين مع نزول الدموع وعدم القدرة على النظر في غرفة مضيئة، وفي حالة الحصبة الألماني يُصاحب الطفح الوردي الذي يظهر في الوجه أولاً ثم ينتشر بسرعة إلى جميع أنحاء الجسم في خلال يوم واحد، تضخم في الغدد الليمفاوية وبالذات في الرأس والرقبة مع ارتفاع بسيط في درجة الحرارة، وأعراض خفيفة للبرد والرشح، وهنا يجب التنبيه على عدم تعرض الأمهات الحوامل للمرضى المصابين بالحصبة الألماني لأن الإصابة بها في الثلاثة شهور الأولى من الحمل قد تُسبب لهن مضاعفات خطيرة وتشوهات في الجنين بل وقد تؤدي إلى الإجهاض.

وفي كل أحوال الطفح الجلدي المصحوب بارتفاع درجة الحرارة يجب استشارة الطبيب على الفور لتحديد التشخيص المناسب وبالتالي العلاج المناسب.

وهناك طفح جلدي غير مصحوب بارتفاع في درجة الحرارة مثل: بعض أنواع الحساسية، ومن أشهرها:

إكزيما الأطفال:

وهي في الأطفال الرضع تكون على شكل احمرار والتهاب بالجلد وقد تظهر بعض الحبوب أو البثور أو الفقاقيع خاصة في الوجه على الخدود وظهر اليدين، أما في الأطفال الأكبر سناً فتظهر في شكل التهابات في ثنيات الجلد مثل الرقبة وتحت الإبطين وبين الفخذين وخلف الركبتين مع حكة شديدة.

والعلاج سهل ميسور بإذن الله مع مراعاة عدم استعمال أي أدوية أو مراهم إلا باستشارة الطبيب، ولأن جلد الطفل في هذه المرحلة حساس ورقيق فيجب أن يكون التعامل معه برفق وحكمة.

الأرتكاريا:

وهي عبارة عن درنات حمراء تظهر في أي مكان في الجسم وسرعان ما تختفي دون أن تترك أي آثار لتظهر في مكان آخر يُصاحبها حكة شديدة، وقد يحدث معها تورم حول العينين وفي الشفتين، وهي في الغالب قد تنتج عن تناول بعض الأطعمة

مثل: البيض والسمك والعدس والموز والمانجو والفراولة والشيكلات والمعلبات وكل ما يحتوي على مواد حافظة مثل: الشيبسي والكراتيه وغير ذلك مما تعود عليه الأطفال، وأيضاً قد تحدث الأرتكاريا نتيجة تعاطي بعض الأدوية مثل السلفا ومشتقاتها والبنسلين ومشتقاته وغير ذلك من الأدوية.

والعلاج المبدي للحالات البسيطة لحين العرض على الطبيب هو تناول دواء مضاد للحساسية، وتجنب مسبباتها بقدر المستطاع.

الأرتكاريا الحبيبية:

وهي عبارة عن درنات حمراء تعلوها حويصلات مائية أو حبوب أو بثور، وتظهر غالباً في الأطراف والوجه وكذلك بعض الأماكن الداخلية مثل أسفل الظهر وفي منطقة الحزام، ويصاحبها أيضاً حكة شديدة، وهي في الغالب تنتج عن لدغ الحشرات لهذا يجب أن تحرص على تجنب الأماكن التي تكثر فيها الحشرات وخاصة الناموس واستعمال نموسية عند النوم كوسيلة طبيعية لتجنب الناموس مع تجنب استعمال المبيدات الحشرية في ذلك لضررها البالغ على الصغار والكبار.

ويجب في كل الأحوال العرض على الطبيب المختص للتشخيص السليم، ولتفرقة أنواع الحساسية المختلفة من أمراض أخرى مثل عدوى الجرب مثلاً، وهذه الأخيرة تزاد في فصل الشتاء لقلة الاستحمام وتزاحم أفراد الأسرة تحت غطاء واحد.

ونبه هنا أن هناك أنواعاً من العدوى منها ما يصيب بعض الناس ذوي الجلد الحساس بالرغم من اهتمامهم بالنظافة.

ويصاحب ذلك حكة شديدة خاصة عند التدفئة والنوم وبخاصة في أماكن الثنيات والأعضاء التناسلية، ويصيب هذا المرض معظم أفراد الأسرة وعلاج ذلك سهل يسير بإذن الله باتباع تعليمات الطبيب بدقة، وعلاج كل أفراد الأسرة والمخالطين في نفس الوقت وللفترة المناسبة مع الاهتمام بغلي الملابس والفرش والملايات أو كيهها أو عزلها وتطهيرها.

حمو النيل:

الذي يظهر أساساً في فصل الصيف، وهو عبارة عن حبوب صغيرة حمراء لامعة

تحدث نتيجة تراكم العرق على الجلد فيسد مسام الغدد العرقية ويتجمع بداخلها مُحدثاً حمو النيل، ويشعر به الطفل وكأنه وخز الإبر فيبكي، وقد تحدث مضاعفات مثل الحصف والدمامل، والوقاية خير من العلاج، وذلك يتأتى بالمساعدة على تقليل إفراز العرق عند الطفل، بتخفيف الملابس جداً خلال الصيف، وأن تكون هذه الملابس مصنوعة من القطن حتى تمتص العرق من على جلد الطفل فتمنع انسداد الغدد العرقية، بعكس الملابس المصنوعة من الألياف الصناعية، وكذلك تهوية المكان جيداً مع الإكثار من الاستحمام بالماء الفاتر أكثر من مرة في اليوم.

ونحذر كل أم من استعمال بودرة «حمو النيل» فهي تزيد من انسداد مسام الجلد وتساعد على زيادة حمو النيل.

ولأن الجلد هو مركز الإحساس، ليس فقط الإحساس المادي مثل الألم والحرارة والبرودة ولكنه أيضاً مركز للإحساس المعنوي الروحي كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

لهذا يجب ألا تغفل الأم عن حقيقة تأثر الطفل بالحالة النفسية والعصبية حتى قبل الولادة وهو جنين في بطنها، وانعكاس ذلك على صحته بصفة عامة وعلى حدوث بعض الأعراض المعبرة عن ذلك في جلده وشعره وأظافره مثل: شد الشعر العصبي، الحكّة حول فتحة الشرج والأعضاء التناسلية (مع استبعاد الأسباب العضوية مثل وجود ديدان أو التهابات)، قضم الأظافر ومص الأصابع (مما يؤدي إلى تشوهها وحدوث التهابات حولها)، وقد يصاحب هذه الأعراض ظواهر نفسية أخرى مثل اضطرابات النوم والتفزع والكوابيس والبكاء غير الطبيعي، وغير ذلك من الظواهر.





الإسهال عند الأطفال

س: كثيراً ما يصاب الصغير بالإسهال، الرجاء إعطاء فكرة كاملة عن هذا المرض بأسبابه وأعراضه وكيفية الوقاية منه، وكيف يعالج الصغير منه حال إصابته به؟

الجواب: الإسهال مرض من أمراض الصيف التي يسهل الإصابة به عند الأطفال بسبب العدوى وعدم النظافة وتلوث البيئة أحياناً، إصابة أطفالنا بأنيميا وهزال حاد وضعف عام بسبب الإهمال وعدم استشارة الطبيب في الوقت المناسب، لكن ورغم هذه المضاعفات فإنه يمكن محاصرة هذا المرض والقضاء عليه في مهده وبذلك نحمي أطفالنا من متاعب الإسهال، لكن كيف؟

هذا ما يجيب عليه الأطباء الأخصائيون في طب الأطفال:

أولاً: ما هي مظاهر وأعراض الإسهال؟

أعراض ومظاهر الإسهال كثيرة ومنها كثرة عدد مرات التبرز والقيء وهبوط مع كثرة البكاء، وهزال شديد، وفقد للشهية وجفاف بالخلق وهذه الأعراض يمكن للأهل ملاحظتها بسهولة عن طريق المشاهدة واللمس وبذلك تتأكد الأم أن طفلها مصاب بإسهال وعندئذ يمكن لها عرضه على الطبيب المختص.

ما هي أسبابه؟

ترجع الإصابة بالإسهال إلى أسباب كثيرة منها:

أولاً: ارتكاب الأم بعض الأخطاء في تغذية طفلها الرضيع دون أن تدري، مثلاً: قد تزيد الأم في كمية اللبن الصناعي إذا كان طفلها يرضع لبناً صناعياً، أو قد تزيد في كمية السكر أو الكراوية أو النشويات في طعام صغيرها، تكون نتيجة هذه الأخطاء أن يصاب الطفل بإسهال مفاجئ، ويظل في متاعب حين عرضه على طبيب أخصائي.

ثانياً: العدوى عن طريق الفيروسات والميكروبات قد تكون طريقاً سهلاً للإصابة



بالإسهال. إذا تعرضت أطعمة الطفل لميكروبات أو فيروسات بسبب الذباب قد تنتقل العدوى إلى الطفل مباشرة ويصاب بالإسهال، أو قد يختلط الطفل بأطفال آخرين مصابين بالإسهال.

ثالثاً: في حالات الإكثار في استعمال الأدوية والمضادات الحيوية ولمدة طويلة قد يؤدي إلى حدوث الإسهال.

رابعاً: سوء التغذية وحرمان الطفل من تناول وجباته الغذائية قد يصيبه بإسهال وضعف وهزال شديد.

ماذا تفعل الأم في مواجهة هذه الأعراض قبل عرض طفلها على الطبيب مباشرة؟

على الأم إذا ما لاحظت ظهور علامات الإسهال أن تسارع بعمل هذه الاحتياطات وعلى وجه السرعة وهي:

- ١- أن تمتنع عن طفلها اللبن بكل أنواعه طبيعياً كان أم صناعياً لمدة ٢٤ ساعة.
- ٢- أن تمتنع عنه أي نوع من أنواع الفيتامينات وأيضاً عصير البرتقال.
- ٣- أن تحاول إرضاعه باستعمال بعض السوائل مثل الشاي بسكر وعصير الليمون.

٤- ضرورة تخفيف ملابس الصغير للحد من ارتفاع درجة الحرارة.

٥- تستطيع الأم بعد ذلك أن تعرض طفلها على الطبيب الأخصائي للاطمئنان والعلاج أيضاً.

ما هي النصائح التي يمكن بها مواجهة الإسهال كمرض من أمراض الصيف؟

أولاً: مراعاة أن تكون الرضاعة طبيعية وفي مواعيدها المحددة.

ثانياً: مراعاة نظافة المياه المستعملة في تناول الألبان الصناعية.

ثالثاً: ضرورة مقاومة الذباب ومنعه من دخول حجرة الطفل الصغير.

رابعاً: ضرورة تخفيف ملابس الصغير بقدر الإمكان مع عدم تعريضه لتيارات

الهواء.

خامساً: مراعاة عدم اختلاط الأطفال إذا كان بينهم مريض، ويجب عزل المريض بعيداً عنهم طوال مدة العلاج.

هذه هي بعض النصائح التي يمكن بها إذا حاولت الأم الأخذ بها، أن تحمي طفلها من شر ومتاعب أمراض الصيف وبالذات الإسهال.

س: حدثونا عن أمراض الصيف وكيفية تفاديها والوقاية منها.

الجواب: في الصيف تكثر الاضطرابات الهضمية لدى أطفالنا وبصفة خاصة في أطفالنا الرضع، أي: من لم يمض على مجيئه إلى هذه الدنيا العام الواحد، وهذه الاضطرابات هي في الغالب السبب الرئيسي في وفاة ثلث الأطفال الرضع كما يقول الأطباء المتخصصون، وترتفع النسبة في الأطفال الذين يعتمدون على الطعام الخارجي وليس على ثدي الأم.

وتسبب هذه الاضطرابات في الغالب تغيرات هامة في جسم الطفل، فيقل وزنه وطوله ويصبح الخط البياني للوزن أكثر استواءً من الحالة الطبيعية، وتتوقف زيادة وزن الطفل وقد يعقبه هبوط شديد وسريع في الوزن وهزال كبير، يصاحب هذا تأرجح بين درجات الحرارة صباحاً ومساءً، وقد تهبط أو ترتفع الحرارة ويشحب لون الوجه ويصبح رمادياً بدلاً من وردي وتغور العين وتجهف شفاته وينكمش جلده وتظهر تجاعيد على الوجه والفخذين نتيجة للضعف وقلة الدهن تحت الجلد.

ويضيف الأطباء الأخصائيون أن الطفل يصبح نومه مضطرباً وتصيبه نوبات طويلة من البكاء، وقد يصاب بتشنجات يعقبها سبات عميق، كما يلاحظ تغيرات في النبض وعدم انتظام التنفس.

وللوقاية من هذه الاضطرابات يقول الأطباء الأخصائيون إنها تلخص في أمرين:

الأول: تحسن ظروف المعيشة ورفع المستوى الثقافي والاجتماعي للسكان وتحسين ظروف المسكن وتوفير الماء والهواء والاعتناء بنظافة السكن والملابس الداخلية واللوازم المنزلية ومكافحة الذباب.

الأمر الثاني: هو تغذية الطفل من لبن الأم، ويعتبر لبن الأم أكثر أمناً من حيث النظافة والتعقيم وملاءمته لتغذية الطفل ونموه، وهو يزيد العلاقة بين الأم والطفل،

كما ثبت علمياً أن لبن الأم يحتوي على مادة (لاكتوفرين) التي تحارب نمو الميكروبات في الأمعاء وخاصة ميكروب (الكولاي) الذي يسبب معظم حالات النزلات المعوية الخطيرة، ويثبت ميكروب اللاكتوباسيلاس في أمعاء الطفل وهو الذي يساعد في هضم المواد السكرية.

ويضيف الأطباء الأخصائيون أن الرضاعة من لبن الأم تساعد على تحديد النسل إذ إن الأم المرضعة أقل عرضة للحمل أثناء الرضاعة وثبت إحصائياً أن نسبة إصابة ثدي الأم المرضعة بالأورام السرطانية أقل بكثير من غيرها التي لا ترضع طفلها، وقد عرف أخيراً حقيقة علمية وهي أن الأم المرضع لا تصاب بتصلب الشرايين في أواخر عمرها.

وهكذا لا بد أن تحمي طفلك من أمراض الصيف ومن أي أمراض ويكون نموه بتغذية سليمة لأن فصل الصيف مملوء بالأمراض، فالحرص على الأطفال وعلى تغذيتهم يعد أساساً لهم ويعطيهم مناعة ضد الأمراض.

س: أرجو إعطاءنا بعض النصائح عن كيفية المحافظة على منطقة (الأنف والأذن والحنجرة) بالنسبة للأطفال وكيفية علاجها.

* يجب أن تضع الأم رضيعها أثناء الرضاعة في وضع مائل بحيث تكون رأسه أعلى من جسمه، ولا يكون في وضع أفقي كأن ترضعه وهو نائم بجوارها كما تفعل كثير من الأمهات، وذلك حتى لا يتسرب اللبن إلى الأذن الوسطى محدثاً التهاباً بها.

* كثيراً ما يصاب الرضيع بارتفاع في درجة الحرارة وقيء وإسهال، وتشخص الحالة خطأ على أنها نزلة معوية، ولكن الأم قوية الملاحظة قد تلاحظ كثرة شد الطفل لأذنه، فهو يشير من حيث لا يدري إلى السبب الحقيقي لمرضه، وغالباً ما يكون ذلك التهاباً بالأذن الوسطى، عندئذٍ يجب أن تسرع الأم بعلاجه عند طبيب مختص.

* إذا لاحظت الأم نزول سائل صديدي من الأذن - وهو غير الإفراز الشمعي الطبيعي الأصفر أو البني - يجب عليها أن تمنع دخول الماء إلى الأذن عند استحمام الطفل وذلك بوضع قطعة قطن مشبعة بالزيت أو الفازلين في أذنه وذلك حتى يتم علاجه.

* عندما يصاب الطفل بنزيف من الأنف، على الأم ألا تنزعج لأنه في كثير من الأحيان يكون الأمر بسيطاً ولا يدعو للقلق، ولكنها تسارع فُتجلس الطفل في وضع تكون رأسه لأعلى ووجهه لأسفل (مثل وضع التشهد في الصلاة مثلاً)، ولا تجعله ينام على ظهره كما تفعل بعض الأمهات، ثم تضع قطعة من القطن في الفتحة التي ينزل منها الدم وتضغط بأصابعها برفق على الأنف من الخارج لمدة ٣-٥ دقائق حتى يقف النزيف ولا مانع من استخدام كمادات باردة على رأسه.

* كثير من الأطفال يُدخلون بعض الأجسام الغريبة في آذانهم أو أنوفهم أو حتى يبتلعون هذه الأجسام، وهذا يحتاج إلى بعض العناية من الأم كالتالي:

١- بالنسبة للأنف غالباً تكون حبة فول أو قطعة أستيكة، وعلى الأم أن تضع قليلاً من الشطة أمام أنف صغيرها حتى إذا همَّ بالعطس تضغط على فتحة الأنف الأخرى فيندفع الجسم الغريب من الأنف مع تيار الهواء.

٢- بالنسبة للأشياء التي يبتلعها الطفل وتكون عادة عملة معدنية، عليها أن تسارع بإمساك الطفل من قدميه ورأسه لأسفل وتضرب بخفة على ظهره، فربما يندفع الجسم إلى الخارج.

٣- بالنسبة للأجسام الغريبة في الأذن أو في حالة فشل المحاولات السابقة على الأم أن تعرض الطفل على مختص ولا تحاول إخراجها بنفسها لأنها غالباً سوف تدفعها أكثر إلى الداخل.

* قد يولد قليل - ولله الحمد- من الأطفال بعيوب خلقية تستلزم التدخل الطبي، ولأهمية توقيت بدء العلاج نلفت نظر الأمهات إلى أكثرها شيوعاً وتأثيراً على صحة الصغير:

١- الشفة الأرنبية: تُجرى عملية جراحية لإصلاحها في الشهر الثالث، وإذا كانت مصحوبة بشق في سقف الفم فيجب علاجه في الشهر الثامن عشر وذلك ليتمكن الطفل من النطق السليم والذي غالباً ما يبدأ في هذه السن، وإلى أن يتم العلاج يجب إرضاع الطفل باستخدام قطارة.

٢- نقص السمع: مشكلة خطيرة يجب على الأم اكتشافها وعلاجها مبكراً حتى لا

تؤثر على سلامة نطق الصغير، وهناك بعض الأشياء التي قد يؤدي حدوثها إلى هذا النقص، ومن ثم تساعد الأم على اكتشافه أو على الأقل توقع حدوثه، منها: زواج الأقارب، طول مدة الولادة، واستخدام الجفت أو الشفط، تغيير لون الوليد إلى الزرقاء، إصابته بالحمى الشوكية أو الصفراء، استخدام بعض المضادات الحيوية مثل الجاراميسين لمدة طويلة.

فإذا تأكدت الأم أو حتى شكت في أن صغيرها يعاني من نقص السمع فعليها أن تبادر بعرضه على الطبيب المختص وعلاجه إما طبياً أو جراحياً أو باستخدام السماعة، وهذه الأخيرة يجب على الأم ألا تستنكف من استخدام ابنها أو ابتها للسماعة لأنها مثل النظارة تماماً، تكبر الصوت كما أن هذه تكبر الصورة، ولأن هذا- نقصد نقص السمع- من قضاء الله الذي من صميم الإيمان الرضا به، ومن غير شك فإن الطفل الذي يسمع ولو باستخدام السماعة أحسن حالاً من الذي لا يسمع ومن ثم لا ينطق!!

ثم نصيحة أخيرة.. تستطيع كل أم حماية صغارها بل والكبار من متاعب كثيرة في الأنف والجيوب الأنفية إذا التزموا بهدي الإسلام في الوضوء، وذلك بغسل الأنف ثلاث مرات والمبالغة في إدخال الماء ثم استنثاره بقوة فيخرج الماء من الأنف محملاً بما قد يوجد في الأنف من أتربة وجراثيم.



كيفية معالجة النطق عند الصغار

س: طفلي لا ينطق نطقاً صحيحاً، فقد يتلعثم في نطق بعض الحروف والكلمات، فما هو سبب هذا التلعثم؟ وما هي كيفية علاجه للتخلص منه؟

الجواب: التلعثم ضد الطلاقة في الكلام وله أعراض كثيرة كظهور اللشغة في الرء، أو نطق السين (ثين) أو نطق العين (حاء) وغيرها.

ونقول: إن التلعثم قد يكون سبباً في شهرة البعض، فواصل بن عطاء- كبير المعتزلة قبحهم الله- كان عنده عيب في النطق بالراء فكان ينشئ خطباً خالية من

حرف الراء، فلا خوف من هذه الأمور، لكن هناك عدة أسباب للتلعثم يلخصها الأطباء في نظريتين هما:

نظرية تقول: إن هناك سبباً عضوياً لهذا المرض، مثل الوراثة والتغيرات في رسم المخ وما يترتب عليها من عدم السيطرة المخية، وذلك في حالات تفضيل أو عدم تفضيل اليد اليمنى أو اليسرى في حالات التلعثم، وقد أخذ بهذه النظرية عدة سنوات ثم ألغى الاعتماد عليها.

ونظرية تقول: إن التلعثم (عصابي) أي: ظاهرة من ظواهر الاضطراب النفسي لكن هذه النظرية لم يأخذ بها لعدم كفاية الأدلة العلمية التي تستند إليها.

علاج التلعثم:

يتطلب خطة متكاملة في صورة تدريبات تخاطبية، ولا علاقة لهذه الظاهرة بالتخلف الذهني.

نظرية مقبولة للعلماء تفسير ظاهرة التلعثم على أنها سلوك يتعلمه المريض ويتأكد في سنوات نمو اللغة، يمر بمرحلة تغير طبيعية في هذا النمو، فيما بين سن الثانية والرابعة، وتتميز بتكرار بعض المقاطع والكلمات أو حتى الجمل، وتمر هذه المرحلة دون أي مضاعفات في الغالبية العظمى من الأطفال، لكن في بعض الحالات ونتيجة لرد فعل سيء في التعامل مع أي شخص قد يتطور هذا السلوك التخاطبي إلى إحداث مشكلة معقدة عند الشخص تنتهي بتفادي تنظيم من جهة هذا الشخص لمواقف الكلام المختلفة.

وعلى الرغم من ذلك فلا يعني هذا أن كل الأطفال الذين يمرضون بهذه الظروف لرد الفعل السيء يصابون بالتلعثم وهذا يشير إلى أنه في النهاية تتبلور مشكلة التلعثم نتيجة تفاعل عوامل داخلية عضوية بيولوجية وعوامل خارجية.

ومن الممكن علاج حالات التلعثم في سهولة ويسر وفي مدة وجيزة بأحدث الأجهزة التدريبية التي تستخدم في علاج عيوب النطق، ولعدم معرفتنا الأسباب الحقيقية للتلعثم فإن العلاج له دروب مختلفة للوصول إلى نهايته السعيدة.

فهناك العديد من المحاولات للتدليل على صعوبة الكلام بالتركيز على العضو المرضي بحيث يتركز العلاج على العثرات التي يعاني منها الشخص كالتكرار أو الوقفة أو المد ولكن هذه الطريقة لم تؤد إلى نتيجة كبيرة أو تحسن سريع.

المشاعر والأحاسيس:

أما الطريقة الحديثة المؤثرة والتي حازت القبول عند جمهور العلماء والمعالجين فهي علاج جسم المشكلة، وهذا يعني المشاعر والأحاسيس للتعامل بين المصاب والشخص العادي، وذلك من خلال برنامج علاجي جيد.

وهذا البرنامج العلاجي الذي ينفذ الآن من أجل حالات التلعثم أسسه وطوره أحد كبار العلماء في هذا النوع وهو أميركي يدعى (فان رايسير) وكان يعاني من التلعثم أيضاً.

إن التلعثم أحياناً يصاب به أناس كما قلنا من كبار الكتاب والأدباء والساسة والمفكرين، وعموماً فإننا ننصح الوالدين بالآتي:

التنبه جيداً أثناء مراحل نمو اللغة عند أطفالهم، ومحاولة تشجيع كل محاولاتهم الكلامية وألا يصححوها لهم مباشرة عن طريق إعطاء النصح والإرشاد، وعند تعقد المشكلة باشتداد عقدة اللسان على الوالدين استشارة الطبيب الأخصائي.

يجب مراعاة أنه كلما كان التشخيص مبكراً كان العلاج المبكر حاسماً وسريعاً في علاج ظاهرة التلعثم.

التلعثم لا يحتاج إلى علاج طبي أو جراحي ونادراً ما نلجأ إلى بعض العقاقير ولكن العلاج الرئيسي يتضمن خطة متكاملة لحل المشكلة أو التدريب على التغلب عليها في صورة تدريبات تخاطبية.

ملحوظة:

كنا فيما مضى نعالج المصابين بعيب في نطق حرف الراء بقراءة سورة القمر، فنجد تقدماً ملحوظاً، فليجرب هذا الأمر فإنه من مجربات الأمور التي أتت بفائدة، على أن تكون على يقين بالإصلاح إن شاء الله تعالى، وإلا فربك يفضح المجربين من غير الموقنين، نسأله تعالى السلامة والستر والمعافاة.

الأطفال والحمام

س: يقولون: الحمام من أهم أسباب مرض الأطفال، كيف هذا؟ وما هي الإرشادات التي ينصح بها الأطباء للوقاية من هذا كله؟

الجواب: من أكثر الأماكن التي يصاب فيها الإنسان بصفة عامة في المنزل هي الحمام والسبب هو أنها دائماً تحتوي على أشياء كثيرة ويستعمل فيها الماء والصابون بكثرة ولهذا فنحن معرضون وليس الأطفال فقط لأن تنزلق قدمنا فنصاب بأي إصابة قد تكون كبيرة أو صغيرة، وهذا يتوقف على حجم الانزلاق نفسه وعلى تحكم الشخص في عدم الإخلال بتوازنه.

وهذه بعض الإرشادات البسيطة التي تساعدنا على الإقبال من حجم الإصابات في الحمام:

معظم أرضيات الحمامات تكون من البلاط الأملس الذي يساعد على سرعة التزحلق، ولكنه يساعد على سرعة النظافة أيضاً، وللوقاية من سرعة التزحلق لا تبقي أي ماء على أرضية الحمام بل إذا استطعت وضع قطع من مفارش الحمام المحتوية على الجلد اللازق فإنه أفضل من التي لا تحتوي على أي شيء وذلك لأن الأخيرة من الممكن أن تسهل عملية التزحلق.

في أرضية البانيو^(١) من الأفضل أن تغطي بالجلدة اللازقة حتى لا يكون الصابون المستعمل في الحمام سبباً في التزحلق بالبانيو، وتوجد أنواع وأشكال كثيرة من هذه الجلدة، وإذا لم يتسن لربة البيت هذا فأقل شيء تستعملينه هو استعمال منشفة قديمة توضع في البانيو يقف عليها الطفل مع تعليمه كيف يمسك بيده مفاتيح المياه الموجودة في البانيو. إذا استطعت تثبيت مقبض في الحائط الذي به البانيو فهذا أفضل حتى يستطيع أي فرد أن يثبت فيه حينما تنزلق قدماه أو يساعده في إتمام استحمامه بدون أي إخلال في التوازن.

(١) البانيو: حمام السباحة.

لا تستخدمى أيًا من الأجهزة الكهربائية وأنت تأخذين حمامك أو أطفالك يأخذون حمامهم مثل الغسالة الكهربائية أو المدفأة أو جهاز راديو، بل من الأفضل في الأخير إذا كان ولا بد فاستعمل الراديو البطارية، وذلك حتى لا تضطري إلى تشغيله ويديك مبللتين فتصعقين بالتيار الكهربائي.

لا تتركي أطفالك بمفردهم في الحمام حتى يصلوا إلى سن معقول وذلك حتى لا يستغرقوا في اللعب بأي شيء بالحمام بعيداً عن نظرك مثل الأدوية في الأجرخانة أو إشعال الكبريت أو أي شيء آخر.

لا تملئي البانيو إلى أكثر من ارتفاع نصف الفخذ لطفلك إذا أردت أن تعطيه حمامه ويلعب بلعبة في نفس الوقت. والسبب هو أن هذا الارتفاع في الماء لا يشكل خطراً إذا انزلت رجل طفلك في الماء فتستطيعين بسرعة انتشاله.

من الأفضل عدم ترك ابنتك أو ابنك في الماء الدافئ فترة طويلة خصوصاً في الشتاء وذلك لأن الماء الدافئ يرخي الأعصاب ويصبح من الصعب عليهم القيام من البانيو وارتداء الملابس وقد يصابون بدوخة.

من الأفضل ملء وإقفال السخان إذا كانوا صغاراً.

باب الحمام لا تجعله يغلق من الداخل فقط بل من الأفضل جعل إمكانية فتحه من الخارج أيضاً وتوجد أقفال تصلح لهذا، أما إذا لم يكن هذا النوع متوفراً فمن الأفضل جعل الباب غير محكم الإغلاق حتى تسرعى في تلبية أي نداء لأطفالك.



الصغير وبعض المشاكل النفسية

(١) الطفل والكذب

يحار الوالدان في أمر طفلهما أحياناً، مثلاً لماذا يكذب بدون سبب ظاهر بعد محاضرات طويلة عن فائدة الصدق المنجي من كل عقاب وبعد التأديب لدى كل كذبة مهما صغرت؟ قد تشعر الأم أو الأب بأنهما على حافة الجنون وهما يريان طفلهما أو طفلتهما يلجآن إلى الكذب.

دوافع الكذب:

(١) في أغلب الأحيان لا يكون إصرار الطفل على الكذب منبعثاً من دوافع شريرة، فالطفل مهما يكن رأينا فيه له شخصيته الكاملة وله وسائله الخاصة المؤثرة في التعبير عما يشعر به في دخيلة نفسه، والكذب قد يكون أحد هذه الوسائل.

على سبيل المثال: إذا شعر الطفل بأنه كتلة مهملة في المنزل بسبب انشغال والديه الدائم عنه في أعمالهما وأوجه نشاطهما، فإن الكذب ولو رافقه الضرب والتأديب ربما كان وسيلة الطفل إلى استجماع مركز الاهتمام، إنه يفضل أن يضرب على أن يهمل، وهذا هو سبب الحيرة أحياناً التي يشعر بها الآباء والأمهات من إصرار طفلهما على الكذب حتى ولو كان طفلاً هادئاً ذكياً حسن التربية والسلوك.

يقول أحد المختصين في تربية الأطفال إنه خلال الثلاثين عاماً التي قضاها في مهنته وهو يراجع الآباء والأمهات بصدد عيوب أطفالهم، ولا يذكر حادثة واحدة كذب فيها أحد الأطفال بدون سبب.

ولا يعني هذا أن عادة الكذب أمر طبيعي نقي ينبغي تقبله والإغضاء عنه، وإنما يقصد منه أن يُدْكَر الآباء والأمهات أن وراء الكذب سبباً مؤكداً يجب معرفته وتقويمه.

والكذب كسائر الخلال السيئة التي يسعى الوالدان لتقويمها في الأطفال طوال فترة الطفولة ولا يمكن وقفه إلا إذا عرفنا السبب الكامن وراءه.

(٢) إن الطفل يحتاج إلى وقت طويل كي يفهم الفرق بين الحقيقة والخيال لذلك فإنه على الدوام فريسة إحساس طاغ عن طرق الأوهام والخيالات فإذا سكب الطفل كوب الحليب على الأرض مثلاً فإنه لا يقر بالذنب وإنما يضع اللوم على العصفور، وفي مثل هذه الحالة قد يوبخ الأب طفله أو طفله لأنه كذب. وتصرف كهذا يشعر الطفل بالأسى ويوهمه بأنه مكروه، والتصرف الصحيح في مثل هذه الحالة أن يقر الوالدان بأن العصفور هو الذي سكب كوب اللبن فعلاً.

أو قد يأتي الطفل من المدرسة حاملاً معه علبة ألوان فيبادر والدته قائلاً: إن المعلمة أعطته إياها كجائزة وينظر إليه الأب متشككاً فهو يعلم أن طفله لا يملك كل هذه المواهب التي تجعله يستحق الجوائز فهو شيطان مريد في المنزل، ويوبخ الوالد لطفله بشكوكه قائلاً: إن علبة الألوان هذه لأحد زملائك في الصف وغداً ستعيدها إليه. ويضرب الطفل الأرض ويقول: إنه تلقى الجائزة لحسن صوته، وأن المعلمة لا تفتأ تمتدح حسن غنائه. يغضب الوالد لأن طفله قد تحداه ورفع صوته أمامه ويأكل الطفل (العلفة) وهكذا تتكون أزمة في العلاقات بين الاثنين.

(٣) وفي سن الرابعة يكون من الأمور الطبيعية أن يتخلق الطفل القصص ثم يؤمن بها إيماناً راسخاً، فإذا سمعت الأم طفلها وهو يروي هذه القصص الخيالية أو الأكاذيب، كان عليها ألا تنهره بل ينبغي أن تجاريه قائلة: هذا شيء رائع ولكن أظن أنك قد نسيت كذا وكذا. أو: الحق معك بالطبع. فلتتحدث مع المعلمة غداً بأمير هذه القصة.

(٤) إن الدوافع وراء كذب الطفل لا علاقة له بالدوافع التي تحدد سلوك الكبار عندما يلجأون إلى الكذب، فدوافع الصغير مرتبطة بمستوى فهمه وينبغي أن نذكر أن الطفل حتى سن السابعة أو الثامنة من عمره يكون مشوشاً في أمر ما هو صحيح وما هو غير صحيح. فمخاوف الأطفال من الإهمال بسبب قدوم مولود جديد مثلاً، وأحلامهم وانفعالاتهم بالقصص تكون في أكثر الأحيان أقوى من أي شيء في حياتهم، فالطفل الذي يمثل دور الإطفائي أو الشرطي يخيل إليه أنه فعلاً إطفائي أو شرطي وأن هذه الحقيقة لا تقل عن أية حقيقة أخرى.

ومع تقدم الأيام ومرور السنوات يأخذ الطفل عن طريق اللعب والتمثيل والملاحظة والاحتكاك بالكبار في إدراك الفروق الواضحة بين الحقيقة والخيال ويصبح الأطفال عندها أقل تأثراً بدوافعهم الخاصة ويشرعون في التحكم برغباتهم المجنحة التي كثيراً ما تخلق القصص الوهمية.

إن الخيال هو أعظم الهبات التي منحها الإنسان وعليه ألا يحاول تحطيم هذه الهبة وإنما يوجهها الوجهة الصحيحة.

كيفية مواجهة الكذب:

وما أروع أن تقول الأم لطفلها وهي تعلم أنه إنما يسرد قصة من صنع الخيال: ما أجمل قصتك اكتبها مع الرسوم التي تلائمها. وعلينا أن نعلم أطفالنا على أن الكذب ليس من الأمور التي يوجد فيها حد فاصل بين (الجيد) و(الرديء) وإنما هو شيء له علاقة بكيفية تعامل الناس مع بعضهم بعضاً، إن الكذب يقف حائلاً دون الحب والثقة بين الناس، إنه يؤدي علاقات الناس بعضهم بعضاً وما أن يبلغ الطفل السن التي تؤهله للمدرسة حتى يكون قد وعى مقدار رغبته في فرض الاحترام على الناس ومقدار رغبته هو أيضاً في أن يثق بغيره.

ولا يعني هذا أن الصغار يصبحون مبرئين من الوقوع في حبال بعض الشطحات الخيالية بين الحين والحين حتى يصلوا إلى مرحلة البلوغ:

ونادراً ما نرى إنساناً يحاسب نفسه بعد كبره حساباً صادقاً فلا تمر في ذاكرته لحظات وقع فيها فريسة الأقوال غير الصحيحة، مثل هذه اللحظات بالطبع يجب ألا تمر بدون محاسبة من قبل الوالدين ولكن الأمور كلها تحل بالنقاش الهادئ والمواجهة الصريحة والإصلاح. إن كذب الأطفال البريء يختلف تماماً عن الأكاذيب الدائمة التي بلغت حد العادة المستمرة من العاشرة حتى مرحلة البلوغ، والكذب في مثل هذه السن يجب أن يقابل بالانتباه الشديد لمعرفة الأسباب والدوافع وراءه.

والطريقة التي يواجه بها الوالدان البوادر الأولى للاضطراب النفسي في غاية الأهمية، بحيث يظن الكثيرون أن العقاب الجسدي يفيد في تقويم حالة الطفل الذي يكون قد بدأ في الإكثار من الكذب وجنى ثماره المحرمة.

ولكن هذا الصبي قد أخذ يكذب بقصد جذب الانتباه إليه والعطف عليه، وإذا كذبت الطفلة لأنها تشعر أنها كانت مهمة وأن الكذب وحده هو يلفت النظر إليها، وإذا كذب الطفل عامداً أن يحدث انطباعاً لا سبيل لإحداثه إلا بهذه الطريقة، فعندما يكون علينا ألا ندفعهم بالسوء ونوقع بهم العقاب، لأن العقاب لا يؤدي إلا إلى التركيز على الحاجات التي كانت السبب في بدء تلك السلسلة.

أهم ما في الأمر أن الأم يجب ألا تجزع إذا سمعت طفلها يكذب، إن كذب الأطفال نابع من فجاجتهم وما هو سن الفجاجة لدى الإنسان إن لم يكن سن الطفولة؟! وبعد ذلك ينشأ الكذب عن فقداننا المؤقت لضوابط الدوافع لدينا.

وفي حين أن الكذب في مثل هذه السن (ما بعد الطفولة) ينبغي ألا يترك بدون حساب فإن الصفح يمكن أن يقوي الضوابط المفقودة، وأهم من تصرفاتنا وأقوالنا للطفل عندما نرى أنه أخذ يكذب هو طريقة سلوكنا، فنحن لا نستطيع أن نأمر أطفالنا بالصدق إذا كنا نسبقهم إلى الكذب.

فإذا غاب أحد الأجيال في المستشفى أسابيع أو أشهر فلا ينبغي أن نتظاهر بأنه قد ذهب في إجازة لأنه خير للصغير أن يعلم الحقيقة منذ البداية فذلك أدعى إلى تولد الشعور لديه بأنه يعامل على قدم المساواة مع الكبار، ثم إن له الحق في وداع المريض المشرف على الموت مثلاً.

أصعب المشاكل هنا مشكلة ما يعرف بالكذب الأبيض، والواقع أن هناك خطأ واقعياً وإن تكن دقيقة تميز بين قول الحقيقة مهما يكن الثمن وبين إيذاء مشاعر الناس بلا ضرورة.

والحقيقة هي أن الطفل يسمع الكبار من حوله يسردون الأكاذيب منذ لحظة إدراكه لما هو صدق وما هو كذب، بل إننا نشجع الطفل على مجاراتنا، ما كان ينبغي أن تنقد خالتك بسبب كذا وكذا لأن ذلك يؤدي مشاعرها.

ولكن الحالة فيها ذلك العيب فعلاً، وقد يسمعوننا الطفل فعلاً وقد يسمعها الطفل تعتذر عن حفلة غداء أو عشاء بسبب إصابتها بالزكام، وليس بها زكام، وإنما تريد البقاء في المنزل لمشاهدة برنامج معين في التلفيزيون.

إن الصغير قد يشعر بالحيرة من أمثال هذه التصرفات ولكنه عندما يكبر يدرك أن الكذب الأبيض له ما يبرره في بعض الأحيان شريطة ألا يلحق الأذى بإنسان آخر. وقول الصدق أحياناً قد يؤلم ولكن هذا الألم ضروري في سبيل إيجاد علاقة محبة وثقة وفي سبيل هذه الحالة يجب أن نقول الصدق برقة وصدق إحساس.



(٢) الطفل والعنف (الطفل العدوانى)

هناك أطفال قساة لا حدود لقسوتهم فهم يستضعفون الأطفال الصغار في اللعب وفي باحة المدرسة وفي المنزل وفي أي مكان. إن قسوة الطفل أحياناً هي جزء لا بد منه في عملية نمو الطفل، ولكن القسوة قد تكون إشعاراً بوجود مشاكل سلوكية ينبغي أن تسترعى الانتباه.

والواقع أنه لا يسهل على الدوام معرفة ما هو مقبول أو طبيعي بالنسبة لأي سن، ولكن قد يحس الوالدان بغضب شديد إذا رأيا طفلهما يرتكب أعمالاً سيئة حقاً في حق أخ أو أخت أو طفل آخر وعندها تقع العقوبة عليه بأقصى مما يقصدان إيقاعه.

وفي ظروف أخرى قد يرتكب الطفل نفس القسوة فلا يقابل بنفس العقاب بل نرى الأب أو الأم يعزيان نفسيهما بالقول: إن تلك مرحلة لا بد منها في حياة الطفل، ومن حسن الحظ أن الأمر كذلك في معظم الأحيان.

فإذا أقدم الطفل على مشاجرة رفيق له أو استثار أختاً له أو أختاً استثارة شديدة لا رحمة فيها أو إذا استبد في معاملة طفل آخر في الصف فهذا لا يعني بالضرورة أن الطفل أو الطفلة عدوانيان، وأنهما سيظلان كذلك طوال حياتهما.

فالعصب والعداء هما صفتان موجودتان بين جميع الناس وفي كل الأعمار ولكن بالنظر إلى أن الطفل يفتقد الوسيلة للتحكم الذاتي في عواطفه ومشاعره أو لا يدري كيف يأتي بوسيلة أخرى فإننا نراه يعبر عن مشاعره بإبداء هذه الدوافع العدائية. إن قدرًا معينًا من القسوة عند الطفل هو مرادف لعملية النمو.

عندما يقسو أطفالنا بعضهم على البعض الآخر فإن سوء تصرفهم يمكن أن يكون

عابراً قليل الأثر قصير الأجل لا يتجاوز العراك بالأيدي، وبعد ساعات قليلة نرى أن الاثنين قد تصالحا وعادا أصدقاء.

ولكن القسوة قد تكون خطيرة أحياناً، فإذا كان من طبع الطفل انعدام الإحساس تجاه مشاعر غيره من الأطفال ويمنعه من التمتع بحياته، فإن ذلك قد يكون إشارة إلى مشاكل عنيفة في السلوك بل وقد يكون مصاباً بمرض عقلي.

إن الطفل لا يولد محباً للأذى والعداء ولكنه يصبح مؤذياً نتيجة تجارب يصادفها في حياته وهذه تقاس بطبيعة علاقة الطفل بوالديه وبأخواته ورفاقه ومعلميه - أي: جميع الأشخاص الذين يملأون حياته -.

من الطبيعي أن يقسو الطفل على أخيه الرضيع أو أخته الرضعية ويتمنى لو يقذف بهما من النافذة، فالطفل في هذه السن لا يستطيع أن يدرك أن الأم قادرة على أن تحب الطفلين في وقت واحد ولذلك يقع ضحية الغيرة من هذا المخلوق الصغير الذي جاء إلى الأسرة بغتة وبدون انتظار.

ومن مثل هذه الحالة إذا لم يبد الطفل الأكبر روحاً عدائية نحو الطفل الأصغر فمعنى ذلك أنه يكتم مشاعره العدوانية في ضلوعه ولا يكشف عنها وهذا أسوأ من أي قسوة محتملة.

ولكن إذا كان الطفلان كبيرين وظل الابن في الخامسة عشرة من عمره دائم التهديد والوعيد لأخته التي تصغره بسنوات قليلة فهذا شيء آخر لا ينبغي تجاهله أو الاستخفاف به، ومعاقبة الصبي على ذلك في مثل هذه السن لا تجدي.

خلال الأعوام القليلة الأولى من حياة الطفل لا يحس بالأفراد من حوله إلا بمقدار حاجته إليهم، والأطفال في مثل هذه السن المبكرة لا ينتظر أن يقدرُوا مشاعر الآخرين والطفل دون العام الثاني من عمره إذا تألم فإنه لا يستطيع تحديد مكان الألم أو التعرف إلى سبب الغضب أو الإحباط، ومع نمو إدراكهم بمن حولهم فإنهم يأخذون في تعلم كيفية التعبير عن غضبهم بطريقة مأمونة كمحاولة إيذاء القطعة مثلاً.

وعندما يدنو الطفل من الثالثة نجد أن معظم الأطفال يتولد عندهم الإحساس بالأفراد الآخرين من حولهم بأن هؤلاء أيضاً لهم حاجاتهم الخاصة، ويزداد هذا

الشعور نقصاً بمرور السنين.

إن الطريقة التي يعالج بها الآباء والأمهات هذه العلامات المبكرة الدالة على السلوك العدواني تؤدي في كثير من الأحيان إلى تفادي المشاكل في المستقبل، ومقابلة القسوة بالتقريع تشعر الطفل بأنه مخلوق سيء فعلاً لا يستحق المحبة، لاسيما إذا كان مصحوباً بعقاب شديد من شأنه أن يقوي الإحساس بالغضب والإحباط، ويحسن الوالدان صنعاً لو بصراه بنتيجة عمله مع تحذير من تكرار العمل.

ويكبر الأطفال ويخوضون تجارب الحياة فيزداد إدراكهم بمقتضياتها ويستطيعون عندئذ أن يصححوا أو يعدلوا أساليب معاملتهم، ولا ينبغي للوالدين أن يقلقا بسبب سوء سلوك طفلهما إلا إذا كان ذلك قد أصبح عادة متأصلة.

والصغار بين الثامنة وسن البلوغ أقل عرضة للتعبير عن مشاعرهم السلبية نحو الأطفال الآخرين بوسائل جسمانية، وهذا بالطبع لا يعني أنهم يصبحون في هذه السن معصومين عن المشاجرات، إنهم يتشاجرون بالطبع ولاسيما الصبية منهم، ولكنهم يكونون أقرب إلى استخدام وسائل القوة ومنها:

١- الشتم. ٢- الزجر.

٣- ترويع الشائعات. ٤- الحرمان من لعبة أو نشاط.

وبوجه عام فإن المراهقات أقدر من الشباب على إدارة ألسنتهم في نشر الأقاويل، وربما كان ذلك راجعاً إلى أن الفتيات كقاعدة ينشأن على استعمال اللسان أكثر من العضلات في الخصومة، وهناك ظاهرة يعرفها الآباء والأمهات وهي أن الفتاة إذا عادت فتاة أخرى فإنهما يتبادلان كراهية فظيعة، أما فيما يتعلق بالقصاص فإن ذلك يعتمد اعتماداً مطلقاً على الوضع، وفي حالات معينة تساعد العقوبة إذا كانت عادلة وملائمة على إذكاء لغة المناقشة والحوار ويمكن أن ترسخ في نفس الطفل.

ولما كان الأطفال مقلدين لوالديهم ويحسنون تقليدهم فإن ما يحدث في البيت قد يعدمهم لأن يكونوا قساة، وحتى الأطفال الصغار يستطيعون أن يدركوا ما يجري في البيت ويتخذوا آباءهم وأمهاتهم نماذج للسلوك.

وهناك آباء وأمهات يشجعون أطفالهم على القسوة دون أن يدروا، وذلك إذا امتنعوا عن التدخل لفض خصومة بين الصغار، وإذا كانت القسوة عادة متأصلة في نفوس الأشقاء والشقيقات فإن ذلك كثيراً ما يرد إلى مشاعر الحسد والمنافسة والرغبة في جلب الانتباه أو الحصول على محبة الآباء والأمهات، ومن واجب الوالدين عدم إذكاء هذه المشاعر.



(٣) الطفل العصبي

قد تشكو الأم من أن يثور الطفل ويكي لأتفه الأسباب، قد يصرخ في تشنج أو يحطم ما أمامه، والأم يساورها القلق والضيق، هل تقسو عليه فتزيد من العوامل التي تؤثر عليه، أو تلبّي للطفل رغباته الرعناء فتزيد الطفل المدلل رعونة وإصراراً. وهذا كله يحتاج إلى معرفة الدوافع والأسباب التي تؤدي بالطفل إلى مثل هذه الحالة، فقد تكون هذه الأعراض العصبية نتيجة مؤثرات نفسية أو عوامل فسيولوجية أو عضوية مرضية ولا بد أن نميز بين كل منهما لأن العلاج يختلف في كل حالة من هذه الحالات.

والعوامل النفسية التي تؤثر على الطفل وتؤدي إلى سرعة ثورته وإحساسه السريع بالضيق والبكاء غالباً ما تكون نتيجة اضطراب في العلاقات بينه وبين البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه ودوائر المجتمع للطفل الرضيع هي أمه بطبيعة الحال. وينمو الطفل وتتسع دائرة المجتمع لتشمل الأسرة ثم بعد ذلك المدرسة والشارع، وهكذا فالطفل الرضيع إذا حرم ثدي أمه أو حنانها فجأة، قطعاً سيتأثر سلوكه وتتوتر تصرفاته كذلك، فإن العلاقة بين الأبوين والأسرة وبقيّة الإخوة يربطها رباط وثيق أساسه الحب والحنان.

كذلك أيضاً الرعاية والتعاون، فإذا فقد هذا الرباط أو ضعف بين الطفل وأحد أعضاء الأسرة فإن ذلك يؤثر على نفسيته ويؤدي إلى ما سمي بالطفل العصبي، والخلاف مستمر بين الأب وبين الأم أمام الطفل أو إشار طفل على طفل ثم التدليل



الضار لطفل وتحقيق كل رغباته الرعناء من أهم الأسباب التي تخلق الطفل العصبي. وبتوسع دائرة البيئة المحيطة بالطفل فإنه يبدأ في تكوين علاقات جديدة وصدقات جديدة مع من حوله من الأطفال والكبار معتمداً أساساً على الخبرة التي اكتسبها والسلوك الذي تدرس عليه في علاقاته مع جو الأسرة الأول، فإذا كان جو العلاقات الأسرية طبيعياً فإن الطفل يصمد أمام الضغوط التي قد يتعرض لها عند تكوين علاقاته بالآخرين وأن ما يتعوده الطفل في سنه الأولى يكون اللبنة والأساس السليم في حالته النفسية عندما يتعرض للمجتمع الواسع بكل ما فيه من ضغوط نفسية وذهنية.

والطفل المضطرب نفسياً يبدو عليه الحزن والبكاء المستمر لأقل سبب، قليل اللعب والحركة ملتصق بأبيه أو أنه يلتصق بأمه ويخاف أن يتواجد في الكلام، وقد تتابع نوبة غضب شديدة لأقل سبب ويكي في عنف وعصبية وقد يتبول على نفسه حين ينام، أو يكثر من قضم أظافره أو يمتص إصبعه في فمه في فترات متقطعة، ومثل هذا الطفل في حاجة إلى رعاية أسرية وطبية قبل أن يستفحل الداء ويزمن المرض.

وقد يصاب الطفل بالعصبية نتيجة اضطراب في ممارسة رغباته الفسيولوجية مثل الجوع لعدم تنظيم وجباته وخصوصاً في أشهر الصيف حيث يكي من العطش نتيجة للعوامل التي يفقدها من الحر وهو لا يعرف التعبير عن ذلك، ولذلك يجب أن لا ننسى أن يُعطى الطفل جرعات من الماء خلال أشهر الصيف، وكذلك الأرق وعدم النوم الطبيعي نتيجة النوم في ضوء شديد أو القصص أو مشاهدة المناظر المزعجة أو أصوات عالية إذ تتابع أحلام مزعجة نتيجة العوامل التي لا يتحملها الطفل.

وهناك حالات كثيرة من الأطفال المصابين بالأرق والعصبية نتيجة رؤيتهم أفلاماً مزعجة قبل النوم في التلفيزيون كالقتل والحرق وغير ذلك، ويتكرر الحلم المزعج نتيجة الصدمة التي حدثت للطفل عند رؤيته الفيلم.

ومن الأسباب العضوية التي تؤثر على أعصاب الطفل سوء التغذية ونقص الكالسيوم والفيتامينات والأملاح ووجود آلام العضوية في الصدر أو البطن أو المفاصل أو بداية مرض لا يستطيع أن يفصح الطفل عن أعراضها ولذلك يجب أن

يوضع وجود أسباب عضوية لعصبية الطفل في الاعتبار حتى يمكن اكتشافها مبكراً وعلاجها قبل أن تؤدي إلى مضاعفات.



(٤) الطفل كثير الحركة والمشغب ومتقلب المزاج

(الطفل الشقي)

ويتساءل العديد من أولياء الأمور عن الطريق السليم لتربية الصغير على أسس راسخة ليصبح طفلاً مهذباً يتمتع بالصفات والأخلاق الطيبة.

ويقول خبراء علم النفس في بحث نشرته مجلة بريطانية: إن شقاوة الأطفال وعقابهم مسألة تقديرية تختلف من أسرة إلى أخرى، فقد تشعر الأم بانزعاج شديد لأن ابنتها الصغيرة تعتمد وضع إصبعها في فمها وتحاول منع الصغيرة بالقوة بينما تأخذ أم أخرى نفس الموقف ببساطة وتشير إلى طفلتها ألا تحاول تقليد المولود الجديد وأنها ستقلع عن هذه العادة بعد فترة.

ولكن هناك تصرفات يرتكبها الأطفال الصغار تثير ضيق أولياء الأمور الذين يتفقون على كونها شقاوة مرهقة لأعصابهم مثل تكرار الأطفال لعملية إيذاء إخوانهم الأصغر منهم سناً أو سكب اللبن والمأكولات عمداً على الأرض وكسر الأكواب واللعب والتبول أثناء اللعب وإلقاء الأشياء من الشرفات والإهمال في الممتلكات الخاصة وتخريب الأثاث والرسم على حوائط المنزل.

وينصح الخبراء بأنه في حالة اكتشاف أن الصغير يتصرف بعصبية ويعتمد ارتكاب أعمال تتسم بالشقاوة الزائدة بضرورة البحث عن الدافع الحقيقي وراء هذه التصرفات ثم محاولة معالجة الموقف بناءً على ذلك.

قد يكون الدافع محاولة الصغير لفت النظر إليه لأنه يشعر في قرارة نفسه أن والديه لا يعطونه الاهتمام الكافي والرعاية اللازمة أو يشعر بالغيرة من قدوم مولود جديد للأسرة أو يعاني من الضيق بسبب زيارة شخص قريب لقلب الأم يحظى باهتمامها طوال الفترة التي يقضيها معهم.

وأحياناً يحاول الصغير المحروم من العطف والحنان أو الذي يشعر أن والده يستحوذ على الجزء الأكبر من عواطف أمه، التنفيس عن شعور الضيق الذي يعتريه بالشقاوة والإكثار من الحركات العصبية، وقد يجد الصغار مثل الكبار صعوبة في التكيف مع متغيرات الحياة والضغط العصبي فيتولد لديهم إحساس بالإحباط ويحاولون التنفيس عنه بالشقاوة الزائدة.

وتشير بعض النظريات النفسية إلى أن الطفل يحاول اختبار قدرة والديه على التحمل فيتعمد ارتكاب أعمال تثير غضبهما ليرى رد الفعل عليهما، كما تكون الشقاوة في بعض الأحيان نوعاً من التحدي لأم متحكمة ومتسلطة أو لأب قاسٍ أو لجو أسرة مشحون بالمشاجرات التي لا تنتهي، أو يتصرف الطفل بطريق غير مهذبة لعدم وجود القدوة الحسنة من الوالدين.

وقد يتحول طفل هادئ الطباع إلى طفل عصبي بعد الالتحاق مباشرة بالمدرسة، لأنه يشعر بالغيرة في المدرسة ويجد صعوبة في التكيف مع بقية زملائه كما أنه يشعر بأنه بحث طوال ساعات الدراسة عن حنان أمه.

وهناك عدة نصائح للتغلب على شقاوة الصغار وتساعد على تهذيب سلوكهم وتتلخص في النقاط التالية:

- تفهم طبيعة تصرفات الصغير وتقريب المسافة بين الطفل ووالديه على أن يكون الحب والحنان هما أساس العلاقة الأسرية.

- إظهار الغضب للصغير عندما يرتكب خطأً ومحاولة وضع عقاب رادع لفعلته حتى لا يكررها مع تجنب القسوة حتى لا يحاول الصغير تحدي سلطة الوالدين ويلجأ للعناد.

- عدم التردد في الثناء على الصغير عندما يقوم بعمل يستحق المديح ومكافأته بلمسة حنان أو قبلة صادقة.

- سؤال الطفل بحزم عن سبب ارتكابه لخطأ ما والاستماع إلى شكواه باهتمام، وعندما يبدأ الصغير في تبرير موقفه ينظر الوالد إلى عينيه ويستمع له جيداً حتى يشعر الصغير بالاهتمام والارتباط الوثيق بينه وبين والديه.

- امتناع الوالدين عن التكرار على مسمع الصغير أن ابنهما غاية في الشقاوة وأنهما عجزا عن التغلب على هذه المشكلة لأن ذلك يدفع الصغير للتمادي في الشقاوة. وأخيراً يؤكد الخبراء أن الطفل الكثير الحركة عادة ما تكون هذه الصفة دليلاً على الذكاء.

ضرورة تخصيص وقت يلعب فيه الطفل خلال فترات الاستذكار:

مع بداية العام الدراسي يضغط كثير من الآباء والأمهات على أبنائهم في محاولة لجعلهم يجلسون ساعات طويلة للاستذكار ويمنعونهم من اللعب، ولكن هذا التصرف خاطئ كما يقول علماء النفس حيث إن اللعب ليس مضيعة للوقت كما قد يعتقدون بل على العكس فإنه مفيد جداً للطفل لأن من خلاله ينمو ذكاؤه وتزداد قدرته على الابتكار والتكيف الاجتماعي، فاللعب له فوائد عديدة، منها:

- فوائد جسمية لأن المهارة التي يتعلمها عندما يتعلق بحبل أو يلقي الكرة تساعده على تحسين قدراته العقلية أيضاً.

- فوائد نفسية وعاطفية، حيث لوحظ أن الأطفال الذين يعرفون كيف يلعبون يكونون أكثر سعادة من غيرهم ويفرغون الطاقة الكامنة فيهم صحية وسليمة ويكونون الصداقات بسهولة.

- لذلك ينصح المتخصصون الآباء والأمهات بضرورة توفير مكان مناسب للأطفال يلعبون فيه دون قيود وإتاحة الفرصة لهم ومشاركتهم في اللعب وإعدادهم اللعب التعليمية.



(5) الطفل المصاب بالكوابيس والأحلام المزعجة

يقول علماء النفس: إن الأحلام أو الكوابيس عند الأطفال تعتبر تنفيساً عن الرغبات المكبوتة أو المخاوف التي تحيط بعقولهم كما أنها تعتبر رد فعل للواقع الذي يجهلونه وللأحداث التي يخشون وقوعها.

والحقيقة أن الأحلام المزعجة التي يراها الطفل تكون نتيجة للانطباعات والمفاهيم

الخاطئة التي يستخلصها من تجاربه الشخصية، فمثلاً قد يرى مشادة عنيفة بين قط وكلب على الطبيعة أو يشاهد أسداً يفترس حيواناً في برامج التليفزيون، وهنا يأخذ الصورة على أنها المفهوم الطبيعي لطبيعة هذا الحيوان وفي هذا المجال يأتي دور الأم بأن تشرح لطفلها أن الإنسان له القدرة على مواجهة الحيوان والتحكم فيه حتى ولو كان حجمه كبيراً، أما بالنسبة للحيوان المفترس فلا يمكنه النيل منه لأنه محبوس داخل قضبان، هذا بالإضافة إلى تعليم الصغير آداب النوم التي جاءت بها السنة المطهرة وقد ذكرناها في مواضعها فارجع إليها.



(٦) الطفل والغيرة من شقيقه

تواجه بعض الأمهات أثناء فترة الحمل الثاني أو بعد الولادة طفل ثانٍ مشكلة غيرة الطفل الأول من شقيقه الجديد، فما هو السبب في هذه الغيرة، وكيف تعالج الأم هذا الموقف؟

يقول الأطباء الأخصائيون في الأمراض النفسية: إن الغيرة عند الأطفال أمر طبيعي يمكن أن تكون دلالة سوية لأنها تعلن أن الطفل يمر بمرحلة التعرف على العالم وعلى ذاته وعلى حقوقه وعلى معنى الامتلاك والتنافس فكلها مظاهر لازمة من مسيرة النمو وضرورة لتنمية العلاقة بالعالم الخارجي.

والطفل الصغير يشعر بأن العالم - وخاصة أمه - ملكية خاصة له وأي تدخل في ملكيته الخاصة يثير لديه حافزاً للدفاع والهجوم وتظهر الغيرة بشكل خاص حول سن الثالثة عندما يشعر أن دخیلاً يشاركه عواطف أمه.

وينصح الأطباء الأخصائيون تقبل الغيرة باعتبارها سلوكاً طبيعياً، لذلك فعليها أن تحترم حقه في الغيرة ولا تنسى حقه في الرعاية، كما أن من واجبها أن تعدل بين القادم الجديد وبين الطفل الأكبر بل أن تسمح ببعض النكوص مثل العودة إلى التبول الليلي أو الرقاد في سرير المولود الجديد بشرط ألا يتمادى في ذلك.

ويضيف أطباء الخدمات الاجتماعية قائلين: إن دور الأب والأم هو تعويد الطفل

على أن يأنس للمولود الجديد، وهو يقوم ببعض مطالبه خاصة أن الطفل يتمتع بميزة كبيرة وهي القدرة على توزيع حبه وكراهيته على أكثر من شخص، فالمسألة إذن أولاً وأخيراً تعتمد على ذكاء الأم ولباقتها في تعديل جدولها بحيث يأخذ كل طفل حقه.



(٧) الطفل الجبان

طفل يخاف من كل شيء

تعتبر السنوات الأولى من حياة كل طفل أو ما يسمى بالطفولة المبكرة هي أخطر سنوات عمره من خلالها تتكون سمات شخصيته ومعالمها وفيها يتحدد ما إذا كان سينشأ طفلاً آمناً مطمئناً واثقاً من نفسه أم طفلاً قلقاً خائفاً من كل شيء منطوياً على نفسه لذا ركز علماء النفس في أوروبا وأمريكا على ضرورة اهتمام الآباء والأمهات بمعالجة كل نواحي القصور في شخصية الطفل منذ الصغر حتى تجنبه كثيراً من المعاناة والآلام في حياته المقبلة. والخوف مشكلة تواجه ملايين الأطفال ويعاني منها أبائهم وذوهم وقد يكون الخوف طبيعياً أو معتاداً فلا يخشى منه على الطفل وقد يكون مرضياً أي: شاداً فيندفع الطفل إلى اتباع سلوك شاذ لتجنب مصادر خوفه والبعد عنها.

فمثلاً: خوف الطفل في عامه الأول من الأصوات الصاخبة الفجائية وبكاؤه نتيجة ذلك يعتبر خوفاً طبيعياً بينما يعتبر شاداً بالنسبة لطفل في السادسة مثلاً وكلما كبر الطفل تنوعت معلوماته وتعددت تجاربه وبالتالي تنوعت مصادر خوفه، فالطفل في عامه الأول قد لا يخشى من الأشياء لأنه لا يعرف ضررها ولا يدرك قوتها أو خطورتها، بينما الطفل في عامه الرابع يصبح مدركاً لكثير من الأمور التي يشاهدها وبالتالي تزداد مخاوفه وتنوع بعكس الاعتقاد السائد بين الكثير من الآباء الذين يعتقدون أن الطفل كلما تقدم في العمر قلت مخاوفه. وهناك نوعان من المخاوف يتعرض لها الطفل: مخاوف موضوعية، ومخاوف غير موضوعية.

أولاً: المخاوف الموضوعية:

هي المخاوف المحسوسة التي يعبر عنها الطفل بوضوح، وتكشفها الأم بسهولة وقد



يكون لها مصادر حقيقية مثل خوفه من (العسكري) أو من المدرسة أو أصوات الحيوانات أو السيارات أو الطائرات أو المياه أو النار. وقد تكون عامة أو غير محددة مثل خوف الطفل من الكلب لأن أمه تخشاه ولا تحب رؤيته وليس لأنه يخشاه من نفسه، وخوفه من الطبيب لأنه رأى والدته أو شقيقته تتألم عند إعطائها (حقنة) فإنه بالتالي يصرخ بمجرد رؤيته للطبيب لأنه ارتبط في ذهنه بالألم الذي سببه لهما أي: إن الطفل بطبيعته يمتص خبرات الآخرين التي شاهدها وترسب في أعماقه فيخاف من كل الأشياء التي يعتقد أنها تخيف من حوله.

ثانياً: المخاوف غير الموضوعية:

مثل خوف الطفل من الزوار أو امتناعه من الكلام خشية الخطأ والنقد من والديه فإنها ترجع إلى ضعف ثقته بنفسه وعدم شعوره بالأمن والطمأنينة نتيجة انتقاد من حوله لمخاوفه وسخريتهم منها ومقارنته دائماً بأقرانه وإشعاره بضآلته، كما قد تكون نتيجة قلق الوالدين وعصبيتهم أو تدليلهم الزائد وخوفهم عليه وشجارهم أمامه باستمرار مما يشعره بعدم الاستقرار وبحاجته للدفع العاطفي والحب المفقود في أسرته.

لكن كيف يمكننا علاج هذه المخاوف؟

إن علماء النفس ينصحون كل أم أن تحيط أطفالها بالحنان والرعاية والحزم عند اللزوم، وعدم الهرب من مناقشة مخاوف الطفل ومحاولة إقناعه بحقيقة الأمور توضيحاً له ومراقبته لمعرفة النتيجة وفي نفس الوقت عليها أن تعلمه الاعتماد على النفس كلما أمكنه ذلك وإشعاره بالتقدير إذا أحسن التصرف وإفهامه خطأه بهدوء دون انفعال وعدم السخرية من مخاوفه أو الضحك عليه أمام الآخرين أو مقارنته بزملائه ممن في سنه. كما أن عليها إبعاده عن مشيرات الخوف مثل مشاهدة أفلام العنف والجريمة والامتناع عن سرد الحكايات الخيالية مثل الساحرة الشريرة أو أبو رجل مسلوخة، وكذلك حثه على التقرب إلى الله والاستعانة به في وقت الشدة، حتى ينعم بهدوء البال والاستقرار النفسي ويعيش مطمئناً سعيداً كما جاء ذلك في موضعه.





فكرس الجزء الثاني

الموضوع

الصفحة

تربية الصغار ما بعد ثلاث سنوات (من سن ٤-١٠)

- 3 من هنا نبدأ .
- 6 الإيمان قبل القرآن .
- 12 تعليم الصغير الإيمان بالله تعالى .
- 18 التوحيد .
- 19 أقسام التوحيد .
- 20 القسم الأول، توحيد الربوبية .
- 22 القسم الثاني، توحيد الألوهية .
- 24 القسم الثالث، توحيد الأسماء والصفات .
- 30 الصغار وتعلم فضائل الأخلاق .
- 34 خلق الحياء .
- 39 خلق الصدق والنهي عن الكذب .
- 52 خلق التواضع والنهي عن الكبر .
- 64 خلق الكرم والنهي عن البخل .
- 69 خلق أداء الأمانة والنهي عن السرقة والغش .
- 77 خلق النهي عن الغضب .
- 82 الخوف وتخليص الصغير منه .

- 86 - الأنانية .
- 89 - الرفق، والرحمة، والرأفة .
- 93 - الحقوق والواجبات التي يجب أن يتعلمها الصغير .
- 93 - تعليم الصغير بر والديه - الأخلاق مع الوالدين .
- 107 - الأخلاق مع العلماء .
- 111 - صلة الأرحام .
- 115 - علاقة الصغير بإخوته .
- 121 - الصغير والأصدقاء .
- 127 - الصغار وعلو الهمة .
- 138 - مسئولية الآباء والعلماء في تربية علو الهمة داخل نفوس الصغار .
- 156 - التربية بالقصة .
- 160 - رحلة العجائب . قصة موسى والخضر عليهما السلام .
- 168 - الملك - الساحر - والغلام . أصحاب الأخدود .
- 178 - الشكر، والجحود . الأبرص، والأقرع، والأعمى .
- 186 - أمانة وإخلاص . الجرة الذهبية .
- 190 - الشمس تُحبس . يوشع بن نون عليه السلام والشمس .
- 199 - الخشبة الأمانة . خشبة الوفاء ورجلان من بني إسرائيل .
- 206 - طفل يتكلم في المهد . جريج العابد .
- 212 - البطاقة العجيبة . فضل لا إله إلا الله .
- 219 - صوت في السحاب . ساقى الحديقة والزكاة .
- 225 - من قصص الإيمان بالله .
- 235 - تعليم الصغار الإيمان بالملائكة .
- 249 - تعليم الصغار الإيمان بالكتب السماوية .
- 261 - تعليم الصغار الإيمان بالرسول والأنبياء عليهم السلام .
- 262 - لماذا نحب رسول الله ﷺ؟ .

- 278 - قصص الإيمان بالرسول.
- 289 - تعليم الصغار الإيمان باليوم الآخر.
- 291 - قصص الإيمان باليوم الآخر.
- 298 - تعليم الصغار الإيمان بالقضاء والقدر.
- 299 - من قصص الإيمان بالقضاء والقدر.
- 309 - تعليم الصغار القرآن الكريم.
- 312 - كيف تحفظ القرآن الكريم؟.
- 319 - تعليم الصغار شعائر الإيمان وعباداته.
- 319 - الصلاة أولاً.
- 338 - آداب يجب أن يتعلمها الصغار.
- 344 - آداب الاستئذان.
- 347 - آداب الطعام.
- 353 - آداب الشرب.
- 354 - آداب النوم.
- 357 - ضرورة وقت يلعب فيه الصغار.
- 370 - أسئلة طفلك المخرجة وكيفية الرد عليها.
- 406 - قواعد تراعى عند ضرب الصغير.
- 411 - ما بعد العاشرة (المراهقة والشباب) نصائح ووصايا.
- 443 - الملحق الطبي.
- 443 - بعض الأسئلة الطبية الخاصة بالأم والوليد.
- 446 - كيفية الوقاية من أمراض الكبد والكلية.
- 450 - كيفية تنبيه الإدراك عند الصغار.
- 451 - كيفية الوقاية من أمراض المسالك البولية.
- 452 - كيف أحافظ على قلب الصغير؟.
- 452 - التبول الليلي.



- 456 - كيف نحافظ على لثة الصغير وأسنانه؟
- 462 - الأمراض الجلدية.
- 467 - الإسهال عدو الأطفال.
- 469 - أمراض الصيف.
- 470 - أمراض الأنف والأذن والحنجرة.
- 472 - كيفية معالجة النطق عند الصغار.
- 475 - الأطفال والحمام.
- 477 - الصغير وبعض المشاكل النفسية.
- 477 - الطفل والكذب.
- 481 - الطفل والعنف (الطفل العدوانى).
- 484 - الطفل العصبي.
- 486 - الطفل كثير الحركة والمشاغب ومتقلب المزاج (الطفل الشقي).
- 488 - الطفل المصاب بالكوابيس والأحلام المزعجة.
- 489 - الطفل والغيرة من شقيقه.
- 490 - الطفل الجبان (طفل يخاف من كل شيء).
- 491 - الفهرس.



"جذور التربية مريرة ولكن ثمارها حلوة"

◀ كيف يختار الأب الأم الصالحة؟

◀ كيف تختار الأم الأب الصالح؟

◀ كيف يُستقبل المولود؟

◀ ما هي الخطوات الواجب إتخاذها نحوه؟

◀ ما هي حقوق الصغار علينا؟

◀ كيف نتعامل مع الصغار؟

◀ كيف تجيب على أسئلة الطفل المخرجة؟

◀ كيف نعلم أولادنا عقيدتهم وشريعتهم؟

◀ الطريق إلى تنمية المواهب.

◀ نصائح طبية تشتمل على كافة أنواع الوقاية من الأمراض.

◀ نصائح طبية تشتمل على كيفية علاج الأمراض.

◀ برامج غذائية متكاملة لكل المراحل السنية؟

◀ التربية في شكل سؤال وجواب.

◀ العلاج النفسي لأمراض الطفولة.

خلف الجامع الأزهر - بجوار بيت الهراوى

القاهرة - تليفون وفاكس : ٥١٤٧٢٤٨

ت: ٥١٤٧١٧٩ محمول : ٠١٢/٧٤١٨٣٤٨

